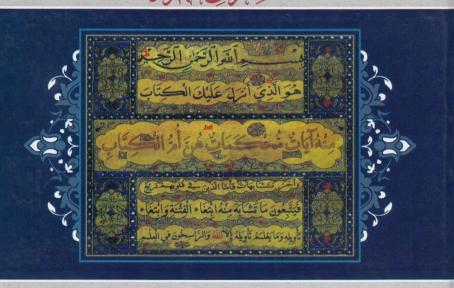
تَقَتَّرُ رِلْجَاتُ سِيَّا إِنْ لَلْهِ الْمِنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ

الموسوعة التفسيرية 🕥

تفيين المرابع المرابع



الشِّيخِ فِحُسِنَّ الجَصِّانِيَّ



تَفِيدُ أَيْنَ الْمُ الْمُعُلِي الْمُعْلِقِلْمُ الْمُعُلِي الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعْلِقِلْمُ الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعْلِقِلْمُ الْمُعِلِي الْمُعِلْمُ الْمُعِلْمُ لِلْمُعِلْمُ لْ

الولاية عَطِب له الله الماسية ما يومي المعانه

تَفَتَّرُيلِكِاتُ سِبِّ إِنْ السِّبَالِ السِّبَالِيَّةِ السِّبِةِ السِّبِيِّةِ السِّبِيِّةِ السِّبِيِّةِ السِّبِةِ السِّبِةِ السِّبِةِ السِّبِةِ السِّبِةِ السِّبِةِ السِّبِةِ السِّبِيِّةِ السِّبِيِيِّةِ السِّبِيِّةِ السِلِمِيْلِي

> بقلم: الشيخ محسن الجصاني





(الجئع النباني

سند، محمد، ۱۳۴۰ سر شناسه تفسير أمومه الولايه والمحكمات للقرأن الكريم، الولايه قطب القرأن عليها تستدير عنوان محكماته الجزء الثاني بحوث محمد السند؛ تاليف محسن الحصاني تكرار نام پديد آور تهران : نشر صادق، ۱۴۳۷ هـ =۲۰۱۶ م = ۱۳۹۵ ش مشخصات نشر مشخصات ظاهرى ISBN: 97125.._0710-47-4 ۱۵۰۰۰۰ ریال بهاء وضعيت فهرست نويسي کتابنامه به صورت زیرنویس بادداشت تفسير ـ فن موضوع قرأن ـ علوم قرأني موضوع قرآن ـ بررسی و شناخت موضوع جصانی ، محسن شناسه افزوده ۵۲، ۱۳۹۵ الف ۹ س/ ۵/ BP رده کنگره 191/197 رده دیویی 4954451 شمارهٔ مدرک

◄٠٠ تفسير أمومه الولايه والمحكمات للقرآن الكريم ١٠٠٠ تقرير ابحاث ساحة المرجع الديني الشيخ محمد السند (دام ظله)

تالیف: شیخ محسن الجصانی

الطبعة: الاولى- ١٣٩٥ هـ.ش- ٢٠١٦م - ١٤٣٧ هـ.ق

المطبعة: طاهر

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

عدد الصفحات: ٥٥٢ صفحة

قطع : وزيري

ردمك:٤-٤٣-٥٢١٥-١٠٠-٩٧٨

الناشر: مؤسسة الصادق

مراكز التوزيع:

- العراق ، النجف الاشرف، المعرض الدائم للعتبة العلوية المقدسة
- ٢ . العراق ، النجف الاشرف ، شارع الرسول الشيئة ، قرب مدرسة النضال مكتبة دار البذرة
- ٣. العراق، النجف الاشرف، شارّع الرسول المُشْئِنَةُ، سوق الحويش مكتبه سيد علي البصري
 - ٤ . العراق ، كربلاء المقدسة ، المعرض الدائم للعتبة العباسية المقدسة
 - ٥ . العراق ، بغداد ، الكاظمية المقدسة المعرض الدائم للعتبة الكاظمية المقدسة
- آبران، طهران، شارع ناصر خسرو، زقاق حاج نايب، سوق المجيدي، موسسة الصادق للطباعة و النشر
 ۲۰ ايران، طهران، شارع ناصر خسرو، زقاق حاج نايب، سوق المجيدي، موسسة الصادق للطباعة و النشر
- ۷ . ایران، قم، شارع معلم، مجمع ناشران رقم B٤٠ ، موسسة الصادق ۹۲ . ۳۷۸٤۲۵۷۲ – ۷۷ - ۹۱۲٤۱۰۲۰۹۲ (۲۰ ۹۸+)
- ٨ . ايران ، قم ، ابتداء شارع صفائيه ، سوق الامام المهدى تشاييلي ، مكتبة فدك



هوية الكتاب

حقوق الطبع محفوظة					
الإخراج الفنيالله الهاشمي					
عدد الصفحات ٥٥٢ صفحة					
الطبعةالأولى لسنة ٢٠١٦					
المؤلف الشيخ محسن الجصاني					
لسماحة المرجع الديني الشيخ الأستاذ محمد السند دام ظله					
الجزء الثاني					
عنوان الكتاب: تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم					

القاعدة الخامسة

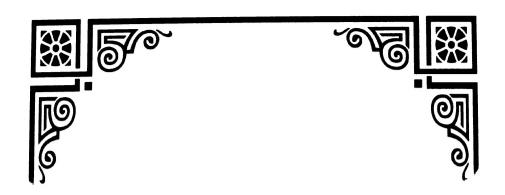
الفهرس الإجمالي لقاعدة:

الجري في التعبير لا التطبيق:

- * المقدمة.
- * معنى القاعدة.
- * مدرك القاعدة.
- * تعريف الشيء بغايته أكمل التعاريف.
- * القاعدة الثانية: هل اللغة ألفاظ وأصوات فَقَطْ أم نفس المعنى.
- * النظرية الأولى فِي قاعدة الجري للسيد مُحمَّد حسين الطباطبائي. وخواصها وممنز اتها.
- * النظرية الثانية فِي قاعدة الجري عَلَى ضوء ومختار منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فِي القرآن.
 - أوسعية تعدد المعاني عَلَى النظرية الثانية.
 - * هل التأويل حاكم عَلَى التنزيل (التفسير) أو العكس.
 - * الفوارق العملية بين النظريتين في قاعدة الجري.

٢...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

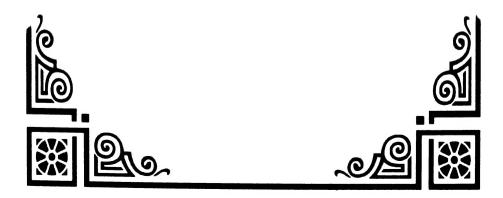
- * منهج أمومة الولاية يرسم منهاج نظرية المعرفة الدينية.
 - * ثمرتان مهمتان.
 - * علم التأويل يزيل تشابه القرآن.
 - * أمومة التأويل.
 - * ثمرة قاعدة الجري والتطبيق.
 - * تلاوة المعاني أهم مِنْ تلاوة الألفاظ في القرآن.
 - * أمثلة تطبيقية لقاعدة الجرى.
 - * الإمامة والعمل الأمني.
 - * لماذا يُؤكِّد القرآن عَلَى ذكر جانب الشرّ.
 - * معنى العبور في قاعدة الجري.



المنهج التفسيري لأمومة الولاية على المحكمات

فضلاً عن المتشابهات فِي القرآن

القاعدة الخامسة قاعدة الجري في التعبير لا التطبيق



المقدمت

التعبير بقاعدة الجري بمعنى التطبيق عَلَى ما هُوَ المشهور المعاصر عندهم، والتعبير بقاعدة الجري بمعنى التعبير أيّ الجري في المعاني والحقائق عَلَى وفق المنهج التفسيري لأمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات في القرآن.

ونذكر فيها ما يلي:

أولاً: إنَّ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير لها أصلُ فِي بيانات القرآن الكريم كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ مَا أُويلَهُ وَإِلّا ٱللَّهُ وَالرَّسِحُونَ فِي ٱلْمِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَا بِهِ عَكُلُّ مِنْ عِندِ رَبِّناً ﴾ (١) وقوله تَعَالَى: ﴿ وَوَله تَعَالَى: ﴿ وَوَلِهُ مَا لِهُ وَمِ هَا وَلَا الله لَعَالَى الله لَعَالَى الله تَعَالَى المَاء الله تَعَالَى التَعْلَى التَعْلَى

وكذلك لقاعدة الجري أصل فِي روايات أهل البيت المِكِلا، كَمَا فِي

⁽١) سورة آل عمران: الأية ٧.

⁽٢) سورة الأعراف: الآية ٥٣.

⁽٣) سورة الرعد: الآية ١٧.

١٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

رواية مُحمَّد بن الحسين عَنْ مُحمَّد بن إسهاعيل عَنْ منصور بن يونس عَنْ ابن أذينة عَنْ فُضيل بن يسار، قَالَ: سألتُ أبا جعفر اللهِ عَنْ هَذِهِ الرواية: _ ما مِنْ القرآن آية إلَّا ولها ظهر وبطن، قَالَ ظَهرُه (تنزيله) وبطنه تأويله وَمِنْهُ ما قَدْ مضى، وَمِنْهُ ما لَمْ يكن يجري كَمَا تجري الشمس والقمر، كُلّ ما جاء تأويل شيء يكون عَلَى الأموات، كَمَا يكون عَلَى الأحياء ﴿ وَمَا يَعْلَمُ مَا أَوْلِيلُهُ وَالرَّسِحُونَ فِي الْمِالِمِ اللهُ نحن نعلمه (۱).

وَقَدْ قُرِّر فِي مفاد هَذِهِ القاعدة المُستنبطة نظريّتان:

النظرية الأولى: فِي قاعدة الجري في التعبير لا التطبيق، وَهُوَ المشهور عِنْدَ مُتأخّري المفسرين (٢).

وحاصلها: إنَّ الآيات القرآنية استعملت في معنى واحد كُلِي وما ذُكِرَ مِنْ تأويلات في الروايات هِيَ بمثابة المصاديق لذلك المعنى الكُلِي (٣)، ولا ينحصر المعنى الكُلِي في مصداق بعينه وإرادة الموارد المختلفة لَيْسَ مِنْ باب إرادتها في مقام الاستعمال والمعنى لا عَلَى الصعيد الاستعمالي ولا التفهيمي ولا الجدّي، وإنَّما المعنى المُراد هُوَ صرف المعنى الكُلِي، وأمَّا الموارد فَهِيَ تطبيقات صرفة مِنْ دون أنْ يكون لا علاقة بالدلالة والمدلول بالآيات.

(٣) أي أنَّ المصداق خارج عن شُؤون وقالب الدلالة.

⁽١) وسائل الشيعة: ج٢٧ ب١٣ ص١٩٦ ح٤٩.

⁽٢) كالسيد محمد حسين الطباطبائي والسيد الخوتي والسيد عبدالأعلى السبزواري قدست أسرارهم. (٣) أم أنَّ المسالة على من السيد الخوتي والسيد عبدالأعلى السبزواري قدست أسرارهم.

وَعَلَيْهِ فالقاعدة لا صلة لها بعالم الدلالة وظهور الآيات إلَّا لتجريد المعنى العام عَنْ خصوصيات المصاديق، وأنَّ المعنى الكُلِّي هُوَ محطّ النظر أولاً وآخراً.

النظرية الثانية: [قاعدة الجري فِي الحقائق أولاً ثمَّ فِي المعاني تبعاً] [والجري هُوَ جري فِي المداليل](١).

إنَّ قاعدة الجري في التعبير لا التطبيق عَلَى مختارنا فِي المنهج التفسيري لأمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات، يكون معناها هُوَ جري الآيات فِي المعاني والحقائق العينية فضلاً عَنْ المصاديق، وفي هَذِهِ النظرية يَتِمُّ تقريرها بها يلى: _

إنَّ الموارد الخطيرة قَدْ استُعْمِل فيها معنى الآية في الأصل وتجري الآية استعمالاً في بقيّة الموارد، وأنَّ الآيات قَدْ استعملت في الأصل وفي الحقائق الكبرى واستعمالها في المعنى ظل وتبع لاستعمالها في الحقائق، فالمعنى ظل الحقيقة لا أنَّ المعنى العام هُوَ الأصل وإرادة الحقائق بالتبع كمصداق، فالآية يجري استعمالها في الحقائق جرياً سيّالاً ودوّاراً، وبتبعه يجري استعماله في المعاني الخاصة والعامة أيضاً، وَهَذَا ما نصطلح عَلَيْهِ بحسب منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات في القرآن بقاعدة الجري والتعبير أيّ العبور مِنْ حقيقة إلى المتشابهات في القرآن بقاعدة الجري والتعبير أيّ العبور مِنْ حقيقة إلى

⁽١) سواء كان المدلول على صعيد التطبيق أو التعبير على مختارنا في المنهج التفسيري ـ أمومة ولاية المحكمات فضلاً عن المتشابهات في القرآن.

أخرى، وَمِنْ حقيقة إلى معنى، وَمِنْ معنى إلى معنى فضلاً عَنْ العبور مِنْ المصداق إلى المصداق، والمراد مِنْ عنوان التعبير نظير ما يُقال فِي تعبير الرؤيا وتعبير الأحاديث وترجمان الوحي، فَلَيْسَ المراد التعبير اللفظي بَلْ تعبير وعبور الحقائق العلويّة إلى الرقائق والحقائق السفلية ما دونها، وَعَلَيْهِ فَإنَّهُ التعبير يوازي معنى التأويل والترجمان.

والمهم في النظرية الثانية في قاعدة الجري أنها تجعل الحقائق الخارجية هِيَ الأصل في المراد الاستعمالي والتفهيمي والجدي والمعاني الذهنية والمفهوميّة تبعٌ للحقائق وظلّ لها. والآية كَمَا تجري في المعاني كَذَلِكَ تجري في المصاديق ولكن كَمَعْنَى وكمراد لا شيءٌ أجنبي عَنْ المُرَاد.

وَهَذَا عكس النظرية الأولى حَيْثُ تجعل المعاني هِيَ الأصل الكُلِّي والوجودات العينية الخارجية مجرد تطبيقات ليست مُراده بالأصالة بَلْ بالتبع تطبيقاً، وأنَّ هَذَا المعنى هُوَ الساري والجاري فِي الجامع بين المصاديق.

بينها في النظرية الثانية تجعل مقصد المقاصد في المراد والمدول مِنْ الكلام هُوَ الحقيقة الخارجية والواقعة خارجاً، والمعنى إنها هُوَ انعكاس للحقيقة الخارجية وَعَلَى ضوء ذَلِكَ فالجري إنها هُوَ مِنْ حقيقة عينية عليا إلى مراتب متنزّلة أخرى للحقيقة العينية كرقائق للحقيقة الأصلية وَمِنْ ثمَّ تنعكس المعاني والمفاهيم عَنْ مراتب الحقائق، فالجري في هَذِهِ القاعدة أولاً وبالذات في مراتب الحقيقة وبالتبع في المعاني عكس النظرية الأولى فَإنَّ الجري وبالذات في مراتب الحقيقة وبالتبع في المعاني عكس النظرية الأولى فَإنَّ الجري

المقدمة

والسريان للمعنى الكُلِّي فِي المصاديق مِنْ دون لحاظ حقائق المصاديق.

ثانياً: إنَّ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير ـ كَمَا ذُكِر فِي المورد الأوَّل ـ نوِّهت بها الآيات والروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت الميَّكِ كَمَا سوف يتضح كُل ذَلِكَ مُفصلاً فِي محله المُناسِب ـ أنَّ الآيات الكريمة إذَا نزلت فِي مورد لا تحبس تلك الآية عَلَى ذَلِكَ المورد، بَلْ إنَّ كُلِّ آية آية مِنْ كتاب الله العزيز حيَّةُ بحياة القرآن الكريم وتجري لإعطاء النور والهداية للبشر بكُلِّ موردٍ مِنْ الموارد الَّتِي تنتاب البشر ولكل مِنْ الحقب الزمنية.

ثالثاً: إن هذه القاعدة تقع في نظام الاستعمال اللفظي للقرآن الكريم، ويختلف المعنى باختلاف المناهج التفسيرية فَتُفسَّر بتفاسير مُتعددة وتعطي معاني مُتعددة، ولكنها قاعدة متفق عليها ومُستلَّة من القرآن الكريم - كَمَا مَرَّ - وَمِنْ بيانات وحى بيت النبوة المَيِّكِا.

وتدلُّ عَلَى أَنْ حجيَّة آيات القرآن وحياته مرتبطة بهذه القاعدة المُهِمَّة والخطيرة وَعَلَى ضوء الاختلاف فِي المناهج التفسيرية يَتِمُّ تبيين وتفسير ماهيَّة هَذِهِ القاعدة ويتبع هَذَا الاختلاف تداعيات عديدة فِي استثار وتوظيف هَذِهِ القاعدة.

رابعاً: مِنْ الجدير التنبيه عَلَى أنَّ الوارد فِي الآيات والروايات هُوَ كلمة الجري فَقَدْ، وكلمة التطبيق مِنْ إضافات الأعلام مَعَ أنَّ المصداق

والتطبيق هُوَ أحد موارد الجري لا كُلّ موارد وأقسام الجري، ولكن الأعلام حصروه بالتطبيق، هَذَا بحسب ما هُوَ المشهور عندهم.

والصحيح الذي تتبناه النظرية الثانية في قاعدة الجري حسب منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات في القرآن هُوَ عدم حصر الجري - كَمَا فعل المشهور بحصره - وإنَّما التطبيق هُوَ أحد ميادين الجري، بَلْ وَحَتَّى ترسيم الدلالة في الآيات القرآنية لَهُ علاقة وطيدة الصلة بقاعدة الجري.

ولذا يمكننا أنْ نجري ترمياً لاسم القاعدة وفق منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية عَلَى المحكمات ونقول: «الجري في كُلّ مِنْ المعاني وكذلك الحقائق وكذلك المصاديق» وَهَذَا الاسم - كَمَا ذكرنا - لَيْسَ بعيداً عَنْ ترجمان القرآن وَهُمْ أئمة أهل البيت المَيِّلِا الَّذِيْنَ هُمْ منبع ومعدن آخر مِنْ القرآن الكريم الَّذِيْنَ ذكروا لنا في بياناتهم مناهج تفسيرية عديدة في القرآن الكريم نذكر بعضها: _

منها: علم تعبير القرآن الذي هُوَ مِنْ علوم القرآن وَهُوَ حقائق لا تعبير أحلام، فالله تَعَالَى يأمر بالعبور مِنْ معنى جدّي إلى معنى جدّي آخر وآخر وَإلى ما وراء الجدّ جدٌّ، وهكذا لا خلود إلى الأرض وَعَلَيْهِ فيمكن التعدي والعبور مِنْ قوله تَعَالَى: ﴿فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِلْأَوْلِي

ٱلْأَلْبَكِ ﴾(١) وقوله تَعَالَى: ﴿لَقَدْكَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَنْتُ لِلسَّابِلِينَ ﴿ ﴿ وَغِيرِهُمَا إِلَى مَنْ لَمْ يَكُنِ مُوجُودًا فِي عَصِرِ النَّصِّ، وَلَمْ يَكُنِ مِنشأً للنزول، إلَّا أنَّهُ مُتوفِّر عَلَى نفس تداعيات وخصوصيات الأمر الذي نزلت فيه الآية فيمكن حينئذٍ التعددي والعبور، فمثلاً البيانات النبوية في القرآن، كَمَا فِي بيان مريم بنت عمران المناكل ليس المراد الجدي للآية المباركة فَقَطْ وَفَقَطْ شخص وَذَاتَ مريم بنت عمران ﷺ؛ لِأنَّ القرآن دائهًا، وأبداً يُؤكِّد عَلَى العبور مِنْ مورد الآية إلى كُلّ موردٍ تتوفر فيه نفس الخصائص، وأنَّ كُلِّ ما ذُكِر مِنْ الآيات مِنْ مصاديق هُوَ مِنْ بابِ المثال، ويمكن العبور إلى غيره، ولكن وللأسف لو لاحظنا جميعاً كتب المتكلمين وبقيّة المذاهب الإسلاميَّة و ... الخ، نجدهم لَمْ يعبروا مِنْ المثال الذي ذكره القرآن الكريم كَمَا فِي مثل قصّة مريم النِّكِلِّا ويوسف النَّلِدِ وموسى النَّالِدِ وعيسى للتِّلْإِ و ... الخ فِي بعده العقائدي إلى قاعدة عقائدية فِي الإسلام إلَّا فِي مدرسة أهل البيت اللِّكِيُّ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير لها فضاء ومساحة أخرى مِنْ نظام عالم الاستعمال وَعَلَيْهِ فبحسب النظرية الثانية يمكن العبور والتعدي إلى المصداق الأعظم الذي تتعدى إليه الآية المباركة بالمُراد الجدي الثَّاني والثالث و ... الخ ولا تنافي ويمكن العبور

⁽١) سورة يوسف: الآية ١١١.

⁽٢) سورة يوسف: الآية ٧.

مثلاً مِنْ قوله تَعَالَى ﴿ لَقَدْكَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ عَايَثُ لِلسَّا بِلِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللّ الجهال المحمدي والعلوي والفاطمي والحسني والحسيني و ... والمهدوي ـ صلوات الله علهيم أجمعين ـ كَمَا سوف تتضح كيفية ذَلِكَ العبور فِي محله المُنَاسِب. وَمِنْ خلال هَذَا يُعلَم أَنَّ ما ذهب إليه المشهور مِنْ اختصاص الجري بمعنى التطبيق فِي موارد لَيْسَ فِي محله لِأَنَّ الجري أعمّ مِنْ التطبيق.

ومنها: علم تأويل القرآن: وَهُوَ عَلَى أنواع مختلفة فِي المشارب والمدارس، فَمِنْهُ تأويل المعنى إلى معنى، بَلْ وَإلى معاني مترامية، وَمِنْهُ ما هُوَ تأويل هُو تأويلٌ وأولُ معاني إلى حوادث ووقائع خارجيّة، وَمِنْهُ ما هُو تأويل وقائع وحوادث لوقائع وحوادث وراءها أخرى وهكذا ثالثة ورابعة ... الخ متداعية، وَقَدْ يتسع هَذَا التداعي والتهادي مِنْ عالم إلى آخر وَإلى نشأة أخرى، وَمِنْهُ ما يكون أوّل مِنْ الحقائق إلى المعاني وإنْ كَانَ الأخير قَدْ يُسمّى بالتنزيل أو الترجمان أو علم التعبير أيضاًن وَمِنْ جملة ما مضى مِنْ أقسام التأويل ما قَدْ يُسمّى بعلم تأويل الأحاديث.

ومنها: علم تنزيل القرآن: _ وَهُوَ يختلف عَنْ تفسيره وتعبيره وتعبيره وتأويله وترجمانه، وعلم التنزيل بالدرجة الأولى يبحث عَنْ موارد وأسباب النزول والواقع الَّتِي نزلت فِي شأنها الآيات والسور، وما اكتنف تلك الوقائع والأحداث مِنْ ملابسات كَمَا يبحث عَنْ الحيثية الَّتِي

نزلت بلحاظها الآية أو بَعْض الآية، كَمَا يبحث علم التنزيل عَنْ تكرّر نزول الآية وتعداد تلك المواطن وجهة الارتباط بينها، وَقَدْ يلحق بعلم التنزيل علم تلاوة القرآن أيّ علم تلاوة الآية في حاق مواطنها المستجدّة كُلّ عام، بَلْ كُلّ يَوُم وَكُلّ حين مما يشير إليه لفظ الزيارة في وصف الإمام الله «وتلوت الكتاب حق تلاوته» أيّ حق المواطن الحقيقية أيّ المستحقة بتطبيق الآية عَلَيْهَا.

خامساً: هُنَاك حقيقة لا بأس بالإشارة إليها وَهِيَ أَنَّ أَهُلَ البِيتِ البَيْكُ لِيسُوا فَقَطْ تراجمة القرآن، بَلْ تراجمة الكتب السهاويّة كُلُها، بَلْ تراجمة كُلِّ وحي أُوحي للأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وَذَلِكَ لِأَنَّ القرآن مُهيمنٌ عَلَى كُلِّ الكتب السهاوية مِنْ قبله، فَعِلْمُ خاتم الأنبياء عَيَّ الله علم الوحياني لسيد الأنبياء عَيَّ الله الله الله الله الله الله الكريم في سور الأنبياء عَيَّ الله الله الله الله الله الله الله الكريم في سور وآيات عديدة، ونصّ حديث الثقلين.

وَهَذَا معناه أَنَّ الأنبياء إِذَا أرادوا أَنْ يقتنصوا لُبَّ ما أوحيَ إليهم المفروض يتلقوا ذَلِكَ مِنْ أئمة أهل البيت المَيِّ وَهَذَا هُوَ معنى حديث مسعدة بن صدقة عَنْ الإمام الصادق اللهِ «إِنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب عَلَيْهَا يستدير محكم القرآن وبها

1۸...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني نَوَّهت (يوهب) الكُتب ويستبين الإيهان (١).

سادساً: دلَّت الآيات والروايات عَلَى أنَّ القرآن الكريم فيه تأويل، وفيه تنزيل ولا تنحصر آياته المباركة في أحدهما دون الآخر، وَكُلِّ, مِنْ التأويلات والتنزلات متعدّدة كَمَا فِي قوله تَعَالَى ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأُوبِلُهُ ﴿ ﴿ ﴾ (٢). بتقريب: أنَّ للقرآن تأويلات تمتد إلى يَوُم القيامة وَكَمَا سيتضح مِنْ خلال البحث أنَّ بَعْض موارد الآية ﴿يَوْمَ يَـأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ أشير به إلى عالم يَوُم القيامة أو عالم الجنة أو عالم النار أو ... الخ، وَهَذَا يدلل عَلَى أنَّ للقرآن تطبيقات لا تقتصر عَلَى حقيقة زمان عالم الدُّنْيَا ولا تنحصر به، بَلْ تمتد وتشمل عالم البرزخ والجنَّة والنَّار، وكيف لا والقرآن يعالج المَعْرِفة حول أكبر حقيقة ـ أيّ أكبر مِنْ الدُّنْيَا ـ والآخرة والعوالم الأخرى ـ ألا وَهِيَ حقيقة التوحيد والرَّب الواحد الأحد الذي يحيط بكُلِّ العوالم إحاطة وجودية حقيقية لا إحاطة جسمانيَّة، وَعَلَيْهِ فشمولية القُرآن هِيَ كَذَلِكَ مِنْ هَذَا القبيل عظيمةٌ. وَهَذَا لا محالة له صلة وطيدة بقاعدة الجري كَمَا سيأتي وَمِنْ دعامات هَذِهِ القاعدة.

سابعاً: إنَّ البحث فِي قاعدة الجري في التعبير لا التطبيق تلك القاعدة القرآنية هِيَ وجهُ آخر لبحث التأويل والتنزيل أو الظهور والتأويل الَّتِي هِيَ إحدى القواعد المتفرِّعة والمُتشعبة عنه قاعدة الجري

⁽١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٨ ح٨.

⁽٢) سورة الأعراف: الآية ٥٣.

والتطبيق، وكذلك قاعدة الجري والتطبيق متفرِّعة عَنْ القواعد المتقدِّمة مثل قاعدة التعريض والالتفات وإيّاك أعني واسمعي يا جارة و ... الخ؛ لِإنَّهُ تَقَدَّمَ فِي بحث القاعدة الأولى قاعدة التعريض أنَّ التعريض لَيْسَ مجرد قاعدة وإنها هُوَ فِي الواقع نظام يتشعب مِنْهُ قواعد أحد أهم تلك القواعد هُو قاعدة الظهور والتأويل وقاعدة الجري والتطبيق و ... النخ.

إِذَنْ القرآن كَمَا لَهُ تأويل كَذَلِكَ لَهُ تنزيل ﴿ تَنزِيلٌ مِن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ ١٠٠٠ اللَّهُ

وَعَلَيْهِ فقاعدة الجري والتطبيق (والتعبير) مرتبطة بأصل حجية القرآن الكريم وَأَنَّهُ حُجَّة مُفَعَّلَة لا مُعَطَّلة، وَمِنْ خلال هَذَا تبيَّن أَنَّ البحث في قاعدة الجري لَيْسَ باختيار المفسر والباحث الكريم كلا، وإنها لزاماً عَلَى المُفَسِّر أَنْ يختارها؛ لِأَنَّ الالتزام والتمسُّك بقاعدة الجري والتطبيق هِيَ أحد أسباب ونوافذ إحياء القُرآن وتركها تعطيل له، كَهَا والتطبيق هِيَ أحد أسباب ونوافذ إحياء القُرآن وتركها تعطيل له، كَهَا نَبَهت عَلَيْهِ روايات أهل البيت الميلان، وَهَذِهِ القاعدة في الحقيقة هِيَ مِنْ المعاجز العلمية الَّتِي أسس تعليمها وتبيانها أهل البيت الميلان في دين الإسلام، وإنْ كَانَ تفعيل القُرآن وأثهاره للنور والهداية لدرب البشر لا ينحصر بباب ونافذة واحدة وإنها هُنَاك أبواب ونوافذ عديدة لذلك، وأحد تلك الأبواب المُهِمَّة جداً في آيات وسور القرآن هِيَ هَذِهِ القاعدة الشريفة والخطيرة الَّتِي نحن بصددها، وَهِيَ قاعدة الجري والتطبيق.

⁽١) سورة الواقعة: الآية ٨٠.

٢٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

لا يُقَال: إنَّ ما قصّه لنا القرآن فِي سورة يوسف اللهِ وغيرها مِنْ القصص القرآنية فِي الأمم السابقة، وهكذا ما ذكره أئمة أهل البيت الملهُ فِي التفسير المأثور لآيات القرآن إنَّهُ قَدْ مضى وتصرَّم ولا صلة لنا به.

فَإِنَّهُ يُقَال: إِنَّ كُلِّ مَا ذكره القُرآن فِي سورة يوسف اللَّهِ وغيرها وكذا بيانات اهل البيت الملِّلِ يمكن استثمارها الآن وفي المستقبل وأنَّها غَيْر مُحتصة بِمَنْ كَانَ حاضراً وقت نزول الآية وإنَّما يمكن العبور والتعدّي إلى كُلِّ مورد واحد لنفس خصائص ساعة نزولها ولا ينحصر التطبيق بذلك. فمثلاً ﴿ لَقَدَكَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ عَايَتُ لِلسَّآبِلِينَ ﴿ ﴾ هِي غَيْر بذلك. فمثلاً ﴿ لَقَدَكَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ عَايَتُ لِلسَّآبِلِينَ ﴾ هي غَيْر مختصة بيوسف اللِّهِ وأخوته، وإنَّما يمكن استثمارها الآن وتطبيقها بها يتلائم ومقامها، وَهَذَا دليل ساطع البرهان لقاعدة الجري والتطبيق.

وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿ لَقَدُكَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِلْأُولِي ٱلْأَلْبَاتِ ﴾ ﴿ مَاكَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَكَ ﴾ (١). فالآية عَبَّرت (العبرة) أيّ عبور حقيقي وَلَيْسَ مجاز عقلي ـ لغيرها مِنْ الموارد الأخرى ولا تجمد عَلَى موردها ولا تتجاوزه إلى غيره، فَإنَّ هَذَا لَيْسَ نسج خيال أو دراما وإنَّما هِيَ حقائق وقعت بَلْ تجاوزه وتحرَّك عَلَى وفق رؤية وبصيص نور هَذِهِ الآيات أو القصص خذها واعبر إلى موارد متجددة. وَهَذِهِ الآيات فِي سورة يوسف وغيرها هِيَ أحد أدلّة القَاعِدَة.

⁽١) سورة يوسف: الآية ١١١.

قاعدة الجري بمعنى تطبيق أو تعيين

لها مساس بصميم مغزى آيات القرآن الكريم ومرتبطة بعظمة القرآن

لا يخفى عَلَى المُفسِّر والباحث المتتبع أهمية وخطورة قاعدة الجري والتطبيق وما لها مِنْ أثر مسيس وصميمي بحياة ومغزى آيات وسور القُرآن الكريم، فالأمويون وتبعهم العباسيّون، أرادوا الجمود عَلَى قصص القُرآن وَكَمْ يتعدُّوا إلى غيرها ويستثمروها وأرادوها محطَّة استقرار وركود وجمود، بينها الواقع النظري والعملي لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير يقول لأمثال هؤلاء إنَّ آيات القُرآن جوّها جوّ محطّة عبور واستراحة لا محطة استقرار، ويمكننا أنَّ نستفيد منها في غير موردها، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قاعدة الجرى والتطبيق مرتبطة بعظمة القُرآن الكريم أكثر مِنْ ارتباطها بعلم التفسير وبقيّة علوم القُرآن سواء علوم التأويل أو علم التعبير أو علم لطائف القُرآن أو علم إشارات القُرآن أو حقائق القُرآن أو علوم ترجمان القُرآن و ... الخ، وإنْ كَانَ جُلُّ هَذِهِ العلوم لَمْ يُحطُّ بتمامها وغورها إلَّا سيد الأنبياء عَيِّكُ أَلَّهُ وَمِنْ بعده عترته الطاهرين. وَلَمْ يَخْضَ بَهَا بَقِيَّة عَلَمَاء الأُمَّة مِنْ المسلمين لأنَّهَا عَلَوْم تَتَكَأَد كَاهَلَ الإنسان الباحث والمفسر وتحتاج إلى قدرة ربانيَّة ومدد إلهي، ويكون بالتالي الجري والتطبيق عبارة عَنْ جري مدلول الآيات فِي آفاق وسيعة تطبيقية بَلْ تنظيرية لا تقف عِنْدَ حَدِّ.

وَبَعْدَ هَذِهِ المقدمة يقع الكلام فِي ضمن أُمُور:

الأمر الأول: معنى القاعدة:

مِنْ خلال ما ذكرناه فِي المقدمة تبيّن معنى القاعدة وملخّصه وَلابُدَّ مِنْ معرفة ضابط التنظير وضابط الجري والتطبيق، وإنْ كُنّا ذكرنا فِي المقدمة أنَّ الجري أعم مِنْ التطبيق_وَهُوَ أنْ يُقَال:_

التنظير هُوَ ذَلِكَ المعنى الذي لَمْ يؤخذ به النظر إلى نسبة شخصانية المصاديق أو أفراده في مقام الاستعمال، وعَلَيْهِ فالتنظير مجرد إرادة استعمال كليّة أو تفهيمية كليّة أو جديّة كليّة مِنْ دون نظر إلى المصاديق وشخصها في مقام الاستعمال، وَهُوَ بمثابة عالم الجعل والتشريع في علم الأصول إنْ صحَّ التنظير.

وبعبارة أُخرى: يكون التنظير عَلَى صعيد الدلالة والمدلول والمعاني في مرحلة المعنى التصوري أو المعنى التفهيمي أو الاستعمالي أو الجدّي، فالمعنى الجدّي هُوَ أيضاً معنى تنظيري ورواية كليّة للآية والمسترشد بنور القُرآن في مقام التطبيق يطبقها تطبيقات عديدة.

وَمِنْ خلال هَذَا يُعرف أنَّ مقام الرؤية النظرية لآيات القُرآن

قاعدة الجري بمعنى تطبيق أو تعيين

الكريم وتنظير المعنى دائماً كُلياً، هَذَا كله بحسب النظرية الأولى المشهورة وسيأتي تقرير ضابط التنظير حسب النظرية الثانية.

التطبيق: وَهُو بمثابة عالم الامتثال في تنجيز الأحكام - كَمَا في المصطلح الأصولي وبمثابة التنفيذ والإجراء في عالم القانون وسببه ما يُقَال في علم القانون إنَّ المُقنن حين التقنين لَيْسَ غرضه استعمال مصداق خاص لتطبيق هَذِهِ المعادلة الكليّة الَّتِي قنَّنها وتطبيقها عَلَى مصاديقها فذاك أمرٌ بيد الأخصائيين، وأهل الخبرة في ذَلِكَ المجال يطبقونها - المصاديق - وفق ضوابط معينة، هَذَا بحسب النظرية الأولى وَكَمَا سيأتي فَإنَّ التنظير والتطبيق لهما معنيان آخران، مغايران لهذا المعنى المعهود، وإنها سوف يتضح معناهما بَعْدَ الخوض في تفسير النظرية الثانية.

الأمر الثاني: مدرك القاعدة:

هُنَاك جملة مِنْ الآيات والروايات نذكرها كمدرك لهذه القاعدة.

أمَّا الآيات وَهيَ عَلَى طوائف(١) كَمَا يلي:

الطائفة الأولى: ما دلَّت عَلَى أنَّ للقرآن تأويل وحقائق لذلك التأويل:

١ _ قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ وَ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّسِخُونَ فِي ٱلْمِلْمِ ﴾ (٢).

⁽١) وإنْ كان قد تقدم جملة من الآيات الدالة على مفاد القاعدة وتبيان ذلك وستأتي تتمة من الآيات على ذلك في تضاعيف الأبحاث.

⁽٢) سورة آل عمران: الأية ٧.

٢٤ ______ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات _ الجزء الثاني
٢ _ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْقِ تَأْوِيلُهُ ، ﴿ (١) وغيرها.

بتقريب: إن التأويل ومراتبه المترامية تعاقباً تعتبر ـ كما سياتي في مباحث قواعد عديدة ـ من مراتب مدلولات الكلام طبق موازين وضوابط، فيكون الكلام دالاً عليها بضميمة تلك الموازين، وبذلك تكون الآية جارية في معاني عديدة، هذا فضلاً عن التأويل الذي هو بلحاظ الوقائع والحقائق العينية المتجددة وقوعاً فإنه جري في الوقائع.

الطائفة الثانية: ما دلَّت على أن القرآن عِبَرٌ وأمثال وأن آياته آيات للسائلين أي أجوبة شافية، كما في الآيات التالية: _

١ _ قوله تعالى: ﴿ لَقَدُكَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ٤ - اَينَتُ لِلسَّابِلِينَ ﴿ ﴾ (٢).

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَعَ وَلَكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَكَ يَعُومِنُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَّةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّالِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللللَّهُ الللَّا ا

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ لَقَدُكَاكَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِإَثْوَلِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾ (١).

بتقريب: فَإِنَّ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير وإِنْ كَانَ تختلف عَنْ قاعدة الأمثال _ الَّتِي سيأتي بحثها _ إلَّا أنَّ مادّة وعنوان العِبْرَة واحدٌ أيّ بالعبور مِنْ معنى كصورة ممثلة إلى معنى أو إلى حقيقة وراءها

⁽١) سورة الأعراف: الآية ٥٣.

⁽٢) سورة يوسف: الآية ٧.

⁽٣) سورة يوسف: الآية ١١١.

⁽٤) سورة يوسف: الآية ١١١.

فالعبور بخلاف الوقوف، والعِبْرَة بخلاف الوقفة وكذلك الأمثال للانتقال إلى الممثل لَهُ ولا يخفى أنَّ الأمثال أيضاً تترامى.

الطائفة الثالثة: الدَّالَّة عَلَى تلاوة القُرآن حقّ تلاوته، كقوله تَعَالَى: ﴿ النَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِئنَبَ يَتْلُونَهُ، حَقَّ تِلاَوَتِهِ ۚ أُولَتِهِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرُ بِهِ ـ فَأُولَتِهِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿ اللَّهُ ﴾ (١).

بتقريب: أيّ حَقُّ المُواطِنِ الحقيقية المستحقّة بتطبيق الآية عَلَيْهَا، والمراد مِنْ التلاوة هُنَا ليست التلاوة اللفظية وتجويد الصوت بَلْ المراد هُوَ قراءة معنى وحقيقة الآية فِي المورد والمصداق والتطبيق الحقيقي بأن تتنزل فيه الآية فكأنه قرآن نازل فِي ذَلِكَ المورد ابتداءاً كمورد النزول الأوّل.

وَهَذَا نحو جري لتكرّر نزول الآية لِكُلِّ ما يُستجد مِنْ حوادث ووقائع، وَهَذَا ما أكّدته رواية المعلى بن خنيس، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله الله في رسالة: «فَأَمَّا ما سألت عَنْ القُرآن، فَذَلِكَ أيضاً مِنْ خطراتك المتفاوتة المختلفة؛ لِأنَّ القُرآن لَيْسَ عَلَى ما ذكرت ... وإنّما القُرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حقّ تلاوته وَهُمْ الَّذِيْنَ يؤمنون به ويعرفونه ... الخ»(٢).

وأمَّا الروايات: نذكر جملةً منها مَعَ الإشارة إلى دلالتها عَلَى قاعدة

⁽١) سورة البقرة: الآية ١٢١.

⁽٢) وسائل الشيعة: ج٧٧، ص ١٩، ب١٣ من أبواب صفات القاضي: ح٣٨.

7٦...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجز، الثاني الجري بمعنى التطبيق أو التعبير إجمالاً وأمَّا تفصيلاً فسيتضح مِنْ خلال تضاعيف الكتاب.

الرواية الأولى: ... مُحمَّد بن الحسين عَنْ مُحمَّد بن إسهاعيل عَنْ مُحمَّد بن إسهاعيل عَنْ منصور بن يونس عَنْ ابن أُذينة عَنْ فُضيل بن يسار، قَالَ: سألت أبا جعفر اللهِ عَنْ هَذِهِ الرواية: _ ما مِنْ القُرآن آية، إلَّا ولها ظهر وبطن، قَالَ: «ظهره (تنزيله) وبطنه (تأويله)، وَمِنْهُ ما قَدْ مضى وَمِنْهُ ما لَمْ يكن، يجري كمّا تجري الشمس والقمر كُلِّ ما أَنْ جاء تأويل شيء أن يكون عَلَى الأموات، كمّا يكون عَلَى الأحياء، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ وَ إِلّا مَوْنَ فِي ٱلْمِالِهِ نَحن نعلمه اللهُ أَوْلَانَسِخُونَ فِي ٱلْمِالِهِ نحن نعلمه اللهُ اللهُ

بتقريب: إنَّ الإمام الباقر اللَّهِ بيَّن فِي هَذِهِ الرواية عِدَّة أُمُور:

الأمر الأوَّل: إنَّ آيات القُرآن تجري بأنْ تتجدّد وتتناسب مَعَ ما يناسب المخلوقين فِي كُلِّ زمان إلى يَوُم الدين كجريان الشمس والقمر، فَكَمَا أنَّ الشمس والقمر يجريان ويتناسبان مَعَ كُلِّ زمان ومكان بتبدّل أبراجهما مِنْ المشارق والمغارب ومنازل القمر وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تتناسب مَعَ المخلوقين فِي كُلِّ زمان ومكان.

الأمر الثَّانِي: إنَّ آيات القُرآن كُلَّما جاء فيها تأويل يكون عَلَى

⁽١) في المصدر (كما).

⁽٢) في المصدر زيادة: منه.

⁽٣) الوسائل: ج٧٧ ب١٣ من أبواب صفات القاضي ص١٩٦ ح٤٩.

قاعدة الجري بمعنى تطبيق أو تعيين

الأموات فَهُوَ يكون كَذَلِكَ عَلَى الأحياء، وَعَلَيْهِ فتأويل آيات القُرآن شاملٌ للأموات مثلما هُوَ شامل للأحياء.

الأمر الثَّالِث: إنَّ آيات القُرآن فيها مِنْ التجدّد والتناسب والتناغم مَعَ كُلّ متطلبات المخلوقين فِي كُلّ زمان ومكان تجري الشمس والقمر والليل والنهار، فإنَّها تتناسب مَعَ كُلّ ذَلِكَ كَمَا يتناسب تجدّد الشمس والقمر كآيتين تكوينيتين نيّرتين بضيائهما ونورهما وتجدّد حاجة البشر والقمر كآيتين تكوينيتين نيّرتين بضيائهما ونورهما وتجدّد حاجة البشر إليهما في كُلّ حين ولا يبلوان كَذَلِكَ آيات القُرآن، وَكُلّ ذَلِكَ يَجري بعلم الإمام النِّلِهِ لِإنَّهُ قَالَ فِي تفسير قوله تَعَالَى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ مُنْ فَلِكَ يَجري بعلم الإمام النِّلِهِ لِإنَّهُ قَالَ فِي تفسير قوله تَعَالَى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ مُنْ فَالَ فِي تفسير قوله تَعَالَى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ مَا أَوْلِيكُ وَ الْمِامُ الْمُنْ فَا الْمِامُ اللّهِ اللهُ أَوْالرَسِخُونَ فِي الْمِامِ الْمُنْ فَا لَ فِي تفسير قوله تَعَالَى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ مُنْ وَلَا يَعْلَمُهُ .

بتقريب: _ أنَّ صفة التجدّد والجريان وعدم الوقوف والتوقّف للدّة ثانية واحدة للقُرآن ولا تبلى آياته وأنَّ القُرآن دائماً فِي صفة تجدّد، وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا آنَتَ مُنذِرُ وَلِكُلِ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ فَإنَّ الهداية والإنذار مستمرة لِكُلِّ المخلوقين وَغَيْر متوقّفة ولا تتوقف إلى قيام الساعة.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٧.

⁽٢) وسائل الشيعة: ج٧٧، ص١٩٦، ب١٣ من أبواب صفات القاضي: ح٧٧.

بتقريب: إنَّ الرواية صريحة فِي جري آيات القُرآن لكنَّ الكلام هل المراد جري المعنى الكُلِّي فِي المصاديق كَمَا هُوَ مقتضى النظرية الأولى، أو أنَّ المراد جري الاستعمال فِي حقائق متتاليّة وجري التفهيم والدلالة فِي معاني متعاقبة كَمَا هُوَ مقتضى النظرية الثانية بنحو تكون الإرادة الجديّة فِي الأصل منطبقة عَلَى الموارد كمعاني لا كمصاديق.

الرواية الرابعة: علي بن إبراهيم عَنْ مُحمَّد بن أبي عمير عَنْ ابن أُذينة عَنْ بُريد العجلي عَنْ أبي جعفر اللهِ فِي قول الله عز وَجَلَّ ﴿ إِنَّمَا آلَتَ

⁽١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٧٩، ح٦؛ بحار الأنوار: ج٣٥، ص٤٠٣، ح٢٠.

قاعدة الجري بمعنى تطبيق أو تعيين

مُنذِرُ وَلِكُلِّ فَوْمٍ هَادٍ ﴿ فَقَالَ رَسُولَ اللهَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ وَلِكُلِّ زَمَانَ مِنَّا هَادَ يَهُ يَعْدَهُ عَلَيْ ثُمَّ الأوصياء هاد يهديهم إلى ما جاء به النَّبِيّ اللَّهِ ثُمَّ الهداة مِنْ بعده عليٌّ ثمَّ الأوصياء واحداً بَعْدَ واحد ((۱).

الرواية السابعة: بإسناد العياشي عَنْ الفضيل بن يسار، قَالَ:

⁽١) أصول الكافي: ج١، ص١٩١، ح١؛ تفسير نور الثقلين للعروسي: ج٣، ص١٧، ٢٠-٢.

⁽٢) أصول الكافي: ج١، ص١٩٢؟ تفسير نور الثقلين للعروسي: ج٣، ص١٧، ٢٢.

⁽٣) تفسير العيّاشي: ج١، ص٨٥، ح٧.

سألتُ أبا جعفر على عَنْ هَذِهِ الرواية ما فِي القُرآن آية إلَّا ولها ظهر وبطن وما فيه حرف إلَّا وَلَهُ حد ولكل حد مطلع ما يعني بقوله: لها ظهر وبطن؟ قَالَ ظهره تنزيله وبطنه تأويله مِنْهُ ما مضى وَمِنْهُ ما لَمْ يكن بعدُ يجري كَمَا يجري الشمس والقمر كُلّما جاء مِنْهُ شيء وقع، قَالَ الله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ مِ إِلَّا اللهُ أَوْ أَل اللهُ اللهُ أَوْ الْمِارِ ﴾ نَحْنُ نعلمه (١).

الرواية الثامنة: أحمد بن محمَّد بن خالد البرقي في (المحاسن) عَنْ الحسن بن علي بن فَضَّال، عَنْ ثعلبة بن ميمون، عمن حدثه عَنْ المعلى بن خنيس قَالَ: _ قَالَ أبو عبدالله اللهِ إلى رسالة: _ «فَأَمَّا ما سالت عَنْ القُرآن، فَذَلِكَ أيضاً مِنْ خطراتك المتفاوتة المختلفة؛ لِأنَّ القُرآن لَيْسَ عَلَى ما ذكرت وَكُلِّ ما سمعت فمعناه (عَلَى) غَيْر ما ذهبت إليه، وإنّها القُرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حقّ تلاوته، وَهُمْ الَّذِيْنَ يؤمنون به ويعرفونه ... الخ "(۱).

هَذِهِ الروايات المستفيضة وغيرها الَّتِي اشتملت عَلَى تفسير الآيات المباركة تُؤكِّد عَلَى أنَّ أحد دعائم حياة القُرآن الكريم هِيَ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير، وَهِيَ القاعدة الأساسية البنيوية فِي الجري بمعنى البيت المُثِلِّ والمجدّدة لحياة القُرآن الكريم لتجدّد تغطية القُرآن الكريم لك لحقب ومراحل حياة البشر وأطرافها، إلَّا أنْ يُجعل القُرآن الكريم لك لحقب ومراحل حياة البشر وأطرافها، إلَّا أنْ يُجعل

⁽١) تفسير الصافي: ج١، ص١٩، المقدمة الرابعة.

⁽٢) وسائل الشيعة: ج٧٧، ص ١٩٠ ب١٣، من أبواب صفات القاضي: ح٣٨.

مِنْ القُرآن كتاباً مُعطّلاً _ _ والعياذ بالله _ لو لَمْ يتّصف الكتاب العظيم بهذه المواصفات، وإنَّ أعظم شيء في القُرآن هُوَ أنَّهُ كتاب حيُّ مِنْ الحيّ القيّوم العظيم بهذه المواصفات، وإنَّ أعظم شيء في القُرآن هُوَ أنَّهُ كتاب حيُّ مِنْ الحيّ القيّوم إلى الحياة، وَهَذَا معناه أمَّا القُرآن يُبدي حياةً لدى الكائنات والمخلوقات مِنْ الحي الذي لا يموت.

الرواية التاسعة: مُحمَّد بن علي بن بابويه قَالَ حدَّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي، قَالَ: حدَّثني مُحمَّد بن يحيى الصولي، قَالَ حدَّثني القاسم بن إسهاعيل أبو ذكوان قَالَ: سمعت إبراهيم بن العباس يُحدِّث عَنْ الرضا اللهِ عَنْ أبيه موسى بن جعفر اللهِ «أنَّ رجلاً سأل أبا عبدالله اللهُ ما بال القُرآن لا يزداد عِنْدَ النشر والدرس إلَّا غضاضة (۱)؟ فَقَالَ لِأَنَّ الله تَعَالَى لَمْ يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فَهُوَ فِي كُلِّ زمان جديد وَعِنْدَ كُلِّ قوم غضّ إلى يَوُم القيامة (۱).

تنبيه: سيأتي إنْ شاء الله تَعَالَى فِي نظام قواعد وأصول التفسير فِي النظام المعنوي ـ نظام عالم المعنى ـ فِي القُرآن الكريم أنَّ أعظم مدار فِي حُجّية القُرآن أنَّهُ كتابٌ حيٌّ وحيوي لا يعطل أبداً وَأنَّهُ مُفَعَّل وبه يعطي الله ويأخذ، وبه يُثيب وبه يعقاب، وأنَّ القُرآن كَانَ ولا زال إلى يَوُم الدين

⁽١) وشيء غضّ: أي طري .. مجمع البحرين مادّة غضض.

⁽٢) عيون أخبار الرَّضَا لَكِيُّ : ج٢، ص٩٣ ع ٣٣؛ والبرهان في تفسير القرآن - هاشم البحراني : ج١، ص٧١، م/١٣ ح٣.

هُوَ الميزان بين الخالق والمخلوقين وتتفرع عِدَّة بحوث مُهمَّة عَنْ بحث أنَّ القُرآن حجة حيَّة لا يعطل وَأَنَّهُ مِنْ ضروريات الدين وضروريات منهاج أئمة أهل البيت الميَّا وأحد أهم تلك البحوث هُوَ بحث: _

نفي التحريف عَنْ القُرآن: _ وَهَذَا مِنْ المباحث الَّتِي كثر فيها اللغط العلمي ودعاوى التحريف، وَعَلَيْهِ فالميزان الطارد لبحث التحريف وغيره هُوَ أَنَّ القُرآن حجة حيَّة لا يُعطّل وَأَنَّهُ دائماً مفعلٌ، وأَنَّه حبل ممدود مِنْ السهاء طرفٌ بيد الناس، وَأَيِّ ناس يعنون بذلك؟ هُمْ أهل كُلِّ جيل مِنْ البشر، وطرف مِنْ عِنْدَ الله، وَعَلَيْهِ فَمِنْ يُنكر أَنَّ القُرآن حجة حيّة فَقَدْ خرج مِنْ ربقة الدين الإسلامي الحنيف، هَذَا مِنْ جانب.

وَمِنْ جانب آخر فرض الأئمة الأطهار اللَّا عَلَى ربط النظام الاستعمالي اللفظي فِي القُرآن بمبحث عالم المعنى أيّ النظام المعنوي، وَهُوَ بحثُ مرتبط بالحجّية وأنَّ حجيّة القُرآن حيّة وَغَيْر معطلة، وليست حجّية القُرآن مختصّة بزمان دون غيره، وبمكان دون آخر.

تفسير لقاعدة الجري والتطبيق أو التغيير

لدى أعلام المفسرين من الفريقين

توطئة:

لو تتبعنا آراء جملة من أعلام المفسرين من الفريقين لقاعدة الجرى والتطبيق لوجدناها عندهم تمثِّل معنىً كلِّي وله عدة تطبيقات ليست مرادة بالأصل وهذه التطبيقات ليست معاني استعمالية وإنّما صرف مصاديق المراد الاستعمالي للآيات.

إِذَنْ المراد الاستعمالي للآيات هُوَ فَقَطْ المعنى الكُلِّي ولا يُراد مِنْ المعنى الكُلى شخصانيّة المصاديق، وتطبيق الآية أو الرواية عَلَى أئمة أهل البيت المِيلِ هُوَ تطبيق مصداقي لا أنَّ أهل البيت المِيلِ مرادون مثلاً في الآية بشخصهم، وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَاۤ أَنتَ مُنذِرُّ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ 🗘 🗘 أُفَهَذِهِ الآية قضية كلية وعامة وإرادة الإمام أمير المؤمنين اللهِ مِنْ باب التطبيق لا أنَّ الشخص الشريف لسيد الأوصياء على بن أبي طالب الله مراد مِنْ الآية، وإنها هُوَ معنى كلي ويجري تطبيقه عَلَى مواضع

(١) سورة الرعد: الآية ٧.

٣٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني عديدة.

وهكذا نجد أغلب الآيات القرآنية تُستعمل فِي المعاني الكليّة، إلَّا بَعْض الآيات فَإنَّهُ يراد منها الشخص الموجّه إليه الخطاب مثل:

١ _ قوله تَعَالَى: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ... ﴾ (١).

٢ _ قوله تَعَالَى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ عِسْكِينَا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ١٠٠٠ .. ١٠٠٠ ..

٣ _ قوله تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ نَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ أَلَأَ قَاوِيلِ (الله ١٠٠٠).

٤ _ قوله تَعَالَى: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلنِّي لَهِ تَحْرَمُ مَاۤ أَحَلَ ٱللَّهُ لَكُ ﴾ (١).

٥ - قوله تَعَالَى: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ ... ﴾ (٥).

٦ _ قوله تَعَالَى: ﴿ يَكُمُوسَىٰ ﴾ (١).

٧ ـ قوله تَعَالَى: ﴿ يَاعِيسَنَ ﴾ (٧).

٨ - قوله تَعَالَى: ﴿ يَنْ يَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَابَ ﴾ (^).

⁽١) سورة آل عمران: الآبة ٦١.

⁽٢) سورة الإنسان: الآية ٨.

⁽٣) سورة الحاقة: الآية ٤٤.

⁽٤) سورة التحريم: الآية ١.

⁽٥) سورة التوبة: الآية ٤٣.

⁽٦) سورة القصص: الآية ٣١.

⁽٧) سورة المائدة: الآية ١١٦.

⁽٨) سورة مريم: الآية ١٢.

٩ ـ قوله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(١) وغيرها.

فَإِنَّ الآيات الَّتِي صَرَّحت بإرادة شخص المخاطب مِنْ نبي أو وصيّ نبي أو أو لاد الأنبياء أو مؤمن أو كافر أو ... الخ صَحَّ حينئذِ التعبير الأصولي فِي المقام مِنْ أنَّ شخص المخاطب مأخوذ عَلَى نحو الموضوعيّة وَأَنَّهُ جزء مِنْ الموضوع وَعَلَيْهِ إِذَا لَمْ يتحقق ذَلِكَ الفرد لَمْ يَتِمُّ معنى الآية.

هَذَا بلحاظ بَعْض الآيات.

وأمَّا بلحاظ أغلب الآيات فإنَّها ناظرة إلى كليَّة وعموميَّة المعنى، وأمَّا المخاطب فَقَدْ ذُكِرَ مِنْ باب المثال وَعَلَى نحو الكشف والطريقية لا الموضوعيَّة وَعَلَيْهِ فيمكن التعدِّي إلى غيره.

وهكذا الأصل في بيانات أهل البيت المُثَلِّ وأنها استعملت في معنى كُلِّي، هَذَا بحسب النظرية الأولى.

وأمَّا بحسب النظرية الثانية فيمكن أنْ تقول: _ إنَّ الآيات والروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت المِيُّا، وَالَّتِي فيها خطاب خاص بالنبي اللَّيُ أو بالوصي أو بفرد خاص، حسب قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير حسب منهج أمومة الولاية شاملة لذلك ولا تقتصر عَلَى موردها،

⁽١) سورة الأنعام: الآية ٨٨.

بَلْ تتعداه إلى غيره، في حين أنَّ الخصوصية مُرادة كَمَا أنَّ العمومية مُرادة وَ وَذَلِكَ لما سيأي مِنْ عموم قاعدة الجري عَلَى وفق النظرية الثانية في المداليل والمعاني والمصاديق مَعَ أنّها كُلَّها مُراده. إلَّا أنَّ جملةً مِنْ مفسرينا أمثال السيد مُحمَّد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان الذي بنى صرح تفسيره _ الميزان في تفسير القُرآن _ عَلَى شخصانيّة المصاديق، وملا صدرا والفيض الكاشاني و ... الخ فضلاً عَنْ مفسري العامّة ذهبوا إلى أنَّ الآيات الَّتِي فيها الخطاب موجّه إلى شخص في بعضها فَإنَّ مثل السيد العلامة في يحصر الخطاب مِهذَا الفرد ولا يتعدّى إلى غيره، بخلاف ما تذهب إليه النظرية الثانية المختارة حسب منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات في قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير.

والخلاصة أنَّ المنهج التفسيري الذي اعتمده السيد العلّامة الطباطبائي وبنى عَلَيْهِ صرح تفسيره الميزان فِي تفسير القُرآن هُو أنَّ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير منحصرة بشخصانية الأفراد والمصاديق الموجّه إليها الخطاب، وهكذا مَنْ كَانَ قبل السيد العلامة الطباطبائي مِنْ المفسرين كالفيض الكاشاني الله صاحب الوافي وغيرهم، وإنْ كَانَ هُنَاك اختلاف بين مناهجهم التفسيرية خاصّة بين الفيض الكاشاني مِنْ جهة، وبين السيد العلامة الطباطبائي وملا صدرا مِنْ جهة أُخْرى، ورغم ذَلِكَ اللختلاف فيها بين مناهجهم التفسيرية إلَّا أنَّ قاعدة الجري والتطبيق عندهم فيها نوع مِنْ التقنية والضبط، إلَّا أنَّهُ وللأسف مَنْعَهم عَنْ شمول عندهم فيها نوع مِنْ التقنية والضبط، إلَّا أنَّهُ وللأسف مَنْعَهم عَنْ شمول

قاعدة الجري لنمط مِنْ آيات القُرآن الكريم غَيْر مقبول فالآيات الكريمة المتقدمة ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُيِهِ المتقدمة ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُيِهِ المتقدمة ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُيهِ مِسْكِينَا وَيَتِيمًا ... ﴾ ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُيهِ مِسْكِينَا وَيَتِيمًا ... ﴾ ﴿ وَيَأَيُّهَا النِّي لَهُ مُرَّمً مَا أَحَلَ اللّهُ لَكُ ﴾ و ﴿ وَمَا ﴿ وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿ اللّهِ ﴾ و ﴿ لَهِنَ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَ عَمَلُكَ ﴾ و ﴿ وَمَا يَلْكَ بِيمِينِكَ يَمُوسَى ﴿ اللّهِ ﴾ و ... الخ.

مِنْ أَنَّ المنظور فِي هَذِهِ الآيات المباركات وغيرها هُوَ شخص المخاطب، وَهَذَا يمكن تسجيله كتأمل أوَّل عَلَى أصحاب المسلك الَّذِيْنَ يقصرون النظر عَلَى شخص المخاطب فِي الآية ولا يتعدّى عَنْ غيره، وسيأتي تفصيله بَعْدَ قليل.

وَبَعْدَ هَذِهِ التوطئة نذكر قاعدتين ذات صلة بقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير.

القاعدة الأولى: الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ.

القاعدة الثانية: هل اللغة ألفاظٌ وأصوات فَقَطْ، أم هِيَ نفس المعنى.

القاعدة الأولى: الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ

معنى القاعدة: يُعبَّر عَنْ هَذِهِ القاعدة فِي كتب الأدب القديمة باسم: خُذ الغايات واترك المبادئ وَهُوَ ما يُعبَّر عنه: بأنَّ الألفاظ وضعت لأرواح المعاني السابحة الكليّة لا لأجسام وأبدان المعاني وقشورها، إذْ الغايات هِيَ الأرواح، واترك المبادئ أيّ اترك الأجسام والأبدان وقشورها وسطوحها وثقلها المادّى.

توضيح ذَلِكَ: إنَّ الله تَعَالَى لَمْ يَخلق الأشياء إلَّا لأجل غاية وهدف وراءه وَإلَّا يكون لغواً وعبثاً والباري تَعَالَى منزّه عَنْ اللغوية والعبثية وَكُلِّ صفة نقص يُجلُّ عنها.

فمثلاً خلق الإنسان وَهُو أعظم مخلوق وراءه غاية وهدف فمثلاً جوارح الإنسان كاليد الغاية منها أمورٌ عِدَّة تؤدى باليد منها البطش أو البسط أو القبض أو ... الخ فَهَذِهِ وغيرها كهال الغاية لليد، وآلة هَذِهِ الغاية الذي يتوصّل باليد إليها هُو الجسم، واليد لمَ توضع للجارحة وإنها هَذِهِ الجارحة هِيَ المبدأ والمنطلق والآلة الَّتِي ينتهي بها البسط أو البطش أو القبض أو ... الخ وَعَلَيْهِ وضعت لنفس قدرة التصرف ونفس حقيقة القبض والبسط وَهَذَا المعنى يكشف اشتباه بَعْض اللغويين عِنْدَمَا قالوا

.ع..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

بأنّ اليد وضعت للجارحة كَمَا فِي أقرب الموارد: _ بأن [اليَدّ] الكفّ مِنْ أطراف الأصابع إلى أطراف الأصابع إلى الكتف ... وَقَالَ أبو إسحاق اليد مِنْ أطراف الأصابع إلى الكف والصواب إلى الكتف، وَهَذَا قول الزجّاج ... الخ(١).

في حين قَالَ ابن الهيثم: والعرب تقول: _ما لي يَدُّ: أيّ ما لي به مِنْ قوّة ... أيّ ﴿ وَهُم أَوْلِي ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَدِ ﴾ (٢) أُولوا القوة والعقول، وقالَ ثعلب عَنْ ابن الإعرابي: _ اليدُ: النعمة، واليد _ القوّة، واليدُ: القدرة، واليد: الملك، واليد: السُّلطان، واليد: الطاعة ... الخ (٣) وَمِنْ الواضح أنَّ قول أبو الهيثم وقول ثعلب عَنْ ابن الإعرابي محمولٌ عَلَى المجاز أيّ تحمل اليد عَلَى المجازية فيها إذا استعملت في القوّة والأبصار والقدرة والملك والسلطان والطاعة و ... الخ.

وهكذا لفظ [العين] فإنها لَمْ توضع لهذه الجارحة الكريمة والكُرَة الجسمانية، وإنها وضعت للإبصار وما يُبْصَر به أو ما يُدْرَك به المُبْصِرات.

وهكذا [الأذن] فإنها ليست موضوعة لهذه الشحمة الجارحة وإنّما موضوعة للمعنى وَهُوَ مبدأ الاستيفاء الغاية منها وَهُوَ إدراك المسموعات، وَإلّا لو كانت هَذِهِ الأذن لا يُسمعُ بها فَهِيَ ليست أُذُناً وإنّما شكل وصورة أذن، وهكذا اليد لو كانت شلّاء، والعين لا يُبصر بها فإنّها

⁽١) أقرب الموارد: ج٥، مادة يدي: ص٨٧٩.

⁽٢) سورة ص: الآية ٤٥.

⁽٣) معجم تهذيب اللغة للأزهري: ج٤، ص٩٧٥.

صورة عين ويد، ولذا اشتبه الحال عَلَى المجسّمة عِنْدَمَا اشتبه اللغويّون في أنَّ استعمال اليد مثلاً في القوَّة والسلطان والمِلك إنَّهُ لَيْسَ بمجاز، ولذا وقع المجسِّمة بمحذور التجسيم الباطل، في أنَّ لله تَعَالَى حقيقة يدُّ جارحة يبطش بها _ والعياذ بالله _ وعينٌ جارحة يُبْصِرُ بها، وشحمة إذَنْ يسمع بها و... الخ، واستدلُّ المجسِّمة عَلَى ذَلِكَ الآية: ﴿أَوَلَمْ مَرُوا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَكُمًا فَهُمْ لَهَامَلِكُونَ ١٠٠٠ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ تَعَالَى مخلوقات وتلك المخلوقات الكريمة والعظيمة يتصرّف بها الله وَهِيَ مظهر قدرة تصرف الله فيها ويحيط بها تَعَالَى إحاطة تامّة وأجرى تَعَالَى عَلَى يدي تلك المخلوقات قدرة تصرفه بها. لا أنَّ المراد ـ والعياذ بالله ـ كَمَا ذهبت إليه المجسّمة أنَّ لله عينٌ جارحة وجسم كروي يُبصِر بها الأشياء.

وهكذا قوله تَعَالَى ﴿ وَلِنُصَنَعَ عَلَى عَنِي َ ﴾ (٢) فَإِنَّهُ لَيْسَ المقصود ما ذهبت إليه المجسّمة مِنْ أَنَّ لله عيناً جارحة يُبْصر بها الأشياء _ والعياذ بالله _ كلا وإنَّها المقصود الصحيح هُوَ أَنَّ لله تَعَالَى علم يُدْرِك به المبصرات سواء كَانَ علم فِي مقام الفعل أيّ فعل الله أيّ مخلوقاته الَّتِي تكون شاهدة والله مِنْ ورائها محيط بعلم ما تعلم.

⁽١) سورة يس: الآية ٧١.

⁽٢) سورة طه: الآية ٢٩.

٤٢ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجز ، الثاني وهكذا قوله تَعَالَى ﴿ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ (١).

بتقريب: هل أنَّ الله تَعَالَى لَهُ جسم مادّي وهيكل عظمي وقفص صدري و ... حَتَّى تكون لَهُ تَعَالَى جنبة طرف مِنْ هَذَا الجسم أو ... الخ؟.

الجواب: كلا، وإنَّما المُراد مِنْ جنب الله أيِّ قُرْب الله تَعَالَى لا القرب المكاني ولا القرب الزماني والله خالق لهما ـ للزمان والمكان ـ ولكنّه تَعَالَى فوق الزمان وفوق المكان.

والمُراد: إنَّ هُنَاك مِنْ المخلوقات العظيمة والشريفة عبادٌ مكرمون أودعهم الله أسراره منهم عَلَى قرب مِنْ مشيئة الله وإرادته والعلم برضا الله وسخطه و ... يُقَال عنهم جنب الله لا أنَّهم جزء مِنْ الله _ والعياذ بالله _ كَمَا توهمه المجسِّمة فَلَيْسَ لله جسم حَتّى يكونوا جزءاً مِنْه تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ علواً كبيراً.

⁽١) سورة الزمر: الآية ٥٦.

تعريف الشيء بغايته من أكمل تعاريف الشيء

وَمِنْ المؤيدات عَلَى أنَّ الألفاظ موضوعة لروح المعاني: هُوَ ما ذكره ولاحظه المناطقة مِنْ: [إنَّ تعريف الشيء بغايته هُوَ مِنْ أكمل تعاريف الشيء].

بتقريب: إنَّ الشيء تارة يُعرَّف بصورته، وَأُخْرَى بهادته وكلاهما ليسا الصورة الغائية والنهائية مِنْهُ.

بخلاف روح الشيء فَهُوَ شيء آخر، فَإنَّ حقيقة كُلِّ شيء بكماله الأخير يعني غايته؛ ولذا امتاز الإنسان عَنْ الحيوان بكماله الأخير وَهُوَ العقل والروح الإنسانية وَإلَّا إِذَا عرَّفنا الإنسان بإنَّه جسم مركّب الأعضاء، فَإنَّ هَذَا تعريف لا يميّز الإنسان عَنْ غيره كالحيوان مثلاً، فَإنَّ الحيوان أيضاً جسمٌ مركب مِنْ أعضاء نامية وحسّاسة وَلَهُ مقدار مِنْ الإدراك.

وإنّما المائز هُوَ تعريف الشيء _ كالإنسان _ بغايته الكمالية الأخيرة الَّتِي يصل إليها ولا يصل إليها غيره كالحيوان وباقي المخلوقات الأُخْرَى.

وهكذا تعريف نبي مِنْ أنبياء الله تَعَالَى كالخاتم مُحَمَّدَعَيَّالُهُ، فإذا عرفناه بإنه بشر فَقَطْ فَهَذَا تعريف ناقص للنبي ﴿ قُلْ إِنَّمَاۤ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثُلُكُمْ يُوحَىٰ

25 تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

إِلَى ﴾(١) فَهُو عَيْنِهُ مبدأ الغاية ودوام فيض الوحي إليه لَمْ ينقطع وَلَمْ يُعبَّر القُرآن بـ [أوحى إليّ] أو [سيوحي إليه] أو .. إنَّما عبَّر بصيغة المضارع [يوحي] الصالح للاشتراك بين زماني الحال والاستقبال وَلَمْ ينقطع وما انقطع عنه عَلَيْظِهُ الوحى إلى الآن وَهُوَ عَلَيْكُ فِي البرزخ وَإِلَى عَالَمُ الآخرة.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ خصوصية وميزة يوحى إليه هِيَ أعظم كمال يمكن أنْ يناله المخلوق؛ ولذي عَرَّف الباري تَعَالَى الْنَّبِيَّ عَيَّاللَّهُ بأنه يوحي إليه، وَهَذَا الوحى دائمٌ ومستمرٌ وَهُوَ تعريف بالغاية النهائية.

والخلاصة: إذَنْ حقائق الأشياء بغاياتها لا بمبادئها المصداقية والتعريف بالمبادئي فَقَطْ تعريف ابتدائي لا نهائي وغايتي، والتعريف الأسدّ والناضج هُوَ التعريف بالنهاية والعاقبة والغاية.

تنبيه: مسألة حقائق الأشياء بغاياتها ليست مختصّة بعلم مِنْ العلوم وَإِنَّهَا سارية فِي جميع العلوم سواء الفقه والأصول والحديث والتفسير والمنطق والكيمياء والفيزياء والاجتماع والسياسة والاقتصاد و ... الخ ففي الكل لا تستطيع أنْ تحكم عَلَى الحدث إلَّا بعاقبته ومآله ونهاية نتائجه.

وَعَلَيْهِ فحقيقة المعاني بالنهايات والغايات، والألفاظ وضعت لها أيّ لغايات المعاني.

(١) سورة فصّلت: الآبة ٦.

تأكيد القرآن وأهل البيت عليهم السلام على قاعدة الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ

أَكَّدَ القُرآن وأهل البيت المَيِّكُ وبإصرار عَلَى هَذِهِ النظرية.

أَمَّا القُرآن فَقَدْ أَكَّدَ عَلَى ذَلِكَ فِي موارد عِدَّة:

منها: قوله تَعَالَى: ﴿ فَإِنَّهَالَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَائِرُ وَلَكِكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِ ٱلصُّدُورِ ﴾(١).

وقوله تَعَالَى: ﴿أَمَّرَ لَهُمَّ أَعَيُنُ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمَّ لَهُمْ ءَاذَاتُ يَسَمَعُونَ بِهَا ۗ﴾(٢).

بتقريب: لَيْسَ المراد مِنْ عمى العيون أيّ عمى العيون الجارحة والمادّية، وهكذا السماع لَيْسَ المراد مِنْهُ السماع بالجارحة أو البطش باليد كَمَا تَقَدَّمَ وهكذا حقيقة الحياة ليست حياة هَذَا البدن المادي للبشر وَإِنَّمَا حقيقة الحياة الروح، بدليل قوله تَعَالَى: ﴿... وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمُ المُراد مِنْ إحياء النفس هُوَ فَكَانَهُ الْمُراد مِنْ إحياء النفس هُوَ

⁽١) سورة الحج: الآية ٤٦.

⁽٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٥.

⁽٣) سورة المائدة: الآية ٣٢.

23....... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني إحياء بدن النفس اللطيف أو بشرة بدن النفس أو هندامها أو إناقتها أو ... الخ وَإِنَّمَا المراد مِنْ إحياء النفس هُوَ بإحيائها المعنوي والروحي وبغايتها لا بمبادئها أيّ بغايتها مِنْ كَمَالها العقلي والقلبي لا البدني والجسماني الغليظ.

العلاقة بين القاعدتين

خذ الغايات واترك المبادئ والجري والتطبيق أو التعبير

هُنَاك علاقة وطيدة بين نظرية خذ الغايات واترك المبادئ وبين قاعدة الجري والتطبيق والتعبير، وَهُمَا اثنان وَلَيْسَ واحداً كَمَا تخيّله البعض مِنْ أنّهما واحدة، أو بعضهم ذهب إلى جعلها وجهان لعملة وحقيقة واحدة، وَهَذَا التعبير قَدْ يُسلِّم به البعض.

إلَّا أَنَّهُ بالحقيقة شيئان وَذَلِكَ ببيان _ وَهَذَا البيان استدلَّ به السيد العلامة الطباطبائي لنظريته الَّتِي سوف تأتي _

إنَّ الألفاظ وضعت لأرواح المعاني السابحة الكليّة ـ كَمَا مَرَّ ـ وَلَمْ توضع لقشورها وسطوحها وثقلها المادّي، وتقدم ذكر بَعْض المؤيدات مِنْ الكتاب والسنة عَلَى أنَّ الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ، وَعَلَيْهِ: ـ

فَإِنَّ هَذَا التفسير لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير وَأَنَّهُ مِنْ الأصل استعمل اللفظ في المعنى العام الكلّي وَلَمْ يستعمل في حبوسات المصاديق، وما هَذِهِ المصاديق والأمثلة إلَّا تطبيقات، وأنَّ تلك المصاديق هِيَ مِنْ أبرز مصاديق ذَلِكَ المعنى الكُلِّي العام الذي وضعت لَهُ الألفاظ، وأمَّا التهايز بين هاتين القاعدتين فسيأتي بناءاً عَلَى النظرية الثانية في تفسير قاعدة الجرى.

القاعدة الثانية: هل اللغة ألفاظ وأصوات فقط

أم نفس المعنى

إذا كانت اللغة بمعنى الشيء الدالّ عَلَى شيء آخر فالمعنى أحرى أنْ يكون بياناً ولساناً ولغةً وَلَيْسَ المقصود مِنْ اللسان هَذِهِ العضلة اللحميّة، وَإِنَّها تبين مِنْ خلال ما تَقَدَّمَ أَنَّهُ توجد عندنا لغات متعددة، وأنَّ أحد معاني اللغة ما تَقَدَّمَ وهُو دلالة الشيء الدال عَلَى شيء آخر وهَذَا الشيء يَدُلّ عَلَى المعنى أسرع وأبين مِنْ دلالة الصوت اللفظي بَلْ وَحَتّى اللفظ بمعنى الملفوظ.

إذَنْ المعنى هُوَ قوّة مِنْ قِوى الفكر فِي الإنسان وَهُوَ الذي يُعنى مِنْ الصوت والكلمة الَّتِي يلفظها اللسان الذي هُوَ فَقَطْ لفظ لأنفاسه، وَهَذَا نحو مِنْ أنحاء اللفظ، بينها العقل يلفظ أفكاره وَقَدْ يلفظ قوّة الخيال للشاعر صور ومعاني تنبع منها - المخيلة.

بَلْ حَتّى تعبير علماء القانون ما يُعبَر عنه (لغة القانون) وَلَيْسَ الْمُراد مِنْ القانون أصوات خاصّة وَإِنَّمَا المراد مِنْهُ معاني معينة. وهكذا لغة الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء و ... الخ وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ المعاني وَهَذَا الحاسوب بأيّ لغة تبرمج فلها نظامها الخاص.

٥٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وَهَذَا معناه أَنَّ هُنَاك نظاماً يسمى بنظام الدلالة المعينة ونظام بيانات يضعها الباحث بالحاسوب ويُعبّر عنه لغة وبالحقيقة هُوَ لَيْسَ بـ (لغة) صوتية.

والمحصل مِنْ كُلّ هَذَا أَنَّ اللَّغَة أو اللَّفظ أو القول أو اللِّسان أصبح معنى، وَحَتّى نفس لغة وقول ولسان هِيَ أيضاً الأُخْرَى لَمْ توضع للأصوات، وَإِنَّمَا وضعت للمعاني.

عالم المعاني لغة من اللغات:

إنَّ عالم المعاني لغة مِنْ اللغات فالمعنى وطبقات المعاني نمط مِنْ اللَّغَة واللغات؛ ولذا سيأتي في قواعد التفسير في نظام المعاني في تفسير القُرآن الكريم تفصيل ذَلِكَ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ هَذِهِ الأقسام المختلفة _ مِنْ العوالم ليست اللَّغَة اللِّسانية البشرية المشتركة بينها هِيَ اللَّغَة البشرية كلا، وَانْ لُو كَانَتْ اللَّغَة اللسانية البشرية فَقَطْ هِيَ اللَّغَة فأين لغة التخاطب بين البشر والحور العين، إلَّا بتقدير لطافة الأصوات فقط إحساس الحواس الدنيوية ليشمل الحواس الجسمانية الأخروية.

وكذا لغة التخاطب بين البشر والملائكة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّنَهُمُ ٱلْمَلَتَهِكَةُ ظَالِمِيَ ٱلْفُكَتِهِكَةُ ظَالِمِيَ ٱلفُواْ وَبُنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ظَالِمِيَ ٱلفُوسِهِمْ قَالُواْ وَبُنَا ٱللَّهُ ثُمَّ

⁽١) سورة النساء: الآية ٩٧.

إذَنْ مدرسة السَّمَاء تُؤكِّد عَلَى وجود لغة مشتركة بين الخلائق أجمع مِنْ خلال نظرية الألفاظ وضعت إلى روح المعاني، وخُذ الغايات واترك المبادئ، وأنَّ هُنَاك عناصر ولغة تفاهم وتخاطب بين العالم الربوبي وعالم المخلوقات _ وَإِلَّا نكون معطّلة _ والعياذ بالله تَعَالَى فِي التوحيد والإيمان وتترتب عَلَى القول بأنّا معطّلون لوازم باطلة وبالتالي لا يقدر البشر عَلَى الإدراك والوصول إلى معنى التوحيد ومعنى العالم الربوبي ولو بأدنى درجات الإدراك، وَعَلَى هَذَا يكون التوحيد مُعطَّل _ والعياذ بالله تَعَالَى ـ

وببركة نظرية الألفاظ موضوعة لروح المعاني نستطيع التوصّل والإدراك ونملك حظاً مِنْ الوصول والإدراك ولو لأدنى عوالم التوحيد، والحاجة إلى لغة التخاطب لَيْسَ فَقَطْ بين بني البشر وبين كائنات فضائية _ كَمَا يعبِّرون عنها _ كعالم الجن والشياطين والملائكة، بَلْ نريد التوصُّل إلى إدراك أعلى وَهُوَ أننا بحاجة إلى لغة التفاهم بين بني البشر وبين العالم الربوبي، بين عالم الخالق وعالم المخلوقين.

إنَّ قُلْت: إنَّ الألفاظ موضوعة لصور جسانية أرضية فَهِيَ لا تصلح لأنْ تكون لغة تفاهم وتخاطب بين البشر وبين عوالم أُخْرَى سواء العالم الربوبي أو المثالي أو عالم المجرّات أو ... الخ.

⁽١) سورة فصّلت: الآية ٣٠.

قُلْتُ: تَقَدَّمَ إِنَّ الألفاظ تستعمل فِي المعاني الكلية وَهَذِهِ المعاني تكون جسر تخاطب وتفاهم بين عوالم ونشآت عظيمة وكبيرة، وَهَذَا مما يدعم نظر السيد العلامة فِي الجري والتطبيق، فإنَّها استعملت بِهَذَا الأفق الواسع والرحب بأنْ يتسع المعنى إلى الأفق، فإنَّها استعملت بِهَذَا الأفق الواسع والرحب بأنْ يتسع المعنى إلى الأفق المبين ولا يُحدُّ بحدِّ الألفاظ الواسع والرحب بأنْ يتسع المعنى إلى الأفق المبين ولا يُحدُّ بحدِّ الألفاظ كَمَا وَرَدَ (۱) «يا مِنْ هُوَ بالمنظر الأعلى وبالأفق المبين» بتقريب أنَّ الأُفق المبين يعني الذي يستبين فيه كُلِّ شيء.

وَعَلَى هَذَا يكون معنى قاعدة الجري والتطبيق: إنَّ استعمال الألفاظ يرقى إلى معنى الأفق المبين ويطبّق عَلَى مصاديق في عالم الأرض والبرزخ والآخرة وعالم الملائكة وعالم النور وعالم الروح و ... الخ.

فِي حين أنَّ هُنَاك جهة اختلاف بين قاعدة الجري وبين قاعدة وضع الألفاظ لأرواح المعاني والغايات، حَيْثُ أنَّ قاعدة الجري أوسع مِنْ هَذِهِ القاعدة ولا يَتِمُّ تقرير الفرق إلَّا عَلَى النظرية الثانية فِي قاعدة الجري وَهِيَ مُحتار منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات.

تنبيه: يجب الالتفات إلى أنْ لا يخلط الباحث والمفسِّر الحاذق بين خصوصيات المصاديق والنشآت مِنْ جهة وبين شفافيّة المعنى الذي هُوَ بالأفق الأعلى والمبين مِنْ جهة أُخْرَى، وأنْ لا ينقطع حينئذٍ لغة التفاهم

⁽١) المزار للمشهدي: ص٣١٢؛ وجامع أحاديث السيد للسيد حسين البروجردي: ج٧، ص١٦٠.

والتخاطب بين العوالم العلوية والدنيوية ونصبح معطلة ويكون كُلّ عالم معزول عَنْ العوالم الأُخْرَى وَهَذَا أو غيره لوازم باطلة فِي حين أنَّ عَلَى النظيرة الثانية فِي الجري كُلّ منهما مُراد مِنْ دون لزوم تدافع ولا تناقض كَمَا توهمه أصحاب النظرية الأولى.

مطلب هام ذي صلم بالمقام

تَعَرَّض عُلماء الأصول لاسيها صاحب الكفاية الشَّيْخ مُحمَّد كاظم الخراساني ﷺ فِي مباحث الألفاظ فِي بحث المشتق، بَلْ وَحَتَّى علماء البلاغة كَذَلِكَ تعرّضوا لمطلب حاصله:

هُنَاكَ بَعْض الأوصاف المشتركة بين الباري تَعَالَى وغيره، فمثلاً نصف الباري تَعَالَى وغيره، فمثلاً نصف الباري تَعَالَى بأنّه عالم سميع بصير قدير و ... الخ وكذلك نصف المخلوق بأنّه عالم وسميعٌ وبصير وقدير و ... الخ فهل نقصد مِنْ هَذِهِ الألفاظ معاني هِيَ عين المعاني الَّتِي نصف بها مخلوق مِنْ المخلوقات أو لا؟

والشاهد عَلَى ذَلِكَ ما سأل به هشام بن الحكم الإمام الصادق الله فَقَالَ لَهُ: كيف تصف الله، قَالَ الله فَالَ الله الله الله بكذا بكذا، قَالَ عَلَى حدّ ما نصف به المخلوقين قَالَ: نعم، قَالَ هشام إذَنْ تلك صفته صفة مخلوقين فأين صفة الخالق. فتبلبل هشام (۱) ... إلى أنْ بَيَّن لَهُ الإمام الله وقالَ: عِنْدَمَا تقول الله عالم أي علمه تَعَالَى لا جهل معه بخلاف علم المخلوقين فَإنَّ المخلوق العالم ليش علمه مطلق وَإنَّما فيه جهلٌ، وهكذا عِنْدَمَا نقول: الله قادر أي قدرة لا عجز فيها، بخلاف وصف المخلوق بالقادر فَإنَّ

⁽١) وبلبلة الصدر: وسوسته، مجمع البحرين مادة بلبل.

٥٦ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني قدرته ممزوجة ومصحوبة بالعجز، وهكذا وصف الخالق بالحي والحياة فَإِنَّهُ تَعَالَى حيُّ وحياته لا موت فيها بخلاف حياة المخلوق، فأين هَذَا الحي وأين ذاك الحي وشتان بينهما».

وبالتالي هَذِهِ الأوصاف ألفاظ في ضمن الألفاظ، ولكن السؤال يقع في أنَّ هَذِهِ الألفاظ هل تستعمل في معنى مباين أو لا؟ أيّ هَذِهِ الأوصاف معانيها واحدة بين الباري والمخلوقات أم شيء مباين؟.

الجواب: إنْ كانت تستعمل في معنى مباين، فهل يكون ذكر هَذِهِ الأذكار نفهم ونعي منها شيء أم أنَّها لقلقة لسان؟

فإذا كُنّا نعي ونعني منها شيءً وَهُو أَنْ نذكر الله بها ونمجّده ونُثْني عَلَيْهِ ونقدّسه فبهذا اللحاظ والمعنى يكون وصفنا لبقية الكائنات والمخلوقات بإنّها عالم أو سميع أو بصير أو قدير ... الخ أجنبي مما نَحْنُ فيه وَإلّا لا يكون أجنبياً فمعرفة الصفات الإلهية عَلَى وزان أصل المعرفة الإلهية لا تعطيل ولا تشبيه فليست الألفاظ متباينة ولا المعاني بحدود المعاني الجارية في الخلق؛ لِأنّ هَذَا مِنْ التشبيه حينئذٍ والتباين المطلق مِنْ التعطيل، بَلْ هُوَ أَمرٌ بين أمرين، فأصل الكمال والمعنى الكمالي مُتقرِّر لكنَّ بلا أَنْ تقرر الجهات السلبية مِنْ الحدود الإمكانية، وكذا تنفي كُل حيثية لها ربط بالحدوث الإمكاني.

وبالتالي البيان لغةً يجب أنْ يكون مشتركاً بين الكائنات الأرضية

مطلب هام ذي صلة بالمقام والملكوتية، وبين عالم المثال وعالم العقل والعالم

والسهاوية والدنيوية والملكونية، وبين عالم المثال وعالم العقل والعالم الربوبي و ... الخ.

وملخص هَذَا: هل يحتاج إلى لغة مشتركة بين الخالق ومخلوقاته أو بلا لغة تفاهم؟ فإذا كُنّا لا نحتاج إلى لغة تفاهم فصرنا نُغرِّد فِي سرب بعيد عَنْ فَهُمْ العالم الربوبي، وَلَيْسَ عندنا معرفة بالذات الإلهية لا اقل فِي أدنى درجات المعرفة بالعالم الربوبي.

الأقوال أو النظريات في تفسير قاعدة الجري والتطبيق أو التعمير

هُنَاك أقوال وآراء ونظريات مُتعدِّدة في بيان وتفسير قاعدة الجري والتطبيق، إلَّا أَنَّهُ نقتصر عَلَى ذكر أهم قولين أو نظريتين، والبحث حول قاعدة الجري والتطبيق تارةً عَلَى وفق منهج تفسير القُرآن بالقرُآن، أو التفسير الموضوعي الذي انتهجه السيّد العلّامة الطباطبائي المشاري أو صرح منهجه التفسير في كتاب تفسير الميزان، أو التفسير الإشاري أو التحليلي أو اللطائفي وغيرها، ولهذا سنقتصر عَلَى ذكر منهج السيّد العلّامة المبني عَلَى منهج التفسير الموضوعي ونجمله في النظرية الأولى، وأخرى نبحث القاعدة عَلَى ضوء ما اخترناه في منهجنا التفسيري أمومة الولاية عَلَى المحكمات، وَهَذَا ما نُفصِّله في النظرية الثانية، وَهُمَا:

النظرية الأولى: للسيّد العلّامة مُحمَّد حسين الطباطبائي في كتاب الميزان في تفسير القُرآن. وَمِنْ قبله ملا محسن المعروف بالفيض الكاشاني في صاحب الوافي في وملا صدرا في وجملة مِنْ أعلام مفسري أهل السنة وغيرهم ممّن تبنّى هَذِهِ النظرية.

النظرية الثانية: ما سنرسمهُ عَلَى ضوء منهجنا التفسيري المختار وَهُوَ أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن.

النظرية الأولى

اعتمدت نظرية السيد العلّامة الله وَمَنْ تبعه وَمَنْ قبله فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى جملة مِنْ المباني عِنْدَ علماء البلاغة وأصول الفقه فِي قسم مباحث الألفاظ وحاصلها:

أولاً: إنَّ المعنى الذي يُستعمل فيه اللَّفظ هُوَ مدلول أوَّل، أيّ المدلول الاستعمالي كَمَا فِي زيد كثير الرماد فَإنَّهُ قَدْ استعمل المعنى فِي كثرة الرماد فَقَطْ، ثمَّ قَدْ يُراد معنى ثانٍ يُسمّى بالمعنى أو المدلول التفهيمي بأنْ يُفْهِم المقابل أنَّ زيداً كثير الرماد، ثمَّ قَدْ يُراد مِنْ كلا المعنيين الاستعمالي والتفهيمي يُراد معنى جدّي، ولكل واحد مِنْ هَذِهِ المدلولات الثلاثة طبقات وإرادات ومُرادات.

ثانياً: كَذَلِكَ اعتمدت نظرية السيد العلّامة الطباطبائي الله عَلَى أنَّ اللَّفْظ القُرآني استُعْمِلَ فِي معنى عام ولا علاقة لَهُ بمورد الاستعمال وَهُوَ التَطبيق، وما يُذكر مِنْ تأويلات فِي الآيات والروايات عبارة عَنْ مصاديق وتأويل لا تفسير، ولا صلة لَهُ بعالم الدلالة.

وبعبارة أوضح:

إن موارد النزول والتأويل كلها موارد مِنْ شؤون مقام التطبيق لا

مقام الاستعمال، والآثار المترتبة عَلَى هَذَا هُوَ: أَنَّ الأَلْفَاظُ بِالأَصل لَمُ تُوضع إلى المُصاديق وَإِنَّما وضعت للمعاني الكليّة المشتركة بين المصاديق.

وَهَذَا معناه أنَّ المعاني لَمْ توضع إلى خصوص المصاديق المادّيّة ولا المصاديق الله المثال، ولا خصوص مصاديق عالم الآخرة ولا عالم العقل ولا ... الخ بَلْ تشمل الكمالات الموجودة فِي الحضرة الإلهية بحسب نظرية [خذ الغايات واترك المبادئ].

وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الألفاظ ليست فَقَطْ موضوعة للمعاني، بَلْ موضوعة إلى روح المعاني، وألل ما هُوَ أبطن وأعمق مِنْ المعاني.

ثالثاً: إنَّ نظرية السيد العلَّامة الله تختصّ بنظام الاستعمال اللفظي، ولا تَعُمُّ عالم المعاني وعالم الحقائق.

رابعاً: إنَّ التطبيق عالمٌ ومرحلة منقطعة وفي منأى عَنْ عالم الدلالات والمدلولات ولا صلة لها بها، فَإنَّهُ بَعْدَ انتهاء مرحلة الدلالة والمدلول إلى نتيجة معنى معيّن، فيأتي بَعْدَ ذَلِكَ دور مرحلة التطبيق بأنْ يطبّق ذَلِكَ المعنى المعين عَلَى المصاديق، فَإنَّ الصِّلة بين التطبيق وبين مرحلة الدلالات والمدلولات بِهَذَا المقدار: _

إنَّ المعنى النهائي المتحصِّل مِنْ عالم الدلالات عِنْدَمَا يطبق عَلَى المصداق الحارجي فذاك المعنى يطبق، وَعَلَيْهِ فالمعنى هُوَ الرابط والصِّلة، وَإلَّا فخصوصيّات التطبيق ليست لها أيّة صلة ورابط ولا أيّ تضمُّن

خامساً: إنَّ الآيات الَّتِي فيها الخطاب موجَّة إلى شخص أو أشخاص عَلَى مبنى السيد العلّامة الطباطبائي الله تجري فيها قاعدة الجري والتطبيق، فَإِنَّ كُلِّ مِنْ المعنى الاستعمالي والتفهيمي والجدّي للآية لَيْسَ كليّا، إلَّا أنَّهم فسَّروا وفصَلوا مرحلة التطبيق مقابل التنظير، والحال إذا كَانَ التنظير يتضمَّن خصوصية فلا يغاير التطبيق كي يجري المعنى بكليّة وسيعة، فَمِنْ ثَمَّ لا يجري عندهم قاعدة الجري والتطبيق في مثل هَذَا النمط مِنْ الآيات.

وفصلوا بينهما _ مرحلة التطبيق ومرحلة التنظير _ وأنَّ مقام التنظير عَلَى صعيد المعنى التصوري أو التفهيمي أو الجدّي سواءٌ.

فَهُوَ ليست إرادة استعمالية وَإِنَّمَا هُوَ مقام استثمار.

إذَنْ لا صلة للمصاديق بالتنظير بالخطاب القُرآني إرادةً واستعمالاً، حَسْبَ النظرية الأولى، وَلَيْسَ المقصود أنَّهُ لا خطاب موجّه للمصاديق، وَإِنَّمَا الخطاب دائمًا فِي التنظير ويلحظ فيه جانب المدلول الدلالي ورؤية التنظير.

وَهَذَا كُلُّه عَلَى خلاف ما سيأتي فِي النظرية الثانية مِنْ قاعدة الجري

والتعبير وأنَّ مقام التطبيق هُو بمنزلة مرحلة الامتثال وتنجيز الأحكام كعمدة الغاية، ونظير المُقنن للقانون وإنْ لمَ يكن غرضه مصداق خاص، لكنَّ غرضه قائم بوقوع وتحقق المعادلة الكُلية، نعم في التقنين هُو التطبيق عَلَى المصاديق بخصوصياتها وشخصنتها فإنَّها المصاديق بخصوصياتها لمَ تؤخذ فِي التقنين كغاية وَإنَّها الخصوصيات فيها _ المصاديق _ فِي عالم التقنين عَلَى نحو الطريقية.

نعم هَذَا فِي عالم التقنين.

وأمَّا بحسب النظرية الثانية - مختار منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات ـ في قاعدة الجري فَإنَّ الخصوصيات كُلَّها مُرادَة بنحو الجري لا سيّما خصوصيات أهم وأعظم وأخطر المصاديق.

وَهَذِهِ جهة اختلاف بين علم القانون والنظرية الثانية وإنْ اشتركا فِي أنَّ التطبيق هُوَ الغاية العُمدة.

نعم، التطبيق عَلَى المصاديق ولكن لا بشخصنتها وخصوصيتها، فَإِنَّ المصاديق لَمْ تؤخذ عَلَى نحو الموضوعية وَإِنَّمَا عَلَى نحو الطريقية، ويمكن التعدي إلى غيرها أفراداً وزماناً ومكاناً، فذاك متروك للمتخصّصين ولها ضوابط أُخْرَى.

وَهَذَا المقدار مِنْ الفرق تنجم عنه تداعيات كثيرة سوف تتّضح وتتبيّن بَعْدَ ذَلِكَ.

الأقوال أو النظريات في تفسير قاعدة الجري والتطبيق ٦٥

وأمَّا المصاديق حسب النظرية الأولى في قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، لمَ تؤخذ في بصيص عالم التنظير، وَإنَّما عالم التنظير هُوَ تمام محض إرادة استعمالية أو تفهيمية أو جدِّية، وأمَّا المصاديق والأفراد فليست منظورة.

تميز حقيقة المدلول الاستعمالي عن الجدي:

تنبيه هام: لَعَلَّهُ يحصل خلطاً واشتباهاً عِنْدَ البعض فِي التطبيق بين المدلول الإستعمالي والمدلول الجدّي وحاصله:

كيف يُراد المعنى بإرادة استعمالية وَهُوَ لَيْسَ مُراداً بإرادة جدّية، وَهَٰوَ لَيْسَ مُراداً بإرادة جدّية، وَهَٰذَا خلطٌ واضحٌ، إذْ مِنْ الواضح أنَّ الإنسان عنده عِدَّة إرادات، فمثلاً لا يخلو الإنسان مِنْ إحدى حالتين: إمَّا مُتكلِّم أو غَيْر مُتكلِّم، فَهُوَ عَلَى الفرضين لَهُ إرادات مُتعاقبة فمثلاً: _ يذهب زيد إلى السوق وعنده إرادات عِدَّة:

١ ـ إرادة شراء اللحم مِنْ القصّاب مثلاً. إرادة أولى.

٢ _ العودة إلى البيت. إرادة ثانية.

٣ ـ وضع اللحم في مكان بارد لأجل الحفاظ عَلَيْهِ مِنْ التفسّخ ـ إرادة ثالثة.

٤ _ ليطبخه في اليوم التالي للضيوف _ إرادة رابعة.

إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الإرادات المختلفة وَعَلَى طبقات، وَهَذِهِ الإرادات

7٦...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات -الجزء الثاني المُتعاقبة هِيَ إعدادية وتمهيدية ومُتوسّطة لأجل أنْ تصل إلى الإرادة النهائية، وَهِيَ تقديم خدمة الضيافة للضيوف، وَهَذِهِ الإرادة النهائية هِيَ إرادةٌ جدّيةٌ، وينبغى الالتفات إلى أنَّهُ مِنْ الواضح: - أنَّهُ لَيْسَ كُلّ إرادة ولو

كانت إعدادية ومتوسطة للإرادة النهائية هِيَ إرادة إحكام وجدِّ كالإرادة النهائيّة؛ لِأنَّ طبيعة الإنسان فيها إرادات مُتعاقبة يتلو بعضها البعض ويقوّي بعضها البعض، مثلها الإرادات الإعداديّة عَلَى طبقات كَذَلِكَ الجدّيّة عَلَى طبقات.

 ماذا تريد تقديم الخدمة للضيوف؟ إرادة خامسة مثلاً، جزاءاً لضيافتهم سابقاً.

٦ ـ ولماذا تريد جزاء الإحسان بالإحسان؟ إرادة سادسة كي لا أَدَمُ.

 ٧ ـ ولماذا تريد أنْ لا تُذَمَّ؟ إرادة سابعة، كي أكون حسن السمعة وطيّب الأخلاق.

٨ ـ ولماذا تريد أنْ تكون حسن السمعة وطيّب الأخلاق؟ إرادة ثامنة. كي أثاب في الآخرة.

وهكذا إرادات مختلفة ومتفاوتة في الشِّدّة والضعف، ولا يعني هَذَا أَنَّ الإرادة الضعيفة ليست بإرادة، وأنَّ هُنَاك إرادةٌ أقوى منها، وضعف الإرادة لا يزلزل سبق الإرادة عَلَى الإرادة.

وهكذا الكلام في الإرادات الاستعالية المتعددة، فمثلاً عِنْدَمَا يُقَال لَهُ يُطعن بشخص زيد وَيُقَال إنَّهُ بخيل وَهُوَ كاذب في طعنه، فَعِنْدَما يُقَال لَهُ زيدٌ كثيرُ الرماد، وكثرة الرماد كناية عَنْ كرمه، ولا تنحضر بكثرة الطبخ المستلزمة لكثرة الضيوف، وَإنَّما كثرة الرماد كناية عَنْ الكرم حَتّى في مثل الشخص عِنْدَمَا يهب أغنامه أو أمواله إلى شخص آخر أيضاً يُقَال عنه إنَّه كثير الرماد، وَهَذَا المتكلم أراد أنْ يُفهم الشخص الآخر أنَّ زيداً لَيْسَ ببخيل فَهُنَا اختلف المراد الاستعالي عَنْ المراد التفهيمي عَنْ المراد الجدي إرادات تتلو بعضها البعض، وعَلَيْهِ فَقَدْ تكون فِي البين إرادات استعالية متعددة تختلف عَنْ بعضها البعض.

ومثال ثالث عَلَى اختلاف وتعدّد الدلالات، الاستعمالية والتفهيمية والجدّية ـ ما حكماه لنا القُرآن فِي قصة يوسف اللهِ عِنْدَمَا أَمَرَ يوسف اللهِ مَنْ يخاطب أخوته ﴿ أَيَتُهَا الْعِيرُ إِنّكُمْ لَسَرْوُونَ ﴾ (ا) فالدلالة الاستعمالية في الآية أنّهُ للهِ استعمل كلمة (سارقون) ـ وسارق: ـ اسم فاعل واسم الفاعل يجري عَلَى حركات وسكنات وزمان المضارع ـ فكأنّا الآن سرقوا وانصرف الاستعمال إليه، والإرادة التفهيمية هِيَ إرادة يوسف اللهِ ولو بواسطة جواب مَنْ يأمره يوسفه اللهِ بذلك، عِنْدَمَا قالوا: أخوة يوسف اللهِ ماذا تفقد قَالَ يوسف اللهِ نفقد صواع الملك ـ وَهُنَا أخوة يوسف عِنْدَمَا عبروا بـ (تفقدون) عَنْ السرقة ـ بينما الجواب الذي أخوة يوسف عِنْدَمَا عبروا بـ (تفقدون) عَنْ السرقة ـ بينما الجواب الذي

⁽١) سورة يوسف: الآية ٧٠.

صدر مِنْ يوسف اللهِ ولو بتوسط مَنْ يأمره _ أَفْهم يوسف اللهِ إخوتَه أَنَّ الفعل (فُقِدَ) هُوَ سرقة الاصواع هَذَا عَلَى مستوى الإرادة التفهيمية الخديّة.

وأمَّا المراد الجدِّي ليوسف التَّلِهِ مِنْ كلمة (فُقِدَ) لَيْسَ السرقة وَإِنَّمَا هُوَ عدم وجود الصواع فِي مكانه ووجوده فِي مكان آخر الله أعلم به.

وَمِنْ هَذَا تحصّل أنَّ المراد الاستعمالي شيء، والتفهيمي شيء آخر، والجدّي شيء ثالث وَكُلِّ واحد مِنْ هَذِهِ الدلالات الثلاث لها طبقات.

والخلاصة: وَعَلَيْهِ فتعدُّد وتعاقب الإرادات باب وسيع؛ لِإنَّهُ فِي الكلام توجد مُرادات مُتعددة مُتعاقبة يتلوّ بعضها البعض، ولا يُتوَّهم أنَّ الإرادات الإعدادية والتمهيدية مِنْ الاستعمالية بطبقاتها والتفهيمية كَذَلِكَ إِذَا لَمْ تطابق وتوافق الدلالة الجديّة النهائية أنّها ليست إرادات، وَإِنَّمَا هُوَ إِراداتٌ تمهيدية موجودة.

تنبيه: هُنَاك أمران ينبغي التنبيه عليهم في قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير وأخذهما بنظر الاعتبار وَهُمَا:

الأمرُ الأوَّل: إنَّ أوَّل مَنْ كشف عَنْ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير هُوَ القُرآن الكريم والروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت المَّكِلُ، والذي نُريد التنبيه عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ جميع الآيات وإنْ كَانَ الخطاب فيها موجّهاً لشخص المُخاطب ومُصَرَّحٌ باسم المُخاطب كَمَا فِي قوله تَعَالَى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ﴾ أو ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَنْمُوسَىٰ ﴿ ﴾ أو ﴿ يَنْ يَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَنَبِ بِقُوَّةٍ ﴾ ﴿ يَكْعِيسَىٰ ﴾ أو ... الخ، وهكذا الروايات الخاصُّ عَلَيْكُ الْمُصَرَّح بها اسم المخاطب وشخصه مثلاً: _ يا هشام أو يا زرارة يا أبا بصير أو ... الخ، فَإِنَّهُ يمكن أنْ يعبّر بالخطاب مِنْ شخص المخاطب المصرَّح به في الآية القرآنية أو الرواية إلى موارد أُخْرَى، وكذلك الموارد الأُخْرَى الَّتِي يُميّز عُبِرَ إليها هِيَ الأُخْرَى ليست مُراداً نهائياً وَإِنَّمَا يُوجِد مُراد بعدها وما وراءها؛ لِإِنَّهُ تَقَدَّمَ إِذَا نزلت بَعْض آيات القُرآن فِي شخص أو واقعة معيّنة واقتصر عَلَيْهَا ثمَّ انقضي أو مات مَنْ نزل فيه أو ... فتموت الآية بموته أو تنقضي الآية بانقضائه إذَنْ لمات القُرآن، كَمَا في الرواية المُتقدِّمة ... الحسين بن مُحمَّد الأشعري عَنْ المعلّي بن مُحمَّد عَنْ مُحمَّد بن جمهور عَنْ ... عَنْ أبي بصير قَالَ: _ قلتُ لأبي ماتت الآية مات الكتاب، ولكنّه حيٌّ يجري فيمن بقى كَمَا يجري فيمن

الفرق بين المعنى التنزيلي والمعنى التأويلي والاستعمالي: الأمر الثَّانِي: هُنَاك فرق بين أنْ تكون ألفاظ الآية مِنْ أوَّل الأمر مستعملة فِي تشخّصات مصداقية خاصّة ثمَّ نريد التعدّي مِنْ ذَلِكَ المعنى

⁽١) أصول الكافي: ج١، ص١٩٢ ح٣؛ تفسير الثقلين للعروسي: ج٣، ص٤١٧ ح٢٢.

٧٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني المشخّص الاستعمالي إلى معاني أُخْرَى.

وبين أنْ يُقَال: أنَّ المعنى الاستعمالي مِنْ أوَّل الأمر استعمل في معنى عام، وتكون موارد النزول تطبيقات لذلك المعنى فيكون التأويل في المعنى والنمط الأوَّل - مِنْ عالم الدلالة ولو الالتزامية وَمِنْ شؤون المعنى ولو تبعاً. بينها التأويل في النمط الثَّانِي - العام - وفقاً للنظرية الأولى في قاعدة الجري لا صلة لَهُ بعالم الدلالة بَلْ مِنْ الشؤون المتمحضة بالتطبيق، وَهَذَا ما يُفسِّره البعض بتأويلات القُرآن، ويلتزم به حَتى مثل السيد العلامة الطباطبائي الله بأنَّ تأويلات القُرآن عبارة عَنْ انطباقات ومصاديق انطباقية تتعاقب للمعنى العام للآية، هَذَا هُوَ معنى التأويل الذي يكون عبارة عَنْ تطبيقات مُتعاقبة مصداقية للآية.

وَعَلَى هَذَا فيكون المعنى المُراد بالتأويل: شيء خارج نطاق مراحل الدلالة عَلَى ما يُصَرَّح به السيد العلّامة الطباطبائي وأنَّ تفسير مثل قوله تَعَالَى ﴿ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ ، ﴿ الله الله القُرآن هُوَ وقوع خارجي وشيء حادث لا صلة لَهُ بعالم الدلالة والمدلول وما شابه ذَلِكَ.

إنَّمَا المدلول العام للآيات والسور ينطبق عَلَيْهِ لا أَنَّهُ مِنْ أصل اللَّفْظ والدلالة استعملت فِي تلك الماهيّات أو مفاهيم تلك المصاديق وغيرها، وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ التأويل لا صلة لَهُ بمعاني القُرآن، ولا أقل لا

⁽١) سورة الأعراف: الآية ٥٣.

الأقوال أو النظريات في تفسير قاعدة الجري والتطبيق٧١

صلة لَهُ بعالم الاستعمال اللفظي فِي القُرآن، ويكون التأويل مقابل التنزيل، وتكون صلة التأويل فَقَطْ بعالمَ الحقائق للقُرآن، وَعَلَى هَذَا يكون النزول مورداً تطبيقياً للمعنى الاستعمالي الذي استعمل في معنى عام مِنْ أوَّل الأمر، ويكون المعنى التنزيلي لَيْسَ معنى استعمالياً للآيات، وَإِنَّمَا يكون ـ المعنى التنزيلي ـ معنى المصداق تنزيلاً، والمعنى التأويلي يكون معنى المصداق وتطبيق آخر خفيٍّ آتٍ مستقبلاً.

وَهُنَاكَ فرق بين التعبير بـ [هَذَا اللَّفْظ هكذا تنزيله] وفق النظرية الأولى الَّتِي يتبناها السيد العلّامة الطباطبائي الله وبين التعبير [هَذَا اللَّفْظ تنزيله هكذا].

أمَّا معنى التعبير الأوَّل: هكذا تنزيله: _ أيَّ المعنى الذي نزلت فيه الآية المباركة، فمثلاً قوله تَعَالَى ﴿وَسَيَعْكُمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(١) بتقريب: _ أنَّ المعنى الذي نزلت فيه الآية المباركة هُو بيان مظلوميّة آل محمَّد وأنَّ الظالم لآل محمَّد سيعلم كيف تنقلب عاقبته، وَلَيْسَ المراد المعنى الذي استعملت فيه الآية المباركة بَلْ المُرَاد هكذا تنزيله.

وبعبارة أُخْرَى: أنَّ المصداق التنزيلي الذي طُبِّقت عَلَيْهِ الآية الْمباركة فِي بدء نزولها هُوَ هَذَا المعنى، وَلَيْسَ المُراد لفظ الآية أيّ لفظ التنزيل، فَإنَّ هَذَا المعنى لَيْسَ داخلاً فِي شأن اللَّفْظ وشأن المعنى.

⁽١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

وَهَذِهِ ثمرةٌ لطيفةٌ وجيّدَة عَلَى مبنى السيد العلّامة الطباطبائي السيد العلّامة الطباطبائي النظر النظرية الأولى القائمة عَلَى عزل مقام التنظير عَنْ التطبيق، مَعَ غضّ النظر عَنْ الانتقادات الموجّهة إلى هَذِهِ النظرية.

إذَنْ اللَّفْظ فِي الآيات والسور استُعْمِلَ فِي معنى كُلَّي أُريدَ مِنْهُ استعهالاً تفهيمياً جدّاً، وَهَذِهِ أحد الثمرات المُهمّة لتفسير قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، الَّتِي ذكرها الأعلام السابقون مِنْ المتقدّمين، أمثال الشَّيْخ المفيد وغيره، وَمِنْ المُتأخّرين أمثال الشَّيْخ جعفر كاشف الغطاء الشَيْخ وحاصل ما ذكروه:

إنَّ المعنى المصداقيّ الذي نزلت فيه الآية أوَّل التنزيل والتطبيق، وأنَّ الآية لها معنى كُلِّي وألفاظ كُليَّة طُبقت فِي هَذَا المصداق، فَهَذَا هُو مُرادهم مِنْ التعبير [هكذا تنزيله]، وَلَهُ ثمرات كثيرة تظهر فِي الروايات الموجودة فِي المصادر الحديثية القديمة والمُتأخّرة الَّتِي يظنّ بها غيرالمتضلع فِي العلم أنَّ هَذِهِ روايات تحريفٍ، وَهِيَ ليست كَذَلِكَ وَكَهَا يظنّ.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا: _ يكون معنى [هكذا تأويله] عَلَى حسب النظرية الاولى هُوَ: إنَّ المعنى المصداقي الذي ستؤول إليه الآية الشريفة، والآية لها معنى عام تجري عَلَيْهِ انطباقاً كالقالب الذي تخرج مِنْهُ قوالب متعددة _ وَلَيْسَ هَذَا تصرّف فِي نطاق الدلالة والمدلول _ وَعَلَيْهِ فالتشنيع الذي يحصل مِنْ غَيْر المتضلّعين فِي العلم مِنْ الموافقين والمخالفين بأنّه كيف تكون الرواية الواجدة فيها أكثر مِنْ معنى، ويظهر لهم أنَّ هَذِهِ

الأقوال أو النظريات في تفسير قاعدة الجري والتطبيق ٧٣

الرواية فيها تحريف، ولكنَّ الصحيح هُوَ أنَّ هَذِهِ الروايات ليست فِي صدد بيان ألفاظ المصحف الشريف، وَإنَّما هِيَ فِي صدد تبيان المصاديق المُهِمَّة الَّتِي هِيَ مورد نزول الآيات أو مورد الانطباق المستقبلي للآيات.

وأما معنى التعبير بـ [اللفظ تنزيله هكذا]:

فيراد منها: أنَّ ألفاظ التنزيل هِيَ مُشتملةٌ عَلَى اللَّفْظ الكذائي أو العنوان الكذائي، فَهِيَ مُرتبطة بقالب اللَّفْظ النازل.

وَعَلَى هَذَا فَمَا قَدْ يُقَالَ مِنْ التحريف اللفظي فيكون فِي النمط الثَّانِي ـ تنزيله هكذا ـ لا النمط الأوَّل ـ هكذا تنزيله. وبذلك يظهر أنَّ ما تُوِّهِمَ مِنْ كون كثير مِنْ الروايات هِيَ مِنْ روايات التحريف تَوَّهُماً فاسداً، إذْ لَيْسَ هِيَ فِي صدد مورد التنزيل، وَهَذَا لَيْسَ هِيَ فِي صدد مورد التنزيل، وَهَذَا ما نبّه عَلَيْهِ الشَّيْخ المفيد (۱) والشَّيْخ جعفر كاشف الغطاء الله وَمِنْ ثمَّ يتضحُ أنَّ ما جعمه الميرزا النوري مِنْ روايات فِي كتابه فصل الخطاب، حلَّهُ مِنْ النمط الأوَّل ـ هكذا تنزيله ـ عدا رواية واحدة مقطوعة النسب والمصدر وَهِيَ رواية كتاب بُستان.

بيان موقف:

النتيجة الثمينة الَّتِي تَوَّصلنا إليها هُوَ: _ أنَّ النظرية الأولى الَّتِي تَبَّاها السيد العلَّامة الطباطبائي الله في منهجه التفسيري الموضوعي

⁽١) الشيخ المفيد في أوائل المقالات.

٧٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

للقرآن الكريم، لا نرفضها تماماً ولا نقبلها تماماً، وَإِنَّمَا نُفَصِّلُ فيها، ولا نقول أنها نتيجةٌ سيَّالة، وَإِنَّمَا هِيَ تنفع فِي موارد كثيرة: _ منها رفع الالتباس عَنْ كثير مِنْ الروايات الَّتِي توِّهَمَ أَنَّ مفادَها تحريف القُرآن مَعَ أَنَّا فِي صدد بيان مورد التنزيل لا اللَّفْظ النازل.

خواص ومميزات النظرية الأولى

التي تبناها السيد العلامة الطباطبائي

أحد أهم خواص هَذِهِ النظرية: _ إنَّ المصاديق الَّتِي تُذْكر كتطبيقات لعاني كليّة للكلام تتّصف بوصفين أو أنَّ المُراد التطبيقي لَهُ تفسيران: _

التفسير الأوَّل: أنَّها أيّ المصاديق مُرادَة جدّاً.

التفسير الثَّاني: ليست مُرادَة جدَّداً.

فها معنى ذَلِكَ؟

أَمَّا التفسير الأوَّل: أنها مُرادة جداً _ أيّ أنَّ المصاديق مُرادَة بمعنى أنَّ الجهة العامّة المُتكرِّرة أو المشتركة بين المصاديق هِيَ مُرادة، فمثلاً قوله تَعَالَى ﴿ وَسَيَعَلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِمُونَ ﴾ (١).

بتقريب: إنَّ ظُلم لأيِّ مظلوم هُوَ بيان لجهة عامّة ومُرادة أيّ جنبة (أيّ منقلب ينقلبون) باتِّجاه أيّ ظالم فيها صنعه واتّجاه أيّ مظلوم كطبيعة عامّة وكمغزى عام، فَإنَّ هَذَا مُرادٌ فِي كُلّ المصاديق، بخلاف الخصوصيات فَهيَ غَيْر مُرَادة.

وأمَّا التفسير الثَّانِي: المصاديق ليست مُرادة جدّاً، أيّ أنَّ المتكلم لَمْ

⁽١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

يلحظ الخصوصيات في ألفاظ كلامه، ولا في المعنى الاستعمالي ولا التفهيمي ولا الذهني ولا الجدّي، كَمَا يُدَّعى في هَذِهِ النظرية ـ الأولى ـ أنَّ قوله تَعَالَى ﴿ فَسَعَلُواْ أَهَلَ اللّهِ كُرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعَامُونَ ﴾ (١) أنَّ أهل البيت المَيْكُ ليسوا معنيين في هَذِهِ الآية بنحو الإرادة الجدّية والاستعماليّة، وَإِنَّما هُمْ مصاديق لما هُوَ مُرادٌ، فكون الرسول هُوَ الذكر فِي قوله تَعَالَى ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللّهُ وَلَا يَنْلُوا ﴾ (١) لا يعني كون هَذِهِ مِنْ خصوصيات الاستعمال، ولا مِنْ خصوصيات الاستعمال، ولا مِنْ خصوصيات المعنى التفهيمي، ولا المُراد الجدّي، بَلْ هِي محض مصداق تطبيقي وإنْ كَانَ هُوَ مِنْ أعظم المصاديق.

الخلاصة: مِنْ هَذَا أَنَّ الجهة العامّة فِي المصاديق مُرادة، وأمَّا الخصوصيات للمصاديق أيّ الجهة الخاصّة فَهِيَ غَيْر مُرادة.

التفسير الثَّانِي: الإرادة والتطبيق.

هُنَاكَ تفسير آخر للمصاديق المُرادة وَغَيْر المُرادة، وَذَلِكَ:

المصاديق المُرادة: _ غاية الكلام المعتبرة هِيَ التطبيق، أو التنظير فَقَطْ، وليست الغاية غاية استعماليّة أو تفهيمية، أو جديّة أو دلالية أو ... النح وَإِنَّمَا الغاية المقصودة: _ هُوَ أَنَّ غرض المُتكلِّم وما شابهه هُو الذي يدفع المخاطب للتطبيق، فَإِنَّ التطبيق غاية وغرض للمُتكلِّم حَتّى التطبيق عَلَى الخصوصيات، وإنْ لَمْ تكن غاية مِنْ الغايات قَدْ دخلت فِي التطبيق عَلَى الخصوصيات، وإنْ لَمْ تكن غاية مِنْ الغايات قَدْ دخلت فِي

⁽١) سورة النحل: الآية ٤٣.

⁽٢) سورة الطلاق: الآية ١٠_١١.

خواص ومميزات النظرية الأولى

نطاق الكلام لكنّها بالتالي غاية ما وراء الكلام سواء افترضنا أنَّ هَذِهِ الغاية وقعت بجملة خبرية أو إنشائية.

وسواء افترضناها في آيات الأحكام _ فقه الفروع _ أو آيات المعارف الَّتِي هِيَ أخبار عَنْ حقائق أو في الأمثال أو المواعظ أو في أي باب مِنْ الأبواب الغائية لأبواب استعمالات الفاظ القُرآن، فمثلاً: _ باب الإنشاء في مثل الآية المباركة ﴿ فُوا أَنفُسَكُم وَأَهْلِيكُم نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (١) فإنَّ التعبير بفعل الأمر (قُوا) دالُّ عَلَى الإنشاء لَهُ غايةٌ، وغرض الباري تَعَالَى في المقام هُو توجيه الخطاب للناس والتحذير مِنْهُ.

أو جملة خبرية كَمَا فِي الآية المباركة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدُٰلِ وَٱلْإِحْسَاٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَ ﴾(٢).

بتقريب: عَلَى ضوء _ النظرية الأُولى _ للسيد العلّامة الطباطبائي الله فَإِنَّ أَوْل _ للسيد العلّامة الطباطبائي الله فَربى أقرب مصداق لقربى الْنَبِي عَلَيْكُ وأوصى بهم جميع البشر ليراعوا حرمة قربى النَبِي عَلَيْكُ وإنْ كَانَ هُنَاك آيات كثيرة حول الترحم والقربى في القُرآن، ولكن الترحم الذي يتأكّد الإيصاء بها هِيَ رحم الوالدين ﴿ وَبُالُولِدَيْنِ إِحْسَنَا ﴾ (٣) فَهُنَاك مصاديق كثيرة للوالد: _ والدُّ وَلَدَ بدنك ووالد ربّاك ورعاك ووالد هداك ووالد نور جوهر روحك الذي يعلمك ويوجد لديك

⁽١) سورة التحريم: الآية ٦.

⁽٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

⁽٣) سورة البقرة: الآية ٨٣.

٧٨...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

العلم الذي يحييك ولكن بأي حياة؟ وإنْ كَانَ العلم حياة والجهل ممات، هل بحياة الروح يحييك أم بشيء آخر، وحياة الروح أعظم ووالد الروح أولى بالوالديّة مِنْ والد حياة البدن، فَإنَّ حياة البدن شيء وحياة الروح شيء آخر هون أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِيَ إِسْرَةِ يلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا شيء آخر هون أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِيَ إِسْرَةِ يلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا هذا بعقريب: _ إنَّ التأويل الأعظم لإحياء الروح هُو هداها، ولماذا الهداية أعظم؟ بيتقريب: _ إنَّ التأويل الأعظم لإحياء الروح هُو هداها، ولماذا الهداية أعظم؟ لإنه ببركة العلوم تحيى الأرواح والعقول والنفوس. كَمَا فِي رواية الشَّيْخ الطوسي بإسناده عَنْ علي بن الحكم، عَنْ أبان بن عثمان عَنْ فُضيل بن يسار، قَالَ: قلتُ لأبي جعفر اللهِ قول الله عز وَجَلَّ فِي كتابه: هو مَنْ أخرجها أَخيكا أَلنَّاسَ جَمِيعًا هُ قَالَ: مِنْ حَرْق أو غَرْق: قلت: فَمَنْ أخرجها مَنْ ضَلال إلى هُدَى؟ قَالَ ذَلِكَ تأويلها الأعظم (٢).

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ الآيات وغيرها تكون لها تطبيقات وليست داخلاً فِي المعنى.

⁽١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

⁽٢) الكافي: ج٢، ص١٦٨ ح٢.

النظرية الثانية في قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير

ذكرنا النظرية الأولى في قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير وَقَدْ تقدّمت وَهَذِهِ هِيَ النظرية الثانية في القاعدة المبحوثة وَالَّتِي فهمناها ونتبناها عَلَى ضوء منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات في القُرآن، مِنْ بيانات أهل البيت المُثِلِاً.

وقبل الخوض بتفاصيل النظريّة الثَّانية نذكر مُقدِّمة تحت هَذَا العنوان:

قاعدة الجري والتطبيق (أو التعبير)

لا تختص بنظام الاستعمال اللفظي:

ننطلق في بحث قاعدة الجري مِنْ نفس تحدث القُرآن عَنْ نفسه ﴿ قُل لَوْكَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَنتِ رَقِي لَنفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلُ أَن لَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِي وَلَوْجِنْنَا بِمِثْلِهِ عَمَدُنا ﴾ (١) وقوله تَعَالَى ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقَلَكُمُ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُهُ وَمَن مَن مَدَدًا ﴾ (١) وقوله تَعَالَى ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقَلَكُمُ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُهُ وَمُ اللهِ مِنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَزِيزٌ حَكِم مُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُو

تبيّن مِنْ خلال الأبحاث السابقة أنَّ قاعدة الجري كيف لها سعة وبيان سعي لا تقتصر عَلَى علم التفسير بَلْ تتجاوزه إلى جملة علوم القُرآن، وكذلك

⁽١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

⁽٢) سورة لقيان: الآية ٢٧.

٨٠ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

لَيْسَ مختصة بنظام الاستعمال اللفظي في القُرآن ولا يمكن حصرها به، بَلْ تشمل نظام المعاني في القُرآن أيضاً، سواء بدرجة الإشارات لمعاني القُرآن، أو بدرجة لطائف معاني القُرآن أو تعبير القُرآن بَلْ يمكن أنْ نقول أنَّ قاعدة الجري والتطبيق تشمل نظام حقائق القُرآن، وَهَذَا بخلاف القول المعروف الآن في قاعدة الجري وأنمّا مختصة فَقَطْ بقواعد نظام الاستعمال اللفظي في القُرآن.

إلفات نظر: تَقَدَّمَ فِي بحث القاعدة الأولى فِي نظام الاستعمال اللفظي فِي القُرآن وَهِيَ قاعدة التعريض، وأنَّها ليست مختصة بنظام الاستعمال اللفظي وَإنَّها تعم نظام المعاني ونظام الحقائق وأنَّ قاعدة التعريض تتشعب منها قواعد أُخْرَى لقاعدة الالتفات، وقاعدة استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ معنى، وقاعدة إيّاك أعني واسمعي يا جارة وقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير ... الخ.

والذي نُريد إلفات النظر إليه هُوَ أَنَّهُ هُنَاكَ جَملة مِنْ قواعد نظام الاستعمال اللفظي فِي القُرآن الكريم لها سريان فِي نظام الاستعمال المعنوي فِي القُرآن، ونظام حقائق القُرآن.

وَعَلَيْهِ يمكن تَسْرية قواعد الاستعمال اللفظي إلى قواعد نظام المعاني بشيء مِنْ التشفيف واللطافة وقلع القشور طبق موازين وضوابط بحسب ما نشاهده في الآيات والروايات، بها يتعَدّى ويشمل علم التأويل واللطائف والإشارات والتعبير وترجمان القُرآن، بَلْ وتسري إلى

بحسب ضوابط وموازين تنضبط بها هَذِهِ العلوم الكبيرة مَعَ التعدّي إليها بحسب ما وقفنا عَلَيْهِ فِي الآيات والروايات.

وَهَذِهِ أَيضاً مزيَّة أُخْرَى يتصف بها منهجنا التفسيري فِي أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن الكريم، كمنظومة ذَاتَ طبقات ونُظُم عَنْ باقي المناهج التفسيرية، وإنْ كَانَ لها دورٌ فِي تفسير علوم القُرآن.

والمهم الذي ننتهي إليه، أنّه عُلِمَ مما تَقَدَّمَ ذكره مِنْ قواعد فِي النظام الأوَّل ـ نظام الاستعمال اللفظي ـ لا يختص به ويتعداه إلى غيره، وكذلك هِيَ غَيْر مختصة بعلم التفسير، بَلْ يتعدّاه إلى غيره مِنْ سائر العلوم الدينية، ولكن كُلّ ذَلِكَ التعدّي يحتاج إلى تشفيف وتلطيف فحينئذٍ لا مانع مِنْ أَنْ تكون هَذِهِ القواعد قواعداً وموازيناً لعلوم أُخرَى.

ولذا نجد كثيراً مِنْ العُلَمَاء والباحثين فِي علم التفسير مثلاً يخشون الولوج فِي علم التأويل لأنَّهم لا يحيطون خُبْراً بقواعِده وموازينه.

وكذلك تَقَدَّمَ أنَّ علوم القُرآن مِنْ التفسير و التأويل والإشارة واللطائف والتعبير والترجمان وغيرها هِيَ ليست فِي عَرَضٍ واحدٍ، بَلْ هِيَ علوم بعضها فوق بَعْض ببركة قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، ولكن حسب النظرية الثانية فِي الجري بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات في القُرآن بشرط عدم التصادم بينها، لا عَلَى ضوء النظرية الأولى القائلة باختصاص هَذِهِ العلوم والقواعد بعلم التفسير فَقَطْ.

وَعَلَى أَيِّ حَالَ فَإِنَّ سَرِيَانَ قُواعَدَ العَلُومُ مِنْ عَلَمَ لآخر يُحَتَاجَ إِلَى شَيْءَ مِنْ التَلْطَيْفُ والشَّفَافَيَةً وَهُوَ أَمَرٌ فِي غَايَةً الأَهْمِيَّة، وأَنَّ قُواعَدُ النَّظُمَةُ الثَّلاثةُ عَلَى وفق منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشاجات فِي القُرآن الكريم هِي دائماً فِي حركة وجريان لا الجمود عَلَى نظام مُعيِّن.

وَهَذَا مَا يُشير إليه الإمام الرضاطي ﴿ إِنَّمَا يُعْلَمُ بِمَا هَا هُنَا بِمَا هَا هُنَاكُ».

بتقریب: _ إنَّ الإمام اللهِ يرید الإشارة إلی أنَّ ما بین الظاهر والباطن دائمًا حالة توافق و تطابق، وأنَّ حالة التطابق هَذِهِ بین كُلّ طبقات الظاهر مَعَ كُلّ طبقات الباطن، ولكن هَذَا التطابق إنَّما يُفطن إليه باللطائف تطابقاً حقیقیاً بُرهانیاً، وَهَذَا هُوَ الذي استعرضته سورة الكهف والحوار الذي دار بین العبد الصالح الخضر اللهِ وبین النبیّ موسی اللهِ فَإنَّ ما قام به الخضر اللهِ عَلَی وفق العلم الباطن، وربها یترائی فی الوهلة الأولی أنَّهُ مُخالف لظاهر الشریعة، ولكن بَعْدَ تبیان الخضر اللهِ لحقیقة الأفعال الَّتِی ارتكبها أنَّها طبق موازین الظاهر بالدِّقة تماماً، إلَّا أنَّ التطبیق لتلك الموازین خفیٌّ جدّاً، وقد كشفه الخضر اللهِ للنبی موسی اللهِ بنحو لا لتلك الموازین خفیٌّ جدّاً، وقد كشفه الخضر اللهِ للنبی موسی اللهِ بنحو لا

النظرية الثانية فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير

يتصادم مَعَ موازين الظاهر، وبَيَّنَ لَهُ أنَّ المدار والمعيار عَلَى تلك الموازين الخاهر. لا غَيْر، غاية الامر سعة تطبيقها أوسع مِنْ آليات وموازين الظاهر.

إلَّا أنَّ معرفة حالة التطابق بين الظاهر والباطن ليست بقدرة الجميع، إلَّا مَنْ استطاع أنْ يضبط موازين انضباط الظاهر بالباطن، فَإِنَّ الأمر خطير وحسّاس وصعبٌ؛ لِإنَّهُ قابل للانفلات والتخوّف والتلاعب وغيره، يمكن أنْ يقع في البين، وَهَذَا ما حصل فعلاً بين الْنَّبيّ موسى للطُّلِهِ والسيد الصالح الخضر للطِّلِهِ لو نلاحظ الحوار الذي دار بينهما فِي سورة الكهف ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَاۤ أَبْرَحُ حَقَّ ٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۞ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْمَحْرِ سَرَيًا ١٠٠٠ فَلَمَّا جَاوَزًا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَالِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَلَذَا نَصَبُا ٣٠٠ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَاۤ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَنُ أَنْ أَذَكُرُهُۥ وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ. فِي ٱلْبَحْرِيجَبَا ﴿ وَأَنْ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأُرْتَدًاعَكَى ءَاثَارِهِمَاقَصَصًا الله فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَآ ءَانَيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَكُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا اللَّ قَالَ لَهُ. مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِمْتَ رُشْدًا ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا ﴿ اللَّهُ ﴾ (().

وهكذا الروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت الله كُمَا فِي رواية ابن بابويه قَالَ: _ حدثنا الحسن بن على السُكري، قَالَ: _ حدّثني مُحمَّد بن زكريا الجوهري البَصْري قَالَ

⁽١) سورة الكهف: الآية ٦٠ ـ ٨٢.

بتقريب: إنَّ موسى اللَّهِ أوتي علم الظاهر والشريعة، بينها الخضر اللَّهِ أوتي علم الباطن وَمِنْ المعلوم أنَّ موسى اللَّهِ نبي مِنْ أنبياء أولوا العزم بنصّ القُرآن الكريم وصريحه، إلَّا أنَّهُ فِي بداية الأمر عِنْدَ مرافقته للخضر حصل لَهُ مِنْ إبداء الإنكار و ... وَقَالَ الخضر لموسى اللَّهِ هَذِهِ إرادة إلهية وَهَدَا تأويل ما لمَ تستطع عَلَيْهِ صَبْرًا، وَهُوَ فِي الحقيقة نفس التطابق بين الباطن والظاهر والتفسير والتأويل، وبالتالي سَلَّم موسى اللَّهِ للأمر واقتنع به لما رأى تطابقاً ما بين موازين الظاهر والباطن.

⁽١) سورة الأعراف: الآية ١٢.

⁽٢) الفقيه للصدوق، البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ج٥، ص٤٦_٤٩.

بينها الإمام الصادق الله عَنْ أحوال كثير مِنْ الفرق الباطنية وَلَعَلَّهُ المفضل للإمام الله عَنْ أحوال كثير مِنْ الفرق الباطنية وَلَعَلَّهُ مقصود المفضل بَعْض مَنْ انتسب إلى الخطابية كأبن أبي زينب المقلاص، وَكَانَ المفضل يُعْجب نحوهم وشأنهم وأنَّ المفضل أبلغ عنهم أموراً تروى عنهم كرهها المفضل لهم، مَعَ أنَّ المفضل لمَ يَرَ بهم إلَّا هدياً حسناً وورعاً وتخشعاً، وبدأ الإمام الله بجواب المفضل عَنْ أسئلته ويُفسِّر لَهُ ما التبس عليهم مِنْ أمر هَذِهِ الجهاعة ومقالاتهم، مَعَ أنَّ مقالاتهم في بدو النظر ينطبع منها في الأذهان غَيْر حدود الحقيقة، أيّ ينطبع منها الغلو والإفراط مِنْ التأليه ونحوه واستحلال المحرّمات والتهتك للدين مَعَ أنَّ حقائقها هِي عَلَى غَيْر هَذَا الوجه.

فَقَالَ اللّهِ: _ كتبت تذكر أنَّ قوماً أنا أعرفهم كَانَ أعجبك نحوهم وشأنهم وَأنَّكَ أبلغت عنهم أموراً تروى عنهم كرهتها لهم ... ،ذكرت أنَّك قَدْ عرفت أنَّ أصل الدين معرفة الرجال فوفقك الله، وذكرت أنهم يزعمون أنَّ الصَّلاة والزكاة وصوم شهر رمضان، والحج والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام هُمْ رجال (هُوَ رجل) وإنَّ الطهر والاغتسال مِنْ الجنابة هُوَ رجل، وَكُلُّ فريضة افترض الله عَلَى عباده هُوَ رجلٌ، وأنَّهم ذكروا ذَلِكَ بزعمهم أنَّ مَنْ عرف ذَلِكَ الرجل فَقَدْ اكتفى بعلمه به مِنْ غَيْر عمل ... ويشهدون بعضهم لنَّ مَنْ عرف لبعض بالزُّور، ويزعمون أنَّ لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه فالظاهر ما يتناهون لبعض بالزُّور، ويزعمون أنَّ لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه فالظاهر ما يتناهون

٨٦...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني عنه يأخذون به مدافعة عنهم والباطن هُوَ الذي يطلبون وبه أمروا بزعمهم ... الخ(١).

بتقريب: إنَّ سبب انحراف أمثال هَذِهِ الفرق الباطنية كالخطابية وغيرهم هُو أنَّهم ظنّوا أنَّ هُنَاك تخالف بين الظاهر والباطن - أيّ باطن الدين وظاهره - وَهَذَا ناجم عَنْ سوء فهمهم وخطأ تفسيرهم واشتباه تأويلهم لغوامض المعارف وأسرارهم وأنَّ جملة مِنْ رواة أسرار المعارف وغوامض المعاني عندما وقفوا عَلَى بواطن المعاني وخفايا التأويل، لمُ يُدركوا وَلَمْ يتفطنوا لكيفية الجمع بينها وبين حدود المعاني الظاهرة، وَإلى هَذَا المنشأ كَانَ الإمام الصادق عَنْ الهيشم التميمي، قَالَ: قَالَ أبو بصائر الدرجات في صحيح هشام عَنْ الهيشم التميمي، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله الله الله المنهم التميمي، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله الله الله المنه وكفروا بالباطن فَلَمْ عبدالله الله عنه وجاء قومٌ مِنْ بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر وكفروا بالظاهر فَلَمْ ينفعهم شيء، وجاء قومٌ مِنْ بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً، ولا إيان بظاهر إلّا بباطن ولا بباطن إلّا بظاهر] (٢).

بتقريب: إنَّ الصحيح هُوَ التمسُّك بهما معاً ـ بالظاهر والباطن ـ فَإنَّ الذي يتمسَّك بأحدهما دون الآخر يظن أنَّ بينهما تضارب وتخالف وَهَذَا أوَّل الغفلة والجهل.

⁽۱) بحوث علم الرجال للشيخ محمد السند، ج٣، ص٢١٣ _ ٢١٥؛ عن بحار الأنوار: ج٤/ ٢٨٦ عن بصائر الدرجات.

⁽٢) بحوث في علّم الرجّال، للشيخ محمد السند: ج٣، ص٢٢١ ـ ٢٢٢؛ بصائر الدرجات: ص٥٥٦ - ٥.

كَذَلِكَ مَا نَحْنُ فيه _ وَكَهَا مَرَّ مِنْ أَنَّ علم التفسير والتنزيل لا ينضبط إلَّا بعلم التأويل وكذا العكس _ فَإِنَّ علم التأويل أيضاً لا ينضبط إلَّا بعلم التفسير والتنزيل، وكذلك علم التفسير لا ينضبط إلَّا بعلم تعبير القُرآن، والعكس.

وَعَلَيْهِ فيوجد تشابك وترابط وحبل ممدود بين مختلف المناهج التفسيرية للقُرآن الكريم، بَلْ هُنَاك مواطن جدل لَمْ تنقشع فتنة سحائب تلك المتشابهات وزيفها عِنْدَ المُفسِّرِين إلَّا بعلم التأويل؛ ولذا عَبَّرَ القُرآن الكريم عَنْ اندفاع زيغ وظلمة تلك المتشابهات وانقلاعها بالمحكمات وابتغاء تأويله.

التعبير والترجمان جري ولغة تفاهم

بين العالم الربوبي وعالم المخلوقات:

إلفات نظر: بيّنا في قاعدة الجري والتطبيق (والتعبير) كما مَرَّ لزوم العبور وعدم الإنحباس في الدائرة الضيّقة بأن الألفاظ موضوعة لمعاني، بَلْ قلنا أنَّ الألفاظ الموضوعة لروح المعاني، بَلْ اعتمدنا مبدأ خذ الغايات واترك المبادئ وَلابُدَّ مِنْ وجود لغة تفاهم، وَلَيْسَ المقصود مِنْ اللَّغَة الأصوات وَإِنَّما أعم بين العالم الربوبي والمربوبي تلك أنواعه مِنْ البشر والجن والملائكة وجميع الكائنات المخلوقة، وَإِلَّا كُنّا مُعطّلة فِي أعظم معتقد وَهُوَ التوحيد ـ والعياذ بالله ـ وَهَذِهِ المعاني العالية والأفق المبين

مه تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني عتاج إلى ذهنية وقادة تتوسع لها وليست حبيسه عالم الألفاظ، وَبَعْدَ

عَنَاجَ إِلَى دَهَمِيهُ وَقَادَهُ تَنُوسَعُ لَنَّ وَيَسْتُ عَبِيسَا عَمْ مَا َعَالَمُ وَبَعْتُ عَلَيْهِ وَقَالَ تَعْبَرُ قَنَاطُرُ مَتَعَدِّدَةً وَلَهَا شَفَافَيَةً حَتَّى يَسْتَطَيْعُ إِلَى حَدِّ مَا تَحْدَيْدُ وَلُو مِنْ بَعْدُ هَذَا بحسب الجانب النظري، وأمَّا الجانب العملي فيحتاج إلى توفيق خاص وعناية خاصة مِنْ الباري عَزَّ اسمه.

أوسعية تعدد المعاني بمقتضى النظرية الثانية

هل تستوعب نظرية السيد العلامة الطباطبائي بيانات أهل البيت المَيِّكُ فِي خصوص قاعدة الجري والتطبيق أو لا؟

نذكر جملة مِنْ المؤاخذات والإشكالات عَلَى نظرية السيد العلامة الطباطبائي، وَمِنْ قبله الفيلسوف الشيعي ملا صدرا ـ صدر المتألهين الله عسن الكاشاني صاحب الوافي الله وغيرهم في تفسيرهم لقاعدة الجري والتطبيق (۱).

الإشكال الأوَّل: أوسعية تعدد المعاني بمقتضى النظرية الثانية دون النظرية الأولى، يمكن أنْ يُقَال بالنفي وأنَّ نظرية السيد العلامة في قاعدة الجري وا لتطبيق لا تستوعب بيانات أهل البيت المُثِكُ، فَهِيَ لا تستوعب خاصية: ولكل قوم اية يتلونها وهم منها من خير اوشر (٢) بتقريب: إنَّ

⁽١) بذكرنا لهذه المؤاخذات والإشكالات على نظرية السيد العلّامة الله في قاعدة الجري والتطبيق لا يعني أننا لا نُقيِّم ونثمن إيجابيات هؤلاء الأعلام (قدس الله أسرارهم) من المفسرين ولكن نقول هذا المقدار من تفاسيرهم لقاعدة الجري والتطبيق لا يعكس الحقيقة بهذه القاعدة الشريفة والعظيمة.

⁽٢) اعتقادات الامامية للصدوق: ٨٦

. ٩ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

بيانات أهل البيت الملكِ تفيد: _ أنَّ كُلّ آية مِنْ آيات القُرآن الكريم مهما كَانَ موضوعها فَهِيَ ذا صلة بكُلِّ إنسان إنسان وبِكُلِّ فرد فر فِي كُلّ حالة مِنْ حالاته وفي كُلّ يَوُم أو آن مِنْ أيامه وآناته الزمانيّة، وَهَذَا معناه أنَّ القُرآن بمعنى القِران _ بكسر القاف _ والجامعية للقُرآن هِيَ أمر عظيم ومهول وَلَيْسَ فَقَطْ لأهل الدُّنيَا فِي دار الدُّنيَا بَلْ ولأهل البرزخ فِي عالم البرزخ ولأهل الآخرة، وَعَلَيْهِ حيويّة وحياة القُرآن لا تختصّ بعصر دون عصر أو لفرد دون فرد.

وَهَذَا كله مبني عَلَى توسعة التطبيق لقاعدة الجري، وَهَذَا لا يجري عَلَى تفسير السيد العلامة الله ومنهجه لقاعدة الجري والتطبيق وأنّها لا تسع لهذه المصاديق الكلية وأنّ معنى الجري والتطبيق لَيْسَ معنى كُليّا وأنّ كُلّ آية لَيْسَ لها معنى كُليّ ينطبق عَلَى الكُل وَإِنّها لها مصاديق مُعيّنة وخاصة صُرِّح بها ولا يُتعدّى إلى غيرها فيها إذا كَانَ الخطاب خاصة، وعَلَيْهِ تكون بَعْض الآيات القرآنية لا تجري فيها قاعدة الجري والتطبيق، وأنّ السيد العلامة الله أراد أنْ يقول أنّ المعنى الاستعمالي والتفهيمي والجدّي معنى كُليّا أو لا أقل في المعنى الجدّي يكون معنى كُليّا، أمّا إذا لمَ يمكن المعنى الكُلّي في المعنى الجدّي فلا تكون الآية مورداً لقاعدة الجري يمكن المعنى الكُلّي في المعنى الجدّي فلا تكون الآية مورداً لقاعدة الجري مبب عدم كليّة وعمومية المعنى الجدّي.

إِنْ قُلت: ما ذكرتموه مِنْ الإيراد عَلَى السيد العلّامة الله قبل قليل وإنَّ القاعدة عامّة وآيات القُرآن عامّة بحسب بيانات أهل البيت المَيِّلِيُّ وتشمل كُلِّ فرد مِنْ أفراد الإنسان، فهل مثل الآيات الخاصّة بالنساء كآية الحيض أو الحمل أو

بَيِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِسَآبِكُمْ ﴿ (١) و ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَتِ ٱلْعَنفِلَتِ الْعَفِلَاتِ الْمُعْفِلُتِ أَلْمُوْمِنَ أَلْمُوْمِنَ أَلْمُوْمِنَ أَلْمُوْمِنَ الْمُحْمَنِي الْعَالِمُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ال

فهل هِيَ مختصّةٌ بهُنَّ أم تشمل حَتّى مثل الرجال إذا قرأوا تلك الآيات، وهكذا آية قذف المحصنة هل تشمل المعصوم أو لا؟

قلتُ: نعم آیات الحیض تشمل حتی الرجال إذا قرؤها ولها صلة بهم وبأزواجهم أو أبنائهم أو حفدتهم أو أقاربهم، وشمول الآیة لکل حسب ما تقتضیه أصل خلقته وبالنسبة فضلاً عما إذا أوِّلَ الحیض بمعانٍ أُخْرَی، بَلْ وَحَتّی آیة قذف المحصنات فإنها ببرکة قاعدة الجری بمعنی التطبیق أو التعبیر بَعْدَ البناء عَلَی توسعتها بحسب النظریة الثانیة عَلَی ضوء منهاج أمومة الولایة عَلَی المحکمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِی القُرآن، کَمَا فِی قوله تَعَالَی: ﴿ فُیلَ ٱلْإِنسَنُ مَا المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِی القُرآن، کَمَا فِی قوله تَعَالَی: ﴿ فُیلَ ٱلْإِنسَنُ مَا المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِی القُرآن، کَمَا فِی قوله تَعَالَی: ﴿ فُیلَ ٱلْإِنسَنُ مَا اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهُ اللّٰهِ اللّٰهُ اللّٰهُ

بتقريب: إنَّهُ وَرَدَ عنهم الْهَا أَنَهَا نزلت فِي علي اللَّهِ وأنَّهَا فِي مقام التعظيم مِنْ شأنه، بينها قَدْ تفسر بمعنى آخر، ويقرِّر معناها أنَّها فِي مقام الذمّ بتأويل آخر فِي أعداء الله ورسوله عَلَيْكُ وأعداء على اللهِ ، إذَنْ هِيَ تشمل حَتّى المعصوم اللهِ ببيان مُفَصَّل يأتي في محله المُناسِب لَهُ.

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْحِبَالِ

⁽١) سورة الطلاق: الآية ٤.

⁽٢) سورة النور: الآية ٢٣.

⁽٣) سورة عبس: الآية ١٧.

٩٢..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات -الجزء الثاني فَأَبَيْن أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَانُ (١).

بتقريب: إنَّهُ قُرِّرَ للآية المباركة معنيان متباينان ـ معنى ذمّ ومعنى مدح ـ ولا تناقض ولا تدافع بينهما عَلَى ضوء النظرية الثانية فِي قاعدة الجري، بخلافه عَلَى النظرية الأولى فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير فَإنَّهُ يستعصي الجمع بين الذَّم والمدح.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير تُؤمِن وتنتج حيويّة كُلَّ آية آية فِي الكتاب، ولا توجد آية مِنْ آيات الكتاب والعياذ بالله معنى زمانها وولّى غابراً، فالقُرآن دائماً فِي حالة تجديد وتجدد، وإنْ كَانَ بعضُ مَنْ لا وعي لَهُ بحقيقة مرام ومعاني الآية ومفرداتها لا يتفاعل مَعَ بَعْض آيات الذكر الحكيم ولسان حاله: وأنَّ هَذِهِ الآية لا تعنيني، دعني اسمع آيات أُخْرَى لَعَلِي أتفاعل معها، بخلاف أهل البصيرة واليقين الَّذِيْنَ هُمْ عَلَى اتصال بآيات القُرآن وتفاعلهم معها.

وَهُنَاكَ رواية عَنْ الإمام اللهِ: [ما مِنْ آية يتلوها تالٍ إلَّا وَهُوَ منها إمَّا مِنْ أَخيارها أو أشرارها](٢).

تنبيهان

التنبيه الأوَّل: قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير ظاهراً لها معانِ ثاقبة أعظم ممّا رسم لها هؤلاء الأعلام مِنْ المفسرين _ جزاهم الله

⁽١) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

⁽۲)

أوسعيّة تعدد المعاني بمقتضى النظرية الثانية ٩٣ خيراً عَنْ القُرآن والتفسير ـ ولكن نقول:

إِنَّ كُلِّ آية آية، بَلْ كُلِّ مفردة مفردة، بَلْ كُلِّ حرفٍ حرفٍ أُفْقُهُ أَبِعد، فَعِنْدَمَا تقرأ آيةَ مِنْ كتاب الله تجدها تطرق مسامع ذاتك وتعالج إصلاح شيء مِنْ ذاتك.

وَهَذَا هُوَ مَفاد الروايات المتقدمة لاتساع الآيات لِكُلِّ إنسان وَأَنَّهُ يكون إمَّا مِنْ فريق أخيارها أو أشرارها، وَهَذَا مَفادُ تربوي أخلاقي عظيم لِكُلِّ آية آية مِنْ القُرآن العظيم تتفاعل مَعَ كُلِّ شخص، فكم هِيَ عظيمة هَذِهِ الدرجة مِنْ الإحياء للقُرآن الذي يَتِمُّ عَلَى ضوء النظرية الثانية دون الأولى.

التنبيه الثّاني: غرضنا مِنْ ذكر بَعْض الملحوظات عَلَى أيّ منهج تفسيري يتّخذه أيّ مفسر مِنْ مُفسِّري العامّة أو الخاصّة، هُوَ لأجل تَلمُس الحقيقة أكثر فأكثر، ولا ننحبس في دائرة ضيّقة إذا استوسعت لهذه الحقيقة، وَلَيْسَ الغرض مِنْ ذكر بَعْض الملحوظات أو المؤاخذات لأجل تسجيل نقاط ضعف عَلَى الآخرين كلا ثمَّ كلا، وإنْ كَانَ مضمون ما روي هُوَ تحياة العلم بالنقد] وتكامل البحث العلمي بالنقد، كُلّ ذَلِكَ لأجل أنْ نتواصل مَعَ المسيرة العلمية ونواكب تطوّرها بالتقدم العلمي البنّاء.

انقطاع الصلة بين التفسير والتأويل

بمقتضى النظرية الأولى دون الثانية:

الإشكال الثَّانِي: وَهَذَا الإشكال يُبيِّن نوع العلاقة بين قاعدة الجري بمعى التطبيق وبين قاعدة التأويل ولقد التفت السيد العلّامة الطباطبائي

وباقي أعلام المُفسرين مِنْ قَبْلَهِ ونعم ما التفتوا إليه مِنْ وجود علاقة وطيدة بينهما، وأنَّ التأويل عبارة عَنْ حيويّة تطبيق مصاديق إلَّا أنَّ هَذَا الالتفات للعلاقة بين قاعدة الجري والتطبيق والتأويل مِنْ قبل السيد العلامة الحُمْ بِهَذَا المقدار لا تستوعب كُلِّ حقيقة العلامة بين قاعدة الجري وقاعدة التأويل، فَهِي ليست مستوفية الحقيقة الصلة بين التأويل والقاعدة فلقد ذكر السيد الطباطبائي في الميزان ما نصّه: [... أمَّا إجمالاً فلأنَّك عرفت: _ أنَّ المراد بتأويل الآية لَيْسَ مفهوماً مِنْ المفاهيم تدلُّ عَلَيْهِ الآية سواء كَانَ مُخالفاً لظاهرها أو موافقاً، بَلْ هُوَ مِنْ الأُمُور الخارجيّة ... الخ](١).

والسبب في عدم استيفاء ما ذكره السيد العلامة الله وغيره لحقيقة الصلة بين قاعدة الجري والتأويل و لا نقول في كُل كلامهم وَإِنَّهَا فِي جُلّ كلامهم وَإِنَّهَا فِي جُلّ كلامهم و أنّهم حصروا التأويل بالمصداق الخارجي والتحقق العيني، بينها عالم التأويل كَمَا هُوَ الصحيح عَلَى أقسام وأنواع وَلَيْسَ منحصراً في هَذَا القسم الذي ذكروه وَإِنَّهَا التأويل عَلَى أقسام وأنواع التأويل هُا صلة مطردة بقاعدة الجري بمعى التطبيق، وَمِنْ تلك الأنواع للتأويل هُو عالم الاستعمال اللفظي للدلالة وَلَيْسَ فَقَطْ عالم التطبيق، بخلاف ما ذهب النظرية الأولى مِنْ قولبة قاعدة الجري بمعنى التطبيق بمعنى المعنى على مصاديقه وَعَلَى هَذَا فالتأويل فيه شؤونٌ وألوان في نفس عَلَى عالم الدلالة وعالم الدلالة

⁽١) الميزان في تفسير القرآن العلّامة الطباطبائي: ج٣، ص٥٥.

والتنظير، وَهَذِهِ غَيْر العلاقة بين التأويل ومقام التطبيق، وَغَيْر العلاقة بين الجري والتطبيق وعالم نفس الدلالة، والأخيران ـ عالم التطبيق وعالم نفس الدلالة _ متبانيان _ وَمِنْ خلال هَذَا وغيره كيف يمكن حصر قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير في مقام التطبيق والمصاديق؟

والخلاصة: إنَّ صِلَة عالم التأويل بعالم الدلالة في الجملة يُعَدُّ بالبديهة ولا يَتِمُّ رسم تلك العلاقة وَأَنَّهُ مِنْ شؤون الدلالة الأعلى نفي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير، لا عَلَى تفسير قاعدة الجري بالتطبيق فَقَطْ.

الإشكال الثَّالِث: مُبتنِ عَلَى بيان مقدمة وَهِيَ: [أجنبية التطبيق وانقطاعه عَنْ إرادة المُتكلِّم تماماً بمقتضى النَّظَريَّة الأولى دون الثَّانية] بناءاً عَلَى ما تَقَدَّمَ نستطيع أَنْ نُعَبِّرَ عَنْ طبقات استعمال اللَّفْظ فِي المعنى أنَّها عبارة عَنْ أربع طبقات:

- ١ _ طبقة المعاني التصورية.
- ٢ _ طبقة الإرادة الاستعمالية.
 - ٣_ طبقة الإرادة التفهيمية.
 - ٤ _ طبقة الإرادة الجدّية.

والثلاث الأخيرة هِيَ تصديقية، وَكُلِّ طبقة منها هِيَ عَلَى طبقات، وَمِنْ الواضح أنَّ عالم التطبيق هُوَ عالم تكوين ووجود خارجي لا صلة لَهُ ٩٦...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني بالألفاظ ولا صلة لَهُ بالمعاني الذهنية، وأنَّ عالم التنظير المفهومي الفكري الذهني لا صلة لَهُ وشأن التطبيق، ورُبّما يُعَبّر عَنْ علم التشريع أو التنظير بعلم الشريعة.

ربما يعبر عن علم التشريع والتنظير بعلم الشريعة:

أمًّا العلم الذي يتكفل التطبيق فيعبر عنه بقلم التأويل وعلم الباطن(١) وَبَعْدَ هَذِهِ المقدمة فَإِنَّ حاصل الإشكال هُوَ: إنَّ كُليّة المعاني الوسيعة في الآيات والسور القُرآنيّة لا صلة لها بشؤون تشخصيات منطقة التطبيق ولا نُحَمِّلَ التنظير المفهوم الفكري ألوان وعوارض ومشخّصات المصداق التطبيقي وَهَذَا يستلزم الفصل بين مقام التنظير ومقام التطبيق، وبالتالي فَإنَّ أصحاب النظرية الأولى في تفسير قاعدة الجري بمعنى التطبيق، يقولون: إنَّ ما وَرَدَ فِي بيان الآيات عَنْ أهل البيت اللَّكِثُ إنَّما لَهُ صلة بعالم التطبيق ولا صلة لَهُ فِي الغالب بعالم التفسير، وَعَلَى هَذَا يلزم أصحاب هَذِهِ النظرية أنَّ يشففوا المعاني الكلية الواردة فِي القُرآن مَعَ إعطائها صفة العموميّة عَنْ ألوان المصاديق، ولا نجعل المعنى التنظيري العام للآية يتأثر أو يتلون بالمصداق والتطبيق، وَبهَذَا نفصل مقام التنظير عَنْ مقام التطبيق وان هَذَا الفصل بينهما يُعطي الحيوية واللوبيّة فِي الانطباق على الأجيال

⁽١) وهذا الى حَدّ ما يشبه الفرق بين علم النبي موسى السلام وعلم العبد الصالح الخضر السلام علم الخضر النبي موسى النبي موسى النبلا علم شريعة يعني علم هذه الطبقات أي التفسير الظاهر بخلاف علم الخضر فإنه علم التطبيق والتأويل.

إذَنْ حاصل هَذَا الإشكال هُو الفصل بين مقام التنظير والتطبيق، وَمِنْ الواضح أنَّ التطبيق إرادة غائية أبعدُ غوراً في الغائية والنهائية مِنْ التنظير، وَإِنَّمَا أُعِّد التنظير تمهيداً للتطبيق، ويعتبر التطبيق ميداناً للتنظير، وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ التطبيق إرادة غائية أبعدُ غوراً في الغائية والنهائية مِنْ التنظر فكيف يُعزل التنظير عَنْ التطبيق بَعْدَ ملاحظة المراد الجدي وراء الجدّي، وَهُوَ ـ مقام التطبيق ـ أوغل في الجدّية والغائية مِنْ المُرَاد التنظيري.

وَهَذَا بِخلاف ما تتبناه النظرية الثَّانية في قاعدة الجرى بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية الآتية، فَإنَّ المعنى الكُلِّي والتنظير الكُلِّي يُراد مِنْهُ التطبيق وإعداد لما وراء التطبيق وإذا كَانَ مقام التطبيق يحصل بمصاديق بارزة وَأُخْرَى غَيْر بارزة أيّ مصاديق شديدة الأهميّة وَأُخْرَى قليلة الأهميّة وثالثة متوسّطة الأهمية، فنلاحظ الإرادة التطبيقية في المصاديق الاعتيادية أشدُّ جدّيّةً مِنْ التنظير، وَعَلَيْهِ فكيف بالإرادة التطبيقية فِي المصاديق الَّتِي هِيَ أهم، وستكون تلك المصاديق أشدٌّ مِنْ الإرادة الجدّية المتعلقة بالتنظير وأوغل وأهم، وكأنَّها هَذَا يُخيل لك عدم إرادة وعدم أهمية المصاديق المتوسِّطة الأهميّة والأقل أهميّة وأنَّ إرادتها تبعاً لإرادة المصداق الأعظم والاهم والأكبر، وَهُنَا درجة الأهميّة تتبع درجة الإرادة، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الإرادة: فِي مقام التطبيق هِيَ أكثر جدّية مِنْ الإرادة فِي مقام التنظير، وهكذا الإرادة التفهيمية أهم مِنْ الإرادة

إذَنْ إذَا كانت إرادة أهم المصاديق هِيَ أهم إرادات التطبيق، فَهَذَا معناه أَنَّ الكلام مِنْ أَوَّل الأمر سيق للإرادة ذَاتَ المصداق الأهم والأبلغ، وَمِنْ هَذَا يتضح أَنَّ سوق الكلام دائماً للإرادة النهائية، وإنْ كانت الإرادة التنظيرية جديّة إلَّا أَنَّ جدّيتها متوسِّطة الإرادة وَإِنَّما المهم هُوَ إرادة المصداق الأعظم والكلام سيق لَهُ بكُلِّ رمّته مِنْ أَوَّل الأمر وما عداه تابع لَهُ - أيّ لإرادة المصداق الأعظم -.

عزل التطبيق عن التنظير يعدم التصنيف الموضوعي للآيات حسب النظرية الأولى:

الإشكال الرَّابع: إنَّ لازم عزل عالم التنظير عَنْ عالم التطبيق حسب النظرية الأُولى يستلزم لازماً باطلاً ألا وَهُوَ:_

كيف يمكن أنْ نُميِّز ونفرز موضوع الآيات بعضها عَنْ البعض، وأنَّ الآية الواحدة هل هِيَ مِنْ آيات الأحكام الفقهية أو العقائدية، أو مِنْ آيات المنظومة الأخلاقية أو الاجتهاعية، أو مِنْ آيات العالم النفساني وغيره، ولا يتسنى معرفة وتميّز ذَلِكَ إلَّا أنْ نقول بمقالة النظرية الثَّانية في قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية

عَنَى المُحَدَّات، وَالَّتِي مِنْ مبادئها المستقاة مِنْ بيانات أهل البيت اللها على حسر الآية فِي أُفُقِ ضيّقٍ وَإِنَّها الآية بمثابة الكنز أو المَعْدِن مها أخرت مِنْهُ لا ينضب، وَكُلِّ مَنْ يستطيع أَنْ يأخذ فَلَهُ أَنْ يأخذ بها أُوتي بِينَ مَنْهُ لا ينضب، وَكُلِّ مَنْ يستطيع أَنْ يأخذ فَلَهُ أَنْ يأخذ بها أُوتي بينَ مَنْهُ لا ينضب، وَكُلِّ مَنْ يستطيع أَنْ يأخذ فَلَهُ أَنْ يأخذ بها أُوتي بينَ مَنْهُ وَلَيْ مِنْهُ وَلَيْهِ وَفَكُر وعقل واسع ونيّر.

مَيِّي أصناف الآيات حسب النظرية الأولى

فِي موضوع أصناف أخرى منِ الآيات:

َ لَمِ شَكَالَ الخامس: ولا يختص تسجيل هَذَا الإشكال عَلَى أَصَحَابُ النظرية الأولى، بَلْ يعم بَعْض المناهج والمسالك الفقهية الدين بعزل آيات الأحكام عَنْ آيات العقائد.

وحاصل الإشكال: _ إنَّ الآيات وإنْ انطبع عَلَيْهَا تصنيف بلحاظ موضوعها إلَّا أنَّ ذَلِكَ لا يهانع عبور مفادها وجرية في موضوع أصناف أُخْرِى مِنْ الآيات، فالآيات العقائدية تجري بضوابط وموازين لقاعدة الحري في المسائل الفقهية والعكس كَذَلِك، وكذا في آيات العلوم الأسرى مِنْ دون لزوم الخلط والتخليط، وَإِنَّهَا عَلَى وفق معايير وأسس منزية ترتبط معنى فيها بينها لتولّد معاني مِنْ بعضها البعض بصناعة التحليل والتركيب.

قَدْ يُثار تساؤل؛ حاصله: إنَّ هَذَا الإشكال مُتناقض مَعَ سابقه يَرِ ثَمْ ذَكِرِ فِي الإشكال الرَّابع: _ إنَّ الاعتراض عَلَى النظرية الأولى كَانَ يلزم محذور عدم تصنيف الآيات حسب مقتضاها، بخلاف النظرية الثَّانية الَّتِي توجب تصنيف الآيات.

بينها في هَذَا الإشكال _ أيّ الخامس _ يُدّعى أنّه مُقْتَضَى النظرية الثّانية يلزم جريان الآية الواحِدة في عِدّة أصناف، وبالتالي لا تصنف الآية عَلَى موضوع واحد، بينها عَلَى النظرية الأولى تنحصر الآية في موضوع صنف واحِدٍ وَعَلَيْهِ فالإشكال الخامس مُتدافع مَعَ سابقه _ الرّابع _ .

الجواب: إنَّهُ لا يوجد تدافع بين الإشكالين فَإنَّ الإشكال السابق المُقرّر بمفاد النظرية الأُولى مِنْ عدم تصنيف الآية موضوعياً فِي ما لو كَانَ لون الموضوع آتٍ مِنْ التطبيق لا مِنْ اللَّفْظ، بخلافه عَلَى النظرية الثَّانية فَإنَّ الآية تتصنَّف موضوعياً لارتباط التطبيق بالدلالة.

وأمَّا بحسب الإشكال الخامس: _ فَإِنَّهُ فِي المورد الذي يكون فيه تصنيف الآية آتٍ موضوعياً مِنْ حاق اللَّفْظ والدلالة، فَإِنَّ الآية لا محالة مُصَنَّفة موضوعياً لفظاً ولا تجري لصنف آخر لموضوع مغاير عَلَى النظرية الأولى، وتجري عَلَى النظرية الثَّانية؛ لِأنَّ تصنيف الآية فِي صنف لا يهانع إمكانية تأويلها بموازين إلى صنف آخر بقاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى النظرية الثَّانية.

وحاصل الفرق بين الإشكالين الرَّابِع والخامس هُوَ بحسب

المورد، بينها حاصل المحمول ومفاده في الإشكالين واحدٌ ومشترك وَهُوَ: ـ أنَّ قاعدة الجري عَلَى النظرية الثَّانية في حَيْثُ تحدّد الآية وتصنفها في موضوع تطبيقي، إلَّا أنَّ ذَلِكَ لا يعني عدم سريان قاعدة الجري مَرَّة أُخْرَى لجري الآية في صنف آخر وموضوع مباين لما تقرَّر في النظرية الثَّانية مِنْ ترامي إجراء قاعدة الجري مُتعاقباً بخلافه عَلَى النظرية الأولى، وَهَذَا أحد الفوارق العظيمة بين النظريتين.

وأمّا دعوى انعزال أصناف الآيات عَنْ بعضها البعض فممنوعةٌ ويؤيّد ذَلِكَ ما روي عَنْ عبدالله بن سنان (۱) بسؤاله الإمام الصادق الله عَزَّ قَالَ: أتيت أبا عبدالله الله فقلت لَهُ جُعِلتُ فداك، ما معنى قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ ثُمَّ لَيَقْضُواْ تَفَتَهُمْ ﴾ (۲)؟ قَالَ: «أخذ الشارب وقص الأظافر وما أشبه ذَلِكَ » قَالَ: قلتُ: جُعِلْتً فداك، فَإِنَّ ذريحاً المحاربي (۳) حدّثني عنك بحديث، أنَّك قلتَ ﴿ لَيُقْضُواْ تَفَتَهُمْ ﴾ هُوَ لقاء الإمام الله تلك عنك بحديث، أنَّك قلتَ ﴿ لَيُقْضُواْ تَفَتَهُمْ ﴾ هُوَ لقاء الإمام الله تلك المناسبة »؟ قَالَ صدق ذُريح وصدقت، إنَّ القُرآن لَهُ ظاهر وباطن وَمَنْ يَحتمل ما يحتمل يا ذُريح ؟ (١٤).

⁽١) وهو أخو محمد بن سنان ابنا طريف وهو فقيه جزلٌ وورعٌ وسديد ومتين وثقة تتلمذ على يدي الإمام الصادق ﷺ.

⁽٢) سورة الحج: الآية ٢٩.

⁽٣) ذريح بن محمد بن يزيد أبو الوليد المحاربي من أصحاب الإمام الصادق الله ثقةٌ.

⁽٤) مَنْ لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٩٠، ح١٤٣٧؛ البرهان في تفسير القرآن، للبحراني: ج٥، ص٢٨٦، ح١٣.

١٠٢.... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

بتقريب: ـ إنَّهُ يمكن أنْ تكون الآية الواحِدَة آية معرفيه وففهبةً وقانونيةً وأخلاقيةً وغيرها.

بَلْ هَذَا الإشكال يتسجّل أيضاً عَلَى علماء الأخلاق اللذين حصروا آيات الأخلاق في آياتٍ معدودة، وَمَنْ قَالَ لك: _ إِنَّ النظام الأخلاقي في القُرآن يقتصر وينحصر عَلَى مئين أو ألوف مِنْ الايت؟!

وَعَلَيْهِ فعظمة منهج أهل البيت المَهِ تبين أنَّ القُرآن برِمّة، هُوَ عقائد وأنَّ كُلِّ آيةٍ آية فبها نظام أخلاقي، آية فيها نظام أخلاقي اجتهاعي أو علوم شتّى، أمَّا أنَّهُ لَيْسَ لدينا القدرة عَلَى استظهار واستخراج ذَلِكَ فَهَذَا بحثٌ آخر.

وهكذا ما استفاده الشَّيْخ الطوسي مِنْ قوله ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَآءِ فَسَوَّىٰ هُنَّ سَبْعَ سَمَوَٰ تَّ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۗ ﴿ ﴾ (١).

بتقريب: _ إنَّ الشَّيْخ الطوسي استفاد حكماً فقهياً إنَّ الغايات التكوينية متطابقة مَعَ الغايات التشريعية فَهَذِهِ الآية حَيْثُ تحدِّد الغاية التكوينية فتدل بالالتزام عَلَى أنَّها غاية تشريعية إذْ لا يتدافع الغرض التشريعي مَعَ الغرض التكويني، واستدلَّ الشَّيْخ بالآية المباركة، أمَّا استفادة الناس مِنْ الشروات العامّة شرع سواء.

⁽١) سورة البقرة: الآية ٢٩.

علماً أنَّ الظهور الأوَّلي للآية هُوَ فِي أمر معرفي عقائدي أو تكويني أو ما شابه ذَلِكَ كَمَا فِي رواية مُحمَّد بن زياد وعلي بن مُحمَّد بن سيّار عَنْ أبويهما عَنْ الحسن بن على عَنْ ... عَنْ الحسين بن على، قَالَ: _ قَالَ أمير المؤمنين الميلا فِي قوله الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَكِمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴾ قَالَ: «هُوَ الذي خلق لكم ما فِي الأرض جميعاً لتعتبروا به ولتتوصلوا به إلى رضوان وتتقوا به مِنْ عذاب نيرانه ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءَ ﴾ أخذ في خلقها واتّقانها . ﴿فَسَوَّنهُنَّ سَبْعَ سَمَوْتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۗ ۞﴾ ولعلمه بكُلِّ شيء علم المصالح فخلق لكم ما فِي الأرض لمصالحكم يا بني آدم(١). وهكذا قوله تَعَالَى ﴿ لَّا يَمَشُهُۥ إِلَّا ٱلمُطَهَّرُونَ ٧٠٠ ١٠ بتقريب: إنَّ الفقهاء تمسَّكوا بها في استفادة الحكم الفقهى منها مَعَ أنَّ الآية هِيَ عقائدية بحسب ظهورها الأوّلي، فَإنَّ الشَّيْخ الطوسي ذكر فِي التهذيب بإسناده عَنْ علي بن الحسن بن فضّال عَنْ جفعر ابن مُحَمَّد بن حكيم، وجعفر بن مُحمَّد بن أبي الصباح جميعاً عَنْ إبراهيم بن عبدالحميد، عَنْ أبي الحسن الله قَالَ: المصحف لا تَمسَّه عَلَى غَيْرِ طُهرِ ولا جُنباً، ولا تَمَسَّ خيطه ولا تعلقه إنَّ الله يقول: ﴿ لَّا يَمَسُّهُ وَإِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿ ﴿ ﴾ (٣). وذكر الشَّيْخ الطبرسي فِي الاحتجاج فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿ لَّا يَمَشُهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ١٠٠٠ ﴾، قول أمير المؤمنين

⁽١) عيون أخبار الرضائية: ج٢، ص١٥، ح٢٩؛ تفسير البرهان للبحراني: ج١، ص١٦٢.

⁽٢) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

⁽٣) التهذيب: ج١، ص١٢٧.

١٠٤.... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

على بن أبي طالب الله لله لعمر بن الخطّاب ... فَإِنَّ القُرآن الذي عندي لا يمسه إلَّا المطهرون، والأوصياء مِنْ ولدي، فَقَالَ عمر: فهل وقتُ لإظهاره معلوم؟ قَالَ علي: نعم إذَا قام القائم مِنْ ولدي يُظهره ويحمل الناس عَلَيْهِ فتجري السنّة به (۱).

وَهَذَا معناه أنَّ الظهور قابل لأنْ ينفتح عَلَى مؤديات ومفادات كثيرة، وَهَذَا أحد بركات قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير طبق القواعد.

والخلاصة: هُنَاك فرقاً واسعاً بين المنهج المُتبع فِي نظام الظهور والاستظهار وبين منهج أمومة الولاية والمحكمات أيّ منهج أهل البيت المُثِيَّ فَإِنَّ الأخير أوسع رحابة.

تماهي حدود الآيات بمقتضى النظرية الأولى

وانضباطها على النظرية الثانية:

الإشكال السَّادِس: أحد أهم المؤاخذات الَّتِي تُسجَّل عَلَى أصحاب النظرية الأولى الَّتِي تبتني عَلَى عزل التنظير عَنْ التطبيق لزوم تمييع حدود مفاد الآيات الكريمة إذا كَانَ النظر في المعاني إلى جانب التنظير فَقَدْ دون التطبيق، فلو نظرنا إلى معنى الاصطفاء واستحبابه ومعنى الاصطفاء هُو انتقاء الله تَعَالَى لشخص أو قبيلة أو زمان أو مكان أو لغة أو قوميّة أو ...

⁽١) الاحتجاج: ج١، ٣٦٠، محاجّة ٥٧؛ ونور الثقلين: ج٧، ص٩٤، ح٩٥.

الخ، كَمَا فِي اصطفاء الباري تَعَالَى للعرب مِنْ بين البشر بنص الآية وَكُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتَ لِلنَّاسِ (() واصطفى الباري تَعَالَى مِنْ العرب قريشاً واصطفى مِنْ بني هاشم واصطفى مِنْ بني هاشم بني عبدالمطلب واصطفى مِنْ بني عبدالمطلب عُمَّد عَلِيَّ . ويُؤيِّد ذَلِكَ ما رواه العيّاشي بسنده عَنْ مُحمَّد بن حمران عَنْ أبي عبدالله الله الله الله الله العيّاشي بسنده عَنْ مُحمَّد بن حمران عَنْ أبي عبدالله الله قال: «إنَّ الله لما خلق الخلق فجعله فرقتين، فجعل خيرته فِي إحدى الفرقتين، ثمَّ جعلها أثلاثاً، فجعل خيرته فِي إحدى الفرقتين، ثمَّ جعلها أثلاثاً، فجعل خيرته فِي إحدى الأثلاث، ثمَّ لَمْ يزل يختار حَتّى اختار عبد مناف هاشاً، ثمَّ اختار مِنْ هاشم عبدالمطلب، مناف، ثمَّ اختار مِنْ عبدالله محمداً رسول الله عَلَيْ الله الله المناس ولادةً وأطهرها، فبعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً وأنزل عَلَيْ الكتاب، فَلَيْسَ مِنْ شيء إلَّا فِي الكتاب تبيانه "().

ومعنى هَذَا الاصطفاء عَلَى درجات، فَعَلَى ضوء النظرية الأولى: _ إِنَّ هَذَا الاصطفاء كُلَّه لَيْسَ حجّة، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الاصطفاء سوف يتميّع ويذوب عَنْ ماهيته ويصير تماهي في معنى الاصطفاء أيّ انتقاء عام وَعَلَيْهِ يكون اصطفاء الله لآدم ونوح وآل إبراهيم اللهِ وآل عمران على العالمين لأجل خلقة البشرية ويكون لمثل نوح اللهِ دورٌ في البشرية وآل إبراهيم اللهِ وآل عمران شكراً عَلَى أدوارهم وَلِمَنْ يها ثلهم مِنْ البشر، فَهَذِهِ كُلَّها مفادات عامة ولا تختصّ ببحث بيوت الأنبياء وَغَيْر

⁽١) سورة آل عمران: لاآية ١١٠.

⁽٢) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٩، ح١١، عنه البحار: ج٢٩/ ٢٧/ ٣٠.

بيوت الأنبياء، وهكذا ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةٌ ﴾(١) أيّ استخلاف كُلِّ البشر صالح لِأنْ يكون خليفة بها فيهم الصالح والطالح، وهكذا عَلَّمَ آدم الأسماء كُلُّهَا لَيْسَ الْمُرَاد علم لاهوتي وعلم لَدُني ونبوّة ورسالة وَإِنَّهَا الْمُرَاد مِنْ عَلَّمَ آدم الأسهاء كُلُّهَا يعني البشرية كُلُّهَا مفطورة عَلَى العلم بجميع الأُمُور، وهكذا معنى قوله عَيْشًا: «مَنْ كُنتُ مولاه فعلى مولاه» أيّ تكمن المودَّة والمحبة لعليّ باعتباره كمسلم مِنْ المسلمين. وبالتالي هَذِهِ الأُمَّة الإسّلاميَّة الَّتِي اختارها الله فيها الصالح كالنبيءَ لَيُلِّللهُ وأمير المؤمنين على بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين للمن في فرية الحسين للنه ومقداد وسلمان وأبو ذرّ والمؤمنين والصالحين وغيرهم، وفيها الطالح أمثال يزيد بن معاوية والحجّاج بن يوسف الثقفي وشمر بن ذي الجوش، وعبدالرحمن ابن ملجم وغيرهم، فِهِل يعني أنَّ أمثال هؤلاء داخلون فِي تلك الأُمَّة الَّتِي هِيَ خير أُمَّةٍ أخرجت للناس أو لا؟

فَإِنَّ مثل هَذَا وغيره مِنْ اللوازم السلبية الَّتِي تلزم إِذَا بنينا عَلَى عزل التنظير عَنْ التطبيق، ولا يبقى حدُّ مِنْ حدود الآيات وبالتالي يشكِّل خطراً كبيراً تتميع فيه حدود معاني الآيات، هَذَا بحسب النظرية الأولى.

بخلاف النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير

⁽١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات، فَإِنَّ لها توسّع ورحابة أفق ولكن بضوابط وموازين علميّة لا بهدد وتميّع، وَإِنَّها مَعَ حفظ الطبقات والمراتب ففي الاصطفاء لا مانع مِنْ تكرّره إلى أنْ يصل إلى اصطفاء معصومي بمعنى أنَّ الطهارة ذَاتَ مراتب إلى أنْ تتصاعد وتصل الطهارة إلى عصمة الاستخلاف الذي يُعْزيه الله تَعَالَى إلى فرد واحد مِنْ البشر مقابل الملكوت والممكن الذي تكون كُل الملائكة تحت طاعته وقيد أمرته، فَإِنَّ المراتب وأُسسها محفوظة، ولكن هَذَا لا يتنافى مَعَ وجود مراتب أنزل فأنزل إلى ما لا نهاية كَمَا تتصاعد في مراتب أعلى فأعلى ولا تصل إلى حدِّ.

فإذا كَانَ الأمر هكذا فلهاذا تأخذون وتميلون إلى جانب الدنو والخلود إلى الأرض؟

ولتكُن نظرتكم نظرة «يتدبرون في خلق السهاوات والأرض» أيّ نظرة سموً.

وَهَذَا البحث مرتبط وَلَهُ صلة بنظرية أدبيّة تتبنى أنَّ التطبيق لَهُ دور فِي بيان التنظير، كَمَا هُوَ المعروف مِنْ أنَّ التنظير مبيّنٌ للتطبيق وكذلك الحال فِي الفعل يَكُون فِي جملة مِنْ موارد القرينة الحاليّة المبيّنة للكلام وإنْ كَانَ الكلام فِي أكثر الموارد مبيِّنٌ للفعل، وَعَلَى ذَلِكَ يكون التطبيق والمصداق مِنْ شؤون الدلالة والكلام، إذَنْ عزل مقام التطبيق

١٠٨ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني والمُوارد تماماً عَنْ عالم دلالة الكلام بالمرَّة مُحِلُّ بضبط الدلالة والبيان.

قَدْ يتساءل: إنَّهُ مُقْتَضَى النظرية الثَّانية هُوَ سعة الجري وتكرّره كَمَا مَرَّ، ولازم ذَلِكَ ذوبان المعاني وتماهي حدودَها وَذَلِكَ عكس النظرية الأولى فإنَّها تُعَيِّن المعنى مُتَّحداً ومعيَّناً والسعة والسريان في المصاديق وكثرتها لا توجب إنمحاء تعيّن المعنى التنظيري.

والجواب: إنَّ النظرية الأولى حصرت التوسّع بتلطيف المعنى وتقشيره عَنْ الخصوصيات فكلّما أرادوا سِعة وشمولية ابتعدوا عَنْ الخصوصيات، وأزالوها وترقّوا إلى سعة المعاني الكُلّية الفوقية، وَهَذِهِ السعة وإنْ كانت في الوهلة الأولى مُعْزية لعموميّة المعنى وكليته إلَّا أنَّ لازمها بالدقّة ذهاب خصوصية طبقات مِنْ الأنواع، وَمِنْ ثمَّ يتماهى المعنى عَنْ حدود النوعيّة وحدود الجنسية المتوسّطة إلى أنْ يتهي إلى الجنس العام المبهم الفوقي.

بينها في النظرية الثّانية: _ فَإِنَّ خصوصيات التطبيق والتعيّنات ملحوظة فتحفظ الحدود، وإِنْ كَانَ ذَلِكَ لا يهانع عَنْ جري الآية فِي المعاني كَها تجري في المصاديق، والعُمْدَة أَنَّ فِي النظرية الثَّانية فَإِنَّ كُلِّ تعدّد للمعاني مُراد، فالكثرة فِي المعنى مُرادة ولكثرة فِي المصاديق مُرَادة كَذَلِك، فتحفظ الحدود والخصوصيات، في حين تَعْبر الآية مِنْ حدِّ إلى آخر، وَهَذَا بخلاف النظرية الأولى فَإِنَّ المعنى متّحد غيرمتعدّد لكنَّه لا تحفظ فيه خصوصيات الكثرة بَعْدَ فرض تقرير سعة المعنى لمرتبة فوقية.

الجري بمعنى التطبيق أو التعبير

تعمق إشكال حجية الظهور بالمخاطبين والمشافهين:

الإشكال: السَّابع: يلزم على النظرية الأُولى إبعاد عالم التطبيق عن عالم الدلالة ويترتب عَلَى هَذَا لوازم لا يمكن الالتزام بها، فمثلاً صاحب القوانين.

ادّعي دعوةً حاصلها:

إن حُجّية الظهور مخصوصة بالمخاطب، وآخر ذهب الى اختصاصها بالمشافهة، وأما غير المخاطب فيتأمَّل في حجيّة ظهوره واستظهاره، اي معنى حجّية الظهور هل يختص بالاستظهار بالمشافهين، بأنْ يستظهر ويستنطق المُشافِه للقرآن الكريم أو الأعم من المشافهين والغائبين أو الأعم منها ومن المعدومين، وإنْ كان تعيين المخاطب أمرٌ مهم وأن حجّية الظهور مخصوصة بالمخاطب.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّهُ حسب النظرية الأولى يلزم أنْ تكون الآية القُرآنيَّة مخاطبٌ بها شخصٌ أو أشخاص، أو جماعةٌ أو جيل معيّن يكون هَذَا مورداً للتطبيق والحصر.

إِلَّا أَنَّهُ وحسب النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية أنَّ القاعِدَة لا تُحْصَر ولا تُعْصَر، بَلْ توسّع المفاد القُرآني فِي الآية أو السورة إلى غَيْر زمان ومكان المخاطب، وإنْ اشتملت الآية عَلَى

١١٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

كلمات مخاطب بها أشخاص بأعيانهم ولا يخفى اشتمال الآيات القُرآنية وألفاظها عَلَى ألفاظ الخطاب وأسماء المخاطبين العدد الكبير في القُرآن، كمّا فِي الخطاب الموجّه للأنبياء وللأُمم والأصناف ولأصناف المخلوقات، وَهَذَا كمُّ كبيرٌ مِنْ آلاف الجمل فِي الآيات والسور قَدْ عُيِّن المخاطب فِي اللَّهٰ مما يوجب منع قاعِدة الجري فِي غَيْر المخاطب، ويلزم جملة مِنْ الإشكالات السابقة عَلَى النظرية الأولى المبنية عَلَى تعيّن الخطاب في حاقّ اللَّهْظ.

هل التأويل حاكم على التنزيل (التفسير) أو العكس

على ضوء المنهج التفسيري للسيد العلامة الطباطبائي

لو ألقينا نظرة فاحصة عَلَى منهج السيد العلّامة مُحمَّد حسين الطباطبائي الشهرة المنه المين الطباطبائي القسير المين التفسير عَلَى التأويل، حَيْثُ دأب العلّامة فِي كُلِّ تفسيره عَلَى عزل المفاد الروائي للروايات الواردة فِي ذيل الآيات عَنْ تقرير مفاد الآيات المسمّى بالتفسير، فَلَمْ يجعل لمفاد الروايات أيّ دور ولا صلة بتقرير المفاد الأولى للآيات.

وَحَتّى أَنَّ السَّيِّد العلَّامة فِي أواخر حياته الشريفة سُئِل عَنْ ذَلِكَ وَهُوَ ذو ريادة وباع طويل فِي التفسير ـ وَلَمْ يُرجِّح ما ذكره فِي تفسيره الميزان عَلَى تفسير علي بن إبراهيم القُمِّي وتفسير العيّاشي، والبُرهان للحويزاوي ونور الثقلين لِلْسَيِّد هاشم البحراني و ... الخ وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ التفاسير الروائية الَّتِي تعتني بترجيح جانب التأويل عَلَى التنزيل والتفسير، علماً لو أردنا إجراء مقايسة بين التأويل والتفسير لوجدنا التفسير قطرة فِي بحر التأويل، وَالسَّيِّد العَلَّامَة فِي الميزان وإنْ لَمْ يرجح التفسير عَلَى التأويل وَمَعَ ذَلِكَ جعل البحوث التأويلية عَلَى نحو البحوث التأويلية عَلَى نحو البحوث التأويلية عَلَى نحو البحوث

الهامشية والمقتضيه والمختزلة، ولا يفهم مِنْ هَذَا إننا نريد أَنْ نُنْكِر دور التفسير والتنزيل، كلّا فَإِنَّ التفسير علم لَهُ مؤونته وأعباؤه ويحتاج إلى بذل جهود جبّارَة فِي إنجاز ذَلِكَ.

إِلَّا أَنَّ التنزيل هُوَ نزول مقدّس وعظيم ولكن بدرجة مخفّفة ونازلة مِنْ حقيقة القُرآن وَهُوَ حبلٌ ممدود طرف مِنْهُ عِنْدَ الناس وطرفٌ مِنْهُ عِنْدَ الله، ولكن وما يعلم تأويله إلَّا الله والراسخون فِي العلم.

والمهم مِنْ كُلِّ هَذَا إنّنا عَلَى منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات وبحسب النظرية الثّانية فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق (أو التعبير) لا نرتضي ما انتهى إليه السَّيِّد العلّامة الله وجماعة فِي أهميّة علم التأويل وانتهوا إلى أنَّ علم التأويل هُو علم تطبيقي بخلاف علم التفسير فَإنَّهُ علم تنظيري، وأنَّ علم التأويل هُو المدار الذي تدور عَلَيْهِ طبيعة رحى التطبيق، وأنَّ التطبيق تابع إلى التنظير لا العكس، وَعَلَى ضوء هَذِهِ النتيجة بناءً عَلَى النظرية الأُولى يكون الفارق بين علمَيّ التأويل والتفسير للقُرآن بسيطاً.

بخلاف النظرية الثَّانية عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات مِنْ أَنَّ علم التفسير إنْ كَانَ يُعَبَّر عنه بعلم التنظير فَهُوَ الذي يدور مداره التأويل، وَعَلَيْهِ فيكون التأويل هُوَ المحور، وَإِنَّهُ يوجد فرقٌ كبيرٌ وواسعٌ بين علمي التفسير والتأويل لآيات القُرآن وسوره.

وَعَلَيْهِ فالنتيجة الَّتِي انتهى إليها السَّيِّد العلّامة الله وجماعة مِنْ

هل التأويل حاكم على التنزيل (التفسير) أو العكس ١١٣

جعل التأويل تبعيُّ للتفسير معناه إضفاء أهميَّة لعلم التفسير فوق أهميَّة علم التأويل، وَهَذَا بخلاف مختارنا وَهُو النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات، مِنْ أَنَّ علم التأويل هُوَ الفائق عَلَى علم التفسير، وسيتضح أَنَّ كَمَال وأوج علم التفسير لا ينتظم ولا يستقيم إلَّا بتحرير علم التأويل ومتوقف عَلَيْهِ، وَهَذَا لا يتنافى مَعَ الابتداء بعلم التفسير، واستدراكات علم التفسير مراجعاته لا يَتِمُّ كَمَالاً إلَّا بالرجوع إلى ضوابط مِنْ علم التأويل.

وَهَذَا نظير ما وَرَدَ عَنْ الصادق اللهِ ما مضمونه أنَّ الدين لَهُ ظاهر وَلَهُ باطن (١) وَأَنَّهُ لا ظاهر إلَّا بباطن ولا باطن إلَّا بظاهر.

⁽١) بحوث في مباني علم الرِّ جال للشيخ محمد السند حفظه الله: ج٣.

علم التأويل المتأخر رتبت

يضبط علم التفسير المتقدم رتبت

لا منافاة في أنْ يتلقّى الإنسان الباحث والمتعلّم في أيّ علم مِنْ العلوم فَهُمْ معانيه وتقريرها مِنْ علم متأخّر رتبة، كَمَا هُوَ الحال في تلقّي المُفسِّر في علم التفسير تفهمه مِنْ علم التأويل الذي هُوَ متأخّر رتبةً عنه، ولا مانع مِنْ ضبط المتأخّر للمتقدم ولا محذور فيه كَمَا هُوَ الحال في الدراسات الأكاديمية فَإنَّ المرحلة الاعلى وَهِيَ المتأخِّرة تضبط المرحلة الأدون وَهِيَ المتأخِّرة تضبط المرحلة الأدون وَهِيَ السابقة عَلَى أنْ يتخرّج مِنْ الجامعة حاملاً لشهادة عُليا أرقى مما سبق، ولكن الضبط والميزان هُوَ بالعلم الأرقى وإنْ كَانَ فيما بعدُ ومتأخِّر رتبةً، وَهَذَا لا محذور فيه.

وَعَلَيْهِ فالمراحل السابقة لا يمكن إهمالها وأنَّها هِيَ المدارية ولكن ضبطها لابُدَّ وأنْ يكون بعلم ومرتبة أعلى.

كَذَلِكَ الحال بالنسبة لعلمي التفسير (التنزيل) والتأويل فَإِنَّهُ لا يمكن أَنْ ينضبط التفسير وإِنْ كَانَ مُتقدِّماً إِلَّا بعلم التأويل وإِنْ كَانَ مُتأخِّراً وكذا العكس، وَبَعْدَ أَنَّ اتّضحت العلاقة الوطيدة بين علميّ التفسير والتأويل نقول: _

١١٦..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

فإنْ كُنّا نعطي عذراً وتبريراً للمفسرين فِي تركيزهم وعكوفهم عَلَى علوم التفسير فهذا المبرر يصلح للابتداء ولا مانع مِنْهُ، لا أنَّهُ مبرر للبقاء والاستمرار فِي التركيز عَلَى علم التفسير وترك وإهمال التأويل فَإنَّ مثل هَذَا غَيْر مقبول، والمفروض عَلَى كُلّ مفسر ابتداء تفسيره بعلم التفسير عَلَيْهِ أَنْ يراجع ويضبط ويصحّح بحوثه ونتائجه التفسيرية بالولوج والتوغّل فِي علم التأويل، وَهَذِهِ مفارقة واضحة بينها ـ التفسير والتأويل ـ وسيأتي المزيد فِي محلّه إنَّ شاء الله تَعَالَى.

تعدد علم التأويل ومفارقته عن التفسير:

تنبيه هام: لا شكَّ ولا ريبَ إنَّ القُرآن الكريم يحتوي عَلَى علوم متعددة وخطيرة ومحورية إلَّا أنَّهُ وللأسف توجد فِي بَعْض علوم القُرآن مهجورة مِنْ قبل الباحثين والمفسرين مثل التفسير الإشاري أيِّ تفسير الإشارات القُرآنية وغيره، فَإنَّ المروي عَنْ أمير المؤمنين اللهِ فِي بيان المراحل المعرفية للقُرآن أنَّهُ اللهِ قَالَ: «كتاب الله عَلَى أربعة أشياء: عَلَى العبارَة، وَعَلَى الإشارة، واللطائِف، والحقائق؛ فالعبارَةُ لِلعَوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء (۱).

وإنْ كانت هُنَاك بَعْض المناهج التفسيرية لبعض الأعلام كالسَّيِّد الطباطبائي فِي تفسيره الميزان فيها نوع مِنْ الاستقراب لمثل بحث التفسير

⁽١) عوالي اللئالي: ج٤، ص١٠٥ ح١٥٥؛ والبحار للمجلسي: ج٩٢، ص١٠٣ ح٨١.

الإشاري أيّ تعبير إشاري وعبور بتوسط الإشارة إلَّا أنَّها نتف قليلة متناثرة ولكنَّها ثمينة وخطيرة، وسيأتي في بحث نظام المعاني التعرُّض إلى بحث نظام الإشارات ونظام اللَّطائف ونظام الحقائق.

وَلاَبُدَّ مِنْ الالتفات إلى أنَّ علم الإشارة فِي القُرآن غَيْر علم التأويل، وإنْ كَانَ علم التأويل يطلق عَلَى معنى أعم ومعنى أخص، فَإنَّهُ علم علم تأويل يُطلق عَلَى ما وراء علم التفسير فَكُلِّ ذَلِكَ يطلق عَلَى علم التأويل.

وهكذا علم لطائف القُرآن وعلم حَقائق القُرآن وغيرهما غَيْر علم التأويل، وَهَذِهِ العلوم وغيرها وللأسف لَمْ يَتِمُّ التركيز عَلَيْهَا مِنْ قبل مُفسِّريّ المسلمين وإنْ كانوا لا يستطيعون أنْ يدّعو هَذِهِ المقامات غاية ما عنده علم التفسير، أمَّا علم التأويل أو علم تعبير القُرآن وإشاراته وحقائقه وترجمان القُرآن ولطائفه وغيرها مِنْ علوم القُرآن فإنَّها مِنْ نصيب العترة الطاهرة أئمة أهل البيت المَيِّلِ فَقَطْ.

منهج أمومة الولاية على المحكمات فضلاعن المتشابهات

هو الناظم لعلم التفسير والتأويل

(هيڪلة منهجية)

لو لاحظنا تفاسير المأثور عَنْ الْنَبِي عَلَيْ وأهل بيته المهلي نجد فيها كأنّما أوكل التعليم الابتدائي لهذه العلوم القُرآنية والمناهج التفسيرية المختلفة سواء التفسير الإشاري أو اللطائفي أو الحقائقي أو ... الخ إلى علماء الأُمَّة لكنَّ بضوابط بينها أئمة اهل البيت المهلي وتعليمهم إلى الإشارات القُرآنية واللطائف وترجمان وتأويل القُرآن؛ لِأنَّ تلك العلوم بعيدة المنال والسيطرة عَنْ قدرة علماء الأُمَّة، ولذا نرى ندرة كتب علوم القُرآن الَّتِي تتطرق إلى هَذِهِ العلوم والتفسيرات في المكتبة القرآنية عِنْدَ المسلمين.

وَهَذِهِ العلوم فِي الحقيقة هِيَ مهيمنة ولها أمومة وقطبية ومركزية لسائر علوم القُرآن، وَهَذِهِ الأمومة للكتاب بينها نفس القُرآن الكريم أمومة لا للمراتب العُليا مِنْهُ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانُّ مُومة للمراتب العُليا مِنْهُ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانُّ كَرِيمٌ ﴿ كَالَمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَقُرْءَانُ مَجَيدٌ ﴿ اللَّهُ الل

⁽١) سورة الواقعة: الآية ٧٧_٧٨.

١٢٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

(أ) أيّ محفوظ ومكنون ومذخور عَنْ أَنْ تناله عامّة البشر، وَهَذِهِ العلوم هِيَ بتدرّجها هَذَا هِيَ علوم فوق علم التفسير.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ العلوم القُرآنية أبداً لا تقتصر ولا تنحصر في علم التفسير بَلْ علوم القُرآن حجّة وبعضها فوق بَعْض، ومهيمن بعضها عَلَى بَعْض، وَكُلّ علم يُعتبر محكمٌ يزيل المتشابه لما دونه، فالرتبة الأعلى تضبط المرتبة الَّتِي دونها، فالأمومة تضبط شتات لما هُوَ فوق لا لما هُوَ دون، وما فوق مثل علم الإشارات وعلم اللطائف وعلم الحقائق ثمَّ أم الكتاب ﴿ وَإِنَّهُ فِي أَمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَ الْعَلِيُّ حَكِيمُ الله الله الله وَهُمَ الله الله وَهُمُ الله الله وَالله الله الله الله وَالله وعلم المحقائق ثمَّ أم الكتاب المَا الله وَالله والله والل

ولو رجعنا إلى آيات القُرآن وبيانات أئمة أهل البيت المُهِلِيَّ الحَاصَة فِي المقام فَإِنَّهُ سوف ترتسم لنا خريطة منهج تفسير أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فِي القُرآن فضلاً عَنْ المتشابهات سواء فِي تفسير القُرآن أو فِي علم بتأويل القُرآن، وخريطة فِي انتظام منظومات القُرآن ضمن هَذِهِ الشاكلة فِي علوم قُرآنية شتّى. وَلَيْسَ التفسير الموضوعي لَهُ القدرة أنْ يرسم لنا تلك الخريطة بَلْ ولا يصل إلى هَذَا الدور وإنْ كَانَ للتفسير الموضوعي دورٌ، وكذلك لَيْسَ بقدرة وإمكان تفسير القُرآن بالقُرآن، ولا بقدرة التفسير النول أو أسباب النزول أو ...

وإنْ كَانَ لِكُلِّ واحد منهما دورٌ مستقل، ولكن لا يصل إلى دور

⁽١) سورة البروج: الآية ٢٢.

⁽٢) سورة الزخرف: الآية ٤.

منهج أمومة الولاية على المحكمات فضلاً عن المتشابهات ١٢١ الهيمنة كَمَا هُوَ لمنهاج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات في القُرآن.

وَعَلَيْهِ إِذَا أَردنا أَنْ نَرْسُم مُخْطَطاً لقواعد علوم القُرآن فَإِنَّهُ يجب أَنْ نَرْسُمه عَلَى شكل نظام مخروطي أو دائري مركز المهيمن هُوَ أمومة الولاية عَلَى المحكمات فِي القُرآن الذي يَصِرُّ عَلَيْهَا القُرآن الكريم وأهل البيت المَيْلِانُ.

إِذَنْ إِذَا كَانَ لعلم التفسير أهمية في القرين فلعلم تعبير القُرآن وترجمانه ولطائفه وإشاراته وحقائقه خطورة أكبر فأكبر، فإذا لَمْ نستطع الوصول إلى جملة مِنْ هَذِهِ العلوم الأُخْرَى فِي القُرآن فإنّنا سوف نتمسّك بها هُوَ دون المتشابه، ولذا نلاحظ الاختلاف والاضطراب قديماً وحديثاً بين المفسرين وسببه هُوَ التشابه، وَهَذَا الاشتباه والتشابه لا يرفعه إلَّا العلم الذي فوقه إلى أنْ يصل بالفوقيّة إلى أمومة الولاية عَلَى الْمُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن الَّتِي هِيَ أُسِّ الأساس فِي ذَلِكَ، وفي الحديث النبوي المتواتر إشارة إلى ترسيم هَذِهِ الطبقات وهيمنة بعضها عَلَى بَعْض حَيْثُ قَدْ صَوَّر هَذِهِ الولاية ودورها فِي بناء الصرح العظيم للقُرآن والعترة وأنَّهما حبلٌ واحدٌ، وَلَمْ يعبِّر الْنَّبِيِّ عَلَيْكُ بالحبلين وَإِنَّهَا عَبَّر بالحبل الواحد والحقيقة والصراط الواحد في الوجه النازل ثقلين لكنَّهما حقيقة واحدة وحبل ممدود طرف مِنْهُ عِنْدَ الناس وطرف مِنْهُ عِنْدَ الله، ولا يمكن الوصول إلى ما عِنْدَ الله إلَّا عَنْ طريق العتبرة الطاهرة والتمسَّك

١٢٢..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

ولذا عِنْدَمَا جاءت الروايات المبيّنة لفضل قراءة الآيات وتفسيرها وفهمها (اقرأ وارقَ) أيّ اقرأ علماً بَعْدَ علم ولا تقف عِنْدَ علم واحد وبتوسِّط هَذِهِ العلوم سوف يصبح لديك منظومة قُرآنية.

هَذَا أيضاً ببركة قاعدة الجري والتطبيق وأنَّ لها سِعة وبيان سِعِّي ولا تقتصر عَلَى علم التفسير بَلْ تتجاوز إلى جملة علوم القُرآن.

المحور الأساسي فِي قاعدة الجري

تَقَدَّمَ أَنْ مدرك قاعدة الجري هُوَ الآيات والروايات، والمعنى الذي نُريد أَنْ نستظهره ونستنبطه مِنْ هَذِهِ الآيات والروايات لقاعدة الجري هُوَ أَنْ لا نضيِّق المعنى فِي التطبيق فَقَطْ، وَإِنَّمَا قاعدة الجري لا تنحصر بالتطبيق وَإِنَّمَا تتعدّاه إلى غيره - كَمَا مَرَّ - وقبل الدخول فِي ذكر المحور الأساسي لقاعدة الجري لابُدَّ مِنْ ذكر أمرين هامّين لهما صلة بالمقام: -

الأمر الأوَّل: ينبغي للمُحَصِّل فِي أيِّ علم مِنْ العلوم أنْ لا يبني على أنَّ كُلِّ ما أنجز فِي أيِّ علم مِنْ العلوم سواء فِي علم الأصول أو الفقه أو البلاغة أ، النحو أو المنطق أو الفلسفة أو التفسير أو ... الخولا يُسلِّم بها أُنْجِزَ ويأخذه أخذ المُسَلَّمات ويكتفي بها حققه الآخرون فِي أيِّ علم مِنْ العلوم، هَذَا مرفوض، وَإِنَّها الصحيح والواجب عَلَيْهِ لبناء ذاتيته العلمية بأنْ يتحرّى ويتحقّق ويتفحّص بنفسه فِي تحقيق المسألة المذكورة والمبحوثة، وأنْ لا يتكل في ترتيب الآثار واستحصال النتائج مِنْ تحقيق ونتاج الآخرين، فَإِنَّهُ يصل إلى بَعْض النتائج، ولكن فِي الأغلب لعلَّها ليست نتائج سديدة، وربها تكون عكسيّة. والذي نُريد التأكيد عَلَيْهِ فِي هَذَا الأمر نتائج سديدة، وربها تكون عكسيّة. والذي نُريد التأكيد عَلَيْهِ فِي هَذَا الأمر

الهام هُوَ التأكيد عَلَى بذل قصارى الوسع ونبذ التواكل ونبذ إهمال التحرّي والفحص.

الأمر الثَّاني: كُلَّما تتركز وتتكاثر وتتظاهر جهود البشر حول عالم البيان والدلالة كُلِّما يزداد انكشاف أبعاد جديدة فيه يوماً بَعْدَ يَوُم بما يشمل علوم اللُّغَة والأدب والفلسفات الحديثة مِنْ الفلسفات الألسنيّة أو بحوث الفلسفة الإسلاميَّة بلحاظ الدلالة أو بحوث أصول الفقه وغيرها. فَهَذَا الرُّقي والتقدُّم الفلسفي فِي مختلف العلوم هُوَ مبتن عَلَى ما بحثته بَعْض المعاهد العلميّة مِنْ اكتشاف العلاقة والصلة الوطيدة والعظيمة بين الإدراك البشري والعقل والتعقّل والمخ البشري مَعَ أصل علم الدلالة والبيان، وَهَذَا ما كشف عنه القُرآن الكريم والوحى الإلهي، إِلَّا أَنَّ المسلمين غافلون عَنْ مدرسة أهل البيت اللِّكِ عُدرسة الوحى الَّتِي أكَّدت ولا زالت تؤكِّد عَلَى خطورة وعظمة هَذِهِ العلاقة، فَإنَّ مدرسة أهل البيت المتلائك بَيَّنت كيف يصنع اللسان والبيان إنساناً ومعتقداً ورؤيةً مِنْ قبيل: _ ﴿ ٱلرَّحْمَانُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُـرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ٤ ﴿ فِي بداية ومستهل عالم الخلقة بِهَذَا الترتيب الطولي الخالق ثمَّ القُرآن ثمَّ تعليم القُرآن ثمَّ خِلقة الإنسان ثمَّ البيان الذي هُوَ أوَّل كمال للإنسان وعِلْمُ البيان فيه مِنْ كنوز المعارف ما لا يُحْصَى.

* وأمَّا المحور الأساس في قاعدة الجري هُوَ: حسب نظرية السَّيِّد العلَّامة وملا صدرا والفيض الكاشاني وَبَعْض علماء ومفسري العامّة و ... الخ هُوَ أبعاد عالم التطبيق وإخراجه عَنْ عالم الدلالة تماماً وَعَنْ

الجواب: هُنَا إجابتان: _ إجابة إجمالي عَلَيْكُ وَأُخْرَى تفصيليّة.

أمَّا الإجابة الإجماليّة: وَهِيَ بالنفي ولا يمكن إخراج وإبعاد عالم التطبيق عَنْ عالم الدلالة والبيان لوجود الصلة الوطيدة بينهما، وتقدم سابقاً إنَّ عالم الدلالة وَاللَّفْظ والمعنى الاستعمالي فِي المرتبة الأولى ثمَّ المعنى التفهيمي فِي المرتبة الثَّانية، ثمَّ الجدّي فِي المرتبة الثالثة ثمَّ التطبيقي وإنها ليست خارجة عَنْ عالم الدلالة والبيان، بَلْ هِيَ مِنْ أدوات ومواد الدلالة وَمِنْ الموازين الَّتِي تقولب وتُقَرَّرَ وَتُؤطَّر عَلَى ضوءها الدلالة مَعَ حفظ المراتب فِي القرائن والدلالة والمدلول.

وأمَّا الجواب التفصيلي: - فَقَدْ ذكر الميرزا القُمِّي صاحب القوانين المُحْكمة في الأصول^(١) مطلباً حاصله:

هل خطاب القُرآن مخصوص بالمشافهين أو المخاطبين أو الأعم منهما، وَالْمُرَاد بالمشافهين (أيّ الَّذِيْنَ كانوا حاضري مجلس المكالمة والخطاب كحاضريّ مجلس رسول الله ﷺ عِنْدَمَا وجه إليهم الرسول

 ⁽١) هو الميرزا أبو القاسم ابن المولى محمد حسن، أو يُقال له ابن الحسن الكيلاني الشفتي الرشتي
 الأصل الجابلاني المولد والنشيء، والقمي الجوار والمدفن، ولد في (جابلاق) أحد نواحي مدينة
 بروجرد الإيرانية سنة (١١٥٢)هـوتوفي (١٢٣١)هـوهو محقّق نحرير فقيه شهير أصولي كبير.

١٢٦..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

الخطاب مثلاً دون باقي الموجودين، وَهَذَا معنى أضيق) أو يعم الغائبين (وَالْمُرَاد بالغائبين أيّ لَمْ يكونوا حاضرين في مجلس المشافهة والمخاطبة) أو يعم المعدومين وَهُمْ غَيْر المخلوقين أصلاً في تلك الفترة وَإِنَّمَا سيتأتون في المستقبل والأجيال اللاحقة لزمان الخطاب والمخاطبين.

إذَنْ عندنا دوائر ثلاث: _ دائرة المشافهين ودائرة الغائبين ودائرة المعدومين، والميرزا القمي هُنَا ادّعى: _ أنَّ حُجِّية الظهور مخصوصة بالمخاطب، وأمَّا غَيْر المُخاطب فيتأمَّل في حُجِّية ظهوره واستظهاره، ويتركَّز مطلبه (صاحب القوانين) حول: _ إنَّ معنى حُجِّية الظهور هل يختص الاستظهار بالمشافهين بأنْ يستظهر ويستنطق المشافه للقُرآن الكريم أو الأعم مِنْ المشافهين والغائبين أو الأعم مِنْ المشافهين والغائبين أو الأعم مِنْ المشافهين والغائبين والمعدومين؟ وإنْ كَانَ تعيين المخاطب أمر مهم وتقدّم أنَّ حُجِّية الظهور مخصوصة بالمخاطب، ولكن لنفترض أنَّ المخاطب بالقرآن هُمْ المشافهون أو الغائبون أو جيلٌ مُعيّن (۱).

وخلاصة مبناه: إنَّ المُتكلِّم إنَّما يعتني فِي تركيب كلامه بقرائن ودوال تبلغ المخاطب ولا يُعنيه عدم وصول تلك القُرآن وما يحتف بتركيب الكلام إلى غَيْر المقصود بالخطاب أو غَيْر المقصود بالإفهام.

ويرد عَلَيْهِ:

⁽١) وسنعقد مبحثاً تحت عنوان [مَن المخاطب في القرآن] فهل المخاطب بكل القرآن هو كل البشر؟ أو المخاطب بعض طبقات القرآن لبعض البشر؟ ورد في كلمات الإمام الباقر المؤلخ [ويجك يا قتادة إنّما يَعْرِف القرآن مَن خُوطِب به] الكافي للكليني: ج٨، ص٣٢١، ح٤٨٥؛ والمجلسي في البحار: ج٤٩، ص٣٥، ح٢.

أوَّلاً: منع اختصاص حُجِّية ظهور القُرآن وأنَّها مخصوصة بالمخاطبين؟ لا سيها وكلامنا في مبحث قاعدة الجري بمعنى التطبيق (أو التعبير)؛ لإنَّهُ تَقَدَّمَ: _ أَنَّ مُؤدّى قاعدة الجري والتطبيق أنَّهُ لو خوطب بالآية مخاطب فلا تظنّنَ الآية مخصوصة بهَذَا المُخاطب الذي خاطبته، كَمَا فِي رواية الفضيل بن يسار عَنْ الإمام الباقر اللهِ (... يجري كَمَا تجري الشمس والقمر ...) (۱) ثمَّ أنَّ معرفة مَنْ المخاطب بالقرآن أمرٌ فِي غاية الأهميّة ويؤثّر عي مصادر معرفة الدين وَهُوَ مِنْ المباحث الأصوليّة الفقهيّة القانونية والكلاميّة والشائكة والخطيرة والحسّاسة.

ثانياً: لو سلَّمنا وتنزَّلنا وتعيّن المخاطب بالقُرآن، ولكن نسأل هل أنَّ قاعدة الجري توسّع لنا حُجِّية ظهور القُرآن بأنْ توسع لنا قدرة المعرفة عَلَى مرام الآيات في مَنْ قصد إفهامه وخطابه، وصلة الآيات إفهاماً وخطاباً في طبقات مِنْ المعاني لا العليا منها المختصة بأهل البيت المنظين، وَإنَّما المخاطب بها كُلِّ البشر. حَتَّى الَّذِيْنَ لَمُ يُخاطبوا وقت نزول الآية وتبليغها مِنْ قبل النَّبِي عَلَيْ للناس، وَعَلَيْهِ فالمخاطب في أيّ نرول الآية وتبليغها مِنْ قبل النطبيق في الخطاب القرُآني أو في غَيْرها؟ مرحلة يقع؟ هل يقع في مرحلة التطبيق في الخطاب القرُآني أو في غَيْرها؟

فمثلاً عَلَى ضوء النظرية الأولى فِي قاعدة الجري لِلْسَّيِّد العلّامة الطباطبائي وجماعة: أنَّ الآية القُرآنية مخاطب بها شخص أو أشخاص أو جماعة أو أُمَّة أو جيل مُعيِّن يكون هَذَا مورداً حصرياً به ولا تجري قاعدة

⁽۱) الوسائل: ج۲۷، ب۱۳، ص۱۹٦، ح۶۹.

١٢٨..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني الجرى والتطبيق.

إِلَّا أَنَّهُ حسب النظرية الثَّانية فِي القاعدة المبحوث عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات أنَّ القاعدة لا تُخْصَر ولا تُقْصَر، بَلْ تجري القاعدة وتوسّع المفاد القرآني فِي الآية والسورة إلى غَيْر المخاطب وَإلى غَيْر زمانه ومكانه.

إذَنْ حصيلة الجواب التفصيلي هُوَ: _ أنَّ تحديد المخاطب في القُرآن مَنْ هُوَ؟ هل هُوَ شخص المشافَه أو يعم الغائبون أو المعدومين؟ مهمةٌ حسّاسة في نفس عالم الدلالة والمدلول وَحُجِّية ظهور واستحصال معنى الآيات، وكذلك تحديد المخاطب في مرحلة التطبيق لَهُ دور ودخل في نفس عالم التكوين، وعَلَيْهِ فَهُنَاك علاقة وطيدة بين عالم الدلالة في توسيع دائرة بناء الظهور وبين عالم التطبيق.

فالحاصل أنَّ قاعدة الجري بتفسير التعبير دافعةٌ لإماتة القُرآن وحصره فِي مورد الماضي بَلْ تجده حيّاً فِي كُلّ زمان وإنْ اختصَّ الخطاب في متن اللَّفظ بمخاطب فضلاً عَنْ الخطابات العامّة الأُخْرَى وَهَذَا بخلاف النظرية الأولى فِي قاعدة الجري فَإنَّهُ يلزم منها عدم جري القُرآن فِي عِدَّة مِنْ الآيات فِي جملة مِنْ السور.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ هَذَا الإشكال لا يرد فَقَطْ عَلَى صاحب القوانين وَإِنَّمَا حَتَّى عَلَى مبنى ونظرية السَّيِّد العلّامة الطباطبائي ﷺ - كَمَا مَرَّ ـ .

الفوارق العملية بين النظريتين

فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير ومميزات كل واحد منهما

بعدما تَقَدَّمَ ذكر النظرية الأُولى فِي قاعدة الجري والتطبيق وَالَّتِي تبنّاها السَّيِّد العلّامة مُحمَّد حسين الطباطبائي الله وجماعة مِنْ الخاصّة وكذا عِدَّة مِنْ العامّة، وتقدّمت النظرية الثّانية في هَذِهِ القاعدة وَالَّتِي هِيَ مختارنا عَلَى ضوء منهجنا التفسيري للقرآن الكريم أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات في القُرآن الكريم، وتقدم كَذَلِكَ المحور الأساسي في كُلّ منها، وسنذكر الآن جملة مِنْ الفوارق بين النظريتين: _

الفارق الأوَّل: تتميّز النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير أنَّها عامّة فِي كُلّ الآيات القُرآنية ولا يختصّ تطبيقها ببعض الآيات دون الأُخْرَى، بخلاف النظرية الأولى الَّتِي تبناها السَّيِّد العلّامة الطباطبائي ﴿ كُمَا مَرَّ فَإِنَّهَا ليست عامّة لِكُلِّ الآيات.

الفارق الثَّانِي: امتازت النظرية الثَّانية بأنَّ قاعدة الجري والتطبيق غَيْر مخصّصة بنظام الاستعمال اللفظي بَلْ تتعدّى إلى نظام عالم المعاني واعالم الحقائق، سواء في القُرآن أو الروايات وغيرهما، بخلافه في النظرية الأولى فإنَّها تختصّ بنظام الاستعمال اللفظي، وَقَدْ سبق بيان أنَّ القاعدة تجري في الحقائق بالأصالة، وفي المعاني بالتبع حسب النظرية الثَّانية.

الفارق الثَّالِث: إنَّ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى النظرية الثَّانية تشمل علم التأويل وعلم التعبير في القُرآن وعلم الإشارات وعلم اللطائف وعلم الترجمان وعلم حقائق القُرآن فضلاً عَنْ علم التفسير، بخلاف النظرية الأولى فَإنَّ قاعدة الجري والتطبيق عَلَى ضوئها تختص بعلم التفسير فَقَطْ.

الفارق الرَّابِع: إِنَّ كُلِّية المعاني الوسيعة في الآيات والسور لا صلة لها بشؤون تشخّصات منطقة التطبيق، ولا نُحَمِّلَ التنظير المفهومي الفكري ألوان وعوارض ومشخّصات المصداق التطبيقي - هَذَا حسب النظرية الأولى - وَعَلَيْهِ فَهَا وَرَدَ فِي بيان الآيات عَنْ أهل البيت المَّكِلِّ إِنَّهَا هُوَ لَهُ صلة بعالم التطبيق ولا صلة لَهُ فِي الغالب بعالم التفسير وجري القُرآن، وَعَلَيْهِ فأصحاب النظرية الأولى يفسرون قاعدة الجري بَعْدَ تشفيف وتلطيف المعاني الكُليّة وعموميتها عَنْ ألوان المصاديق فَهِيَ لا تجعل وتلطيف المعاني الكُليّة وعموميتها عَنْ ألوان المصاديق فَهِيَ لا تجعل المعنى التنظيري العام للآية يتأثّر أو يتلوّن بالمصداق أو بالتطبيق.

وأمَّا بحسب النظرية الثَّانية فَإنَّ مدلول الكلام يجري إلى مواطن عديدة سواء كانت الموارد مِنْ موارد تنظير المعنى إلى معاني جدّية متعدّدة، أو موارد هِيَ مقام تطبيق، فَإنَّ كُلِّ هَذَا يحتويه عالم مدلولات الكلام، وَمِنْ ثمَّ يكون التطبيق جزءاً مِنْ مداليل الكلام، وَمِنْ الواضح أنَّ المصداق التطبيقي أيضاً لَهُ مصاديق بدرجات متفاوتة في الأهميّة والعناية، والذي يُنَظِّر كلاماً كُلياً دائماً يلاحظ أهم وأعظم وأخطر

الفوارق العملية بين النظريتين

التطبيقات المصداقية، فمثلاً فِي قوله تَعَالَى ﴿ مَن قَتَكَلَ نَفْسَا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّماً قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّماً أَخْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّماً لَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١).

بتقريب: _ إنَّ إحياء النفس وكذا قتلها مِنْ الأُمُور البالغة الأهميّة لدى الشارع وَأَكَّدَ عَلَى ضرورة إحياء النفس والمحيي لنفس كأنَّما أحيا الناس جميعاً، وغَلَّظَ وشدَّد عَلَى قاتل النفس فكأنَّما قتل الناس جميعاً، وإحياؤها إخراجها مِنْ ضلال إلى هُدَى كَمَا فِي رواية الفضيل بن يسار، قال: قلت لأبي جعفر المُلِّ قول الله عز وَجَلَّ ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَ أَنَّما أَخْيَاها فَكَ أَنْها أَخْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ فِي كتابه قَالَ: «مِنْ حرق أو غرق»، قلتُ: فَمَنْ أخرجها مِنْ ضلال إلى هُدَى؟ قَالَ: ذَلِكَ تأويلها الأعظم (٢٠).

ولكن النفوس متفاوتة، فَهُنَاك مثلاً نفوس الأنبياء ونفوس الأولياء ونفوس الأولياء ونفوس المُتقين والصالحين فَإنَّ هَذِهِ النفوس الخيّرة والصالحة لها أهمية أكثر في إصلاح نفوس الآخرين الَّذِيْنَ هُمْ فِي درجة أقل، بخلاف نفوس الأشرار والعياذ بالله.

وإنْ كَانَ عموم حقن الدماء والمحافظة عَلَى النفوس حكماً عامّاً للكُل ـ النفوس الخيّرة والشريرة ـ إلّا أنَّ القتل لَهُ مراتب تشديد أشبه ما

⁽١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

⁽٢) الكاني للكليني: ج٢، ص١٦١، ح٢؛ البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ج٢، ص٤٣٨، ح٤.

يكون بحرمة القتل في الشهر الحرام آكد مِنْ غيرها في باقي الشهور، وهكذا التأكيد عَلَى حرمة المكان فَإنَّ قتل النفس في البلد الحرام وفي الشهر الحرام آكد، وهكذا تختلف المرتبة باختلاف الخصوصية والمزيّة، وَمِنْ الواضح أنَّ حرمة القتل عِنْدَ الشارع المقدّس انطلقت مِنْ أصول التشريع وما قَدْ يسمّى بمقاصد الشريعة، وَهَذِهِ المقاصد إمَّا مصالح أو مفاسد أو ما شابه ذَلِكَ. فَإنَّ الشارع يُراعي هَذِهِ الأُمُور فالأهميّة عِنْدَ الشارع تختلف، وَإذْ كانت الأهميّة تختلف عِنْدَ الشارع إذَنْ تشريع الشارع المقدّس لحرمة القتل انطلقت مِنْ بَعْض المصاديق الهامّة.

إِلَّا أَنَّ الشيء المهم الذي نريد تسليط الأضواء عَلَيْهِ هُو: _ صحيح إِنَّ الشارع المقدّس لَهُ مقصد فِي الشريعة وتقنين قانون عام، وَهُنَاكُ عموم أفراد ومصاديق للطبيعة، وصحيح طبيعة المصاديق متفاوتة مثلاً نفوس الأنبياء ذَاتَ مرتبة تختلف عَنْ مرتبة نفوس الأوصياء، والأوصياء لهم مرتبة تختلف عَنْ الأولياء و ... الخ وصحيح أَنَّ بَعْض مصاديق الطبيعة لو وضعناها فِي كفّ وَكُلِّ مصاديق الطبيعة فِي كفّة أُخْرَى فَإِنَّ الكفّة الأولى ترجح عَلَى الثَّانية، وصحيح أَنَّ رسول الله عَيَّا اللَّ فَلَ المَّانية، وصحيح أَنَّ رسول الله عَيَّا أَنَّ المَن ضربة على الثَّانية، وصحيح أَنَّ رسول الله عَيَّا أَنَّ المَن ضربة على الثَّانية، وصحيح أَنَّ رسول الله عَيَّا أَنَّ المَن الله عَلَيْهِ قَالَ: إِنَّ ضربة أَنَّ إبراهيم المَن كُل هَذَا صحيح، ولكن الشيء المهم الذي نُريد التأكيد عَلَيْهِ هُوَ انه: لا يمكن أَنْ نقول لا يُكترث بالمصاديق الذي نُريد التأكيد عَلَيْهِ هُوَ انه: لا يمكن أَنْ نقول لا يُكترث بالمصاديق

وأنَّ هَذَا مجرد فِي عالم التنظير وأنَّ عالم التنظير فِي مَعْزل عَنْ عالم التطبيق، وَهَذَا يتهاشى مَعَ مبادي النَّظَريَّة الأولى وترفضه النظرية النَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكهات، والصحيح ما تتبناه النظرية الثَّانية، وأنَّ المصداق جزء مِنْ مدلول الكلام التنظيري، وأنَّ المصداق الأعظم والأخطر فِي التطبيق هُو منشأ تكلم المتكلِّم وأنَّ المصاديق المُهِمَّة هِيَ منشأ تقنين المقنن، وأنَّه لا يمكن للمقنن والمُنظِّر أنْ يقنن ويُنظِّر بمعزل عَنْ المصاديق، هَذَا بالنسبة إلى القوانين والأحكام العملية فِي فقه الفروع، ونفس الكلام فيها إذَا كَانَ المُنظِّر فِي علم الكلام وَبَقيَّة العلوم والمعارف الأُخْرَى.

الشاهد عَلَى ذَلِكَ ما يقوله الإمام الصادق الله في بَعْض الروايات ما مضمونه: «أتحسب أنَّ ما يقوله الله تَعَالَى مِنْ لفظة سماء وأرض ونجم وقمر وفلك وجبال ـ ».

بتقريب: _ إنَّهُ تَعَالَى لا يُريد مِنْ لفظ سماء وأرض ونجم وقمر وفلك وجبال و ... هَذِهِ السَّمَاء وَهَذِهِ الأرض وَهَذَا النجم وَهَذَا القمر و ... المشخصة المعروفة؛ لِإنَّهُ مِنْ الواضح إنَّ المذكورات لها مصاديق أُخْرَى كثيرة بناءاً عَلَى مبنى أنَّ الألفاظ موضوعة لروح المعاني وللغايات ولها مصاديق عديدة، ومثل هَذَا يرتضيه حَتَّى مثل السَّيِّد العلامة صاحب النظرية الأولى.

وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿ فَلْيَنظُو ٱلْإِنسَنُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴿ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُولُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ

والجواب: بالنفي وَأَنَّهُ وَرَدَ فِي بَعْضِ الرواياتِ فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَنُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴿ اللهِ ﴿ فَلَيَنظُرِ الْإِنسَنُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴿ فَلَيْنظُرِ الْإِنسَنُ إِلَى طَعَمِهِ اللهِ فِي قوله تَعَالَى ﴿ فَلْيَنظُو الْإِنسَى اللهِ وَلَى عَلَمُهُ اللهِ عَمْنُ اللهِ الفيضِ قَالَ إلى علمه الذي يأخذه عمن يأخذه عمن يأخذه الكاشاني بها نصّه: ﴿ وينبغي لَهُ أَنْ يأخذ علمه مِنْ أَهل بيت النبوة اللّذِينَ هُمْ مهابط الوحي وينابيع الحكمة الآخذون علومهم مِنْ الله سُبْحَانَهُ مَمْ مهابط الوحي وينابيع الحكمة الآخذون علومهم مِنْ الله سُبْحَانَهُ عَتَى يصلح لِأَنْ يصير غذاء لروحه دون غيرهم ممّن لا رابطة بينه وبين الله مِنْ حَيْثُ الوحي والإلهام فَإِنَّ علومهم إمَّا حفظ أقاويل رجال لَيْسَ فِي أقوالهم حُجَّة، وأمَّا آلة جدال لا مدخل لها فِي المحجّة »(٤).

وَعَلَيْهِ فالباري تَعَالَى أكرم مِنْ أَنْ يحاسب الإنسان عَلَى رزقه فِي هَذِهِ الدار الدُّنْيَا مِنْ طعام وشراب، وَإِنَّها عَنى الباري تَعَالَى علم الإنسان

⁽١) سورة عبس: الآية ٢٤.

⁽٢) سورة عبس: الآية ٢٤.

⁽٣) العيّاشي: ج٣، ص١٦٦.

⁽٤) تفسير الصافي للفيض الكاشاني: ج٥، ص٥٠٠.

وعقيدته ومعرفته بالله وعمن أخذها، وصحيح أنَّ الباري تَعَالَى ذكر بَعْض المصاديق النازلة إلَّا أنَّهُ غَيْر مكترث بها أصلاً، وَعَلَيْهِ لا يحقّ لنا أنْ نقول: _ أنَّ معنى الآية المباركة هُوَ مجرد معنى تنظيري تجريدي بمعزل عَنْ التطبيق.

هَذَا مضافاً إلى أنّنا لو أخْوَينا وفَرّغنا الآية المباركة وبقيّة الآيات مِنْ شامخات المصاديق التطبيقية وأنّها ليست مرادة للآية، وأنَّ المُرَاد هُوَ ما يكون بحوزة الدلالة اللفظية فَقَطْ فَهَذَا معناه أنّنا أفقدنا المعنى شموخه وروحه وعظمته وقيمته العلمية، وجعلنا معنى الآية نازل وقشري هَذَا كُلُّه عَلَى حسب مبنى النظرية الأولى.

بخلاف ما إذًا بنينا عَلَى النظرية الثَّانية فِي قاعدة الجري عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فنقول: _

إنَّ المصاديق فِي التطبيق مأخذوذه بنظر الاعتبار بأهميّة وجديّة تفوق الإرادة وَالْمُرَاد الاستعمالي وَالْمُرَاد التفهيمي وَالْمُرَاد الجدّي الأوَّل والثاني والثالث و ... وَعَلَيْهِ فأصل سوق الكلام مِنْ البدء ناظرٌ إلى المصداق الأعظم والأهم فكيف نعزل التنظير عَنْ التطبيق؛ ولذا هُنَاك جلة مِنْ أهل التحقيق فِي لطائف القُرآن والمعاني وما شابه ذَلِكَ سواء الصوفيّة أو العُرفاء وإنْ لَمْ تكن عندهم هَذِهِ القراءة مِنْ منهاج أهل البيت المَيْلُ ، فإنَّهم يقولون بأن المخاطب الأصلي والأوَّل فِي القُرآن هُوَ المصداق الأعظم سيد الأنبياء المَيْلُ وَعَلَى الآخرين الاحتفاء والاقتداء به المَيْلُ المصداق الأعظم سيد الأنبياء المَيْلُ وَعَلَى الآخرين الاحتفاء والاقتداء به المَيْلُ اللهُ المصداق الأعظم سيد الأنبياء الله وَعَلَى الآخرين الاحتفاء والاقتداء به المَيْلُ الله والمُوّل فِي القَرآن هُوَ

١٣٦..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وَهَذَا نظير أفراد الواجب الكفائي، صحيح إنَّ الواجب الكفائي مسؤولية عامّة عَلَى الجميع، ولكن ذوي القُدرات العلمية أو بسط اليد والنخب المتميّزة وذو الوجاهة والامتدادات الاجتهاعيّة مسؤوليتهم في الواجب الكفائي أعظم مِنْ غيرهم. مَعَ أنَّهُ كلكم راع وكلكم مسؤول عَنْ رعيته، الكفائي أعظم مِنْ غيرهم. مَعَ أنَّهُ كلكم راع وكلكم مسؤول عَنْ رعيته، إلَّا أنَّ شدّة تحميل المسؤولية للنخب القمميّة أشدّ خطاباً وإلزاماً عَنْ عموم الطبقات النازلة وحينئذ يصح تطبيق الآية ، ﴿ وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ عَموم الطبقات النازلة وحينئذ يصح تطبيق الآية ، ﴿ وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ عَلَمُ أُمّةٌ يُدَعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ عِنَ ٱلمُنكر ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ مَنكُم آمَةٌ يُدَعُونَ إِلَى ٱلْحَيْرِ وَيَأْمُرُونَ اللهاركة موجّه إلى تلك النخبة المعيّنة مِنْ تلك الأُمَّة والتبع لجميع الأُمَّة، وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَتُ بَعَضُعُمْ أَوْلِياَهُ بَعْضِ أَيَامُرُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُعُ أَوْلِيامً بُعْضِ أَيَامُرُونَ عَنِ ٱلمُنكر ﴾ (٣) وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُعُمْ أَوْلِيامً بُعْضِ أَيَامُونَ عَنِ ٱلمُنكر ﴾ (٣) .

بتقريب: _ أيضاً الخطاب لأولياء الأُمُور وَهُمْ المعصومون ويتبعه درجات مخفّفة لبقيّة الطبقات الأكمل فالأكمل ولعموم المؤمنين.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا: _ إنَّ كُلّ ما تَقَدَّمَ مِنْ شواهد تطبيقية وما سيأتي هِيَ شواهدٌ عَلَى عدم إمكان استبعاد مقام التطبيق عَنْ التنظير والحال أنَّ المخاطب الذي وجّه إليه الخطاب فِي الآيات والروايات هُوَ

⁽١) سورة الرحمن: الآية ٩.

⁽٢) سورة آل عمران: الآية ١٠.

⁽٣) سورة التوبة: الآية ٧١.

الركن الركين، وَهَذَا ما أشرنا إليه في محله مِنْ أَنَّ علماء الأصول بحثوا مَنْ هُوَ المقصود بالخطاب هل المشافهين أو الحاضرين أو يشمل المعدومين - أيِّ غَيْر الموجودين في زمان الخطاب وَالَّذِيْنَ سيُخلقون في المستقبل - وبالتالي المعني بالخطاب لا يمكن أنْ نغفله؛ ولذا صار التركيز أكثر عَلَى المخاطب الحاضر مجلس الخطاب مِنْ الغائب، والمشافهة أكثر تركيزاً مِنْ غَيْر المشافه والمعدوم أقل درجة مِنْ غَيْر المشافه - الغائب وهكذا، هَذَا بحسب الحضور والغياب والمشافهة، لكنَّ ربها يمكن تصوّر وجود درجات أُخْرَى أعظم مِنْ المشافهين.

وَعَلَيْهِ فَنْفُس تُوجِيهِ الخطابِ لَيْسَ عَلَى دَرْجَةُ وَاحَدَةً، وَهَذَا أُمَرٌ مُسَلَّمٌ حَتَّى عِنْدَ علماء البلاغة والأصول، شاهد صِدْق وبَيِّن عَلَى عدم إقصاء مقام التطبيق عَنْ مداليل الخطاب والكلام.

الفارق الخامس: تولّد فرقاً خامساً من السابق: _ أنَّ المصاديق الهامّة والأهم للكلام أعْظَمُ قرينيةً وتأثيراً عَلَى دلالة الكلام وبالتالي فعناصر الدلالة لا تقتصر عَلَى الألفاظ والمعاني، نظير ما يُقال أنَّ القرائن الحالية والسياقية لها دخالة في محصل الدلالة والمدلول. وكيف لا والمصداق الأبرز والأعظم هُوَ المُراد الأصلي والمعنى عَلَى النظرية الثَّانية، فكيف لا يكون المُرَاد الأصلي محوراً في تقرير الدلالة وَهَذِهِ مِنْ الفوارق والفوائد العظيمة بين النظريتين.

عالم التطبيق لاصلة له بالألفاظ والمعاني الذهنية

مِنْ خلال ما تَقَدَّمَ يُعْلَم أَنَّ عالم التطبيق هُوَ عالم تكوين ووجود خارجي لا صله لَهُ بالألفاظ ولا بالمعاني الذهنية، إلَّا أَنَّهُ يمكن أَنْ يُجاب عنه: _ بأن عالم التطبيق وإنْ كَانَ عالم تكويني لكنْ يمكن انطباع صورة ذهنية لعالم التكوين والخارج قبل وقوعه وَبَعْدَ وقوعه لَهُ صورة ذهنية فيكون لَهُ مدلول ذهني وبالتالي فَهَذَا المصداق التطبيقي معنى ذهني أيضاً يقع وراء المعنى الجدّي مِنْ سلسلة المعاني الَّتِي يَدُلِّ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ قابل للتصوير.

وربها يُعبِّرون عَنْ العلم الذي يتكفّل للتطبيق هُوَ علم التأويل وعلم الباطن وَعَنْ علم التشريع أو التنظير _ أيّ مرحلة الدلالة والمعاني _ بعلم الشريعة.

وهكذا أصحاب النظرية الأولى ـ السَّيِّد العلَّامة وَمَنْ تبعه ـ بَلْ وَحَتَّى علماء الأدب وَاللَّغَة جعلوا المعنى الجدِّي مِنْ شؤون اللَّفْظ والسبب فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ المعنى الجدِّي تربطه مَعَ اللَّفْظ إرادةٌ، وَذَلِكَ ببيان: ـ

إنَّهُ يمكننا التعبير عَنْ طبقات المعاني أنَّها أربع طبقات ثلاث منها تصديقية وواحدة وَهِيَ الأولى تصورية، وأمَّا الدلالة الاستعمالية فَقَدْ انطلقنا إليها مِنْ اللَّفْظ وَمِنْ الدلالة الاستعمالية انطلقنا إلى المعنى

والدلالة التفهيمية، أيّ انطلقنا مِنْ معنى إلى معنى آخر، فَإِنَّ نفس المعني، الاستعمالي صار بدوره آية دالَّة عَلَى المعنى التفهيمي ونفس المعنى التفهيمي صار آلية دالَّة لها دلالة بدورها توصلنا إلى المعنى الجدّي فصار الفاصل بين المعنى الجدّي وَاللَّفْظ جداران أو ثلاثة جُدُر بالمعنى الاستعمالي وجدار بالمعنى التفهيمي والثالث بالمعنى التصوري، مَعَ هَذَا الفاصل بالجدارين أو الثلاثة بين اللَّفْظ والمعنى الجدّي جعلت النظرية الأولى، بَلْ حَتَّى عِنْدَ علماء الأدب وَاللَّغَة المعنى الجدِّي مِنْ شؤون اللَّفْظ لوجود رابطة بينهما ـ المعنى الجدي و اللَّفْظ ـ وَهِيَ الإِرادة النهائية، وَهَذَا معناه إنَّ المعنى الجدّي مِنْ أوَّل الأمر قَدْ سيق لَهُ الكلام؛ لذا كانت هُنَاك علاقة وطيدة بين اللَّفْظ والمعنى الجدّي مِنْ بداية كلام المتكلِّم، وَهَذِهِ حقيقة لطيفة فارقة بين النظرية الأولى وَالثَّانية وتكون النتيجة لصالح النظرية الثَّانية وَهِيَ مختارنا عَلَى ضوء منهجنا التفسيري أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن.

وَذَلِكَ ببيان: ـ

إنَّ التطبيق هُوَ إرادة جدِّية آكد جدِّية فِي استعمال اللَّفْظ مِنْ المعنى الجدِّي؛ لِأنَّ المعنى الجدِّي تنظير والغاية مِنْ التنظير حسب النظرية الثَّانية هِيَ التطبيق، ويكون التطبيق مراداً بالإرادة الجدِّية ويُعطي الحُسْنَ والحكمة وتُنفَى عمليَّة اللغوية لكونها لغوُّ وعبث عَنْ المُرَاد الجدي، وَإلَّا لو كَانَ هُنَاك تنظير بلا تطبيق كَانَ لغواً، مثلها المُرَاد التفهيمي بلا مراد

وَعَلَيْهِ فَكِيفَ يكونَ المقامِ التطبيقي حسبِ النظرية الأولى لَيْسَ مِنْ شؤونَ اللَّفْظ ولا صلة لَهُ به _ اللَّفْظ _ بخلاف النظرية الثَّانية. فَإِنَّ النظرية الأولى فِي قاعدة الجري والتطبيق _ أو التعبير _ الَّتِي تعزل مقام التنظير وَمِنْ ثمَّ تذهب هَذِهِ النظرية إلى أنَّ المحافظة عَلَى حيوية وحياة القُرآن الكريم وديمومته وديمومة وخلود تشريعات الدين الإسلامي الحنيف تتمَّ بمعزل مقام التنظير عَنْ مقام التطبيق إذا أمكن هَذَا العزل وتكون بيانات القُرآن الكريم عَلَى هَذِهِ النظريّة مواكبة لِكُلِّ جيل سواء فِي القوانين العملية فِي أحكام الفروع أو فِي المعارف أو فِي كُلِّ ضوابط آدابِ النفس وسلوكياتها.

النظرية الثانية تسائل النظرية الأولى:

هُنَاك تساؤل يُثيره أصحاب النظرية الثَّانية عَلَى أصحاب النظرية الأُولى ما حاصله: _

كيف مقام التطبيق لا علاقة لَهُ باللفظ، فَإِنَّ المعنى الجدّي إِذَا كَانَ لَهُ صلة التنظير باللفظ لِأَنَّ اللَّفْظ دالُّ عَلَيْهِ بالواسطة، وكذلك التطبيقي أيضاً دالُّ عَلَيْهِ بالواسطة إِنْ كَانَ الربط بين المعنى التنظيري الجدّي وَاللَّفْظ.

إذَنْ الغاية النهائية مِنْ الإتيان باللفظ لَيْسَ الإرادة الاستعمالية، وَإِنَّمَا هِيَ جسر، وهكذا التفهيمية والجدّيّة هُمَا جسر للتطبيق، فالرابطة إنْ كانت هِيَ نهائية غائية الإرادة فَهِيَ أحرى بالصدق فِي التطبيق مِنْهُ مِنْ المعنى التنظيري الجدّي.

وَعَلَيْهِ فالغاية مِنْ التنظير هُوَ الوصول إلى التطبيق وَلَيْسَ الغاية مِنْ التنظير جعل المعنى التنظيري بلا ثمرة وبلا غاية، وَإِنَّمَا الغاية مِنْ التنظيري هُوَ صفة الجدِّية فصفة الجدِّية عَلَى التطبيق حسب النظرية الثَّانية أوثق جدِّية مِنْ التنظير وأبعد غوراً فِي الجدِّيّة.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا هُوَ أَنَّ المعنى التطبيقي معنى جدّي آكد وأوغل فِي الجدّية مِنْ المعنى الجدّي التنظيري، فَإِنَّ المعنى الجدّي التنظيري معنى جدّي أولي ابتدائي فِي الجدّية وَهَذَا المقدار مُتّفق عَلَيْهِ أصحاب كلا النظريتين مِنْ أَنَّ المعنى الجدّي حَتّى التنظيري يكون الفاصل بينه وبين اللَّفظ بطبقتين أو ثلاث وإذا كَانَ الأمر كَذَلِكَ فَإِنَّ المغاية النهائية هِيَ العلة الغائية الحقيقية وأنَّ المُراد الجدّي لَهُ مراحل الغاية النهائية محدّية ابتدائي، وجدّي متوسّط وجدّي عالى وأعلى و ... فَهُنَاكُ مرحلة جدّية ابتدائي، وجدّي متوسّط وجدّي عالى وأعلى و ألخ وبالتالي ستصل إلى مراحل مُتعدِّدة، وَهَذَا بُرهان عقلي وأدبي ولغوي. وَعَلَيْهِ فلا يمكن إقصاء مقام التطبيق عَنْ مراحل الدلالة وَاللَّفظ بَلْ بالعكس هُو أحرى بأنْ يندرج مقام التطبيق فِي مداليل الكلام وَالنَّهُ إِنَّهُ إِنْ المُوازنة فِي الموازنة فِي المؤرّية وَيْ الموازنة فِي المؤرّية وَيْ مُولِي المؤرّية وَيْ مُولِي المؤرّية وَيْ المؤرّية وَيْ مؤرّية وَيْ مؤرّية وَيْ المؤرّية وَيْ مؤرّية وَيْ المؤرّية وَيْ مؤرّية وَيْ المؤرّية ويُولِي المؤرّية ويَّ ال

عالم التطبيق لا صلة له بالألفاظ والمعاني الذهنية

التطبيق خاصة إذا كانت المصاديق فيه الطبيعة كثيرة ودائها المنظور في مصاديق تلك الطبيعة أهمها ملاكا وأبرزها وأشدها وضوحاً؛ لإنَّ المصاديق فيها شدّةٌ وضعفٌ، ودائها المصداق الأشدّ والأعظم هُوَ الغاية النهائية وَلَيْسَ المنظور كُلِّ التطبيق فاهتهام المتكلِّم الأوفر يصبه عَلَى ملاحظة المصداق الأكبر لا بلحاظ المصداق الأوسط أو الأدنى، وَهَذَا يُفهمنا _ مِنْ باب الكلام يجري الكلام _ أنَّ المخاطب الأصلي في القُرآن هُوَ الْنَبِي عَلَيْلِهُ وأهل بيته المهلي في القُرآن هُوَ الْنَبِي عَلَيْلُهُ وأهل بيته المهلي في القُرآن هُو النّبي عَلَيْلُهُ الله بينه المهلي في القُرآن هُو النّبي عَلَيْلِي المهلي في القُرآن هُو النّبي عَلَيْلُونُ المهلي في القُرآن هُو النّبي في القُرآن هُو النّبي في القُرآن هُو النّبي في القُرآن هُو المُنْهِ في القُرانِ المهماني في القُرآن هُو المُنْهِ في المُنْهِ المُنْهَا المُنْهَا المُنْهَا المُنْها ال

المخاطب الأصلي في القرآن هو النبي وأهل بيته عليهم السلام

إنّما يُعرف القُرآن مَنْ خوطِب به، وإنْ كَانَ القُرآن هُوَ خطاب لِكُلِّ البشر والجن والملك لكنَّ الاهتمام بالمصداق الأبرز والأعظم والخطير. وهكذا فِي كُلِّ الخطابات وَعَلَى مختلف الأصعدة والمستويات يوجه الخطاب إلى النخبة المسؤولة وَمَنْ يهمّه الأمر الأهم فالأهم والأقرب فالأقرب؛ وَمَنْ هُوَ أهل التحمُّل للمسؤولية، ولذا نلاحظ فِي الروايات الَّتِي فيها إلقاء الواجبات والوظائف العامّة عَلَى النخب العلميّة وَالعُلكَاء ما مضمونه: «لا يحاسب الله الجاهل بشيء حَتّى يُحاسب الله الجاهل بشيء حَتّى العامة العالم».

بتقريب: _ إنَّ العالِمَ سواء كَانَ فِي العلوم الدينية أو غيرها مِنْ العلوم النخبوية، وانطلاقاً مِنْ قول الرسول الأكرم عَلَيْ : _ «كلكم راع وكلكم مسؤول عَنْ رعتيه» فَإنَّ الخطاب وإنْ كَانَ عامًا لكنَّ درجة المسؤولية تختلف درجة الخطاب فيها شدَّة وضعفاً مَعَ ما يتناسب مَعَ حجم المسؤولية فإنْ كَانَ حجم المسؤولية خطير وعظيم كانت درجة خطابه كَذَلِكَ.

وَعَلَيْهِ فَالْحُطَابِ القرآني فِي قاعدة الجري والتطبيق ـ أو التعبير ـ

يتمركز عَلَى المصداق الأكبر فِي جانب الخير، والمصداق الأسوء فِي جانب الشر. هَذَا كُلَّهُ بلحاظ النَظَريَّة الثَّانية فِي الجري والتطبيق _ أو التعبير _ حسب منهجنا التفسيري المُختار أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن الكريم.

والخلاصة: _ إنَّ المصداق الخطير والكبير يحافظ عَلَى لُبّ ولُباب المعنى، وأبرز مصاديق المعنى أو الطبيعة العامّة للمعنى هُوَ أبرز مصاديقها وبه يتجلّى مركز لطبيعة المعنى بخلاف المصاديق المتوسِّطة أو النازلة الطبيعة في تلك المصاديق بلون خافت وبهويّة تكاد تكون مُضمحلّة ونورها ضئيل بخلاف تواجد الطبيعة في المصاديق الأهم والأكبر فَإنَّ وجود الطبيعة في تلك المصاديق يحفظ هويتها وطابعها.

إذَنْ فِي مقام التطبيق ليست كُلّ المصاديق ذَاتَ أهميّة واهتهام وَعَلَى نسق واحد لدى المُتكلِّم وَهُوَ الباري، فمثلاً عِنْدَمَا يُخاطب الباري تَعَالَى الأبناء: ﴿وَبِالْوَلِائِينِ إِحْسَانًا ﴾(١). فإحسان مَنْ هُوَ المطلوب؟ فَإنَّ الوالدين القريبين غَيْر الوالدين البعيدين اللذين هُمَا الجد الخامس والسادس مثلاً فصبّ الشَّارع اهتهامه وإحسانه للوالدين القريبين فيها هُوَ ضرورة بحيث يدفع درجة العقوق، هَذَا أهم عِنْدَ الشَّارع مِنْ أيّ إحسان آخر يسير، وَهَذَا معناه أَنَّ المُرَاد الجدّي عِنْدَ الشَّارع عَلَى درجات مُحتلفة، فَا هُوَ أَقرب يعتبر أعظم المصاديق وأخطرها مثلاً وَهُمَا فِي الآية الأبوين في هُوَ الرَّية الأبوين

⁽١) سورة البقرة: الآية ٨٣.

ولادة الروح أعظم من ولادة البدن:

عليهم أجمعين_

وقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير:

فإذا كَانَت هُنَاك ولادة للبدن مُهمّة فولادة الروح أعظم وأخطر عِنْدَ الشَّارِع مِنْ ولادة البدن، فولادة الرُّوح هِيَ حياتها بالعلم، فَإِنَّ الرُّوح العالمة حيّة وَالرُّوح الجاهلة ميّتة، وَذَلِكَ لِأَنَّ العلم يجعل الرُّوح تعيش وتلج فِي ذَلِكَ العالم ولولا العلم لما وَلجَتْهُ ووصلت إلى تلك الطَّبقات العاليّة فَإِنَّ الرُّوح فيها طبقات مُجُمَّدَة وضامِرَة غَيْر مفتقة وَغَيْر مُفتقة وَغَيْر مُفتة، ولذا

⁽١) سورة النحل: الآية ٩٠.

١٤٨..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

يفترق الطّبيب البدني عَنْ الطّبيب الرُّوحي، فَإِنَّ الطَّبيب البدني يكفل سلامة بدن الإنسان مُدَّة حياته الَّتِي قَدَّر الله تَعَالَى أَنْ يعيشها، أمَّا الطَّبيب الرُّوحي فيكفل سلامة الرُّوح وحياتها إلى الأبد إنْ طبَّقْنا وسِرْنا عَلَى ما قننه، وَعَلَيْهِ فَهَذَا البحث لَيْسَ نظري عياني وَإِنَّما لَهُ حقيقة عَلَى أرض الواقع، فمثلاً قول الرسول عَنِي النَّ وَأَنْتَ أبوا هَذِهِ الأُمَّة ومعلِّماها وَهُمَا أعظم مصاديق الوالدين، والذي يحيي الإنسان هُو الذي يولده روحيًا وَهُو أعظم مِنْ حياة ولادة الإنسان بدنيّا؛ ولذا وَرَدَ عَنْ المعصوم في تفسير قوله تَعَالَى ﴿ وَمَنْ أَحَيَاهَا فَكَا أَلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ أنَّ المُرَاد مِنْ الإحاطة مِنْ الإحياء هُو الإحياء بتعليمها وبالهداية أعظم مِنْ إحيائها بالإحاطة ببدن تلك النفس.

وَعَلَيْهِ فَهُنَاكَ بون واسع بين طبيب البدن وبين طبيب القلب والعقيدة وَالرُّوح.

لذا نلاحظ أنَّ الشَّارع المُقَدَّس يُركِّز عَلَى المصداق الأعظم بالإحياء للنفس أيِّ هدايتها وإحياءها بالعلم والمعرفة، و ﴿مَن قَتَكَلَنَفُسَا ﴾(٢) تأويلها الأعظم مَنْ أضلّها بالجهل وعدم التعلُّم.

وإنْ كانت النفوس متفاوتة فَهُنَاك نفوس الأنبياء ونفوس الأولياء

⁽١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

⁽٢) سورة المائدة: الآية ٣٢.

إذَنْ حسب النَظريَّة الثَّانية أنَّ المصداق الأعظم يُجُلي لنا المعنى أكثر، وَعَلَيْهِ لا يمكن فصل عالم التطبيق عَنْ أصل التقرّر الدقيق للمعنى الجدّي _ حسب النَظريَّة الثَّانية _

إذَا أردنا تقريراً منضبطاً لمعاني آيات القُرآن الكريم فيجب أنْ نجعل المصاديق الأهم تطبيقاً وأنَّ عالم التطبيق هُوَ عالم الأمثلة، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الخطأ أنْ نتبع ما قاله البلاغيون وعلماء الأدب وَمِنْ بعدهم علماء التفسير أنَّ عالم التطبيق خارج عَنْ عالم الدلالة، والمدلول ولكن العكس هُوَ الصحيح مِنْ أنَّ المثال مِنْ شواهد التبيان ولا نقصي عالم المثال والتطبيق عَنْ عالم الدلالة.

المصاديق الأتم للطبيعة تتجلى فيها آثار الطبيعة

لِكُلِّ طبيعة مِنْ الطبائع نوعين مِنْ المصاديق، فَهُنَاك مصاديق وتطبيقات للطبيعة العامّة لمعنى في جملة مِنْ المصاديق الضعيفة، فنلاحظ جملة مِنْ أحكام تلك الطبيعة تتلاشى آثارها لضعف الأنسباق الخاص منها شبيه ما يُقَال: «الوجود دائماً يلازم الحياة والعلم والنور... الخ» فإذا لاحظنا هَذَا الوجود للطبيعة العامّة عِنْدَمَا يتواجد في مصاديق ضئيلة كالجهاد أو الهباء المنثور وما شابه ذَلِكَ فلا تلمس مِنْ خلاله النور او الحياة بنحو بارز أو متوسِّط بَيِّن أو ... الخ في حين الحياة بحسب البُرهان العقلي ولو درجة منها ـ الحياة _ فإنما تلازم الوجود إينها حَلَّ، والحال أنَّ العقلي ولو درجة منها ـ الحياة _ في مثل الجهاد لكنَّه غَيْر محسوس به.

إذَنْ المصاديق الضعيفة مِنْ الطبيعة قَدْ لا يُستجلى فيها آثار الطبيعة أو تتلاشى ولو عَلَى مستوى الإدراك الحسي.

وَهَذَا بِخلاف النوع الآخر لمصاديق الطبيعة العامة وَهِيَ المصاديق الأتمّ للطبيعة الَّتِي تتجلّى فيها آثار الطبيعة وأحكامها بشكل بارز جلي لا يشذّ ولا يفوت الباحث والناظر أثر مِنْ الآثار، وَمِنْ هَذَا يُعْرَف أَنَّ المُرَاد بالضبط لَيْسَ ضبط المُرَاد الجدّي ولا التفهيمي ولا الاستعمالي وَإِنَّمَا المُرَاد هُو انضباط نظام المعنى بالتطبيق، وَهَذَا رَدُّ عَلَى علماء اللَّغَة والعلوم

الأدبية إلى أنَّ عالم التطبيق خارج عَنْ عالم شؤون الدلالة وَهُو غَيْر صحيح لِأنَّ كثير مِنْ الارتكازات _ حَتّى عِنْدَ علماء اللَّغَة والبلاغة _ يستفيدونها مِنْ عالم التطبيق واستحصال دقيق مِنْ صورة المعنى للمراد الجدّي فَهَذِهِ امتيازات لعالم التطبيق، بخلاف ما إذا أقصينا عالم التطبيق عَنْ شؤون الدلالة بالمرّة فحينئذٍ سوف نعجز عَنْ استجلاء صورة بيّنة ومنضبطة بلوازمها وآثارها، وَعَلَيْهِ يتّضح أنَّ عالم التطبيق عالم عظيم.

وكذلك يتميّز عالم التطبيق بأن لَهُ صورة ذهنية وصورة مفهوميّة وَلَيْسَ عالم التطبيق افتراضياً كلا وَإنَّما يقع عالم التطبيق في سلسلة المعاني الذهنية غاية الأمر هُو وراء المعنى الجدّي وَهُو أبين وأجدر مِنْ المعنى الجدّي وَعُو أبين وأجدر مِنْ المعنى الجدّي وَعُلَيْهِ فمعنى عالم التطبيق يصبح هُوَ جدّ الجد لِأنَّ الغاية مِنْ الجدّي جديّة أُخْرَى وَهُوَ التطبيق.

تعدد مراتب المعنى الجدي:

الفارق السَّادِس: تتميز النَظَريَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق و التعبير _ بأن ما وراء المعنى الجدّي لا يُحْصر فِي التطبيق، وأنَّ ما وراء المعنى الجدّي مراتب أُخْرَى مِنْ المعاني الجدّيّة المهيمنة وَكُلَّهَا مرادة، فلا ينحصر المعنى الجدّي في معنى وحياني فالجدّي يصير مِنْ معنى إلى معنى ولا يختص الجري مِنْ المعنى إلى المصداق التطبيقي فَقَطْ، وَهَذَا أحد الفوارق المُهِمَّة بين النظريتين فِي قَاعدِة، الجري والتطبيق أو التعبير فَإنَّ النظريَّة الثَّانية قائمة عَلَى العبور والعبرة والمرور والجري مِنْ معنى

المصاديق الأتم للطبيعة تتجلى فيها آثار الطبيعة

مقصود إلى معاني أُخْرَى مقصودة أيضاً، كَمَا أنَّ العبور لا يقتصر عَلَى ذَلِكَ بَلْ العبور من المعنى إلى المصداق وكذلك مِنْ المصداق إلى المصداق، بَلْ وَمِنْ المصداق إلى المعنى وَهَذِهِ أقسام عديدة تتسع لها قاعدة الجري عَلَى النَظَريَّة الثَّانية كَمَا يتضح مِنْ باقي الفوارق.

كُمَا أشار إليها البيان الروائي عَنْ الإمام الصادق الله مِنْ قبله أمير المؤمنين الله أَنَّهُ قَالَ: _ كتاب الله عَلَى أربعة أشياء: العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء (۱).

بتقريب: _ إنَّ هَذِهِ الطَّبقات الأربع عَلَى مراتب ودرجات والمرتبة الأعلى أكثر لطافة وشفافيّة مِنْ الأقل، وهكذا الإشارات أكثر لطافة مِنْ المعنى الجدّي، والمعنى الجدّي أكثر لطافة مِنْ التفهيمي، والتفهيمي أكثر لطافة مِنْ المعنى المعنى الاستعمالي، والاستعمالي أكثر لطافة مِنْ المعنى التصوري.

فمثلاً الشَّارع يُشَرِّع لنا حقوق الزوجين فِي عِدَّة آيات مثل ﴿ وَعَاشِرُوهُ مَنَ إِلَّلَمَعْرُوفِ ﴾ (٢). و ﴿ وَمِنْ ءَايَنتِهِ ۚ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمُ أَزْوَلَجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ (٣). و ﴿ وَلَمُنَ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَ ﴾ (٤) و ﴿ الرِّجَالُ قَوَّمُونَ

⁽١) تفسير البرهان، المقدمة: ص٣٠.

⁽٢) سورة النساء: الآية ١٩.

⁽٣) سورة الروم: الآية ٢١.

⁽٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

وغيرها فالمقصود مِنْ تشريع نظام حقوق الزوجين بِهَذَا النمط ينطلق مِنْ مقاصد وأُسس تشريعية غرضها الحفاظ عَلَى النسل البشري ابتداءاً مِنْ قضاء الوطر بين الزوجين وفترة السكون والاستقرار والانسجام بين الزوجين ثمَّ بناء حياة أُسريّة يَتِمُّ فيها إنجاب أولاد صالحين لبناء مجتمع سليم وصحيح، وَمِنْ العدل الإلهي أنَّ هَذَا التشريع بين الزوجين ينطلق مِنْ أسس تشريعية فوقه، وَهَذَا الأساس التشريعي الفوقي أيضاً ينطلق مِنْ فوقية أكثر فأكثر.

الفرق السَّابع: إنَّ النَظَرَيَّة الأولى تفسر الجري بمعنى التطبيق والانطباق بالمعنى التنظيري الكُلِّي للآية بخلاف النَظَريَّة الثَّانية فإنَّها تفسر الجري ومعناه: أنَّ المُرَاد مِنْ استعمال ألفاظ الآية لا عَلَى صعيد مرحلة الاستعمال أيَّ عَلَى صعيد المُرَاد والإرادة فَقَطْ وَإِنَّها معنى الجري هُو فِي ضمن كُلِّ المراحل مِنْ المعاني وأنَّ مرادات القُرآن تجري وتسير ولا تقف عِنْدَ حدِّ معين.

تعدد كل مراحل المعاني:

الفرق الثَّامِن: إنَّ النَظَريَّة الأولى تقتصر عَلَى مقام التطبيق أو ترجع إلى التطبيق مِنْ المُرَاد الجدي والمصداق الأهم فِي مقام التطبيق هُوَ

⁽١) سورة النساء: الآية ٣٤.

المصاديق الأتم للطبيعة تتجلى فيها آثار الطبيعة ١٥٥ المُرَاد الجدّي.

أمّا النَظَرِيَة النَّانية: مُضافاً إلى الرجوع إلى المُرَاد الجدّي والمصداق الأهم في مقام التطبيق إلّا أنّها لا تقتصر عَلَى مقام التطبيق والتأويل في التنظير بَلْ تتعدّى في التأويل وفي التنظير ولا تقف عَلَى تنظير درجة واحدة، فَإِنَّهُ تَقَدَّمَ أَنَّهُ بَعْدَ مداليل الكلام الاستعالية والتفهيمية في باب الكنايات تصل النوبة إلى المُرَاد الجدّي، إلّا أنَّ المُرَاد الجدّي التنظيري النسَ عَلَى درجة واحدة، بَلْ هُوَ عَلَى درجات مختلفة، فَهُنَاك مراد جدّي تنظيري أوّل، وثاني وثالث و ... الخ وهكذا لا يقف وَهُو الذي أشرنا إليه سابقاً والمستفاد مِنْ الرواية الشريفة السابقة وأنَّ هُنَاك علم إشارات القُرآن وعلم لطائف القرين وعلم حقائق القُرآن وعلم تعبير القُرآن وترجمان القُرآن وعلوم عديدة أُخْرَى (۱).

إذَنْ علم مرادات القُرآن لا يقف عِنْدَ التنظير الجدّي الأوَّل أو التطبيق، وَإِنَّمَا علوم مرادات القُرآن تتراقى تنظيراً وتطبيقاً وتتشعب وتتعاقب وتتسع ويكون لها سير وجري تنظيري وتطبيقي وَكُلّ منهما مراد جدي وَكُلّ منها جري أيّ جري في التطبيق وجري في التنظير وعَلَيْهِ فتكون قاعدة المعنى الجدّي الأوَّل قاعدة لانطلاق مركبة علوم القُرآن

⁽١) ربّما يصطلح البعض أن يفسرها بالتفسير الإشاري للقُرآن بأن مقصوده علم الإشارات، وإنْ كان علم التفسير يُطلق على اصطلاحين: _علم تفسير بالمعنى الأخص الذي يُقابل علوم القرآن الأخرى، وعلم التفسير بالمعنى الأعم والذي يُراد به علوم القرآن ككل فيقال التفسير الإرشادي بالقُرآن أو تفسير إشارات القُرآن، وتفسير لطائف القُرآن.

١٥٦..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

الكريم عَلَى صعيد التنظير والتطبيق؛ ولذا القُرآن يتحدَّث عَنْ نفسه لدعم النَظَريَّة الثَّانية ﴿ قُل لَوْكَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِكَامِنتِ رَقِي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن نَنفَدَ كَامِنتُ رَبِي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن نَنفَدَ كَامِنتُ رَبِي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن نَنفَدَ كَامِنتُ رَبِي ﴾ (١).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقَلَامُ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنْ بَعْدِهِ ـ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَتُ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (٢).

وَعَلَيْهِ فقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى وفق النَظَريَّة الثَّانية في الحقيقة مستفادة مِنْ بيانات القُرآن الكريم عَلَى صعيد التنظير وَعَلَى صعيد التطبيق فتجري عَلَى كليهما وَهِيَ ليست مقتصرة كَمَا تَقَدَّمَ عَلَى مقام التطبيق المصداقي كَمَا تذهب إليه النَظَريَّة الأولى.

بَلْ لها مساران مسار تنظيري ومسار تطبيقي وَكُلِّ منهما جَرْيٌ وكلُ مرحلة ومرتبة هِيَ مُرادٌ جدِّي وما بعده مراد جدِّي ثاني وثالث ورابع و ... الخ.

وَعَلَيْهِ حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير حسب منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن، فَإِنَّ الجري يأخذ أبعاد أوسع مِنْ ذَلِكَ الجري عَلَى تفسير النَّظَريَّة القُرآنية أو السورة عَلَى النَّظريَّة التَّانية لا يقف عِنْدَ حَدٍّ حَتّى مرحلة التطبيق ومرحلة المصداق هِيَ أيضاً مِنْ مراحل المدلول.

⁽١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

⁽٢) سورة لقمان: الآية ٢٧.

الفرق التَّاسِع: حسب النَّظَرَيَّة الثَّانية إنَّهُ مِنْ الإسفاف والخواء والإجحاف بحقائق القُرآن وأنواره وهداياته أنْ نهبط بالقُرآن الكريم إلى مستوى سقف المُتشابهات أو التفاصيل الجزئية الشامل لها القُرآن ونقصر سقفه _ أيّ سقف القُرآن _ عَلَى هَذِهِ الجزئيات والتفاصيل؛ فَإنَّ هَذَا هبوط وإهباط لقَمَّة القُرآن وشموخ قمته، وَهَذَا ما تعانيه النَّظَريَّة الأولى مِنْ الهبوط بالقُرآن الكريم فَقَطْ إلى مستوى سقف المُتشابهات أو التفاصيل الجزئية.

بخلاف النَّظَريَّة الثَّانية الَّتِي تتبنى ـ وَالْمُرَاد مِنْ التبني أيّ ما فهمته مِنْ الآيات والروايات الواردة فِي القاعدة ـ مداليل الآيات القُرآنية والسور الَّتِي لا تنتظم ولا يَتِمُّ رسم نظام مداليلها إلَّا عَلَى وفق خارطة معيّنة وَهِيَ أَنَّ المدلول الأوَّل فِي الآيات والسور القُرآنية هُوَ الولاية وَهِيَ قمّة مدلول القُرآن ثمَّ المحكات ثمَّ المتشابهات أيّ التفاصيل الجزئية.

إذَنْ النَّظَرِيَّة الثَّانية تتبنى أنَّ مداليل القُرآن الكريم فِي الآيات والسور عَلَى طبقات ثلاث، وَهَذِهِ الطَّبقات الثلاث فِي الوقت نفسه مختلفة بدرجة الأهميّة، وَهِيَ عَلَى معانٍ وطبقات ثلاث، وَهَذَا تقسيم إجمالي وَإلَّا فَهِيَ لها أكثر مِنْ ثلاث طبقات ومستمرة ولا تقف عِنْدَ حَدِّ فالتقسيم الإجمالي لآيات القُرآن ثلاث درجات: _

١ _ الولاية. ٢ _ المُحكمات. ٣ _ المُتشابهات.

والمعنى المركزي لِكُلِّ آية وسورة فِي القُرآن هُوَ شؤون الولاية،

والمعنى المركزي في الدائرة الثَّانية هُوَ المُحكمات، والمعنى المركزي في الدائرة الثالثة هُوَ تفاصيل الجزئيات الَّتِي تسمّى بالمُتشابهات، وبيَّنا سابقاً أنَّ مقاصد السور الشريفة في الدرجة الأولى هِيَ شؤون وبحوث الولاية وَهِيَ ذَاتَ درجات وَعَلَى طبقات: _

طبقة ولاية الله ثمَّ طبقة ولاية الرسول عَيَّا أَنَّهُ طبقة ولاية الأئمة المَّكِانُ والمقصد الثَّانِي المُحكمات وَهِيَ عَلَى طبقات فمنها: _ ما هُوَ أشد إحْكاماً ومنها ما هُوَ اوسط إحْكاماً، وثالثاً ما هُوَ أقل إحْكاماً، وفي المقصد الثَّالِث: المتشابهات وَهِيَ تفاصيل الجزئيات.

تنبيه عَلَى أمر مهم: أهميّة الأهم لا تعني التفريط بها هُوَ أدنى فِي الأهميّة وَالأُمُور النازلة لا يعني إغفال وتفريط ما هُوَ أهم.

تنوع دلالة الآية الواحد في علوم شتى

على النظرية الثانية:

الفارق العاشر: تمتاز النَّظَريَّة الثَّانية بإنَّ جميع الآيات وبرمّتها يمكن أنْ يُستفاد منها فِي علوم شتّى وإنْ كَانَ ابتداءها وظاهرُها الأوّلي تُصنَّف إلى آيات فِي أحكام الفروع _ فقه _ أو إلى آيات فِي المعارف والعقائد أو فِي علوم الفلك أو الطبيعة أو علم النفس أو آيات علم المرأة أو علم الرجل أو ... الخ.

بخلاف النَّظَريَّة الأُولى فإنَّها تعكف عَلَى عزل مقام التنظير عَنْ التطبيق وأنَّ هَذِهِ الآية لها مورد لا تتعدَّاه فِي بَعْض الأحيان، وَقَدْ تتعدَّاه فِي بعضها الآخر. فمثلاً قوله تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾(١) فَقَدْ استفاد منها الشَّيْخ الطوسي حُكمًا فقهياً، وَأَكَّدَ ذَلِكَ السَّيِّد الشهيد مُحمَّد باقر الصدر ﴿ فِي كتابه المعروف اقتصادنا: _ بأن نقل السَّيِّد الشهيد يَشُّ كلام الشَّيْخ الطوسي مِنْ كتاب الخلاف واستفادة العدالة في تكافؤ الفرص مِنْ هَذِهِ الآية عَلَى قدر المساواة في الموارد الطبيعية العامّة مَعَ أنَّ هَذَا بحث معرفي عقائدي، وَمَعَ ذَلِكَ استفيد مِنْهُ حُكمًا فقهياً، وهكذا في بحث الوصيّة وآيات الوصيّة ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ﴾(٢) فالظهور الأوّلي للآية استفاد الفقهاء مِنْهُ حكماً فقهياً، ولكن المتكلِّمون بحثوا في الوصية إلى مستوى عقائدي، وَإِنَّهُ كيف بُني الإسلام عَلَى يد سيد وخاتم الأنبياء عَيَيْلِلُهُ وانه يَرْحل عَيَلِللهُ إلى الرفيق الأعلى ولا يوصي فيها هُوَ أكبر تراث وحياني وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ أَنْ يكون هُنَاك وصيٌّ.

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ أَنَّهُ لا مانع مِنْ استفادة الفقيه حُكماً مِنْ آية فِي العقائد أو الأخلاق أو علم النفس أو الأمن أو .. الخ وبالتالي أنَّهُ بحسب النظرة العميقة يجري مفاد كُلِّ آية إلى علوم شتّى طبق ضوابط وموازين وثوابت وَلَيْسَ الأمر بالخلط والخبط.

⁽١) سورة البقرة: الآية ٢٩.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

١٦٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وَعَلَيْهِ فَمِنْ الخطأ إقعاد واستظهار هيكل بناء نظام الظهور والاستعمال في آيات القُرآن بهيكل متقوقع وضيِّق الأُفق.

قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير

على ضوء تفسير أمومة الولاية على المحكمات فضلا عَن المتشابهات، ترسم لنا مخططا هرميا أس أساسه الولاية

أقسام الولاية:

إنَّ قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء تفسير أمومة الولاية عَلَى المحكمات ترسم لنا مُخططاً هرمياً أشبه ما يمكن أنْ نمثل لَهُ بهرم أو بنيان أسُّ أساسه الولاية، والأُسَّ الثَّانِي: المُحكمات، والأُسُّ الثَّالِث: المُحكمات، والأُسُّ الثَّالِث: المُحكمات،

أُمَّا الأُسِّ الأَوَّل: _ أعني الولاية، فَهُوَ ينقسم إلى ثلاثة أقسام، بنصّ القُرآن الكريم ﴿إِنَّهَا وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوْةَ وَيُقُونَ الرَّكُوةَ وَهُمُ رَكِمُونَ ﴿ إِنَّهَا وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوْةَ وَيُعُمُ رَكِمُونَ ﴿ إِنَّهَا وَلَا اللَّهَ اللَّهَ عَلَيْهِ وَاللَّهَ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللهُ اللهُو

وَهِيَ: أَـ وَلَايَةَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. ب ـ وَلَايَةَ الرسولَ عَيَّالِلْهُ. ج ـ وَلَايَةَ أَنْمَةً أَهُلُ البيت المِيَّلِيَّةً.

وقمّة الولايات الثلاث أوَّلها هِيَ ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ، ثمَّ ولاية

⁽١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

١٦٢..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

الرسول ﷺ ثمَّ الولاية الثالثة الَّتِي وصفها القُرآن الكريم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواُ الرَّسُولَ الْمُواَ الْمُولَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوَةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكُوةَ ﴾ فَهِيَ بإجماع المُفسِّرين مِنْ العامّة والخاصّة أنَّها نزلت فِي حقّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب اللهِ .

والولاية الأولى: ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ وَالَّتِي بِالدِّقة أَنَّهُ إِذَا أَردنا أَنْ نَصِل إِلَى لُبَّ لُبَابِ معاني الآيات والسور هِيَ أَنَّهَا تقودنا إلى شؤون التوحيد وَإِلَى الأسهاء الإلهية؛ ولذا نلاحظ فِي ذيل كثير مِنْ الآيات سيّها الآيات الملحميّة أو الطويلة منها وَقَدْ ذُكِرَ فِي آخرها اسمٌ أو أكثر مِنْ الأسهاء الإلهيّة، مثل قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اللهَ سَمِيعٌ اللهَ اللهَ اللهُ اللهُ

وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم عالج موضوعات مُحتلفة: _

مِنْهَا: ما يخصَّ أحكام الآيات فِي فقه الفروع، وَمِنْهَا: _ أحكام اجتماعيّة، وَمِنْهَا: _ ما يتعلَّق الجتماعيّة، وَمِنْهَا: _ ما يتعلَّق بالحياة الزوجيّة وتكوين الأسرة وغيرها.

والنسبة بين طبقات الولاية كالنسبة بين الولاية والمحكمات، فمثلما الولاية مركزُ مدار لمُحكمات الكتاب العزيز وسائر الكتب السماويّة الأُخْرَى؛ إذْ

⁽١) سورة الحجرات: الآية ١.

⁽٢) سورة المائدة: الآية ٩٧..

⁽٣) سورة الحج: الآية ٦١.

قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير

تدور عَلَيْهَا كَمَا فِي رواية مسعدة بن صَدَقة، قَالَ أبو عبدالله للسلال الله جعل ولا يتنا أهل البيت المسلام قطب القُرآن، وقطب جميع الكتب عَلَيْهَا يستدير محكم القُرآن، وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيهان (۱).

كَذَلِكَ ولاية الرسول عَلَيْلَهُ تدور عَلَى ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى ولاية الله وَرَسُولُهُ وَعَلَى ولاية الله ورسوله ولاية أهل البيت التِلاِّ.

وَمِنْ هَذَا يُعْلَم أَنَّ الولاية عَلَى دوائر ومراتب.

شُؤال: ذكرنا قبل قليل أنَّ ولاية الله تَعَالَى هِيَ تقودنا إلى شؤون التوحيد، وَإلى الأسهاء الإلهية، ومُحَصَّل السؤال: _ أنَّهُ كيف تقودنا هَذِهِ الموضوعات المختلفة الَّتِي عالجها القُرآن الكريم إلى التوحيد؟ وَمَنْ يستطيع الوصول إلى هَذَا الأمر، _ وإنْ كَانَ هَذَا بحث آخر وسيأتي التعرُّض إليه وأنَّ ولاية الرسول بَعْدَ ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنَّ الرسول الأكرم أوَّل وأشرف وأكمل المخلوقات عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ،

الجَواب: سيتضح ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ خلال معرفة شخصيّة الرسول الأكرم الله وبيان ارتباط كُلَّ آية بالتوحيد، والمفروض أنَّ كُلِّ آية وَكُلِّ سورة فِي القرآن تَدلُّ عَلَى توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذِهِ تَمثِّل نهايات معاني القُرآن، وإنْ كانت هَذِهِ النهاية لا نهاية وراءها؛ لِإنَّهُ لَيْسَ وراء الله منتهى.

⁽١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٨.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ النَّظَرِيَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي الفُرآن، لا تتبنى إلغاء التفاصيل وبقيّة المناهج ولا عدم جدوائيتها، وكذلك لا تتبنى النَّظريَّة الثَّانية إلغاء الظاهر وإلغاء الجزئيات، بَلْ تُؤكِّد عَلَى أهميّة بقيّة المناهج الأُخْرَى، وَتُؤكِّد أنَّ للآيات معاني تفصيلية جزئية إلَّ أنَّهُ لا تحصر معنى الآيات فِي التفاصيل الجزئية المتشابكة، فَإنَّ جملة مِنْ الآيات وإنْ كانت واردة مورد بيان أحكام عملية فِي القوانين العمليّة للإسلام إلَّا أنَّها لا تنحصر في ذَلِك.

الأساس الثَّانِي: المُحكمات بناءاً عَلَى ما تَقَدَّمَ أيضاً هِيَ الأُخْرَى عَلَى طبقات، فَهُنَاك طبقات:

مِنْهَا: شديدة الإحكام، وَمِنْهَا: متوسِّطة، وَمِنْهَا: _ نازلة الإحْكام

فلدينا طبقة أم الكتاب، وطبقة الكتاب المبين، وطبقة الكتاب المكنون، وطبقة لا يمسه إلَّا المطهرون ... الخ وَكُلِّ طبقة عُليا هِيَ أساس ومركز لطبقة أدون مِنْهَا تكون أبعد عَنْ المركز، وَهَذِهِ المراتبية أمرٌ ضروري ومصيري في منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات.

الأساس الثّالِث: المُتشابهات: وَهِيَ عَلَى طبقات فَإِنَّهُ كُلّما تنزّلت وتشعّبت معاني الآيات ازداد التشابه والتشاكل والتهاثل مما يزيدُ فِي تطرُّق الوهم وصعوبة التمييز لكثرة الأمثال المختلفة وتنوع وتضارب الأشباه والنظائر فَيتَعَقَّد الفصل بينها، بينها كُلّما تصاعد المعنى قلَّ التشابه وازداد بساطةً ووضوحاً، وَمِنْ ثمَّ نجد استعمال المتشابه فِي القُرآن يُطلق عَلَى المُحكم بالقياس إلى ما هُو أشدّ إحكاماً مِنْهُ وأنَّ التمسّك بها هُو دوني مِنْ الأحكام وترك ما هُو أعلى إحكاماً مِنْهُ هُو مِنْ التشبّث بالمتشابه فِي مقابل ترك المحكم، وعَلَى ذَلِكَ فيكون عنوان وصفة التشابه نسبياً وَذَاتَ مرجات.

وكذلك عنوان المحكم وبالدقّة فَهُمَا _ المتشابه والمحكم _ عنوانان متضايفان كالفوق والتحت، فَإنَّ ما هُوَ فوق يصدق عَلَيْهِ إِنَّهُ فوق بالإضافة إلى ما هُوَ فوق الثَّانِي فالفوق بالإضافة إلى ما هُوَ فوق الثَّانِي فالفوق الأوَّل تحت وكذلك التحتاني بالقياس إلى التحت الثَّانِي فانه فوقٌ وَقَدْ مَرَّ إطلاق القُرآن الظنّ عَلَى الحسّ وأنَّ الجسّ يتطرقه التشابه في قصة ادّعاء

171 تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني قتل عيسى ﴿ وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُيِّهَ لَمُمَّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْنَلَفُواْ فِيهِ لَغِى شَكِ مِنْهُ مَا لَمُهُ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱبْبَاعَ ٱلظَيّْ وَمَا قَنَلُوهُ يَقِينُا ﴿ اللَّهِ ﴾ (١).

⁽١) سورة الأنبياء: الآبة ١٥٧.

قاعدة الجري واستفادة التوحيد في عالم الصفات

والأسماء الإلهيت

بَعْدَمَا تبيَّن حسب النَّظَريَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فِي القُرآن، وعدم إقصاء وتهميش المناهج التفسيرية الأُخْرَى، وأنَّ الآيات لها معانٍ تفصيليّة، وأنَّ هُنَاك شبكات منظوميّة فِي التفاصيل، وَمِنْ الخطأ حصر المعاني فيها، وَإنَّ هُنَاك شبكات أوأنَّ هُنَاك أحكاماً عملية فِي القوانين.

فمثلاً آية الدَين ﴿إِذَا تَدَايَنتُمُ بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلِمُسَعَّى فَأَحْتُبُوهُ ﴾(١).

بتقريب: _ وَذَلِكَ لما هُوَ مقرَّر مِنْ تسلسل الأشياء تعاققباً وترامياً وراء بعضها البعض بنحو الأسباب والمسببات الفاعليّة والغائية، علاوة على العلّة القوامية للشيء مِنْ صورته ومادّته، وفي منظومة حلقات هَذَا التسلسل والترامي قُرِّرَ أَنَّ كُلّ فِعل ينبعث عَنْ صفة، وَكُلّ صفة تنبعث عَنْ جوهرٍ، أو أَنَّ كُلّ فعل ينبعث عَنْ صفة أخلاقية، وَكُلّ صفة أخلاقيّة تنبعث عَنْ عقيدة قلبيّة، فالعقيدة تكوِّنُ صفة خُلُقيّة، والصفة الخلقية تكوِّنُ علاً علم الخلقة والإيجاد.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

١٦٨..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وأمَّا بحسب قوس الصعود، فَإنَّ الفعل بتكرّره وتراكمه يُكوّنُ صفة خُلُقيّة والصفة الخُلُقيّة باشتدادها تكوِّنُ عقيدةً، كَمَا فِي قوله تَعَالَى ﴿ ثُمَّ كَانَ عَنِقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَّعُواْ ٱلسُّوَاَىٰٓ أَن كَلَّهُ اللهِ ﴾ (١).

كَمَا يشير إلى هَذَا الترابط الدوري قوله تَعَالَى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّدِائِحُ يَرِّفَعُهُمْ ﴾ (٢).

نعم، لا يُحيط بطبقات وحلقات منظومة الأشياء وَهُوَ ما قَدْ يُعبَّرُ عنه بعالَم المُصْطَفين كَمَا اعترف ابن سينا فِي إلهيات الشفاء.

وَمِنْ ثُمَّ كانت هَذِهِ القدرة مخصوصة بالمعصوم اللهِ وَلَيْسَ مِنْ نصيب العُلَمَاء والمُفسرين إلَّا الشيء اليسير وما لا يُدْرك جُلَّهُ لا يُترك كُلَّهُ.

ولو كَانَ قليلاً، كَمَا وَرَدَ عَنْ الإمام الباقر اللهِ «ولو شئت الستخرجت التوحيد كُلَّهُ مِنْ لفظة الصمد».

وهكذا ما بيّنه الإمام زين العابدين علي بن الحسين الله في الصحيفة السجّاديّة وما ذكره الله في تفسير الحروف المقطّعة في أوائل السور مثل ﴿حَمَ اللهُ وَٱلْكِتَبِ ٱلْمُبِينِ اللهُ ﴿ اللهُ وَالْكِتَبِ ٱلْمُبِينِ اللهُ ﴿ اللهُ وَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿ طُهُ

⁽١) سورة الروم: الآية ١٠.

⁽٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

⁽٣) سورة الدخان: الآية ١ _ ٢.

بتقريب: _ إنَّ الإمام الطِّلِ باستطاعته أنْ ينتزع مِنْ آية الدَين فِي التجارة مطلباً أساسياً فِي التوحيد، وأنَّ هَذَا التشريع الجزائي التفصيلي مبتنٍ عَلَى أساس توحيدي فِي عالم الصِّفات والأسماء الإلهية.

وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ الإيهان بالجزئيات وبالظاهر، كُمَا وَلابُدَّ مِنْ الإيهان بالباطن وبالأصول وبالاعتقادات، وَهَذَا نوع مِنْ العلم الجامع حسب النَّظَريَّة الثانيّة.

وإنَّ ما بيَّنه الإمام زين العابدين اللهِ: مِنْ أَنَّ كُلِّ حَرْف مُقطَّع، وَكُلِّ اسم مُقطَّع ابتدأت به كُلِّ سورة ثمَّ أردف الاسم المقطّع بَعْدَ ذَلِكَ ذَكِر القُرآن والكتاب، فَإِنَّ ذَلِكَ الاسم المُقطَّع هُوَ اسمٌ مِنْ أسماء جبال مقامات سيد الأنبياء عَلَيْ اللهُ اللهٰ اللهُ اللهٰ ملكوتي؛ لِأَنَّ نفس القُرآن الكريم يذكر أوَّلَ شيء ذُكِرَ هُوَ: مم، ثمَّ الكتاب المبين، ثمَّ يس أي بحرٌ مِنْ بحور الغيب اسمه يس مِنْ حقيقة الذات النبوية، وهكذا بحر حم، وبحر ألر، وبحر حمعسق ثمَّ الكتاب أيّ الطّبقات العُليا فِي القُرآن ثمَّ أم الكتاب، ثمَّ الكتاب المبين ثمَّ مقامات القُرآنية هِيَ مقامات غيبية.

⁽١) سورة طه: الآية ١ ـ ٢.

وَعَلَيْهِ فالمصدر الوحيد المتكفِّل لبيان بطاقة وشهادة الأحوال الشخصية لشخص سيّد الأنبياء عَيَّا أَنْهُ هُو القُرآن الكريم بيان هَذَا التَقَدُّم الرَّتبي لمقامات سيّد الأنبياء عَيَّا أَنْهُ وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الآيات والسورة هِيَ القائد الوحيد لمعرفة شخصية الرسول عَيَّا أَنْهُ بشكل كامل وتفصيلي، وَبَعْدَ هَذَا لا عبرة بكلام الفلاسفة ولا المتكلِّمين ولا العُرفاء ولا ... في شخصية الرسول عَيَّا ومقاماته.

إِذَنْ الْنَبِيّ مُحُمَّدَ عَلَيْهُ هُوَ الباب الأعظم إلى الله تَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهُ أعظم مِنْ الصَّلاة الصَّوم والحجّ والزكاة و ... الخ وشخصيته عَلَيْهُ تريد أَنْ ترسم لنا قالب الإنسان الذي يرضى عنه الله عَزَّ وَجَلَّ ويريد الله عَزَّ مِنّا أَنْ نتولاه بدليل الآيات القُرآنية الواردة فِي هَذَا المجال وَالَّتِي تُبيِّن كُلِّ آية أَنَّ ولاية الرسول بَعْدَ ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ وولاية الأئمة والعترة الطاهرة بَعْدَ ولاية الرسول عَلَيْهُ.

ومحل الشاهد مِنْ هَذَا كُلَّهُ إِنَّهُ كيف يا أصحاب النَّظَريَّة الأولى تعزلون مقام التطبيق عَنْ مقام التنظير، أَنَّهُ لا يمكن ذَلِكَ، فَهَذَا القُرآن يُسلِّط الأضواء فِي مقام التطبيق عَلَى أعظم وأخطر مصداق وشخصية مخلوقة لله تَعَالَى وَهُوَ شخص الرسول عَلَيُّ وَإِلَّا _ أي إِذَا عَزَلْنَا جانب التطبيق عَنْ التنظير فمعناه تخوية روح وجوهر الآية والسورة عَنْ التنظير فمعناه تخوية روح وجوهر الآية والسورة عَنْ حقيقتها، وأيّة سورة أو آية لا تعود إلى ولاية الرسول عَيَا الّتِي هِيَ طريقٌ إلى ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ هَذَا معناه أَنّنا أخويناها مِنْ حقيقتها، وَصَدَّعنا الركن الركين فِي بنيتها وَلَمْ نَعْقِل معناها، ثمَّ بَعْدَ ولاية الرسول عَيَا اللهُ تَاقي الركن الركين فِي بنيتها وَلَمْ نَعْقِل معناها، ثمَّ بَعْدَ ولاية الرسول عَيَا أَنْ تَاقي الركين الركين فِي بنيتها وَلَمْ نَعْقِل معناها، ثمَّ بَعْدَ ولاية الرسول عَيَا اللهُ تَاقي

ولاية عترة الْنَبِيَ عَلِيُّهُ، وَعَلَيْهِ إِذَا قطعنا معاني الآيات ومعاني السور عَنْ حقائقها أيّ عَنْ الدلالة _ فكأنَّما قطعنا معاني الآيات والسور عَنْ حقائقها أيّ عَنْ الحروف المقطّعة في أوائلها هِيَ مفاتيح لمجموع كُلِّ السور، وذكرنا سابقاً أنَّهُ يُذكر فِي البحوث العقلية والفلسفيّة أنَّ حقيقة ماهيّة الأشياء ومعانيها بغاياتها أيّ تعريف الشيء بعلته الغائية أبْيَّنُ وأَحَقُ مِنْ تعريف الشيء بصورته ومادته الصورية، والمعنى المادي والصوري للشيء لَيْسَ حقيقة مكافئة. كما ذكرنا في محله ليست حقائقية، وَعَلَيْهِ فكيف تعزلون يا أصحاب النَّظَريَّة الأولى حقيقة الشيء عَنْ الشيء نفسه، وما هَذَا إلَّا إخراج الشيء عَنْ حقيقته، أيّ قلب الشيء عَنْ حقيقته.

منهج أمومة الولاية يرسم منهاج نظرية المعرفة الدينية

ضرورة رسم المنهجة وفق نظام مبرمج

إنَّ مِنْ أهم مميزات المنهج التفسيري لأمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن هُوَ أَنَّهُ يمثِّل منظومة هيكلة بنيان القُرآن الكريم وقائم عَلَى هندسة هَذَا المنهج، وَأَنَّهُ لَيْسَ كباقي المناهج التفسيرية كمنهج تفسير القُرآن بالقرآن، أو تفسير القُرآن بالباب النزول، أو تفسير القُرآن بالإعراب والأبعاد الأدبيَّة واللغويّة أو بأسباب النزول، أو تفسير القُرآن بالإعراب والأبعاد الأدبيَّة واللغويّة أو تفسير القُرآن بآيات الأحكام أو التفسير الموضوعي، أو ... الخ، وَهَذِهِ الهيكلة الَّتِي يبيّنها منهج أمومة الولاية ليست فَقَطْ للقُرآن الكريم بالدقّة، وَالنَّي يبيّنها منهج أمومة الولاية ليست فَقَطْ للقُرآن الكريم بالدقّة، وَالثَين والدِّين هُوَ القُرآن، هُوَ الثَّين والدِّين هُوَ القُرآن، والدين هُوَ الثقلين.

وبالتالي هَذِهِ هندسة للدِّين كُلَّهُ وليست فَقَطْ للمعرفة القُرآنيَّة والمعرفة التُورآنيَّة والمعرفة الدينية الَّتِي صار حولها لغط كثير حول رسم نظرية المعرفة الدِّينية.

وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم والسُّنة _ أيّ الثقلين _ هُمَا مِنْ أكبر

منابع نظريةالمعرفة الدِّينية. وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نظرية المعرفة الدِّينية قائمة عَلَى محورية طبقات الولاية ثمَّ محورية طبقات الْمحكمات ثمَّ محوريّة طبقات المُتشابهات، وَهَذِهِ المنهجة ليست قضيّة رسم هندسي يُسَهِّل حفظ المطالب وتجميعها كلا، وَإِنَّهَا هِيَ _ المنهجة _ ميزان لقواعد المعرفة الدِّينية. وفي نفس المنهجة ارتباط قواعدي في معرفة الدِّين ومعرفة قواعد تفسير القُرآن الكريم، وَهُوَ بمثابة إشكال القياس كالاقتراني المؤلف مِنْ صغرى وكبرى ونتيجة، فَالْمَرَاد الفكري الَّتِي يجب أنْ تؤلَّفها وتنظَّمها بشكل كي تنتج النتيجة المطلوبة، فالشكل للأفكار في الذهن أو للمعانى فِي الذهن يقودك إلى استنتساج وإدراك النتيجة، وَعَلَيْهِ فهندسة الأفكار عبارة عَنْ منهاج للتفكير وللمعرفة، لا أنَّ القضية شكلية فَقَطْ ومُجُرَّد رسم هيكلة أو مُخطِّط، بَلْ الأمر أبعد مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا صميمي في مفاصل منهاج التفكير.

جدارة تفسير القرآن بالقرآن للسيد العلامة الطباطبائي اللهُ:

وَهَذَا البحث لا يقل أهميّةً عَنْ علم التفسير، بَلْ حَتّى فِي بحث فقه الفروع فَإِنَّ الفقيه المتضلِّع لابُدَّ لَهُ مِنْ مُراعاة هَذِهِ المنظومة الهندسيّة، فإذا أردت أنْ تقرأ السيرة النبوية بشكل مُبعثر ومُجنزء وَغَيْر مُنظَّم ومُهندس بالشِّكل الذي ذكرناه فسوف تُفْتَنَن فِي دينك، وتَفْتِن غيرك، وهكذا إذا أردت أنْ تُدرِّس مختلف علوم القُرآن فَلابُدَّ مِنْ مراعاة هَذِهِ الهندسة المنظوميّة وَإِلَّا فسوف تنشأ لك فِرقاً جديدة مثل فِرق الخوارج

منهج أمومة الولاية يرسم منهاج نظرية المعرفة الدينية ١٧٥ والقدريّة والجحارودية و … الخ فَإنَّ هَذِهِ الفِرَق والآثار السلبيّة نشأت أو تنشأ نتيجة القراءة المُجَزَّأة للدِّين وَغَيْر المنظمة بنظام يحفظ وحدة الدِّين، وَلَمْ يُراعَ فيها طبقات المعرفة، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى ضرورة اتّباع المنهجة المُبرمجة عَلَى وفق ضوابط وقواعد، وَهَذَا لَيْسَ مُحْتصّاً بعلم التفسير وَإِنَّمَا يشمل كافة العلوم وفي مختلف الاختصاصات، فمثلاً في علم أصول الفقه يبحث علماء الأصول الحجج وأقسامها وطبقاتها وعلائق بعضها مَعَ الآخر، وهكذا يبحثون علاقة الأبواب الأصولية بعضها مَعَ البعض الآخر فِي بحث منظومي مراتبي، فمثلاً ما التزم به السَّيِّد العلَّامَّة الطباطبائي فِي منهجه التفسيري تفسير القُرآن بالقُرآن رغم أنَّهُ منهج صحيح وسديد وأثبت جدارته في موقعه فَقَطْ لا أنَّهُ منهج مُهيمن عَلَى باقى المناهج التفسيرية الأُخْرَى، وَلَمْ تثبت جدارته فِي غَيْر موقعه ـ وَعَلَيْهِ فكون منهج تفسير القُرآن بالقُرآن صحيح وسديد وكفؤ شيء، وكونه هُوَ المهيمن عَلَى المناهج التفسيرية الأُخْرَى شيء آخر، مَعَ غضّ النظر عَنْ المغالطة الموجودة فِي عنوان منهج تفسير القُرآن بالقُرآن وأنَّ العنوان غَيْر دقيق، وَأَنَّهُ لا يُطابق المنهج الذي يُريده السَّيِّد العلَّامة مُحَمَّد حسين الطباطبائي أو ملا صدرا أو الفيض الكاشاني أو غيرهم مِنْ أعلام الشيعة أو السُّنة، وسُنبيِّن المغالطة بين العنوان ـ تفسير القُرآن بالقُرآن ـ وبين ما يريده ويتبناه السَّيِّد العلَّامة ﴿ فِي مُحلَّه الْمُنَاسِبِ ـ

وَعَلَيْهِ فجدارته فِي معرفة لا تجعله مهيمناً فِي غَيْر موقعه عَلَى سائر

١٧٦..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني المناهج التفسيرية الأُخْرَى.

ولذا جملة مِنْ تلامذة السَّيِّد العلامة الطباطبائي عَلَى حَكَّموا وجعلوا منهج تفسير القُرآن بالقُرآن هُوَ المُهيمن عَلَى باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى فِي الفقه وغيره، ولذا خرجت لديهم نتائج وقناعات شاذة وخطيرة وغريبة وبعيدة عَنْ مُسَلِّهات مدرسة أهل البيت المَهِم الفقهية.

والخلاصة: إنَّ ضبط المنهجة وفق موازين وضوابط علمية لا يختصّ بعلم الفقه أو التفسير أو الأصول أو ... الخ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن يمتاز عَنْ غيره بالهيمنة وكونه منهج قواعدي لِأَنَّ الفُهر آن هُوَ منبع الدِّين، وأنَّ المنهج الذي يُؤسِّس فِي تفسير القُرآن الكريم يُضفي بظلاله ويؤثِّر أثره عَلَى الفقه والعقائد والسيرة والاخلاق، ولذا فاختيار المنهج التفسيري للقُرآن الذي يُحافظ عَلَى القُرآن وَأَنَّهُ كتلة منظومية واحدة ضروري جداً، ولذا القُرآن الكريم يوصي بالوحدة الواحِدة على الدِّين وإنَّ الدِّين كُلَّهُ كتلة واحدة، ولذا يقول القُرآن ﴿أَفَتُوْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِنْبِ وَتَكُفُّرُونَ بِبَعْضٍ الْكِنْبِ وَتَكُفُرُونَ بِبَعْضٍ الْكِنْبِ وَتَكُفُرُونَ بِبَعْضٍ الْكَنْبِ وَتَكُفُرُونَ بِبَعْضٍ الْكَنْبُ وَتَكُفُرُونَ بِبَعْضٍ اللَّين عَلَيْ ﴿أَلَوْرَانَ عِضِينَ ﴿ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

وَعَلَيْهِ فالمنهج التفسير الذي تترتّب عَلَيْهِ نتائج غريبة وخطيرة

⁽١) سورة البقرة: الآية ٨٥.

⁽٢) سورة الحجر: الآية ٩١.

القاعدة: قاعدة فِي موقعها الصحيح

وبعيدة عَنْ مُسَلَّمات مدرسة أهل البيت المُثَلِّ ويفكك وحدة القُرآن، فمثل هكذا منهج لا يتصف بالمنهج القواعدي والمهيمن، بخلاف منهجنا المُختار أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن الذي يتصف بالهيمنة ويتكفل وحدة وعدم تفكيك كتلة الدِّين، وَهَذَا ما يمتاز به منهج أمومة الولاية عَلَى باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى.

القاعدة: قاعدة فِي موقعها الصحيح

تنبيه هام: مِنْ منطلق إنَّ القاعدة قاعدةٌ إذا ثبت موقعها الصحيح ـ لِإِنَّهُ مِنْ الخطأ والخطر إذا جُعِلَت القاعدة فِي غَيْر موقعها الصحيح، فَإِنَّهُ سوف يَختل البُنيان وينهد أساس الأركان _ فالمهندس الناجح في هندسته إذا أراد أنْ يبني بُنياناً مُعَيَّناً فلديه مجموعة قواعد مختلفة في الركنية والتأثير، وإنْ كانت كُلَّها فِي الأساس قواعد صحيحة إلَّا أنَّها متفاوتة الأهميّة، فَهُناك قواعد مركزية ومحورية هامّة، وَهُناك قواعد جانبية، وَهُناك قواعد مغتلفة لأسس مختلفة، فإذا جانبية، وَهُناك قواعد المركزية لا في المركز وجعلت القاعدة المركزية لا في المركز، وجعلت القاعدة الجانبية عملية بأنْ جعلت القاعدة المركزية لا في المركز، وجعلت القاعدة الجانبية في المركز فَإنَّ البناء والمبنى سوف تنهد أركانه ﴿إِنَاكُلُ شَيْءِ خَلَقَتَهُ بِقَلَدٍ ﴾ (١٠).

بتقریب: _ إِنَّ لِكُلِّ شيء قدر، ولكن قدر كُلِّ شيء غَيْر قدر

⁽١) سورة القمر: الآية ٤٩.

١٧٨...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجز الثاني الآخر، وَإِنَّمَا يَتِمُّ ذَلِكَ بميزان النظام العام المجموعي الراسم للمنظومة الارتباطية ذَاتَ الأبعاد العَرَضية والطوليَّة لترتيب مراتب الأشياء ومقاماتها.

التفاتتان وثمرتان نفيستان في قاعدة الجري

منظومية قاعدة الجري على النظرية الثانية دون الأولى

الالتفاتة الأُولى: ذكرنا سابقاً أنَّ هُنَاك أواصر وقواسم مشتركة بين القواعد الَّتِي تعرَّضنا لبحثها كقاعدة التعريض والالتفات وإيّاك أعنى واسمعى يا جارة، وقاعدة استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ معنى، وَهَذِهِ القاعدة الَّتِي وصلنا إليها في البحث فعلاً وَهِيَ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير وغيرها، إلَّا أنَّ هَذِهِ الروابط المشتركة خفيَّة يصعب اكتشافها عَلَى وفق باقى المناهج التفسيرية، بخلاف منهجنا المختار أيّ منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَلَى المتشابهات فِي القُرآن، وَبَعْدَ التوفيق الإلهى يتفطّن المُفَسِّر المُلتَفِت إلى مثل هكذا نكات فَمِنْهَا ما نَحْنُ فيه: _ إلى أَنَّهُ لو دقَّقنا فِي هَذِهِ التوسعة لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، بلا أنْ نُسميها بالتطبيق وَإِنَّهَا قاعدة الجرى وإنَّ الجرى أعم مِنْ الجري عَلَى الإشارات واللطائف وتعبير وترجمان القُرآن، وأعم مِنْ دورية تطبيق القُرآن عَلَى مصاديق دوريّة مستمرة، فإذا دقّقنا في هَذَا التوسّع مِنْ نظرية الجرى فَإِنَّهُ تقريباً يُفتح لنا أُفق مُتطابق مَعَ توسعة معنى قاعدة استعمال اللَّفْظ في أكثر مِنْ معنى.

تَقَدَّمَ فِي قاعدة استعال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ معنى إنْ توسعنا بها بشكل عَرْضي عَلَى مستوى الصعيد التصوري والاستعالي والتفهيمي والجدّي، بخلاف توسعنا في قاعدة الجري فَإنَّهُ توسّع طولي، بَلْ الأعظم مِنْ هَذَا إنَّ قاعدة الجري تُقْحِم مقام التطبيق والمصداق في الاستعال وتجعله مِنْ الأُمُور المُستعملة وإنْ لمَ يكن مُراداً عَلَى صعيد الاستعال، وكذلك لَيْسَ مُراداً عَلَى صعيد المُرَاد التفهيمي التنظيري، ولا عَلَى مستوى صعيد تنظير المداليل الجديّة العامة المنتشرة، وَهَذَا كُلَّهُ لا يتسم بطابع الأهميّة وَإِنَّمَا المهم هُوَ عَلَى صعيد التطبيق والمصداق، فَهَذَا هُوَ الأهم فِي نظر الشَّارع، هُوَ أحد الثمرات المُهِمّة فِي قاعدة الجري.

الحقيقة أحرى بالاتباع:

الالتفاتة الثَّانية: إنَّ عُلَمَاء اللَّغَة والبلاغة والأدب ذكروا فِي قواميسهم ما حاصله: _

"إنَّ المصاديق خارجة عَنْ المداليل، بخلاف ما تتبناه وتفهمه قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير حسب النظريّة الثَّانية عَلَى مُحتارنا فِي المنهج التفسيري لأمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن»، والصحيح هُوَ ما تبنته النَّظَريَّة الثَّانية مِنْ أَنَّ: _ «التطبيقات المصداقية لهي أحد مداليل الكلام» أيّ أنَّ مدلول الكلام يجري إلى معانى جدية مواطن وموارد عديدة سواء موارد مِنْ تنظير المعنى إلى معانى جديّة

وذكرنا سابقاً أنَّ تبديل هَذِهِ المباني الَّتِي عشعشت قروناً مِنْ الزمان فِي نتاج عُلَمَاء وعلوم دهر مِنْ السنين لَيْسَ بالسهل تبديله بعشية وضحاها وتغيره أو معالجة أمر فيه، فالإنصاف الأمر لَيْسَ بالسهل ولكن الحقيقة أحرى بالإتباع فمثلاً قاعدة استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ معنى المُتقدِّمة نلاحظ أكثر عُلَمَاء البلاغة وَاللَّغَة والأصول والفقه والتفسير قالوا باستحالته وامتناعه لقرون إلى أنْ وافتنا التحقيقات الأخيرة فِي علوم متعدِّدة أنَّ الأمر ممكن وواقع بكثرة كَمَا تَقَدَّمَ فِي محله (۱) وَعَلَيْهِ فلا يظننَ

وهكذا مثلاً فن الخط والتنقيط مضت قرون ولم يُكتشفا ولم تَعْرِفهما البشرية الى زمان أمير المؤمنين للثِّلا كما يذكر ذلك حسن الصدر في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، وإنْ كان ذلك يجعل لصالح المكتشِف إلا أنّ أصل الالتفات إلى علوم اللغة والنحو والبيان والخط والتنقيط وغيرها هو من أمير المؤمنين على بن أبي طالب للثِّلا.

⁽۱) ينبغي أنّ نلتفت كباحثين عن الحقائق أن هناك حقائق نكون غافلين عنها فلعل البعض يتسائل ويقول: _كيف علماء ومحققون وباحثون و ... الخ لم يلتفتوا الى أن مثل قاعدة استعمال اللفظ في أكثر من معنى ممكنة وواقعة بكثير علماً أنهم كانوا يبنون على استحالتها وعدم وقوعها،، والذي نريد التنبيه عليه هو: _ أنه لا نظن أن حقائق ومناهج نظم اللغة والبيان والنحو والصرف و ... الخ اكتشفت من قبل علماء اللغة والأدب والنحو سواء أكانت علوم اللغة واللسان هذه عربية أو غير عربية، فالعرب لم تكتشف علم النحو رغم وجود روّاد أدب منهم _ العرب _ لهم الدور الأكبر في تلك المؤتمرات والمباريات التي كانوا يعقدونها في منتدياتهم الأدبية أيام الحج في مِنى وسوق عكاظ والمعلقات السبع و ... الخ ومع ذلك لم يكونوا قد اكتشفوا علم النحو وهو امرٌ غريب مع أن العرب من زمن نبي الله إسماعيل الله وقبيلة جَرْهم وقبائل اليمن التي تناكحت مع النبي إسماعيل وولدت قريشاً و ... الخ الى أن جاء زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب النبي إسماعيل وولدت قويشاً و ... الخ الى أن جاء زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب النبي إسماعيل وولدت قويضع قواعده.

المُحدُّ أنَّ علمَ اللَّغَة مثلاً كُلِّ ما قُرِّرَ فيه هُوَ كُلِّ شيء وإنْ كَانَ عَلَى ضوء أحدُّ أنَّ علمَ اللَّغَة مثلاً كُلِّ ما قُرِّرَ فيه هُوَ كُلِّ شيء وإنْ كَانَ عَلَى ضوء

احد أن علم اللغه مثلا كل ما قرر قيه هو كل شيء وإن كان على صوء حقيقة بيانات أهل البيت للهي يجب إعادة كتاب قواعد علم البيان والبلاغة _ وغيرها وإنْ كَانَ علم الألسنيات لا يتقيد بالثوابت والضوابط والمناهج والقواعد المُلتزم بها عَلَى ضوء منهاج أهل البيت الهي .

إعادة كتابة قواعد علم البلاغة

عُلى ضوء علم الألسنيات وتعدد القراءة:

لا زال الكثير مِنْ قواعد علم البلاغة لَمْ تكتشف أو اكتُشِف بعضها ولكن يجب إعادة كتابة قواعد علم البلاغة عَلَى ضوء القواعد الجديدة الَّتِي اكتشفت وَالَّتِي ستكتشف مِنْ قبل الأجيال الآتية في المستقبل، وَهَذَا دليل عَلَى عدم التسليم بكُلِّ ما قاله وكتبه عُلَمَاء أهل ذَلِكَ الفن مِنْ قواعد وضوابط، وأنَّ كُلِّ ما توصلوا إليه قابل للمناقشة والنقد والتطوير شريطة أنْ يكون عَلَى طبق موازين وأدلة.

فمثلاً: إعادة كتابة ما قُرِّرَ مِنْ قواعد فِي إرادة المعنى الجدِّي فِي علم البلاغة عَلَى ضوء القواعد والموازين القديمة مَعَ ما قُرِّر فِي بيانات أهل البيت البيّ وما بُرْهِن عَلَيْهِ فِي علم الألسنيات وتعدد القراءات بأنَّ المُرَاد الجدي لا يقف عِنْدَ حَدِّ وباختلاف اللغات وإنْ كانت بلاغة اللغات الأُخْرَى عيالٌ عَلَى بلاغة اللَّغة العربية إنْ لَمْ نكن مبالغين فِي ذَلِكَ وإنْ كانت هَذِهِ العلوم قواعد تتخادم فيها بين بعضها البعض.

التفاتتان وثمرتان نفيستان فِي قاعدة الجري

وَعَلَيْهِ فَمَنهاجِ أَهِلِ البِيتِ النَّظُرِيَّةِ النَّسِيةِ لِيسَتَ بِمَعْنَى التَشْكَيْكُ، وَإِنَّهَا النَسبية بمعنى أنَّ الحقيقة الواسعة قَدْ يقتنص الباحث والمُفسِّر المُلتفت والفَطِن مِنْهَا مراتب وتخفى عَلَيْهِ أُخْرَى.

هَذَا مُضافاً إلى أنّهُ قَدْ تكون أدلته الَّتِي اعتمد عَلَيْهَا ظنيّة فحينئذٍ يكُون ما اقتنصه سرابٌ بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً بخلاف ما إذَا كانت أدلتك يقينية وحقائق ولكنّها بَعْض الحقيقة لا تمامها فإنّها سوف تقتنص حقائق لها وجود ونسبية لها مراتب وَهَذِهِ النسبية عِنْدَ أهل البيت المِيَّلِيُّ تختلف عَنْ النسبية التشكيكيّة السفسطيّة عِنْدَ مدرسة الألسنيات الحديثة.

⁽١) سورة الحج: الآية ٢٩.

بتقريب: _ إنَّ الْمُرَاد بها عِنْدَ المفسِّرين معنى ومُراد عُلَمَاء الكلام أو الفُقهاء مِنْهَا معنى آخر. فمثلاً في العقائد يُراد مِنْ الآية المباركة ﴿ ثُمَّ لَيْقَضُواْ تَفَعُهُمْ ﴾ لقاء الإمام أمَّا في الفقه فَالْمَراد مِنْهَا: _ قصّ الأظافر أو حلق أو قصّ شعر الرأس فيكون المُرَاد مِنْ الآية عِنْدَ الفقهاء هُوَ التطهير البدني المُتمثِّل بحلق الرأس أو تقصير شعره أو قص أظافره أو ... الخ: أمَّا عُلَمَاء الكلام أو العقائد فيريدون مِنْهَا معنى آخر كالتطهير الرُّوحي مثلاً المتمثِّل بالإيمان بأصول الإسلام والمذاهب مثلاً، فَمَنْ كانت نظريته ومساره العلمي يتوافق مَعَ مدرسة الوحي _ أيّ مدرسة أهل البيت المَيِّكُ فَإِنَّهُ سوف يقع في مثل هكذا اندهاشات نتيجة مدرسة أهل البيت المَيَّكُ مدرسة أهل البيت المَيَّكُ مدرسة أهل البيت المَيَّكُ أَنِّهُ سوف يقع في مثل هكذا اندهاشات نتيجة فرضهم قواعد مُسبقة لا تصمد أمام البحث العلمي.

وهكذا ما اشتهر بها يُسَمَّى بعلم الألسنيات أيِّ علم قراءة النَّص وتعدّد القراءة للنصّ الواحد الذي يُعْبَّر عنه بتعابير عديدة مِنْهَا: _ الهرمونطيقيا وتشعبت مِنْهُ علوم متعددة، وعلم الألسنيات: _ علم قَدْ اكتشفه الغرب قبل قرن مِنْ الزمان أو أكثر علماً أنَّ هَذَا البحث موجود في بحوث علمائنا الأبرار قبل قرون مِنْ الزمان فِي علم الأصول وعلم التفسير و ... وفي بيانات أهل البيت الميَّلِيُّ.

وحاصل علم الألسنيات: أي علم تعدّد قراءة النص الواحد هُوَ أَنَّ النص لَيْسَ الْمُرَاد الجدّي فيه واحد وَإِنَّما يمكن أنْ تكون الحقيقة فيه

مستترة وراء الكلام ووراء المعاني هِيَ حقائق وليست حقيقة واحدة، ونقولها وللأسف إلى الآن يوجد مِنْ المثقفين الإسلاميين فِي المذاهب الإسلاميَّة الأُخْرَى مِنْ إخواننا أهل السُّنة مَنْ هُوَ مقتنع بها قاله الغرب غَيْر المؤمن برسالة الإسلام وَالقُرآن وبالنبي عَيْلُ وبأئمة أهل البيت المَيْلِ علماً أنَّهُ يرد عَلَى ما طرحه الغرب ما يلي: _

أولاً: إنَّ الذي طرحه وَقَالَه الغرب بلا موازين وإنْ كَانَ فيه إيجابيات مُبَرَهَنة لمدى جداره أهل البيت الميلاً مِنْ النص الواحد يُقرا بقراءات مختلفة.

ثانياً: إنَّ تعدّد قراءة النَّص اللَّدُني موجود في بيانات أهل البيت المِيَّ قبل أكثر مِنْ (١٤) أربعة عشر قَرْناً. وَعَلَى ضوء علم الألسنيات وتعدّد فقراءة النَّص وحسب؛ لأنَّ رحابة مداليل الكلام واسعة، وَبِهَذَا كشفنا ظلمة وبُهمة أنظمة اللُّغَة وعلومها وَلَمْ نقف مَعَ تلك الظلمة وَإِنَّها لابُدَّ مِنْ إنارتها وإضائتها بنور العلم لأنَّ العِلْمَ والبحث نورٌ يكشف لنا ظلمة هَذَا الطريق الموجود إذا وقفنا حَيْثُ وصل الآخرون وكم ننجز شيء مكرر واكتشفنا بقاع جديدة في العلم والحقائق لمَ يكتشفها السابقون.

وبعبارة أُخْرَى: إنَّ ما تطوّر إليه الذهن البشري مِنْ تعدّد القراءة للنصوص والمتون أو فلسفة الألسنيات إجمالاً لهو خير شاهد عَلَى ما سبقت إليه مدرسة أهل البيت المِثِلاً مِنْ تعدّد قراءة المتن والنصّ الواحد

الوحياني وما يُعْرَف بتعدّد البطون حَتّى أشتُهر لدى المخالفين الطعن عَلَى مدرسة أهل البيت بأنبًا باطنية وما شابه ذَلِكَ مِنْ الأوصاف الذي بات هَذَا الطعن خيرُ برهان عَلَى الرقي العقلي السابق لهذه المدرسة وبدرجة وحيانية تميّزها دون بقيّة مدارس المسلمين، وَمِنْ هَذَا القبيل ما تظافرت جهود الإمامية بسبب هَذِهِ المدرسة مِنْ تراكم وتكدّس جهود طوال قرون في مباحث الألفاظ وما يتصل بها مِنْ مباحث الحجج وَالَّتِي تصبّ في نظام طبقات الدلالة وتعدّد المدلول بموازين وضوابط متقنة وإنْ لَمْ يمنع ذَلِكَ مِنْ الاختلاف في التفاصيل والتطبيقات لكنه يُحكَم في التحكيم بينها قواعد وَمِنْ وراءها قواعد أم أُخْرَى وثوابت، وإنَّ كثيراً علم الأصول المشيّد إنجازاته في مدرسة أهل البيت الميَّلِيُّ.

مُضافاً إلى أنَّ بحوث الألسنيات والهرمونطيقيا وأنْ تضمّنت نتائج متينة وبرهانية عَلَى سداد منهج مدرسة أهل البيت في قرار النَّص الدِّيني إلَّا أنَّ الكثير مِنْ مسائل ونظريات الألسنيات توظف إلى الانفلات عَنْ الموازين والقواعد في قراءة النَّص والسقوط في قريحة السلائق الذاتية والشخصية بعيداً عَنْ الموضوعيّة والحياد العلمي، وَهَذَا السلائق الذاتية والشخصيّة بعيداً عَنْ الموضوعيّة والحياد العلمي، وَهَذَا ما يُميّز الفكر الأصولي مِنْ علم أصول الفقه لدى الإمامية عَنْ مدارس الألسنيات، لا سيّا وأنَّ الألسنيات وظفت كثيراً لدواعي السفسطة التشكيكية الرامية إلى اللامسؤولية واستباحة كُلّ محظور.

علم التأويل يزيل تشابه القرآن

تَقَدَّمَ فِي البحوث السابقة أنَّ فتنة المُتشابه فِي آيات القُرآن وعلم التفسير لا تنقشع ولا تزول إلَّا بعلم التأويل بنص سورة آل عمران ﴿وَمَا يَعْلَمُ مَ أُويِلَهُ وَلِا اللّهِ وَلَا اللّهِ اللّهِ وَالْمَا اللّهِ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ('' وببيان أهل البيت اللّهِ وَفق منهج أمومة ومحوريّة ولاية أهل البيت اللهِ والمُحكمات فَإنَّ هَذِهِ المنهجية هِيَ المهيمنة عَلَى ذَلِكَ، بَلْ وَحَتّى علم إشارات القُرآن فيه مساحات متشابهة هِيَ الأُخْرَى فيها فتقٌ ورتقٌ لا ينقشع إلَّا بأمومة الولاية عَلَى المُحكمات فِي القُرآن الكريم، وهكذا بالنسبة إلى علم لطائف القُرآن قَدْ يكون فيه متشابهات لا تزول إلَّا بأمومة الولاية وبمحكمات القُرآن وَهِي عَلَى طبقات، وَهَذَا هُوَ معنى الأمومة، كَمَا تَقَدَّمَ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قاعد علم التأويل والتعبير والإشارة واللطائف و ... الخ في القُرآن هِيَ قواعد مُتطابقة مَعَ قواعد علم التفسير إلَّا أنَّ المواد في التأويل أوسع أُفقاً ورحابةً وشفافيّة مِنْ علم التفسير، وَإلَّا فالموازين والقواعد فيهما هِيَ هِيَ فَإِنَّهُ لا ينضبط باطن بلا ظاهر ولا العكس.

فَإِنَّ هُنَاك شواهد عَلَى ذَلِكَ كَمَا فِي قول الْنَّبِيَّ عَلَيْكُ الْمُسَّلَّم بين

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٧.

١٨٨...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات -الجزء الثاني الفريقين «إنَّ للقرآن بطن ولبطنه بطن إلى سبعين بطن ...»(١).

بتقريب: _ إنَّ ذكر السبعين لَيْسَ للحصر وَإِنَّمَا كناية عَنْ الكثرة، ثمَّ إذَا كَانَ علم التفسير هُوَ الكاشف عَنْ ظاهر قناع فتنة المتشابهات، فَلَيْسَ معناه إنَّ علم التفسير وظاهر القُرآن هُوَ كُلِّ القُرآن، كلا وَإِنَّمَا علم التفسير هُوَ أوَّل علم القُرآن وأوَّل علم في كشف قناع الظاهر، وعَلَيْهِ التفسير هُوَ أوَّل علوم القُرآن وأوَّل علم في كشف قناع الظاهر، وعَلَيْهِ فلهاذا لا نبالي ولا نكترث ببقية علوم القُرآن؟

وماذا تعني طبقات القُرآن؟

وخير شاهد ما قاله الْنَبِيّ الأكرم الله ورسم لنا خارطة نبويّة مهيمنة وشاملة لجميع العلوم وَلَمْ تُركِّز عَلَى جانب دون آخر وَهُوَ قوله الله العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سُنّة قائمة، وما خلاهن فَهُوَ فضل».

بتقريب: _ إِنَّهُ عَيَّالًا أَراد مِنْ الفريضة العادلة هِيَ إشارة إلى فقه الفروع وقوانيها وَهِيَ وظائف الأبدان وَهُوَ الظاهر والسُنة القائمة إشارة إلى تهذيب النفس والأخلاق ورياضتها وَهِيَ باطن وسط، والآية المحكمة تعني العقيدة والعقائد الَّتِي يُعتقد فيها فِي القلوب والعقول، وهكذا كناية عَنْ الباطن الخفي.

وَهُنَاكَ تَسَاوُلَ: إِنَّهُ لمَاذَا الرسول الأكرم عَيِّ شُبَّكَ بين المراحل

⁽١) الكافي: ج١: ٣٢؛ سنن أبي داوود: ج٢: ٣.

علم التأويل يزيل تشابه القُرآنالثلاث؟

(١) سورة الحجر: الآية ٩٩.

التفسير بالمأثور وشموليته

للمناهج التفسيرية الأخرى

لَعَلَّ بَعْضِ المدارس الإسّلاميَّة وَمِنْهَا الصوفيّة الَّتِي ظنّت أنَّ مثل علم التأويل أو علم التعبير أو علم الإشارات في القُرآن أنها علوم مزاجيّة وَمِنْ باب فوضى الاحتمالات و ... الخ وإنْ كُنّا نعترف بأن الكثير صحيح أنهم مارسوا لهذا النمط، ولكن هَذَا شيء لَمْ يضبط فِي الواقع تلك العلوم بها هُوَ موجود عِنْدَ أهل البيت اللِّي وأبدت تلك المدارس تقييهاتها وممارساتها الهلوسيّة بابتعادهم عَنْ مدرسة الوحى وأئمة أهل البيت الملكيان، ولذا وقعوا بها وقعوا فيه وكتبوا الأفول والفشل عَلَى مدارسهم ومناهجهم الَّتِي أصبحت عاجزة وَغَيْر قادرة عَلَى الوقوف أمام مدرسة أهل البيت المَيْكِ؛ ولذا وقعوا بها وقعوا فيه وكتبوا الأفول والفشل عَلَى مدارسهم ومناهجهم الَّتِي أصبحت عاجزة وَغَيْر قادرة عَلَى الوقوف أمام مدرسة أهل البيت المِثْلُا عَلَى كُلِّ المستويات لِأنَّ مدرسة أهل البيت اللِّيلِ تناغم نُخب العقول مِنْ البشر عَلَى مَرَّ العصور فَكُلّ مَنْ ادّعى أنَّهُ يمثل الإسلام أو مدرسة إسْلاميّة أو فكر معين يُحْسَب عَلَى الإسلام عَلَى كافة الأصعدة وَهُوَ مُبتعد عَنْ خط ومنهج مدرسة

الوحي فَهُو لَمْ يُصِب الحَقَّ وكتب عَلَى نفسه الفشل؛ لِأَنَّ هكذا ادّعاء ضخم وخوض هكذا علوم ومناهج تفسيرية بالحقيقة تعجز عقول البشر عَنْ الحوض فيها ما لَمْ تُسَدِدْ وتطلبْ العون مِنْ الله تَعَالَى واتباع مدرسة أهل البيت المَيِّ لِأَنَّ تلك المدارس غَيْر مدرسة أهل البيت المَيِّ قدراتها محدودة ولأنها عقول بشر تمنهج وتحلل وفق إطار منحصر ضيّق وينفذ ما عندها ولا يوجد مَنْ يمدّها بخلاف مدرسة أهل البيت المَيِّ فإنها مُتصلة بالوحي وهُو المُمدد لها مِنْ الله تَعَالَى، ولذا ذكرنا أنَّ جميع علوم القُرآن وخاصة علوم التأويل والحقائق و ... الخ ليست باستطاعة البشر لوحده وبمعزل عن مدرسة الوحي أنْ يصل إلى نتائج طيّبة وعمليّة ويرتّب عَلَيْهَا الأثر كلا أنَّهُ لا يمكن ذَلِكَ.

فمثلاً التفسير المأثور عَنْ أهل البيت المَيِّ يشتمل عَلَى علوم جَمَّة وَلَيْسَ فَقَطْ يشتمل عَلَى علم التفسير، بَلْ يتعدَّاه إلى غيره مِنْ العلوم أمثال التأويل واللطائف والإشاري و ... الخ أمَّا أنَّهُ كيف يشتمل علم التأويل على علم تفسير.

⁽١) سورة المائدة: الآية ٦.

التفسير بالمأثور وشموليته

عَلَى لفظ الجار والمجرور وَلَهُ معنى، أم معطوفة عَلَى محل الجار والمجرور أيّ بالمعنى، ولها معنى آخر وهكذا.

وَمِنْهَا: تعالج التركيب الصوتي كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ الْمَنَةِ أُخْرِجَتَ لِلنَّاسِ...﴾ (() وفي رواية تفسيرها خير أُمَّة. وَمِنْهَا تُعالج: _ لغات الآية، كَمَا فِي الآية ﴿ وَاجْعَكُنْنَا لِلْمُنَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (() بتقريب: _ الإمام اللهِ يقول واجعل لنا مِنْ المتقين إماماً، وكذا قوله: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَعْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ ﴾ (() . وقَالَ الإمام كيف يحفظ مِنْ إمام ... هل أنتم عرب و ... الخ.

وهكذا روايات أهل البيت الله الذي هُوَ التفسير المأثور تُعالج وتبيّين علم تفسير أسباب النزول، وتفسير علم التأويل واللطائف والإشارات وعلم تعبير القُرآن الذي يستعرضه القُرآن وكأنَّه مسرح مشاهَد حسّي يُراد به الوصول إلى الحقيقة الأكبر ﴿ لَقَدُكَاكِ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِلْأُولِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾ (١) أو فِي بَعْض الموارد تعبيرات القُرآن أشبه ما تكون بالصورة المرسومة لكي تحتاج إلى العبير ﴿ يَتَأَبَتِ إِنِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَكُو كَبًا ﴾ (٥) و ﴿ مَاكَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَكُ ﴾ (١)

⁽١) سورة الفرقان: الآية ٧٤، مراجعة تفسير البرهان.

⁽٢) سورقة الفرقان: الآية ٧٤.

⁽٣) سورة الرعد: الآية ١١.

⁽٤) سورة يوسف: الآية ١١١.

⁽٥) سورة يوسف: الآية ٤.

⁽٦) سورة يوس: الآية ١١١.

وَعَلَيْهِ فَالْقُرِآنَ وَإِنْ كَانَ أَكْثَرِ الْمُفسرين لَمْ يَخُوضُوا بِه باعتبارهم غَيْر معصومين وعلم التعبير يحتاج إلى قدرة ومدد لَدني مِنْ الله تَعَالَى وبمعونة أهل البيت اللَّهِ إِلَّنَ القُرآن نفسه يُنادي كَمَا أَنَّ لي علم تأويل ﴿وَمَا يَعُلُمُ مَا أَنَّ لِي علم تأويل ﴿ وَمَا يَعُلُمُ مَا يَعْلَمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَالرَّسِحُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ (١).

كَذَلِكَ يُنادي القُرآن إِنَّهُ لي علم تعبير ولكن يحتاج إلى مُعَبِّر إلهي، كَمَا فِي سورة يوسف اللَّهِ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ عَايَثُ لِلسَّآبِلِينَ كَمَا فِي سورة يوسف وأخوته آيات للسائلين الله الله فَو أَنَّ أَيَّ سائل فِي الآية الكريمة هُوَ آية للسائلين أم ماذا؟

لو نظرنا إلى كلمة [للسائلين] لوجدناها جمع سائل، والألف واللام للتعريف أولاً، وتفيد الجنس، ثانياً، فحينئذ يحصل استغراق والمعنى هُوَ أَنَّ أَيِّ سؤال تريد جوابه تستطيع أَنْ تجده فِي سورة يوسف اللهِ ولكن مَنْ يستطيع وَلَهُ القدرة أَنْ يستخرج كُلِّ أجوبة البشرية عَلَى مَرَّ الدهور مِنْ سورة يوسف اللهِ.

وَهُنَاكَ رَوَايَةُ مَضَمُونَهَا: أَنَّ أَبَا حَمْرَةُ الثَّمَالِي كَانَ يَتَرَدِّدُ عَلَى الإَمَامُ زَيْنَ العابدينَ اللَّهِ لأَيَامُ طُويلَةُ وَالإَمَامُ اللَّهِ يُبِيِّنَ لَهُ لطائف وإشارات فِي سورة يوسف، وإنْ كَانَ مِنْ الواضح إنَّهُ لا يستطيع أحدُّ أَنْ يستخرج كُلِّ سورة يوسف، وإنْ كَانَ مِنْ الواضح إنَّهُ لا يستطيع أحدُّ أَنْ يستخرج كُلِّ هَذِهِ الكنوز إلَّا الإمامُ اللَّهِ والراسخون فِي العلم ولا أقل نَحْنُ نتعلَّم

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٧.

⁽٢) سورة يوسف: الآية ٧.

والخلاصة: _ إنَّ التفسير بالمأثور فِي روايات أهل البيت المَّيُّ لا يختصّ بعلم التفسير فَقَطْ، بَلْ يشتمل عَلَى علم التأويل بَلْ وعلم التعبير وعلم ترجمان القُرآن وعلم لطائف القُرآن وعلم إشارات القُرآن و ... الخ وَعَلَيْهِ فالتفسير بالمأثور فِي روايات أهل البيت المَّيِّ الذي هُوَ ثِقْل وعِدْل ثاني للقُرآن قَدْ اشتمل عَلَى علوم طبقاتية للقُرآن وليست علوم عَرْض واحد.

وَمِنْ الواضح أنَّ العلوم فِي المناهج التفسيرية للقُرآن الكريم دائماً ترسم لنا علوم القُرآن إمَّا بشكل عَرْضي أو طولي مُتقارب، فالعلوم الَّتِي

⁽١) سورة يوسف: الآية ١١١.

⁽٢) سورة النحل: الآية ٦٧.

هِيَ بَعْرضِ واحد تقريباً أو مُتقاربة وإنْ كَانَ بعضها يخدم بعضها مثل علم أسباب النزول وعلم إعراب القُرآن وعلم الجهات الصرفية في القُرآن، وعلم لغات غريب القُرآن، وعلم تاريخ تدوين القُرآن، وعلم آيات الأحكام في القُرآن و ... الخ.

وَهُنَاكَ علوم طوليّة _ أيّ العلوم الَّتِي لها طبقات ودرجات هِيَ موجودة في كلمات جملة مِنْ أعلام المفسرين مِنْ العامّة والخاصّة أمثال ملا صدرا والفيض الكاشاني وَالسَّيِّد العلَّامة الطباطبائي ﴿ مِنْ الخاصّة. وَمُحَمَّد رشيد رضا صاحب تفسير المنار مِنْ العامّة وغيرهم ـ مثل علم التأويل وعلم التعبير أيّ تعبير القُرآن بالقُرآن وعلم ترجمان القُرآن، وعلم لطائف القُرآن وإشارات القُرآن و ... الخ فَإنَّ هَذِهِ التفاسير بعضها لَهُ الهيمنة عَلَى البعض الآخر، ولكنَّ المفسرين وللأسف لا يخوضون فِي ذَلِكَ وإنَّما بعضهم يشير إلى ذَلِكَ إشارة مقتضبة، وسبب ذَلِكَ هُوَ أَنَّ تلك المناهج ـ عدا منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن ـ تُناسب علم التفسير، وَهِيَ بالواقع بابٌ أو فصلٌ مِنْ فصول علم التفسير ولا تشمل كُلُّ علم التفسير، وَهَذَا بخلاف منهجنا المختار فِي التفسير منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات الذي يريد أنْ يُبيِّن أنَّ هُنَاك طريقان لرفع المتشابه وَهُمَا: _

الطريق الأوَّل: المُحكمات.

الطريق الثَّانِي: علم التأويل وما يعلم تأويله إلَّا الله والراسخون في العلم.

أمومة التأويل

تبيِّن مِنْ خلال ما تَقَدَّمَ أَنَّ هُنَاكُ أمومة ثانية غَيْر أمومة الولاية والمُحكمات الَّتِي عَبَّر عنها القُرآن الكريم أمومة الراسخون في العلم وهِي أمومة علم التأويل في القُرآن، ﴿وَمَا يَمْ لَمُ تَأْوِيلَهُ وَ ﴿ اللَّهُ مَنَاكُ أُمُومَة اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الل

فَإِنَّ كُلِّ هَذِهِ العلوم وطبقاتها الطوليّة وهيمنة بعضها عَلَى البعض الآخر يبيّنها القُرآن الكريم في منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات الذي به إدارة المناهج الأُخْرَى الَّتِي اعتمدها أعلامُ المُفسرين مِنْ الخاصّة والعامّة أمثال الشَّيْخ الطبرسي في مجمع البيان، والطوسي في تبيانه والفيض الكاشاني والزركشي و ... الخ فَإِنَّ تلك المناهج لا ننكر جدوائيتها وفائدتها إلَّا أنَّ الناظم لانتظامها ونظمها هُوَ منهج أمومة الولاية والمُحكمات الذي هُو قطب رحى التفسير.

وَعَلَيْهِ فبيان طبقات علوم التفسير للقُرآن هِيَ مِنْ قسم علم ظاهر التفسير والتنزيل وعلم التأويل والتعبير والترجمان واللطائف والإشارة وحقائق

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٧.

القُرآن كُلُّهَا موجودة فِي التفسير المأثور لأهل البيت اللِّكِ الَّذِيْنَ بيّنوا فيه العلوم الطبقاتية فضلاً عَنْ العلوم العَرْضيّة، ولذا نلاحظ أنَّ الكثير مِنْ المفسرين والباحثين لا يخوض بَلْ ولا يتعرّض للتفسير المأثور بسبب أنَّهُ إذًا تعرّض أو خاض ذَلِكَ المضهار سوف يتعرّض ويواجه انفجار معلوماتي غَيْر طبيعي، ولا يعرف كيف ينظم بين تلك المعلومات؛ لِأنَّ روايات أهل البيت الله تُبيِّن قواعد وعلوم متعددة للقُرآن ولا تقتصر عَلَى بيان علم التفسير فَقَطْ بالتنزيل، وَمِنْ هَذَا تتّضح المسافة الكبيرة بين تفسير المأثور والتفاسير الأُخْرَى حَتَّى فِي تسمية الكتاب أو المنهج كَمَا فِي تسمية تفسير البرهان والأولى بَلْ الأصح أنَّ يُسَمَّى كتاب البرهان في علوم القُرآن، أو تفسير نور الثقلين أو تفسير على بن إبراهيم القمى أو تفسير فرات الكوفي أو ... الخ فَهَذِهِ التفاسير لا يُبيَّن فيها فَقَطْ تفسير القُرآن، بَلْ يبيَّن فيها علوم القُرآن، فَإِنَّ الإمام اللَّهِ يُبيِّن فِي رواية حقائق القُرآن تكوينية للقُرآن فحينئذٍ يرتبك أمر الباحث والمفسِّر إنْ علم الحقائق أيّ صلة وما هُوَ نوع الصلة بعلم التفسير: _ هُنَاك علوم متعدّدة للقرآن بينها الرواية الواحدة وَعَلَيْهِ فَهَذَا نوع مِنْ البرمجة العلميّة لمعنى التفسير بالمأثور والذي هُوَ بالتالي تمسك بالثقلين فِي تفسير القُرآن فِي علوم القُرآن.

الأمر الثَّالِث: ثمرة قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير.

الثمرة المترتبة عَلَى هَذِهِ القاعدة عَلَى نمطين: _

النمط الأوَّل: ثمرة عامّة.

أمومة التأويل...... ١٩٩

النمط الثَّانِي: ثمرة خاصّة.

النمط الأول: ثمرة عامة:

إِنَّ لقاعدة الجري والتطبيق ثمرة عامة وهامّة تؤرب وتؤول إلى تفعيل حجّية القُرآن، وأنَّ مرجعية القُرآن مفعّلة دائماً وَأَنَّهُ _ القُرآن _ مصدر ومنبع دائماً يُعْرَف مِنْهُ وَلَيْسَ مُعطلاً أبداً _ والعياذ بالله _ بَلْ بحسب بيانات أهل البيت المَيِّلِيُّ المُتقدِّمة أَنَّ كُلِّ آيات القُرآن مُفَعَّلة وحجّيتها حَيَّة وَلَيْسَ فِي القُرآن آية مُجَمَّدة _ والعياذ بالله _ وَإِنَّما كُلِّ آية مُفَعَّلة وحيَّة.

وَهَذَا الاعتراض لَعَلَّهُ وللأسف يتوهمه حَتّى بَعْض مفسري الحاصّة فضلاً عَنْ مفسري العامّة بدعوى أنَّ الأخذ بالتفسير المأثور للقُرآن عَنْ أئمة أهل البيت المَيِّلُ هُوَ لازم للجمود أو لازم للتَقَيُّد والأخذ بتلك الروايات في التفسير وَهَذَا يستلزم تعطيل جملة مِنْ الآيات والحال أنَّ القُرآن حجّيته حجّية مفعّلة وحيّة لا تموت.

مدفوعة: كيف وأنَّ الأئمة المِيَّا هُمْ المؤسسون لهذه القاعدة ـ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير ـ والمشيِّدون لمفهوم كُل آية آية وأنَّ لها أساس عظيم في مفهوم حجّية وحياة القُرآن، وَهُمْ المَيَّا المُفَعِّلون للقُرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فكيف يكون مجموع هَذَا التراث المروي عنهم المَيَّا في تفسير القُرآن يؤدِّي إلى هَذِهِ التيجة البسيطة والفهم السطحي والمتساهل مِنْ المُراد الحقيقي لآيات القُرآن.

ولذا وللأسف ذهب جملة مِنْ مُفسري الخاصة فضلاً عَنْ مفسري جمهور عامّة المذاهب الإسلاميَّة الأُخْرَى إلى تفسير آخر مغاير لما هُوَ عَلَيْهِ حقيقة قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير تحت ذريعة وسبب أنَّه لابُدَّ أنْ نجعل مِنْ معنى قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، أنَّ لآيات القُرآن الكريم معانٍ كُليّة _ وَهَذَا لا اعتراض لنا عَلَيْهِ _ وَإِنَّها ما وَرَدَ فِي التفسير المأثور عَنْ الأئمة اللَّيِ لَيْسَ إلَّا تمثيل لنموذج تطبيقات لا دخالة لَهُ فِي المَنْ الآية ولا يستند إلى هَذَا التفسير المأثور لِإنَّهُ نموذج تطبيقي لا ارتباط ولا صلة لَهُ بالمعنى الكُلِي للآية، وَهَذَا معناه أنَّ ما وَرَدَ فِي التفسير المأثور لإنَّهُ لا يمكن الالتزام المأثور لآيات القُرآن الكريم عَنْ أئمة أهل البيت المَنْ لا يمكن الالتزام

به لِإِنَّهُ لَيْسَ وارداً فِي تفسير صميم معنى الآية وَإِنَّها هُوَ هامش تطبيقي، وَعَلَيْهِ فيقع التفسير، ويُؤيِّد ذَلِكَ ما يفعله بَعْض المفسرين حَتَّى مِنْ الخاصّة بجعل التفسير بالمأثور أيّ الروايات الواردة فِي تفسير آية فِي ذيل التفسير مِنْ باب أنَّهُ كنموذج تطبيقي.

وبعبارة أنَّ هَذَا المنهج يُتنبه فيه إلى أنَّ التراث المأثور فِي ذيل الآيات لَيْسَ مِنْ قبيل تفسير موارد النزول كتطبيقات مصداقيّة بَلْ يلتفت إلى أنَّهُ عِدْلُ للقُرآن فِي كُلِّ طبقاته وجريه وحيويته لِكُلِّ زمان ومكان وأنَّ هَذَا التراث نظاماً ومنظومة منهج للتفسير والتأويل، مضافاً إلى بحور مِنْ موارد معلومات مفردات ألفاظ الآيات.

النمط الثاني: الثمرة الخاصة

لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير:

أحد أهم الثمرات الخاصّة العديدة لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، وَعَلَى كلا النظريّتين فِي القاعدة نظرية السَّيِّد العلّامة وَالنَظَريَّة الثَّانية المختارة حسب منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات وَهِيَ مختارنا.

الثمرة الأولى: تحديد علم التأويل في القرآن عن تفسيره:

حسب مختار السَّيِّد العلَّامة ﴿ وَمَنْ تَبَعُهُ وَهُوَ النَّظَرِيَّةَ الأُولَى فِي قاعدة الجري المُتقدِّمة إنَّ هَذِهِ القاعدة تعكس بظلالها عَلَى تحديد علم التأويل - تأويل القُرآن _ عَنْ علم التفسير _ تفسير القُرآن _ عَلَى أنَّ هَذَا القول يَتِمُّ

٢٠٢..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

بناءاً عَلَى نظام التفسير وافتراقه عَنْ نظام التأويل.

فَإِنَّ هُنَاك تفسير للقُرْآن الكريم وَهُنَاك تأويل، والتأويل علم مِنْ علوم القُرآن الَّتِي لَيْسَ مِنْ السهل امتطاؤه، وَلَيْسَ مِنْ السهل أَنْ يلج فيه كُلِّ والج وعزيز المنال عَلَى الكثير فَإِنَّ علم التأويل ـ تأويل القُرآن ـ مِنْ العلوم الصعبة والخطيرة وَهُوَ يغاير علم تفسير القُرآن، فَإِنَّ كثيراً مِنْ المفسرين وللأسف حَتّى السَّيِّد العلامة فَيُ لَمْ يخض بكُلِّ لباب هَذَا البحر الخطير أيّ باب علم تأويل القُرآن.

لا يكترثون بعلم تأويل القُرآن، والمفسرون فِي هَذَا الباب قليلون بَلْ نادر ما يقول منهم بذلك، والحال إنَّ أحد ميادين تفعيل التمسّك بالقُرآن هُوَ الوقوف عَلَى تأويل القُرآن إلَّا أنَّهُ وللأسف لا يخوض به الكثير مِنْ جمهور مفسري الأُمَّة الإسّلاميَّة وغيرهم ولا يعبأون به وكأنَّهم غَيْر مسؤولين عَنْ التدين والتمسك به، والحال أنَّهُ كَمَا أنَّ علم تفسير القُرآن خطير كَذَلِكَ علم تأويل القُرآن خطيرٌ، وَنَحْنُ مسؤولون عَنْ العمل به بمقدار ما يتضح لنا مِنْهُ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّهُ ببركة قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء منهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية عَلَى المحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات أنَّ الصحيح هُوَ: _ إنَّ علم التأويل هُوَ الْمهيمن عَلَى التفسير ولا يعني هَذَا إنكار كون علم التفسير هُوَ العلم الأوَّل وبالمرحلة الأولى الذي يقتدر الإنسان عَلَيْهَا وَمِنْ ثُمَّ بتوسِّط علم التفسير يصل الإنسان إلى علم التأويل، وبعبارة: المصطلح العلمي إنَّهُ

مِنْ جهة الإثبات أنَّ علم التفسير متقدِّم إثباتاً وتعلّماً عَلَى علم التأويل وإنْ كَانَ علم التأويل هُوَ المهيمن مِنْ الجهة الثبوتية وَعَلَيْهِ فالبناء عَلَى كون علم التأويل مهيمن ومسيطر عَلَى علم التفسير فَإنَّ مثل هَذَا لا يتنافى مَعَ ضرورة علم التفسير وإنْ كَانَ ابتداءاً تعليم الإنسانية لعلم القُرآن الكريم هُوَ عَنْ طريق علم التفسير ولكن مَعَ ذَلِكَ يبقى علم التأويل هُوَ المهيمن ولا تنافي فِي ذَلِكَ.

مُضافاً إلى أنَّ المُفسِّر حينها يُحيط خُبْراً بعلم التفسير فَإِنَّهُ سوف يلاحظ مدى وكثرة تأثير التأويل عَلَى علم التفسير وَعَلَى منهجنا المختار فِي تفسير القُرآن وَهُوَ امومة الولاية عَلَى المُحكهات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن، فسوف يتبيَّن أنَّ علم التأويل هُوَ المُحْكَم بالقياس إلى علم التفسير، وأنَّ علم التفسير هُوَ المُتشابه بالنسبة إلى علم التأويل ولا نريد أنْ نقول: _ إنَّ علم التفسير مِنْ المتشابه إذَنْ هُوَ لَيْسَ بحجّة كلا، وَإنَّها علم التفسير بلحاظ ما دونه حُجَّة، ولكن بلحاظ ما فوقه والمهيمن عَلَيْهِ وَهُوَ التأويل الذي هُوَ اشد إحكاماً.

علم التأويل قطب تدور عليه قطب رحى علم تفسير القران قطب رحى علم تفسير القرآن:

وإنْ كُنّا نستطيع أنْ نقول إنَّ علم تأويل القُرآن علم اختصّ به أئمة أهل البيت اللَّيُ مِنْ الأُمَّة الإسّلاميَّة، وأنَّ أكثر فيوضاتهم اللَّيُ العلميّة هِيَ فِي علم تأويل القُرآن وخاضوه اللَّيُ بكُلِّ سِعة ورحابة أفق

واسع واسترسال عميد عكس الآخرين الَّذِيْنَ حاولوا الخوض فيه ولو بشكل بسيط إلَّا أنَّهُ بتلكئ وقصور وعجز، مَعَ أنَّ علم التأويل أمرٌ بالغ الأهميَّة، ويشكل الآن أحد مشاكل المسار الفكري للأُمَّة الإسّلاميَّة تّجاه هَذَا المصدر العظيم وَهُوَ القُرآن الكريم، وللأسف عُلَمَاء المسلمين حبسوا فكر وعقل وثقافة الأُمَّة الإسّلاميَّة عَلَى علم تنزيل القُرآن فِي تفسير القُرآن فَقَطْ، وَهَذَا طامّة ومعناها تعطيل وتجميد لطبقات مِنْ القُرآن الكريم، وما ذاك إلَّا بسبب الابتعاد عَنْ مسار أئمة أهل البيت المِيلِ وَهَذَا الابتعاد هُوَ سبب هَذِهِ الأزمة، وكأنَّما فهموا مِنْ أنَّ الَّذي يقتحم الفكر الإسلامي يجب أنْ يحبس نفسه فَقَطْ فِي التفسير ويتجنّب علم التأويل، وَهَذَا يؤدِّي باللاشعور سوءا قَصَد الْمُفَسِّر ذَلِكَ أُوَّلاً إلى تعطيل الكتاب فِي علم الْتَأْوِيل، وَهُوَ مِنْ أحد أكبر المحاذير بأنْ نجعل الكتاب مُعطَّلاً وَهُوَ مِنْ مَذَهِبِ الْمُعَطِّلَةِ، إِلَّا أَنَّهُ بِنفس الوقت هُنَاكِ جَمَلة مِنْ أعلام المفسرين أمثال سيد هاشم البحراني أو ملا شريف الفتوني أو الحويزي في نور الثقلين أو القمي أو ... الخ.

لَمْ يأبهوا بِهَذَا الضجيج لومة لائم وخاضوا فِي علم التأويل بحسب ما يمتلكون مِنْ قدرات ـ جزاهم الله خيراً ـ والمهم أنَّهم خاضوا فِي ميدان تأويل القُرآن الكريم، لِأنَّ تعطيل علم التأويل فِي القُرآن وعدم الخوض به نوع مِنْ تجميد القُرآن وبالتالي يُلْزِم محذورٌ يُشكِّل خطراً كبيراً وَهُوَ عدم تفعيل حجّية القُرآن وتعطيلها.

ثمَّ إنَّ اهتهام المفسرين للقُرآن فَقَطْ فِي جانب علم التفسير وأنَّ علم التفسير وأنَّ علم التفسير هُوَ أحد معاني القُرآن، إلَّا أنَّهُ نقول لهم: _ وَمَنْ قَالَ إحياء القُرآن هُوَ فَقَطْ بتشييد جانب علم التفسير؟ فَإنَّ هَذَا أوَّل الكلام.

إِذَنْ علم التأويل لَهُ موازينه وقواعده وضوابطه الخاصّة قَبِلَها مِنْ قَبِل ورفضها مَنْ رفض.

وَكَمَا أَنَّ القُرآن الكريم يُنادي بتنزيل الكتاب وتفسيره كَذَلِكَ يُنادي بتأويل القُرآن.

التفسير والتأويل جناحان في القرآن الكريم:

أولاً: مِنْ خلال الأبحاث السابقة تبيَّن أنَّ التفسير والتأويل هُمَا جناحان فِي القُرآن وَلَيْسَ مِنْ الصحيح أنْ تُفَعِّلَ أحدهما دون الآخر بأنْ تأخذ بجناح وتترك الآخر، وما يعلم تأويله إلَّا الله والراسخون فِي العلم؛ لِأنَّ الأخذ بأحد الجناحين دون الآخر يلزم مِنْهُ عِدَّة محاذير وفي غاية الخطورة وأحدها وأخطرها هُوَ محذور تعطيل حُجّية الكتاب فِي جانب تأويل القُرآن، وَهَذَا باطل.

وثانياً: مُضافاً إلى ذَلِكَ يلزم مِنْ ترك تفعيل حُجّية القُرآن فِي جانب التأويل لمحذور آخر فضلاً عَنْ حبس تجويد القُرآن التركيز فَقَطْ وَفَقَطْ عَلَى مسابقات حفظ أصوات القُرآن، وأمَّا مسابقات حفظ معاني القُرآن ومسابقات حفظ علم تأويل القُرآن فيدّعون دعوى باطلة وَهِيَ:

٢٠٦ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني _ إنَّ هَذَا غَيْر منهجى.

ولكن يمكن أنْ يُقَال لهؤلاء: _ إنَّ القُرآن الكريم لَيْسَ هُوَ فَقَطْ أَصُوات حَتِّى إنَّكم جعلتم لها منهاجاً ومسابقات وإنْ كُنّا لا ننكر هَذِهِ المُرتبة المُهِمَّة والعظيمة في القُرآن وَهِيَ حفظ أصوات ألفاظ مفردات الآيات والسور للقُرآن، إلَّا أنَّهُ بنفس الوقت لا يمكن حبس القُرآن الكريم بها فَقَطْ وَفَقَطْ.

إِذَنْ القُرآن الكريم لَيْسَ تلاوة أصوات وألفاظ وَإِنَّمَا هُنَاكَ فِي القُرآن تلاوة معاني.

وثالثاً: تدرك عياناً لحقائق القُرآن فَإنَّ هَذِهِ مرتبة وراء المعاني، ووراء طبقات التأويل، وسيأتي البحث في نظام حقائق القُرآن في محاوِر عديدة، وَلَهُ ضوابط وموازين أعقد وأصعب مِنْ صعوبة وإبهام ضوابط التأويل مِنْ غموض وصعوبة عَلَى كثير مِنْ أهل التفسير، وَهَذَا يساهم في إحيائه المأثور مِنْ الحديث في ذيل الآيات، وَهَذِهِ مِنْ الفوائد البالغة الخطورة للتراث المأثور في ذيل الآيات.

تلاوة المعاني أهم من تلاوة الألفاظ في القرآن الكريم

مِنْ الواضح لأهل البصيرة أنَّ القُرآن الكريم لَيْسَ تلاوة أصوات وألفاظ، وَإِنَّهَا هُنَاك في القُرآن تلاوة معاني وحقائق، وَعَلَيْهِ فبقدر ما لتنزيل الكتاب مِنْ قدسيّة فلتأويل القُرآن كَذَلِكَ قداسة، وقداسة التأويل بحسب بيان القُرآن أعظم مِنْ قداسة التنزيل وقداسة الأقدس لا توجب لنا التفريط بقداسة المقدّس، وبنفس الوقت الحفاظ عَلَى المقدّس لا يدعونا أنْ نستخف أو نستهين بما هُوَ أقدس، وَعَلَيْهِ فتجب الموازنة في البين بينهما لا أَنَّهُ نترك الأقدس، وَهُوَ التأويل ونهتم بالتنزيل فَقَطْ، علماً أنَّ القُرآن الكريم يُؤكِّد عَلَى أنَّ التأويل أعظم قدسيّة مِنْ التنزيل وأنَّ الهُدَى والبصائر الموجودة فِي التأويل أعظم مِنْ التفسير، وأنَّ التأويل حاكم عَلَى التنزيل والتفسير، وَذَلِكَ لخطورة التأويل، وَهُوَ القطب الأعظم فِي القُرآن الكريم، والذي يتلجلج المفسرون مِنْ الخوض فيه إلَّا أنَّهُ لَهُ روَّاده المختصُّون به وَمَنْ سار عَلَى نهج مدرستهم وبتوفيق مِنْ الله تَعَالَى وروَّاده هُمْ أهل بيت النبوة اللِّهِ اللَّهِ فَضَلاًّ عَنْ أهمية الارتباط بحقائق القُرآن الذي هُوَ غاية الغايات مِنْ التفسير والتأويل، والناس عنه غافلون، وَمِنْ أحد المفارقات المُهمَّة والخطيرة بين النَّظَريَّة الأولى وَالثَّانية فِي قاعدة الجري، هُوَ هَذَا الأمر فَإِنَّ النَّظَرِيَّة الأولى تجعل مِنْ المعنى الاستعمالي او التفهيمي

أو الجدّي القريب غاية غايات القُرآن والنهاية المقصودة مِنْهُ فيكون ذَلِكَ حجاباً عَنْ بقيّة بحور معاني القُرآن فضلاً عَنْ الوصول إلى حقائقه، وَهَذَا بخلاف النَّظَريَّة الثَّانية: _وَهِيَ المبتنية عَلَى منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات في تفسير القُرآن، فإنَّها عَلَى الدوام تُؤكِّد عَلَى العبور بتوسط التعبير والتأويل بُغية الوصول إلى ما وراء بلا حدّيقف عِنْدَ مقام أو منزل مِنْ المنازل وكفى بِهَذَا الفرق فارقاً وأهميّة لَيْسَ فوقها خطورة، بَلْ هَذَا الفرق فِي الحقيقة لَيْسَ فرقاً بين النظريتين فِي قاعدة الجري فحسب، بَلْ هُوَ بالدقّة وليدٌ للفرق بين منهج أمومة المحكمات لتفسير القُرآن، وبين عموم المناهج التفسيرية الأُخْرَى.

وَهَذَا ثَمَّا يُنبِّه الْمُفَسِّر عَلَى خطورة اختيار المنهج وتحديده قبل الخوض في علم التفسير.

الثمرة الثّانية: مِنْ الثمرات اللهِمّة لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير حسب النَّظَريَّة الثَّانية هُو أَنَّ الآية الواحدة يمكن أَنْ يُستدلّ بها لبيان المراتب العالية وكذلك يمكن أَنْ يُستدلّ بها عَلَى بيان المراتب النازلة مِنْ دون تجافي مِنْ المعاني العالية إلى المعاني النازلة كَمَا فِي قوله النازلة مِنْ دون تجافي مِنْ المعاني العالية إلى المعاني النازلة كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ وَلَهُ اللَّهُ وَلَا المُعَانِي العَلَيْ الْمَالِمُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَ

⁽١) سورة الواقعة: الآية ٧٧_٧٩.

الثمرة الثّالثة: حسب النَّظَريَّة الأُولى _ لِلْسَيِّد العلّامة الطباطبائي وَمِنْ تبعه _ فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير، لا نستطيع تمييز الآيات القُرآنية وما هِيَ اختصاصاتها فإذا عزلنا الجانب التنظيري عَنْ التطبيقي كيفي نستكشف أنَّ هَذِهِ الآية المباركة مثلاً ﴿ لَا يَمَسُّمُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ كَيْفِي نستكشف أنَّ هَذِهِ الآية المباركة مثلاً ﴿ لَا يَمَسُّمُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ كَيْفِي نستكشف أنَّ هَذِهِ الآية المباركة مثلاً ﴿ لَا يَمَسُّمُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ لَيْفِي اللَّهُ اللَّهُ الفقهية أو العقائدية أو الأخلاقية أو مِنْ آيات العالم النفساني في القُرآن.

وأمَّا بحسب النَّظَريَّة الثَّانية فيحصل التمييز والتلوين وأنَّ هَذِهِ الآية المباركة مِنْ آيات الأحكام الفقهيّة أو مِنْ آيات العقائد أو مِنْ آيات المنظومة الأخلاقيّة في القُرآن أو ... الخ. وَهَذَا كثيراً ما يُؤكِّد عَلَيْهِ أهل البيت المَّيِّ مِنْ عدم حبس الآية في الأُفق الضيّق، فَإنَّ عظمة وسعة رحابة قائلها وَهُوَ الله تَعَالَى لا تُدرِكها أيُّهَا المُفَسِّر وتحبس الآية المُباركة في أفق ضيّق وتقول هَذَا المُرَاد مِنْهَا فَقَطْ وَفَقَطْ لَيْسَ الأمر كَذَلِكَ لِأنَّ الآية كالكنز وكالمعدِن كُل يستطيع أنْ يغرف مِنْهَا بحسب ما أوي مِنْ سِعة رحابة فكر وعقل.

71٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني ولا يعني ذَلِكَ قوقعة معنى الآية بَلْ يعني ما مَرَّ فِي الثمرة السابقة مِنْ استفادة التفاصيل مِنْ الآيات: ـ إذَنْ هَذِهِ الثمرة مترتبة عَلَى ما سبق. طان

أمثلة تطبيقية لقاعدة الجري

بمعنى التطبيق أو التعبير

نذكر أمثلة تطبيقية متنوِّعة لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير عَلَى ضوء النَّظَريَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري حسب منهاج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات مِنْهَا فِي ضمن آيات وَأُخْرَى فِي ضمن روايات.

أمَّا الآيات:

النموذج الأوَّل: قوله تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَاۤ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ (١).

عَنْ عمر بن يزيد قَالَ: _ قلت لأبي عبدالله اللهِ الَّذِيْنَ يصلون ما أمر الله به أنْ يوصل»؟ قَالَ: «نزلت فِي رَحِم آل مُحمَّد اللهِ فَي وَعَدْ تكون فِي قرابتك. ثمَّ قَالَ: فلا تكونَنَّ عَن يقول للشيء: إنَّهُ فِي شيء واحد»(٢).

بتقريب: _ إنَّ الإمام اللهِ بَعْدَمَا بَيَّنَ لعمر بن يزيد مورد نزول الآية وأنَّها نزلت فِي قربى الْنَبِيَّ عَلَيْهُ أيّ آل مُحمَّد عَلَيْهُ، أراد الإمام اللهِ أنْ يُبيِّن: _ أَنَّهُ لا تكونن ممن يقول للشيء يعني الآية أنَّهُ فِي شيء واحد كلا وَإنَّما قَدْ

⁽١) سورة الرعد: الآية ٢١.

⁽٢) أصول الكافي للكليني: ج٢، ب ٦٨، صلة الرَّحِم: ص١٦٣ ح٢٨.

يكون نزوله في شيء، ولكن يمكن أنْ تعممه والاستفادة مِنْهُ في موارد أخرى إذَا كانت التعدية مُبتنية عَلَى ضوابط وثوابت فحيئذٍ لا مانع مِنْ ذَلِكَ، وإنْ كَانَ مقدرا استفادة المُفَسِّر مِنْ هَذِهِ التعدية ليست بالحجم الذي يستفيده أهل البيت الميلي ولكن لا بمعنى إقصاء التنظير عَنْ التطبيق ونفكك بينهما، وَهَذَا التفكيك قطعاً مرفوض حسب النَّظَريَّة الثَّانية عَلَى ضوء المنهج التفسيري أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات في القُرآن وَعَلَيْهِ فالآيات لا تنحبس في موارد نزولها مَعَ اختلاف طبقات ودرجات المعاني والمعاني ليست في درجة واحدة شِدَّة وضعفاً وقوَّةً ودنواً وعلواً و ... الخ.

إِذَنْ الإمام اللهِ أراد أَنْ يبيِّن أَنَّ الآية إِذَا نزلت فِي شيء كَيْسَ معناه إِنَّهَا نزلت فِي هَذَا الشيء الواحد فَقَطْ وانتهى الأمر، كَيْسَ الأمر كَذَلِكَ وَإِنَّهَا يُراد بالآية بيان أشياء أُخر، مُضافاً إلى أنَّ نفس أهل البيت المَيْكِ المُطهرين هُمْ عَلَى درجات، ففي الدرجة الأولى الخمسة أصحاب الكساء، ثمَّ التسعة المعصومين في الدرجة الثَّانية، وحسب بيانات أهل البيت المَيْ هُنَاك مرتبة ثالثة لدائرة أهل البيت المَيْكُ وتطهرهم، وَهُمْ نظير البيت المَيْكُ الذي قَالَ فيه النَّبِي اللهُ تَعَالَى فِي إمامتهم كإبراهيم بن النَّبِي الأكرم عَلَيْ الذي قَالَ فيه النَّبِي عَلَيْ لُو كَانَ ابني حيّاً لكان نبيّاً وَهَذَا لا يُنافي إِنَّهُ لا نبي بعدي وَإِنَّهَا الْنَبِي عَلَيْ فِي مقام بيان قابليّة ابنه إبراهيم اللهِ يُنافي إِنَّهُ لا نبي بعدي وَإِنَّهَا الْنَبِي عَلَيْ فِي مقام بيان قابليّة ابنه إبراهيم اللهِ لذلك، أو بيان الإمام الصادق الله حقّ ابنه إسهاعيل المدفون في المدينة لذلك، أو بيان الإمام الصادق الله حقّ ابنه إسهاعيل المدفون في المدينة

أمثلة تطبيقية لقاعدة الجري

المنورة قول الإمام الصادق العِلا: مراجعة الكشّي ...

قول الهادي: عِنْدَ وفاة ابنه أحدث لله شكر ...

أو السَّيِّد مُحَمَّد بن الإمام الهادي الله المعروف بسبع الدجيل والمدفون في منطقة الدجيلي وغيرهم.

الخلاصة: مِنْ كُلِّ هَذَا فَإِنَّ نزول الآية القرآنية قَدْ يكون هَذَا النزول عندنا جري فيه مِنْ المرتبة النازلة إلى العالية، وَقَدْ يكون بالعكس، أيّ فِي قاعدة الجري يوجد قوس صعود وقوس نزول بقرينة ما قاله الإمام الله تكوننَّ ممن يقول للشيء أنَّهُ فِي شيء و احد» وَالقُرآن استعمل كُلِّ مِنْ قوس الصعود والنزول.

أمَّا قوس الصعود كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرُءَانُ كُرِمٌ ﴿ فِ كِنْبِ مَكْنُونِ ﴿ لَا لَا لَهُمْ اللَّهُ الْمُطَهَّرُونَ ﴿ فَ العالَى كَنْ اللَّهُ اللَهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللْلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَ

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَ الَّهُ عَِيدٌ ١٠ فِي لَوْجِ عَمْفُوظٍ ١٠٠٠ ﴾(١).

وأمَّا قوس النزول: فَإنَّهُ يمكن الاستدلال بنفس الآيات السابقة للمرتبة النازلة كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥلَقُرَءَانٌ كَرِيمٌ ﴿ اللَّهُ فِي كِنَابٍ مَكْنُونٍ

⁽١) سورة الواقعة: الآية ٧٧-٧٩.

⁽٢) سورة البروج: الآية ٢٢.

بتقريب: - إنَّهُ يحرم مسّ المصحف الشريف وَهَذَا المسّ مرتبة نازلة نظير الذي يتطهّر بالوضوء فَهُو أيضاً مرتبة نازلة لإنَّهُ يوجد الطهارة لينفسه بخلاف المُطَهَّر الذي يتطهّر بالروح أو الذي طهّره ربُّ العالمين، فَهَذَا ذو مرتبة عالية وَالَّذِيْنَ هُمْ أهل آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِبَ عَنصَكُمُ الرِّبِ مَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِرُ وَتَطْهِيرًا اللهِ عَن اللهُ ال

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ الآية وإنْ كانت قَدْ نزلت فِي أهل آية التطهير ـ أصحاب الكساء المحلّ وفي بيان الموقع الغيبي للقُرْآن لكنَّ ذَلِكَ لا يُنافي الاستفادة مِنْ الآية الكريمة في معاني نازلة، وَهَذَا أحد ثمرات قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير مِنْ أَنَّهُ لا مانع مِنْ أَنْ يستدلّ في الآية الواحِدة عَلَى بيان المعاني العالية وفي نفس الوقت لا مانع مِنْ أَنْ يَسْتَدلّ بها عَلَى بيان المعاني النازلة مِنْ دون تجافي بين المعنيين ـ العالي والنازل ـ وَهَذَا يَدُلّ بيان المعاني القاعدة عَلَى حسب النَّظَريَّة الثَّانية،ن ومدى إحياء وحيوية القُرآن الكريم عَلَى وفق النَّظَريَّة الثَّانية.

النموذج الثَّانِي: قوله تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدُٰلِ وَٱلْإِحْسَنِ وَإِيَّا آَيِهُ فَالْمُنْكِ فِٱلْمُعُنِّ يَعِظُكُمْ وَإِيْنَاتِي ذِى ٱلْفُرْفَ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفُحْشَآءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغِيُّ يَعِظُكُمْ لَعَلَيْكُمْ تَذَكَّرُونَ وَالْبَعْقِ اللَّهُ الْمُسْتَلِي اللَّهُ الللَّهُ الل

⁽١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

⁽٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

أمثلة تطبيقية لقاعدة الجريأمثلة تطبيقية لقاعدة الجري

بتقريب: _ إنَّ الآية المباركة بيَّنت ثلاثة أُمُور يأمر بها الله تَعَالَى وَهِيَ: _

١ _ العدل . ٢ _ الإحسان. ٣ _ إتياء ذي القربي.

ونهت عَنْ ثلاثة: ١ _ المنكر. ٢ _ البغي. ٣ _ الفحشاء.

وَكُلِّ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ الستة فِي جانب الأمرِ والنهي هِيَ عَلَى درجات، فمثلاً، المنكر عَلَى درجات ورأس المنكر أين؟ وكذا رأس الفحشاء والبغي.

وأنَّ أوَّل وأعظم مصداق يأمر به الباري تَعَالَى بعدالعدل والإحسان هُوَ إيتاء ذا القربى بمعنى صلتهم ومواصلتهم الَّتِي هِيَ فِي حَدِّها فِي كَفَّة، وَالدِّين كُلَّهُ فِي كَفَّة أُخْرَى هَذَا بحسب بيان القُرآن الكريم: ﴿ قُللًا آسَٰئَكُمُ عَلَيْهِ أَجَرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَى ﴾ (١).

بتقريب: _ إِنَّ مَوَدَّة قربى الْنَبِيَّ اللهِ جعلا القُرآن الكريم بمثابة الدِّين كُلَّهُ بها فيه التوحيد والعقائد؛ ولذا أعظم شيء شدَّدَ عَلَيْهِ القُرآن الكريم بحسب بياناته في كُلِّ جوانب الحياة الدنيوية والبرزخيّة والأخرويّة عَلَى جميع طبقاتها مِنْ ناحية أَنْ يسود العدل في الدُّنيَا يحصل ذَلِكَ بصلة قربى الْنَبِيّ وأهل بيته المَلِيْكِ.

وَمِنْ ناحية الجانب الاجتهاعي والسياسي والعلمي و ... الخ

⁽١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

فعليكم بولاية الْنَبِي عَلَيْ وقرباه _ صلوات الله عليهم أجمعين _ وَعَلَيْهِ فَبحسب النَّظَرِيَّة الأولى فِي قاعدة الجري الَّتِي يتبناها السَّيِّد العلامة الطباطبائي وَمَنْ قبله وبعده تقول: _ اعزل الجانب التنظيري عَنْ التطبيقي المصداقي، وَهَذَا معناه النظر فَقَطْ وَفَقَطْ إلى مفهوم العَدْل مِنْ دون النظر إلى التطبيقات، وهكذا النظر فَقَطْ إلى مفهوم القربي بقطع النظر عَنْ المصاديق وهكذا، وَهَذَا مما لا ترتضيه النَّظَريَّة الثَّانية الَّتِي تبناها منهج أمومة الولاية والمحكمات وأنَّ كُل مرادات الآية هِيَ مُرادَة لنا، فَهِيَ آية فِي النظام العقائدي، وآية فِي النظام القانوني وفي النظام الأخلاقي والأسري والفردي و... الخ.

فَهَذِهِ الآية المباركة كإطار تستوعب كُلّ هَذِهِ الأصعدة والأنظمة لا سيّما الأنظمة والأسعدة العاليّة مِنْهَا، وَعَلَيْهِ فيتّضح جليّاً بين أنْ نعزل التنظير عَنْ التطبيق ونجعل التنظير قشري جاف وبمعزل عَنْ مقام التنظير وتكون الآية سواء فقهيّة أو عقائدية أو أخلاقية أو ... الخ أو تكون مُجرّد توصيات فقهيّة أو عقائدية أو أخلاقية.

فلو بقينا نَحْنُ وَالنَظَرَيَّة الأولى وعزلة التنظير عَنْ التطبيق كيف نُميّز الآيات فيها بينها وأنَّ هَذِهِ الآية مِنْ آيات الأحكام في الفقه، أو أنّها مِنْ آيات العقائد أو مِنْ آيات المنظومة الأخلاقية، أو مِنْ آيات العالم النفساني في القُرآن أو ... الخ فَإِنَّهُ لا نستطيع التفرقة والتمييز بين الآيات إلَّا عَلَى وفق النَّظَريَّة التَّانية في قاعدة الجري والتطبيق عَلَى ضوء منهج الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات في تفسير القُرآن.

لعلوم شتى على النظرية الثانية:

تنبيه: علماً أنَّ هَذِهِ المؤاخذة - وَهِيَ عدم التمييز بين آيات القُرآن ـ لا تسجل فَقَطْ عَلَى منهج السَّيِّد العلّامة فَقَطْ، بَلْ حَتَّى عَلَى المنهج الفقهي الذي عزل آيات الأحكام عَنْ آيات العقائد، كَمَا بيّنا فِي محله مُفَصَّلاً.

والخلاصة: إنَّ قاعدة الجري حسب النَّظَريَّة الثَّانية وفق منهجنا التفسيري للقُرْآن أمومة الولاية تختزن في دلالتها ومفادها مؤدّيات ومفادات عِدَّة فَلَيْسَ هُنَاك تصنيف آيات أحكام الفروع وآيات معارف في العقائد، وآيات في الأخلاق وفي الفيزياء وفي الكيمياء والفلك والرياضيات والطبيعة و ... الخ فإنها بحسب ظاهرها الأولي تصنّف الآيات إلى علوم عديدة، إلَّا أنَّهُ وفق قاعدة الجري عَلَى طبق منهج أمومة الولاية تكون كُلِّ آية آية فيها مكنوز لا ينفذ لِكُلِّ علم.

وَعَلَيْهِ لا مانع مِنْ استفادة الفقيه حكماً فقهياً مِنْ آية مُعَيَّنة، وفي نفس الوقت يمكن الاستفادة مِنْ الآية فِي علم آخر كعلم المعارف والعقائد أو الأخلاق أو ... الخ.

فمثلاً آية الوصيّة ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ...﴾(١) يُستفاد مِنْهَا

⁽١) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

٢١٨..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

حكماً فرعياً فقهياً، والمتكلّمون بحثوا في مبحث الوصيّة شيئاً فشيئاً حَتَّى استفادوا مِنْهَا مطالباً عقائديّة مثل: _ كيف أنَّ نبي الإسلام عَيَّا يرحل إلى الرفيق الأعلى ولا يوصي فيها هُوَ أكبر تراث وحياني وَهُو غَيْر ممكن وَلابُدَّ مِنْ وصي ووسيط عنه في الأمر، وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿ خَلَقَ كَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (١) فقد استدل الشَّيْخ الطوسي ﴿ فِي كتابيه المبسوط والخلاف عَلَى لزوم تساوي الفرص وتكافؤها في الاستفادة مِنْ الموارد الطبيعية العامّة، وَهَذَا حكم فقهي مَعَ أنَّ الظهور الأولى للآية هُوَ فِي مبحث عقائدي وَمَعَ ذَلِكَ استفيد مِنْه حكماً فقهياً.

إذَنْ تمتاز النَّظَريَّة الثَّانية عَنْ الأولى بأنَّ جميع الآيات القرآنية وبرمّتها يمكن أنْ يستفاد مِنْهَا علوم شتى مِنْ كُلّ آية آية وإنْ كَانَ الظاهر والابتداء الأولي لها تصنّف في علم معيّن إلَّا أنها وبحسب النظرة العميقة والدقيّة يجري مفاد كُلّ آية آية إلى علوم شتّى طِبْق ضوابط وموازين وَلَيْسَ الأمر مبنياً عَلَى الخلط والخبط.

ولذا مِنْ الخطأ فِي نظام الظهور والاستعمال فِي آيات القُرآن الكريم إقعاده واستظهار هيكل بنائه بشكل متقوقع وضيّق فِي موارد معيّنة، فلو رجعنا إلى بيانات أهل البيت الميّلِ نجد إلى ما شاء الهل مِنْ الآيات العديدة هِيَ فِي مجال، ولكن أهل البيت الميّلِ يبينون مفادها أنّها فِي مجال آخر أيضاً.

(١) سورة البقرة: الآبة ٢٩.

أمثلة تطبيقية لقاعدة الجري

وفي رواية عَنْ الإمام الباقر اللهِ: «لو وجدتُ لعلمي الذي آتاني الله عَزَّ وَجَلَّ مَمَلَةً لنشرت التوحيد والإسلام والإيهان وَالدِّين والشرائع مِنْ الصمد وكيف لي بذلك وَلَمْ يجد جدِّي أمير المؤمنين اللهِ حملة لعلمه حَتَّى كَانَ يتنفس الصعداء ويقول عَلَى المنبر (سلوني قبل أنْ تفقدوني) ... ه(۱).

وَمِنْ الواضح أَنَّ قدرة أئمة أهل البيت المَهِ عَنْ قدرات غيرهم لأنَّها وحيانية وَلَيْسَ فَقَطْ يستفيد الإمام اللَّهِ هَذَا كُلَّهُ مِنْ آية واحدة بَلْ لَهُ القدرة عَلَى الاستفادة مِنْ لفظة واحدة يمكن أَنْ يستخرج مِنْهَا مكنوز ومخزون كبير، وكذا المفسر المتبع لمنهجم المَهِ فَإِنَّهُ بإمكانه استفادة ذَلِكَ فِي مجالات عديدة وبضوابط وثوابت مَعَ ملاحظة كلا منطقتي التنظير والتطبيق حسب النَّظَريَّة الثَّانية.

وأمَّا الروايات:

النموذج الثَّالِث: ما رواه الطبرسي فِي الاحتجاج عَنْ الباقر اللَّهِ اللهِ اللهُ النَّبِيِّ عَلَيْكُ اللهُ اللهُ النَّبِيِّ عَلَيْكُ فِي خطبة يَوُم الغدير (٢) ما نصّه فِي الاحتجاج للشيخ قَالَ الْنَبِيِّ عَلَيْكُ فِي خطبة يَوُم الغدير (٢)

⁽١) التوحيد للصدوق، ص٩٤.

⁽٢) لا يخفى على المتتبع أن خطبة الغدير لها نسخ متعدّدة ولعلَّ صاحب كتاب الغدير العلّامة الأميني المنه ركّز على بيان بعض فقراتها، ومن خلال التتبع لاحظ شيخنا الأستاذ محمد السند دام عزه أن كثيراً من الرواة لهذه الخطبة الشريفة والنفيسة ليوم الغيدر غفلوا عن العديد من فقراتها، والخطبة التي خطبها النبي النها عندما ارتقى تلك الهوادج بعد جمعها وجعلها كمنصّة ويراه الخميع وكان قد أخذ المناش بيد علي الله وعن يمينه الإمام الحسن الحجه وعن شماله الإمام الحسن الحجه وهذا المنظر الرباعي لا الثنائي، وهذا له مفزعاً، وهنا توجد عدة ملحوظات: المحسن الخطبة طويلة وربها استغفرقت ساعة أو أكثر والله العالم - بحسب فقراتها.

٢٢٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

الطبرسي ج١، ص٧٤_ ٨٠ وما بعدها: _

«... معاشر الناس هَذَا عليٌّ أنصركم لي وأحقكم بي وأقربكم إليَّ وأعزّكم عليَّ والله عَزَّ وَجَلَّ وأنا^(۱) عنه راضيان وما نزلت آية رضي إلَّا فيه، وما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدًأ به، ولا نزلت آية مدح في القُرآن إلَّا فيه، ولا شهد بالجنة في هل أتى عَلَى الإنسان إلَّا لَهُ ولا أنزلها في سواه ولا مدح بها غيره ... معاشر الناس إنَّ فضائِلَ عليّ بن أبي طالب السِّلِا عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ أنزلها فِي القُرآن أكثر مِنْ أنْ أحصيها فِي مقام واحد، فَمِنْ أنبأكم بها وعرفها فصدّقوه ... "(۱).

الثانية:منطقة الغدير تبعد عَنْ منطقة مَكَّة بها يقارب الـ (١٥٠) مائة وخمسون كيلو متر، وَهِيَ المكان الذي نصَّب به رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله وصيّاً وخليفة لَهُ مِنْ بعده وحَدَث تنصيب رسول الله ﷺ لعليّ الله عليّ خليفة مِنْ بعده معروف ومشهور لدى الفريقين الخاصّة والعامّة.

الثالثة: ينقل شيخنا الأُسْتاذ - مُحمَّد السند حفظه الله - إنَّهُ زار هَذَا المكان بنفسه وَهُوَ موضع افتراق طرق، ويتميِّز المكان بموقعه بالقرب مِنْ بَعْض الجبال أو الهضاب، وأنَّ اإنسان إذَا تكلَّم ولو بصوت واطئي فَإنَّ الطرف الآخر يسمعه حَتَّى لو كَانَ عَلَى مسافة (٥٠٠) متر وكأنَّك جالسٌ في قاعة حديثة ومكان مغلق ويكون للصوت صدى وكأنَّ فيها مجالاً مغناطيسياً وَلَهُ تردد خاص ولا ندري سر اختيار النبَّي عَلَيُّ لتلك المنطقة؟! وَإنَّهُ يمكن الاستفادة مِنْهُ إلَّا أنَّ النبَّي عَلَيُّ عِنْدَمَا خطب خطبة الغديرية المشهورة والمعروفة عَلَى تلك الهوادج والأحمال وخطب بصوت عالي فَهَذَا معناه أنَّ صوته عَلَيُّ كَانَ يصل إلى جميع الحاضرين وبوضوح حَتَّى لا يقول قائل ما سمعتُ ما قاله النبي عَلَيُّ وَلَمُ أَبلَّغ وَعَلَيْهِ حَتَّى لا يتعذر الذي لَمْ يسمع، ولا يبعد أنَّ هَذِهِ مشاهد وحي الله ومشاهد النبوة حتاً فيها بصات تكوينية إلى الآن.

⁽١) وأنا: _أي رسول الله ﷺ.

⁽٢) الاحتجاج للطبرسي: ج١، ص٧٤ ـ ٠٠ في احتجاج النبي ﷺ يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب ﷺ، ومن بعده ولده من الأثمة المعصومين ﷺ.

وَهَذِهِ الخطبة بيَّنت فضائِلَ عليِّ اللهِ عَنْدَ الله تَعَالَى، وَهَذَا يعني أَنَّ لعلي اللهِ مَا مِقامٌ فِي غيب الغيب، وما عِنْدَ الله غَيْر ما فِي السموات والأرض، وَحَتَّى غَيْر ما فِي السموات والأرض، وَأَنَّهُ مقام يقرب مِنْ السدنة الإلهيّة أيّ السرادقات والعصمة الإلهيّة عِنْدَ الله تَعَالَى.

وأراد الْنَبِي عَلَيْ أَنْ يُبِين فضل علي الله وأنَّ منزلة ومقامَ علي الله في الأساس عِنْدَ الله تَعَالَى ثمَّ أنزلها عَلَى الرسول الأكرم عَلَيْ في القُرآن، وَهِي أكثر مِنْ أَنْ تُحْصَى فِي مكان واحد، فالرسول عَلَيْ أَنْ ذكر في حق علي الله ولا نزلت آية مدح في القُرآن إلَّا فيه، ولا شهد بالجنة في هل أتلى عَلَى الإنسان الآية ... وما مِنْ آية نزلت في الله يُن آمنوا إلَّا علي أميرها "ويتحمل علي الله المسؤولية، وَهَذَا يعني أنَّ لعلي الله علي الله على الله على الله والله والله والله والحنان على الله على الله على الله على الله على الله والله وال

مُضافاً إلى أنَّ الْنَبِيِّ عَيَّالِلَهُ فِي خطبة الغدير لَمْ يُؤكِّد فَقَدْ عَلَى ولاية وإمامة على بن أبي طالب التَلِهُ، بَلْ وَأَكَّدَ عَلَى إمامة الحسن والحسين اللَّمَالِكُ بخصوصهما وأيضاً ذكر حديث الثقلين والتأكيد عَلَى جميع عترته وَهُمْ أئمة أهل البيت المَهَا كقوله عَيَّالِلهُ فِي خطبة الغدير: _

«... ما جنت به عَنْ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي علي أمير المؤمنين والأئمة مِنْ بعده ولده ... معاشر الناس إنَّكم أكثر مِنْ أنْ تصافقوني بكفٍ واحد، وقد أمرني الله عَزَّ وَجَلَّ أنْ آخذ مِنْ ألسنتكم الإقرار بها عقدت لعليّ مِنْ إلمْرَةِ المؤمنين وَمَنْ جاء مِنْ بعده مِنْ الأئمة منّي وَمِنْهُ عَلَى ما أعلمتكم

٢٢٢ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

.... نُطيع الله ونطيعك وعليّاً أمير المؤمنين وولده الأئمة الَّذِيْنَ ذكرتهم مِنْ ذريتك مِنْ صلبه بَعْدَ الحسن والحسين اللذين قَدْ عَرَّ فتكم مكانهما منّي ومحلهما عندي ومنزلتهما مِنْ ربي عَزَّ وَجَلَّ ... وقولوا أطعنا الله بذلك وإياك وعلياً والحسن والحسين والأئمة الذي ذكرت ... الخ»(۱).

وَعَلَيْهِ الغرض مِنْ الاستشهاد بهذه الرواية عَنْ الإمام الباقر للسِّلا لَيْسَ الْمُرَاد مِنْهَا جانب تطبيقي محض كَمَا تبنّت ذَلِكَ النَّظَريَّة الأولى في الجري والتطبيق الَّتِي يعتمدها السَّيِّد العلَّامة ﴿ وَغَيْرِه مِنْ أعلام المُفسرين، بَلْ الجانب التطبيقي هُوَ الأصل وبيان مقام ومنصب الولاية جانب مُعتمد أساسي وفيه محطّ ونظر للخطاب الإلهي، فَنَحْنُ نعرف أنَّ الرأي السديد في خطاب القُرآن الكريم وَالْنَّبِيِّ الأكرم عَلِياتُ وأهل بيته وَكُلّ خطابات الشريعة والوحي مِنْ قبلها لَيْسَ المخاطب فيها المشافهين الَّذِيْنَ كَانَ يُخاطبهم ويشافههم الْنَّبِيَّ عَيَّا إِللَّهُ فِي المسجد، بَلْ وَلَيْسَ المخاطب فِي عصر الْنَّبِيِّ عَلَيْكُ وإنْ غابوا وَلَمْ يحضروا مسجد الْنَّبِيِّ عَلَيْكُ وَإِنَّهَا المخاطب في بيانات الوحى مِنْ القُرآن والسُّنة عموم أجيال البشر، وإذا كَانَ الأمر كَذَلِكَ فَإِنَّ الخطاب والمخاطب هُوَ مِنْ مدلول الكلام، وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ الخطاب والمخاطب مِنْ مدلول الكلام فكيف يكون جانب التطبيق معزولاً عَنْ جانب التنظير؟

نعم، لا نقول أنَّ التنظير منحبسٌ فِي تطبيق لموردٍ واحدٍ، ولكن

⁽١) المصدر السابق: من ص٦٦ ـ ٨١.

أمثلة تطبيقية لقاعدة الجري

بنفس الوقت لَيْسَ التنظير منعزلاً عَنْ التطبيق وَإِنَّمَا يجري فِي المعنى ويجري فِي المعنى ويجري فِي المعنى.

وَعَلَيْهِ فيكون قوله عَلَيْهُ: «وما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به» هُو نفس نظام منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فِي القُرآن، وأنَّ معنى الأمومة عِنْدَمَا يُقَال ابتدأ بها هُوَ المصداق الأعظم لا أنَّهُ انحصر به ولا منافاة بين البُدأة به وبين أنْ يشمل غيره وعدم الانحصار به.

صحيح أنَّ المصداق الأعظم في الجانب التطبيقي هُوَ المحور وَهُوَ المركز ولكن لَمْ ينْحصر به، وَعَلَيْهِ فالمقام يكون ذا جنبتين: _ جنبة توسعة ورحابة أفق. وجنبة أُخْرَى: محورية لذلك المصداق الأعظم أيِّ محورية الولاية، مثلاً قوله تَعَالَى ﴿ هُوَ الَّذِي َ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِنْبَ مِنْهُ ءَايَتُ مُخْكَدَ هُنَ الولاية، مثلاً قوله تَعَالَى ﴿ هُوَ الَّذِي َ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِنْبَ مِنْهُ ءَايَتُ مُخَكَدَ هُنَ الولاية، مثلاً قوله تَعَالَى ﴿ هُوَ الَّذِي َ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِنْبَ مِنْهُ والبعض الآخر أَمُّ الكِننبِ ﴾ (١). فالمُحكمات هِيَ الأم والمحور هِيَ بعضٌ والبعض الآخر متشابهات ولا تنافي في التبعيض، ولكن لَيْسَ بعضٌ في مصاف وعرض بعضٍ، فَهَذِهِ الآية مثلاً ليست منحصرة في أهل البيت المالي ولا مانع مِنْ الدراج أهل البيت المالية وفي عرض الدراج أهل البيت المالية، فحينئذٍ هَذِهِ واحد مَعَ بقيّة المصاديق، هَذَا كُلَّهُ بحسب النَّظَريَّة الثَّانية، فحينئذٍ هَذِهِ هِيَ المؤاخذة والإخفاق في الوصول إلى حقيقة حاق معنى الآية عَلَى حسب النَّظَريَّة الأولى.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٧.

والخلاصة مِنْ كُلِّ هَذَا: إنَّ القاعدة الجارية فِي القُرآن الكريم كَمَا قَالَ الإمام الباقر عليه: «... وما نزلت آية رضي إلَّا فيه، وما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به ولا نزلت آية مدح في القُرآن إلَّا به ... » لَيْسَ معنى هَذَا الحصر بمصداق واحد ولا تغييب التطبيق عَنْ التنظير ولا بمعنى، تساويهما _ التطبيق والتنظير _ وَإِنَّمَا يريد أنَّ يُبيِّن عَيَّظِا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللُّمُوآنية وأُمّ التطبيقات وأُسسها هُوَ المصداق الأعظم والأتمّ الذي هُوَ نفس منهج أمومة الولاية والمحكمات والمدار عَلَى المحور والمصداق الأعظم ثمَّ يأتي مجال المصاديق الذي هُوَ أقلّ شأناً حَتّى تتخفف لوناً، وَعَلَيْهِ فأراد الْنَّبِيُّ عَيَّا اللَّهُ أَنْ يُبيِّن أنَّ آيات الرضا وآيات المدح وآيات الإيهان وآيات تحمل المسؤوليّة و ... الخ فَإِنَّ لها قمّة الهرميّة وَالَّتِي تبدأ بعلى النِّلا فتتنزّل إلى مصاديق وطبقات أُخْرَى بشكل أخفّ وبشكل أقلّ لوناً فأقلّ هرميّة إلى أنْ تصل إلى سائر المؤمنين.

والشاهد مِنْ خطبة الغدير هُوَ: «... وما نزلت آية رضى إلَّا فيه، ما خاطب الله الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به ولا نزلت آية مدح فِي القُرآن إلَّا فيه ولا شهد بالجنّة فِي هل أتى عَلَى الإنسان إلَّا لَهُ ولا أنزلها فِي سواه ولا مدح بها غيره و ... الخ».

بتقريب: _ حسب النَّظَريَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري وا لتطبيق أو التعبير أنَّ مقام التنظير لا يُعْزل عَنْ التطبيق، وَإلَّا إِذَا عزلنا التنظير عَنْ التطبيق أو العكس لأصبح إخواءٌ لهما وَإلَّا فها معنى ما نزلت آية رضى

إلّا فيه أيّ في على اللّهِ أو ما خاطب الله الّذِيْنَ آمنوا إلّا بدأ به ... النح أيّ بعلي بن أبي طالب اللهِ فنلاحظ الجانب التنظيري، وَهُو آية الرضا لا يمكن عزله عَنْ المصداق الأعظم والأخطر ولو عزلها لقال: _ وما نزلت آية رضا ثمّ يسكت فتبقى العبارة فيها نقص عَلَى مستوى الألفاظ والمعاني، وهكذا الفقرات الأُخْرَى.

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ نستفيد أنَّ الحديث الشريف فيه تبيان وتركيز وإشارة إلى أنَّ مقام التطبيق معنيُّ ومراد وَلَيْسَ معزولاً عَنْ جانب التنظير، بَلْ الجانب التطبيقي هُوَ المقصود الأعظم والأهم، ولكن لَيْسَ بالحصر فيه فَقَطْ وَإِنَّها مَعَ ذَلِكَ لَهُ سِعَة فِي غيره.

وَعَلَيْهِ فالصحيح حسب النَّظَرَيَّة الثَّانية عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية عَلَى المحكمات أنَّ تنظير آيات القُرآن وتفسيرها لَيْسَ عَلَى عزل مقام التنظير عَنْ مقام التطبيق، بَلْ امتزاج التطبيق بالتنظير لكنَّ مَعَ سعة في الآفاق لا تكوننَّ ممن يقول للشيء إنَّهُ فِي شيء واحد ولا سعة ولكن كُلِّ ذَلِكَ عَلَى درجات؛ ولذا ينبغي ملاحظة طبقات الجري فإنَّها كُلَّها مداليل قُرآنية فَإنَّ التطبيق مَعْنيُّ ومراد، وكذا مقصود التنظير معنيُّ ومُراد لكنَّ الإرادة وَالْمُورَاد الجدي والمقاصد عَلَى درجات؛ ولذا مِنْ الضروري ملاحظة المرتبة العليا فَقَدْ تكون المرتبة العليا أبدية وأزليّة كمرتبة عقائدية والمرتبة الدُّنيًا فرعية فقهية، وفي مرتبة ثالثة أخلاقيّة ورابعة و ... الخوامًا كون معنى الآية ينحصر في المراتب العُليا فَهَذِهِ دعوى ليست

موجودة فِي الروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت المَثِيَّ وتقدَّم فِي الرواية عَنْ أئمة أهل البيت المَثِيُّ وتقدَّم فِي الرواية عَنْ الإمام الصادق الثِيَّةِ: «... ولا تكوننَّ ممّن يقول للشيء أَنَّهُ فِي شيء واحد».

مُضَافَاً إلى أنَّ كُلاً مِنْ الفريقين يروون هَذِهِ الرواية: «لا يكمل إيهان عبدٍ حَتّى يؤمِن بالله ورسوله وقرابة رسول أحب إليه مِنْ نفسه وَمِنْ قرابة نفسه».

وَعَلَيْهِ فَلَيْسَ المنظور درجات تلك الوصلة العقائدية، وَإِنَّمَا المنظور الأقل مِنْهَا أو الدرجة الفقهية أو الأخلاقيّة وغيرها.

وهكذا: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ عَأَن يُوصَلَ ﴾ (١).

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مثل هَذِهِ الشواهد مِنْ الآيات والروايات وغيرها ما هُوَ الموقف مِنْهَا وكيف تُخَرَّج عَلَى مبنى السَّيِّد العلَّامة الطباطبائي، فإنَّها آية واحدة يُستفاد مِنْهَا عِدَّة جَنبات: _ جنبة أخلاقيَّة وَهِيَ ثواب صلة الرَحِم، وجنبة فقهية، وجنبة عقائدية وغيرها،

وَالْمُهِم الذي نُريد أَنْ نذكره هُوَ أَنَّ النَّظَريَّة الثَّانية هِيَ الكفيلة فِي

⁽١) سورة الرعد: الآية ٢١.

أمثلة تطبيقية لقاعدة الجري

جُمع هَذِهِ الوجوه والجنبات المختلفة للآية الواحدة: لا النَّظَريَّة الاولى الَّتِي تبناها السَّيِّد العلَّامة عَيُّجُ.

شاهد آخر: قول الْنَبِيَ عَلِيْكُ لابنته السَّيِّدة والدة الحجج فاطمة الزهراء عَلِيَكُ : «إنَّكِ سيِّدةُ نساء العالمين»(١).

بتقريب: - إنَّ الرسول الأعظم عَلَيْكُ بَيْنَ المصداق الأعظم والأخطر مِنْ بين النساء هُوَ فاطمة الزهراء عَلَيْكُ وأنَّها وصفت بِهَذَا الوصف العظيم وَهُوَ سيدة نساء العالمين (٢).

(1)

ومعنى مريم بالعبرية: هِبَّهُ الله وَهُوَ نعتٌ، وأبرز مصاديق هَذَا النعِيِّ هُوَ فاطمة الزهراء المِنكال.

بتقريب: _ إنَّها حالة وجل وذعر وخوف لمريم النكا، وأين جلسة ثلاثة مِنْ رؤوساء الملائكة جلسة العبد عِنْدَ فاطمة الزهراء اللهائك حتى تفرغ مِنْ تهجدها، كُلّ ذَلِكَ حسب ما جاء في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين والمسلمين المناه بسند معتبر: «... حَتّى لا يبقي ملك مُقرَّب ولا نبي مُرْسَل ولا صِدِّيق ولا شهيد ولا عالم ... إلَّا عَرَّفهم جلالة أمرِكم وعِظمَ خطركم وكِبَرَ شانكم ... عدا

والخلاصة: إنَّ الرواية الشريفة ترسم لنا هندسةً تامَّةً لمعنى قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير، وكيف أُخِذَ مقام التطبيق فِي مقام التنظير، وكيف أنَّ التنظير والتطبيق عَلَى طبقات ودرجات مُرَادة، ولكن

بتقريب: ـ إنَّ هَذِهِ الآيات وغيرها هِيَ أصدقُ فِي أهل البيت المَيِّا مِنْ الأنبياء المِيَّا؛ ولذا قَالَ رسول الله ﷺ: «عُلَمَاء أُمْتي أفضل مِنْ أنبياء بني إسرائيل» المصدر

فمثلاً المدلول التنظيري للمتشابهات يتدخل فِي المحكمات، كَمَا فِي الآية ﴿ هُوَ الَّذِي َ أَنْ الْكَئْبِ وَأُخُرُ الآية ﴿ هُوَ الَّذِي اَلْكَئْبُ مَنْهُ ءَايَتُ مُخْكَنَتُ هُنَ أُمُ الْكِئَبِ وَأُخُرُ مُتَسَيِهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللللَّا اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّ

وبالتالي إذَا أردتَ أنْ ترفع لَبْسَ المتشابهات فارجع إلى أمر المتشابهات إلى الأم أيّ إلى المُحكهات، وَعَلَيْهِ فأصبح دور المحكهات في المتشابهات دورٌ مُدَاخلي فِي المدلول التنظيري، فإذا كانت المحكهات كَذَلِكَ فالولاية أعظمُ فِي دخالتها فِي رسم وتنظير مدلول الآيات القرآنية.

فَالقُرآن الكريم يرسم بهذه الآية المباركة نظاماً علمياً لنفسه في محورية أمومة الولاية، ولذا عِنْدَمَا قَالَ الْنَبِيَ عَيَالِللهُ: «... وما خاطب الله الله الله الله الله أيّ بعلي الله أيّ يكون المعنى تامّاً وبمستوى كامل.

النموذج الرَّابِع: ... مُمْران بن أَعْيَن عَنْ أبي جعفر الباقر اللهِ قَالَ: «ظهر القُرآن الَّذِيْنَ نزل فيهم، وبطنه الَّذِيْنَ عملوا بمثل أعمالهم»(٢).

بتقريب: _ إنَّ ظهر القُرآن الذي نزل فيهم مُعْلَنٌ فِي هؤلاء، وأنَّ

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٧.

⁽٢) تفسير العيّاشي: ج١، ص٨٦ باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

.٣٣..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

ظهره وبطنه تأويله مِنْهُ ما مضى، وَمِنْهُ ما لَمْ يكن بَعْدُ يجري كَمَا ترجي الشمس والقمر، فَإِنَّ الَّذِيْنَ عملوا بمثل أعمالهم يجري فيهم ما أنزل فِي أولئك وَعَلَيْهِ فلا تستطيع أَنْ نقول الذي نزل فيهم غَيْر معنيين بالتطبيق؛ بحجة أَنَّ التطبيق غَيْر التنظير كلا فَإِنَّ كُلا مِنْ التطبيق والتنظير مرادُ، فكمَا أَنَّ الَّذِيْنَ نزل فيهم القُرآن غَيْر منعزلين عَنْ التنظير كَذَلِكَ فيمن يجري فيهم.

والشيء الجديد الذي يؤكّده الإمام الله ويوضّحه لنا هُوَ أَنَّ حَتّى مداليل القُرآن الكريم حيّة متجدِّدة متوسِّعة عَلَى جري واتساع آفاقها وَهِي كَمَا هُوَ واضح مِنْ الأصل معلومة عِنْدَ الباري ولكنَّها بالنسبة إلينا تتكشف وتظهر شيئاً فشيئاً فشيئاً فهي سابقاً كانت بالنسبة إلينا كامنة وباطنة فتظهر شيئاً فشيئاً والكل معني بذلك لإنَّهُ تَقَدَّمَ إِنَّ بحث التطبيق مرتبة مِنْ مراتب المُرَاد الجدي؛ ولذا المصاديق الَّتِي خاطبهم القُرآن الكريم أمثال أبي جهل أو الوليد بن المغيرة أو فرعون الذي قَالَ ﴿ ذَرْفِ وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِدًا الله ومكان، وَهَذَا معنى ساري وَإِنَّا قصده وقصَد كُل فرعون وفي كُل زمان ومكان، وَهَذَا معنى ساري وجاري فِي هَذَا القالب إلى يَوُم القيامة، وهكذا هامان وَكُل مُتجبِّر ومُتكبِّر لا يؤمن بيوم الحساب ﴿ فِرْعَونِ وَهَنَانَ وَمُعُودَهُ مَا ﴾ "أيً

⁽١) سورة المدثر: الآية ٧٤.

⁽٢) سورة القصص: الآية ٦.

هامان وفرعون كُل عصر ومكان، وكذا نمرود ... فَإِنَّهُ أُريد مِنْ ذكر هَذِهِ المصاديق المعنى العام وَلَيْسَ الْمُراد أَنْ تنظر إلى التطبيق بعيداً وبمعزل عَنْ التنظير، فمثلاً لو أبعدت شخصية النمرودية عَنْ تنظير معنى الآيات الواردة فِي معنى نمرود فَإِنَّ تلك الآيات أصلاً تصبح خاوية عَنْ معناها، وعَلَيْهِ: - لا يمكن إقصاء وعزل التنظير عَنْ التطبيق، ولكن هَذَا التطبيق لَيْسَ حادثاً للآية كَمَا يتوهمه أصحاب النَّظريَّة الأولى الَّذِيْنَ عزلوا التنظير عَنْ التطبيق خوفاً مِنْ محذور الحبس والعكس هُوَ الصحيح إذْ لا انحباس في امتزاج وتداخل التنظير مَعَ التطبيق وَإِنَّما فيه نوع مِنْ بناء الظهور وعظمة مفاد الآية لما أُريد مِنْ مغزاها العظيم وَالمُهِم المحافظة عَلَى ذَلِكَ المغزى المهم اللّية مَعَ توسعها وجريانها.

وهكذا البيانات النبوية الَّتِي خوطبت بها مريم بنت عمران وَهِيَ المخاطب الأصلي والجدّي، ولكن هُنَاك مخاطب وراء الجدّي هُوَ مريم الكبرى أيِّ فاطمة الزهراء الله لذلك وَرَدَ أنَّ مريم مَثَلُ ضَرَبهُ الله بفاطمة الله ومعنى المَثَل هُو أنْ لا تقف عِنْدَ المُمثل به أو الممثّل لَهُ واعبره وتجاوزه وَالقُرآن يأمرك بذلك العبور وأنْ لا تجمد عَلَى الممثل به. وما ذكر في البيان النبوي مجاز عقلي وَعَلَيْهِ فكيف ينظر مثل السَّيِّد العلّامة الطباطبائي فَيُ إلى المقام وفق ما تبنّاه مِنْ النَّظَريَّة الأولى القائمة عَلَى عزل التنظير عَنْ النَّظريَّة الأولى القائمة عَلَى عزل التنظير عَنْ التَطبيق والنظام الاستعمالي في القُرآن هُوَ الذي عَمَّقَ اللَّغة العربية في القُرآن.

وَعَلَيْهِ فاكتشاف النظام اللغوي أو الاستعمالي أو ... الخ وتوسعته وتعميقه لا ينحصر بها اكتشفه وأسسه البلاغيون والنحويون والصرفيون وعُلَهَاء الأدب أو المفسرون وَلَيْسَ الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والكسائي والفرّاء و ... الخ قَدْ اكتشفوا قواعداً لَمْ يكتشفها قبلهم عُلَهاء الفن، وَعَلَيْهِ فها بال هؤلاء لهم الحقّ في الاكتشاف ولا نكتشف نَحْنُ مِنْ بيانات القُرآن وأهل البيت المِيَّا قواعداً للنظام اللغوي بلغة القُرآن ولسان عربي فصيح.

إذَنْ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير مأخذوة مِنْ تعبير القُرآن الله الله علوم القُرآن وَهُوَ تعبير حقائق لا تعبيرُ أحلام، وَإِنَّما إعبرُ وَجَاوِز مِنْ ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾ (١) أو ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ عِ الله عَلَي الجَال المحمدي والعلوي والفاطمي والحسني والحسني و ... والمهدوي صلوات الله عليهم أجمعين وعجّل الله فرجهم ففيه علامة للعبور.

وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير بِهَذَا البيان فيها فضاء وعالم آخر مِنْ نظام الاستعمال وإنْ كَانَ القُرآن يقول: ذكرتها لكم هَذِهِ الأمثلة واستعملتها وأردتها جدّاً ولكن لا تقفون عِنْدَ هَذَا المُرَاد الجدّي فَقَطْ وَإِنَّمَا اعبروا إلى جدّي وراءه وهكذا.

⁽١) سورة يوسف: الآية ١١١.

⁽٢) سورة يوسف: الآية ٧.

والنتيجة: إنَّهُ صَحَّ أَنْ يُقَالَ: إنَّ القُرآن يُشافه كُلِّ إنسان بكُلِّ آية آية وَمِنْ هَذَا يُعلم أنَّ كاف الخطاب فِي الآية لَيْسَ مختصاً بمن خاطبه وَالَّذِيْنَ نزلت فيهم وَهَذَا نظير استعمال اللَّفْظ فِي معنى بَعْدَد أنفاس البشر للرواية: «ما مِنْ آية يقرأها القارئ للقُرْآن إلَّا وَهِيَ تخاطبه إنْ هُوَ مِنْ أهل حَيرها أو مِنْ أهل شرَّها».

فَإِنَّ هَذِهِ القدرة فِي استعمال القُرآن الكريم للمعاني وسعة الخطاب لا تؤمنها النَّظَريَّة الأولى فِي قاعدة الجري والتطبيق عِنْدَ السَّيِّد العلّامة الطباطبائي لللَّيُّ، وَإِنَّمَا تُؤمنها النَّظَريَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق.

وَعَلَيْهِ فدائرة مدلول الخطاب القُرآني تشمل التنظير والتطبيق معاً (١).

النموذج الخامس: فِي كلام الْنَبِيِّ عَلَيْكُ: «... وإنْ كانت الآيات فِي ذَكَر الأولين فيا كَانَ مِنْهَا خيراً فَهُوَ جارٍ فِي أَهَل الخير مِنْ هَذِهِ الأُمَّة، وما كَانَ مِنْهَا فِي شُرِّ فَهُوَ فِي أَهُل الشر».

بتقريب: _ إنَّ هَذِهِ القاعدة الَّتِي بيَّنها الرسول اللَّهُ الصَّر يحة فِي معنى الجري وأنَّ ما ذُكِر مِنْ الآيات والعلامات والأمثال و ... الخ فِي الأولين فالخير فيها جارٍ فِي أهل هَذِهِ الأُمَّة وَلَمْ ينحصر تطبيقه بأهل خير هَذِه الأُمَّة والمُّمَّة فِي وقت صدور هَذَا البيان النبوي الشريف وَإنَّما ساري

⁽١) فمثلا بلعم بن باعورة الذي كان قد أي شيء من المقامات الغيبيّة العالية لكن سرعان ما نكث وغدر حينها تمثلت له الدنيا بجهال امرأة فتبعها وباع كل ما أعطي من منزلة عظيمة بلذّة دنيوية حقيرة ومؤقتة، وعليه فمدلول الخطاب القرآني شامل للأنس والجن والملائكة.

٢٣٤..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

المفعول إلى قيام الساعة، وهكذا جانب الشر - والعياذ بالله -

وَعَلَيْهِ فَمَا ذَكَرَتُهُ الآياتُ والبياناتُ النبويَّةُ مِنْ أَهُلُ الخَيْرُ لَيْسَ الْمُرَادُ الجَدِي للقُرْآنُ وللبياناتُ النبوية يقف وينتهي عَلَى أَهُلُ الخَيْرِ مِنْ اللَّمُمُ السابقة، وَإِنَّمَا هُوَ أَحَدُ مرادات القُرآنُ الكريم الجَدِّيةُ وَإِنَّمَا هُنَا مراد جدي آخر يجب أَنْ نعبر مِنْهُ إلى آخر.

تنبيه: ينبغي الالتفات إلى نقطة مُهمّة جدّاً وَهِيَ أَنَّهُ عِنْدَمَا نقول هُنَاكُ مُراد جدّي آخر يجب العبور إليه، فمثلاً فِي الآيات الَّتِي يُصَرَّحَ بها باسم الشخص كالنبي يوسف اللهِ مثلاً ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ * (١) لَيْسَ معناه أَنَّ المعاني الاستعماليّة والتفهيمية لا تُراعى كلا ...

فَإِنَّ كَلَمة (يوسف) المقصود مِنْهَا يوسف الْنَبِيَّ عَلَيْ كَمُراد جدِّي وَلَيْسَ هُنَاكُ أَيِّ تغييب لموازين الاستظهار فِي الآيات الكريمة إلَّا أنَّ الكلام كُلِّ الكلام الذي هُوَ محط النَّظَريَّة النَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير حسب منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن، هل المُرَاد الجدي يقف عِنْدَ ذكر هَذَا المثال أو المصداق أو يتعدّاه ويتشفف المُرَاد الجدي ويكون المُرَاد الجدي مِنْ الْنَبِيّ يوسف اللهِ وَإِلَى المَنْ هُوَ حُجَّة الله ومصطفى؟

⁽١) سورة يوسف: الآية ٧.

وَعَلَى النَّظَرِيَّةِ الثَّانية يتعدَّى إلى كُلِّ حُجَّة الله مصطفى وَهَذِهِ الآيات والعلامات آيات للسائلين وأيضاً هَذِهِ الآيات تصلح للإجابة عَنْ أُمُور أُخْرَى، كَمَا لو كَانَ عندك سؤال عَنْ غيبةِ حُجَّة الله فِي الأرض، وأنَّ مثل هَذَا التساؤل موجود فِي قصة يوسف اللهِ وَهُو أَنَّهُ يمكن أَنْ يكون حُجَّة الله فِي الأرض ويغيب عَنْ أنظار الناس لا أنَّ ذَلِكَ يعني أنَّهُ يغيب أنته تغيب معرفته عنّا فَإِنَّهُ مُتواجد فيها بيننا وناشط وفاعل ويقوم بإنقاذ البشرية مِنْ أخطر الكوارث مِنْ دون أَنْ تشعر البشرية بإنقاذ حُجَّة الله فِي أرضه.

إذَنْ يمكن أنْ تستنطق آيات سورة قصة يوسف اللهِ وَعَلَى نبينا أفضل الصَّلاة وَالسَّلامُ ويستظهر مِنْهَا الإجابة عَنْ التساؤلات حول غيبة الإمام المهدي الله وأنَّ القُرآن أراد مِنْ ذكر يوسف اللهِ الصديق هُوَ ذكر ليوسف اللهِ الصديق هُو ذكر ليوسف الله يعني هَذَا أنَّ يوسف آل يعقوب لَيْسَ مراداً كلا إنَّهُ مُرادٌ جدي أوَّل وَهُنَاك مُراد جدي ثاني وثالث و ... الخ.

وَهَذَا شَاهِدَ عَلَى قاعدة الجري بحسب النَّظَريَّة الثَّانية وَإِلَّا لُو كَانَ مُراد الآية الأعظم هُوَ الْنَّبِيِّ يوسف النَّلِا فَقَط حسب النَّظَريَّة الأولى الَّتِي يتبناها السَّيِّد العلامة وغيره القائمة عَلَى عزل مقام التنظير عَنْ التطبيق فَإِنَّهُ مَا الفائدة فِي قصصهم لُو لَمْ يكن فِي قصصهم عبرة لما نَحْنُ فيه ولما هُوَ راهن لدنيا؟!

وما الفائدة في الاعتقاد بنبوة الأنبياء قبل الخاتم عَلَيْكُ مِنْ آدم لو لَمْ ترتب عَلَيْهَا غاية ورائية نهاية وَإِلَّا نتعامل معها كحدث تاريخي ونتفاعل معه

إِلَّا أَنَّ هَذَا لَيْسَ مُراداً حسب النَّظَرِيَّة الثَّانية القائلة بمزج التطبيق مَعَ التنظير وأنّ أصل اعتقادنا بنبوة الأنبياء هُو فريضة عقائدية لابُدَّ مِنْهَا لا أننا نتعامل معها كحدث تاريخي وَإِنّها نُريد أَنْ نرتب الغاية الورائية النهائية وَهُوَ جري مداليل القُرآن حسب بيانات أهل البيت البيّلِ وَهُو أَنّ كُلّ التساؤلات حول النّبي الأعظم عَلَيْ وعلي الله وفاطمة والحسن والحسين المتلا والتسعة المعصومين وقائمهم المهدي وغيبة الإمام من الكريم التها تَعَالَى عَنْ التساؤلات وغيرها تجدون أجوبتها في القصص الّتي استعرضها الله تَعَالَى عَنْ الأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين في القُرآن الكريم (۱).

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نظام قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير حسب النَّظَريَّة الثَّانية لا يُفَرِّغ ويُخوي الألفاظ عَنْ مراداتها الاستعمالية والتفهيمية والجدية، وَإِنَّمَا هُوَ مرادٌ لها جداً، غاية الأمر لَيْسَ هُوَ الْمُرَاد الجدي النهائي، وَإِنَّمَا هُنَاكُ مراد جدي ثانٍ وثالث ورابع و ... الخ.

⁽١) وَكُلّ هَذِهِ التساؤلات وأجوبتها بينها سماحة الشَّيْخ الأُسْتاذ الشَّيْخ مُحَمَّد السند_حفظه الله_في كتابه الظواهر القرآنية والإمام المهدي أي ظواهر قرآنية في الأنبياء والمُرسلين أُريد مِنْهَا كفاية جدّية هُو الإمام المهدي المنتظر، باعتبار أنّ التساؤلات والعطش المعرفي لدى البشر والمؤمنين بإمامهم الحُجّة، في الأرض في العصر الراهن.

الإمامة والعمل الأمني

يُستفاد مِنْ كثير مِنْ النصوص القُرآنية الَّتِي تخصّ الجانب الأمني وسريّته وتُبيِّن حدوده وتُفَهِّمُ معنى الإمامة أيّ القيادة فِي الأرض وإدارة شؤون البشر فِي كافة مجالات الحياة وتعاملاتهم المعيشيّة والاجتماعية والسياسيّة والأمنية والاقتصادية و ... الخ. كُلِّ ذَلِكَ بحسب النَّظَريَّة الثَّانية فِي قَاعِدَة الجرى.

فمثلاً في بيان القُرآن لقصة لقاء موسى الله الذي هُو نبي مِنْ أنبياء أُولوا العزم مَعَ العبد الصالح الخضر الله وما جرى بينها وقاما به مِنْ أدوار سرية في الأرض بإيعازات مِنْ الله تَعَالَى وأدّيا أدوراً إصلاحية في الأرض مِنْ دون أنْ يَشعُرَ بهم البشر، وَعَلَيْهِ إِذَا كانت المُهِمَّة الأمنية والإصلاحية الَّتِي قام بها موسى الله والخضر الله فلا يستعرضها لنا القُرآن الكريم يُريد أنَّ يُنبِّه الأُمَّة إلى أنَّ دور الإمامة والقيادة لا ينحصر الظاهر والمكشوف المُعلن عنه والمُصرَّح به، وَإِنَّها هُنَاك أدوار أمنية الطاهر والمكشوف المُعلن عنه والمُصرَّح به، وَإِنَّها هُنَاك أدوار أمنية الله وَمَعَ ذَلِكَ لا زالت تقسم بجانب السرية والأمن وعدم التصريح عَتَى بالاسم؛ ولذا القُرآن يقول في جانب إخفاء الاسم ﴿ فَوَجَدَا عَبْدُا

مِّنْ عِبَادِنَا ﴾(١) ولقاء النَّبيّ موسى النَّالِ بالخضر النَّالِ فِي غاية الصعوبة والسريّة والطرق الأمنية الإلهية المعقّدة جدّاً وَبَعْدَ انتهاء الْمُهمَّة الأمنيّة الإصلاحيّة للمجتمع البشري افترق موسى النَّلْإِ عَنْ الخضر النَّلْإِ، إِلَّا أَنَّهُ مَنْ يَعَى هَذِهِ السرية التامّة بينهما؟!

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ هِيَ حدود العمل الأمني الإلهي الذي بيّنه القُرآن الكريم وَأَنَّهُ لا هوادة فيها، وَبِهَذَا الاستعراض القُرآني لحدود العمل الأمنى يريد أنْ يقول: _ أنّ المسؤوليّة الإلهية الخفيّة والسريّة عظيمة وأنكم في العصر الراهن والحاضر هكذا تدارون بنظام وبرنامج أمنى في غاية الخفاء والسريّة فِي الأرض ولا تتوهموا أنَّ الإمامة هِيَ فَقَطْ منحصرة بالجانب الإعلامي الظاهر مِنْهَا وَهُوَ الرئاسة والزعامة والزوبعة الإعلامية.

وَعَلَيْهِ فَهَذَا بُرهان لِـمَنْ أراد أنْ يتفهم معنى الإمامة والقيادة وكيف تدار شؤون الأرض بسريّة وبلا إعلام حَتّى لا يدخل الدجل لِأنّ أوَّل علامة للكذب هُوَ الإعلان والدعاية، وَالقُرآن الكريم يُبيِّن لنا الآلاف مِنْ المُرادات الجديّة الَّتِي ذكرها فِي مختلف القصص القُرآنية والمواقف وِ ... الخ فَإِنَّ هَذِهِ الْمُرادات الجديّة سوف تطرح جانباً حسب النَّظَريَّة الأَولى فِي قَاعدِة الجري بخلاف النَّظَريَّة الثَّانية، فَإِنَّ هَذِهِ الْمرادات الجدّيّة ورائهامداليل وراء بعضها البعض وكلا مُرادة ليست فَقَطْ

(١) سورة الكهف: الآية ٦٥.

الإمامة والعمل الأمني

بالدلالة الجديّة الأُولى بَلْ مُرادة بالمُراد الجدّي الأوَّل والثاني والثالث و ... الخ وإنْ أُريدَ الْنَبِيّ موسى اللِّلِا كنبي والعبد الصالح الخضر كخضر إلَّا أنَّهُ يُتعدى إلى موسى والخضر هَذَا الزمان أيضاً.

إذَنْ انظر إلى دقة وعمق تعبير الْنَبِيّ الأكرم الله (وإنْ كانت الآيات في ذكر الأولين فها كَانَ فيها مِنْ خير فَهُوَ جارٍ فِي أهل خير هَذِهِ الأُمَّة، وما كَانَ مِنْهَا فِي شر فَهُوَ جارٍ في أهل شر هَذِهِ الأُمَّة» وَهَذِهِ الطَّبقات مِنْ المداليل إنَّها تتوافق مَعَ النَّظَريَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري وَأَنَّهُ كيف لا تكون غاية الغاية أكثر جدية مِنْ الغاية، وَعَلَيْهِ فالجري هُوَ جري فِي المداليل سواء كَانَ المدلول عَلَى صعيد التطبيق أو المعنى المدلول فإنَّها كُلَّها مداليل مُرادَة.

النموذج السَّادِس: روى العيَّاشي عَنْ عمر بن حنظلة عَنْ أَبِي عبدالله الله عَنْ قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ قُلْ كَغَىٰ بِأَللَهِ شَهِيدًا بَيْنِي عبدالله الله عَنَّ وَجَلَّ ﴿ قُلْ كَغَىٰ بِأَللَهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِئْبِ ﴾ (١) الرعد، فلما رآني أتبع هَذَا عمرو بن حنظلة (٢) وأشباهه مِنْ الكتاب عَنْ الكتاب عَنْ الأمام الصادق اللهِ : «حَسْبُكَ يا عمرو كُلِّ شيء مِنْ الكتاب مِنْ فاتحته إلى خاتمته مِثلَ هَذَا فَهُوَ فِي الأَئمة وَقَدْ عُنوا به ».

بتقريب: _ إنَّ الإمام اللهِ بَيَّنَ ضابطة عامّة وَهِيَ أنَّ الأئمة اللهُ اللهُ موجودون فِي كُلِّ آية مِنْ فاتحة الكتاب إلى آخر آية وَهِيَ الخاتمة.

⁽١) سورة الرعد: الآية ٤٣.

⁽٢) وعمر بن حنظلة فقيه كبير من أصحاب الصادق الله.

⁽٣) يعنى ما يرتبط بولاية أهل البيت المالي ومقاماتهم.

فمثلاً فِي سورة الفاتحة قوله تَعَالَى: _ ﴿ آَهْدِنَا ٱلصِّرَطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ مِرَطَ ٱلَّذِينَ أَنَّعَتَ عَلَيْهِم ﴾ فالأئمة الله موجودون ولا يقتصر تطبيقها عَلَى الأنبياء والمُرسلين وإنْ كَانَ المصداق الجدّي الأوَّل لها هُمْ الأنبياء والمُرسلين، ولكن هُنَاك مُراد جدّي ثاني وثالث ورابع و ... حسب النَّظَريَّة الثَّانية في قاعدة الجري والتطبيق، وأنَّ هَذِهِ معاني مُرادة والإمام الصادق الله يريد أنْ يبيِّن أنَّ الأئمة المُهِلِيُ عُنوا بها وأنَّ هَذَا التطبيق مدلولٌ معنيُّ مُرادٌ لا أنَّهُ مُجَرِّد تطبيق منعزل عَنْ التنظير المعنوي.

وَعَلَيْهِ فَهَذَا التعبير مِنْ الإمام الصادق اللهِ يُخالف دعوى النَّظَريَّة الأولى فِي قاعدة الجري والتطبيق الَّتِي تبنّاها السَّيِّد العلّامة السَّيِّد مُحَمَّد حسين الطباطبائي اللهُ وَمِنْ تبعه.

كَمَا أَنَّ فِي الرواية تصريحٌ عَلَى أَنَّ المصاديق مِنْ المعنى المدلول للكلام فِي القُرآن مِنْ أوله إلى آخره، وأنَّ المصداق محل عناية إرادة الدلالة فِي الكلام الإلهي، وَهَذَا ما لَمْ يُبْنَ أُسسه ونظامُه بشكل كامل متكامل بَعْدُ فِي علوم اللَّغَة العربية.

من لم يعرف تأويل عبادته فهِي خداج:

النموذج السَّابع: رواية: «بينها أمير المؤمنين اللهِ مارّاً بفناء بيت الله الحرام إذْ نظر إلى رجل يصلّي فاستحسن أمير المؤمنين اللهِ صلاته فَقَالَ: يا هَذَا الرجل أتعرف تأويل صلاتك، قَالَ الرجل يا بن عم خير خلق الله وهل للصلاة تأويل غَيْر التعبُّد، فَقَالَ اللهِ : _ اعلم يا هَذَا الرجل: إنَّ الله وهل للصلاة تأويل غَيْر التعبُّد، فَقَالَ اللهِ : _ اعلم يا هَذَا الرجل: إنَّ الله

بتقريب: _ إنَّ الله تَعَالَى ما بعث نبي مِنْ أنبيائه بأمر مِنْ الأُمُور سواء آيات القُرآن أو ألفاظ القُرآن وَكُلّ ما لَهُ نسبة إلى الشرع مِنْ المعاني ومداليل، وإذا لَمْ الشريعة ولها تأويل ولها تنزيل ولها مدارج مِنْ المعاني ومداليل، وإذا لَمْ يَعْرف المُفَسِّرُ مثلاً هَذِهِ المداليل فَهُوَ لا زال تفسيره ناقصاً يحتاج إلى أنْ يتكامل وَإلَّا لا يُسمَّى مُفَسِّراً إلَّا إذا كانت صلاته وصومُه وحَجَّه تامّاً لا يتكامل وَعَلَيْهِ فَمَنْ لَمْ يَعْرف تأويل صلاته وصومه وحجه و ... الخ فَإنَّ صلاته خُداج، وكذا صومه خداج وحجّه خُداج أيّ ناقصة.

فمثلاً في باب الصَّلاة المُكلَّف إذَا لَمْ يأتَ بالأمر الإنشائي المعنوي في الصَّلاة، فَهَذَا معناه أَنَّهُ لَمْ يأتِ بروح الصَّلاة، وإذا لَمْ يعرف المصلي معنى رفع يديه في تكبيرة الإحرام أو مدّ العنق أثناء الركوع، وما معنى السجدة الأولى وما معنى السجدة الثَّانية و ... الخ وَعَلَيْهِ إذَا أتيت بالصلاة معناه إنَّك تريد مِنْهَا هَذِهِ المعاني المعينة وَإلَّا فصلاتُك خداج أيّ ناقصة لأنَّك لَمْ تعرف معنى التكبير ورفع اليدين والركوع والسجود و ... الخ وتكون صلتك بالله تَعَالَى غَيْر تامّة ومنقطعة وَلَمْ يَتِمُّ الوصال.

⁽١) الوسائل، أبواب الصَّلاة:

والشَّاهِد فِي هَذِهِ الرواية: _ إنَّ إسناد مادَّة وعنوان المعرفة إلى تأويل عنوان الصَّلاة مما يُؤكِّد عَلَى أنَّ تأويل الشيء بكُلِّ طبقات التأويل ودرجاته ولو المصداقية دخيلة في معرفة الشيء وبالتالي في معرفة عنوان ومعنى الشيء نفسه، وَهَذَا مؤشِّرٌ عَلَى أنَّ مقام التحقّق معنى في معنى الشيء.

النموذج الثَّامِن: عَنْ الإمام الصادق اللهِ: "إنَّ الله خلقنا فأكرم خُلْقنا وفَضَّلنا وجعلنا أمنائه وحفظته وخُزّانه عَلَى ما فِي السموات وما فِي الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءاً فَسَهّانا فِي كتابه وكنّى عَنْ أسهائِنا بأحسن الأسهاء واحبها إليه، وسمَّى أعدائنا وأضدادنا فِي كتابه، وكَنَّى عَنْ أسهاءهم وضرب لهم الأمثال فِي كتابه فِي أبغض الأسهاء إليه، وَإلى عبادة المتقين».

غُمَّد بن الحسن (صاحب الوسائل) عَنْ علي بن إبراهيم عَنْ أبيه، عَنْ حمّاد بن عيسى، عَنْ إبراهيم بن عمر اليهاني، عَنْ سليم بن قيس الهلالي عَنْ أمير المؤمنين اللهِ قَالَ: «إنَّ الله طهرنا وعصمنا، وجعلنا الهلالي عَنْ أمير المؤمنين اللهِ قَالَ: «إنَّ الله طهرنا وعصمنا، وجعلنا شهداء عَلَى خلقه وحجّته فِي أرضه، وجعلنا القُرآن (وَالقُرآن) معنا لا نفارقه ولا يفارقنا»(١).

بتقريب: إنَّ القُرآن الكريم حاشد ومحتفي بذكر أهل البيت اللها غاية الأمر هَذَا الذكر لَيْسَ بالأسهاء التصريحية وَإِنَّمَا بالكناية، والكناية

⁽١) الوسائل: ج٢٧، أبواب صفات القاضي: ب١٧، ص١٧٨.

الإمامة والعمل الأمني

نوع مِنْ الاستعمال المباشر التصريحي وَإِنَّمَا بمداليل متعدَّدة هَذَا فِي حق أَهل البيت المِيَّاعِ.

وكذلك الحال في أعداء أهل البيت المنظِي والإمام الصادق النبي يُبيِّن في حديثه أنَّ هَذِهِ المحورية لأهل البيت المنظِي ها منشا وسبب ألا وَهُو أنَّهُم المنظِي قمم الفضائل لِإنَّهُ تَقَدَّمَ فِي احتجاج الْنَبِي عَلَى الخلق كلهم: «... معاشر الناس هَذَا علي أنصر كم لي وأحقكم بي وأقربكم إلي وأعزَّكم علي والله عَزَّ وَجَلَّ وأنا عنه راضيان ... وما نزلت آية رضا إلَّا فيه وما خاطب الَّذِيْنَ آمنوا إلَّا بدأ به، ولا نزل آية مدح في القُرآن إلَّا فيه و ... الخ الله ...

بتقريب: - إنَّ السبب فِي مدح الْنَبِي عَيَّالُهُ لعلي اللهِ بكُلِّ هَذِهِ المدائح والأوسمة المُشرِّفة هُو أَنَّ الله تَعَالَى أُودع أكمل الكهالات فِي علي اللهِ بَعْدَ الْنَبِي عَيَّالُهُ والإمام الصادق اللهِ أراد أَنْ يُعلِّل أَنَّهُ نَحْنُ أَهل البيت المَهِ إِلَّا اللهِ عَنَّا بأسهاء شتى فِي القُرآن فَإنَّ أسهاء الفضائل يُريد الباري عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذكرها مصاديق وتلك المصاديق التامّة والعُظمى موجودة فِي أهل البيت المَهِ : "إنَّ الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضّلنا وجعلنا أُمنائه وحفظته وخزّانه عَلَى ما فِي السموات وما فِي الأرض ... " وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ أهل البيت المَهِ خُرِّانه عَلَى ما فِي السموات وما فِي الأرض عَلَى عَلَى عَلَى ما فِي السموات والأرض فَهَذَا معناه أنّهم المصداق الأعظم والأتمّ بَعْدَ الرسول عَيَّا وأنّهم مجمع كُلّ علوم ومعالم وكمال

⁽١) الاحتجاج: ج١، ص٧٤ ـ ٠ . في احتجاج النبي ﷺ يوم الغدير على الخلق كلهم وفي غيره من الأيام بولاية علي بن أبي طالب الله ومن بعده ولده من الأئمة المعصومين الله .

وما أرسله العيّاشي بسنده عَنْ علي بن حمزة عَنْ أبي جعفر السِّلِا: «﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا ٱلْفُرَءَانِ لِيَذَكَّرُوا ﴾ يعني ولقد ذكرنا علياً فِي القُرآن وَهُوَ الذكر فها زادهم إلَّا نفوراً »(٢).

إذَنْ النموذج التطبيقي الأعظم والأهم والقالب الحَسَن الذي يريد القُرآن أنْ يهدي إليه هُمْ أهل البيت اللَّهِ لأنَّهم اللَّهِ مسار وباب الكمال إلى الْنَبِي عَلَيْكُ وَإلى الله تَعَالَى، وَهَذَا بيان لنوع مِنْ عملية الجري

⁽١) سورة الإسراء: الآية ٩.

⁽٢) العيّاشي: ج٣، ص٥٣، ح٧٨.

الذي تكون الولاية فيه لله وللرسول عَلَيْ ثُمَّ لأهل البيت المَيْ محوراً أساسياً ثمَّ يأتي دور منظومة تفاصيل المُتشابهات ثمَّ موارد النزول ثمَّ أحكام فرعية أُخْرَى ثمَّ قواعد تفصيلية مُخْتَلفة.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا هُوَ أَنَّ قول الإمام الصادق اللهِ بمثابة تعليل لإكرام الله تَعَالَى لهم بأصل الخلقة والتفضيل وجعلهم الله حفظة وخزّان عَلَى ما فِي السموات والأرض.

ومحل الشَّاهِد: فَإنَّ هدف القُرآن مِنْ هَذَا كُلَّهُ هُوَ مزج الجانب التنظيري مَعَ التطبيقي لا عزل أحدهما عَنْ الآخر، ولا يَتِمُّ هَذَا المزج بينهما إلَّا عَلَى ضوء النَّظَريَّة الثَّانية فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير.

هَذَا كُلَّهُ بحسب منطوق قول الإمام الصادق اللهِ: "إنَّ الله خلقنا فأكرم خلقنا» وإنَّ أهل البيت اللهِ هُمْ غاية وأقصى درجة الكهال بعدالنبي الأكرم اللهُ وأمَّا بحسب المفهوم فيكون المفهوم أنَّ أعداءهم وأضدادهم يكونون في أقصى درجات الرذيلة والشرّ وأنَّ فوق كُلّ ذي شراً ويكون أعداؤنا _ أعداء أهل البيت اللهِ _ بحسب المفهوم هُمْ المعنيون بالشر بِهَذَا اللحاظ.

وأخطر وأشد ما يتخوفه الباري تَعَالَى عَلَى خلقه مِنْ الشرّ الأهرّكي إذَا قِيلَ أنَّ الْمُرَاد مِنْ كُلّ مثل شرِّ ضربه القُرآن أنَّ الْمُرَاد به

ولا يخفى إنَّ الرواية تُشير إلى أنَّ جُلّ بَلْ كُلّ استعمال قرآني هُوَ استعمال كنائي وفي الاستعمال الكنائي يكون المُكنّى عنه خفيٌّ ولكنّه مُرادٌ بإرادة جديدة بَلْ قِيلَ أَنَّهُ مراد بإرادة استعمالية حسب الاختلاف بين أقوال البلاغيين، وعَلَى ضوء ذَلِكَ يتبيّن أنَّهم المَيِّ معنيون بمدلول الآيات الواردة في الاخبار استعمالاً أو تفهيمياً أو جدّاً، كَما أنَّ أعدائهم معنيّون في الآيات الواردة في الأشرار استعمالاً أو تفهيماً أو جدّاً وبالتالي فَإنَّ المعنى التنظيري والاستعمالي لِجُلّ الآيات معنى مُوَّطِئ توطئةً للمعنى الجدّي المُرَاد والأهم والنهائي.

إلفات نظر: إنَّ الرواية الَّتِي ذكرناها فِي المورد الثَّامِن عَنْ الإمام الصادق اللهِ: «إنَّ الله خلقنا فأكرم خَلْقنا وفضلنا وجعلنا أمنائه وحفظته

⁽١) سورة الشمس: الآية ١٢.

الإمامة والعمل الأمنيوالأرض و ...». وخزّانه عَلَى ما في السموات والأرض و ...».

هَذِهِ الرواية بالحقيقة ليست رواية واحدة وَإِنَّهَا هُنَاكَ روايات مُستفيضة فِي هَذَا المعنى والمضمون وأنء نَجْد الخير مجمع كهاله وقمته أهل البيت الميلي ونَجْد الشر قمته فِي أعداء أهل البيت الميلي، وأنَّ روّاد سبيل الشر هُمْ أعداء أهل البيت الميلي الَّذِيْنَ صَرَّفوا وحرموا البشرية الاستفادة مِنْ أكبر كهال وسعادة دائماً يكونون أعتى وأكثر شرّاً عَلَى البشرية وممن مانع البشرية عَنْ السعادة المتوسّطة ونذكر بَعْض تلك الروايات:

الرواية الأولى: عَنْ أبي الجارود، قَالَ سمعتُ أبا جعفر اللهِ يقول: «نزل القُرآن عَلَى أربعة أرباع: ربعٌ فينا، وربعٌ في عدوِّنا، وربع في فرائض وأحكام، وربع سُننِ وأمثال، ولنا كرائم القُرآن»(۱).

الرواية الثَّانية: عَنْ الأصبغ بن نُباتة قَالَ: سمعتُ أمير المؤمنين اللهِ منين اللهِ منين اللهِ منين اللهِ عنول القُرآن أثلاثاً ثلثاً فينا وفي عدونا، وثلث سُنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام (٢).

⁽١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٨٤، باب ما أُنزل في القرآن والكافي: ج٢، ص٥٩٠.

⁽٢) المصدر السابق: ح٣.

اهتمام القرآن بجانب الشرور الواقعت جريا كقاعدة

[لماذا يُؤكِّد القُرآن عَلَى ذكر جانب الشَّر]

هَذَا خيرُ دليل وشاهد عَلَى ربط مقام التنظير بالتطبيق وعدم الاقتصار عَلَيْهَا، بَلْ عَلَى ذكر المصاديق بلحاظ حقبة زمنيّة مُعيَّنة والاقتصار عَلَيْهَا، بَلْ يتعداها إلى كُلِّ ما ينطبق عَلَيْهِ الجانب التنظيري فمثلاً يذكر القُرآن جانب الخير والكهالات في الأُمم السابقة فبذكر المُرَاد الجدّي مِنْهَا يذكر بَعْض المصاديق ويتعدّى مِنْهَا إلى كُلِّ ما ينطبق عَلَيْهِ ضابط الخير كَمَا فِي أهل البيت اللَّيِ الَّذِيْنَ هُمْ مجمع الكهالات والفضائل، وَإلَّا لو اقتُصِرَ على الجانب التنظيري فَقَطْ لماتت الآية بانتهاء مخاطبيها، وكذا إذا اقتُصِرَ عَلى ذكر بَعْض مصاديقها في ذَلِكَ الوقت والجمود عليهم وعدم التعدّي إلى غيرهم.

وهكذا جانب الشرَّ فَإنَّ أهل الشرّ معنيّون فِي القُرآن قطعاً بَلْ أكثر جدّية فِي إرادتهم مِنْ بقيّة مراتب الشرّ والأشرار، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الصادق والصحيح الآن عِنْدَمَا نقول: _

بأنَّ القُرآن لا يكترث بذكر مصاديق بَعْض الظلمة والفراعنة والمُتجبّرة كالنمرود الذي يقابل في العداوة الْنَبِيّ إبراهيم الله ، بقدر ما

يُحَذِّر مِنْ النمرود الذي يقابل سيد الأنبياء عَيَّالِلهُ، أو بقدر ما يوقي البشرية مِنْ فرعون الذي يقابل سيد الأنبياء عَيَّاللهُ وعترته أو قارون أو هامان أو غيرهم مِنْ الأشرار، وَعَلَيْهِ فخاطب القُرآن الْنَبِيِّ إبراهيم وموسى اللهَلِكُ وأنَّها فِي مصافِ سيد الأنبياء وما خاطب القُرآن به شريعة الأنبياء السابقين في خضم شريعة سيد الأنبياء.

وهكذا قاتل ناقة صالح شقيّ ولكن فِي نفس سورة الشمس ذكر بَعْض المفسرين بناءاً عَلَى بَعْض التفسيرات الروائية أنَّ المُرَاد مِنْ قاتل ناقة صالح هُوَ عبدالرحمن ابن ملجم وإرادته أشدّ اهتهاماً مِنْ إردة نفس قاتل ناقة صالح، فَإنَّ عبدالرحمن بن ملجم لعنة الله عَلَيْهِ أشقى الأولين والآخرين، وهل يُظن بالباري تَعَالَى إنَّهُ غَيْر مُلتفت أو غَيْر مُلم بمجريات الأمُور والمصاديق أيّ طبيعة واي معنى وَأيّ عنوان، والعياذ بالله بنله عنى وَأيّ عنوان، والعياذ القُرآني لأجل إرشاد وهداية البشر في أفق التطبيق.

وَعَلَيْهِ عِنْدَمَا يُقَالَ: _ أَنَّ القُرآن عنى أهل البيت المَيِّ وأنَّهم مجمع الفضائل وَهُمْ قمة المعنيين بذلك هُو لَيْسَ نوع مِنْ الانفعال العاطفي، وأنَّ أعداء أهل البيت المَيِّ هُمْ قمّة المعنيين بالرذائل، فَهَذَا لَيْسَ مجاز ولا تصوير شعري وشاعري خيال، بَلْ الباري تَعَالَى دائماً يحذِّر مِنْ الأخطر والأعظم، وهكذا شأن كُل حكيم فَإنَّ نفس اهتهامه واعتنائه بالخطر دليل عَلَى خطورة النتائج المترتبة عَلَى عدم الاهتهام، وعدم التحذير مِنْ هكذا

اهتمام القرآن بجانب الشرور الواقعة جرياً كقاعدة ٢٥١ خطر قبل وقوعه وعدم غفلته.

وَعَلَيْهِ فتحسس القُرآن لما هُوَ راهن غاية لما سيأتي، وبعبارة أُخْرَى إِنَّ اهتهام القُرآن بموارد نزول الآيات مما هُوَ معنيٌّ ومقصودٌ للقُرْآن بلحاظ التنزيل مَعَ كونه فِي الأهميّة مساوٍ لما سيأتي أو دونه فكيف لا يُفرّض اهتهام القُرآن معنى ومقصوداً عَلَى صعيد المدلول بها سيأتي مَنْ هو أعظم أو مساوي فِي الأهميّة مما هُوَ مورد تأويلي للقُرْآن كاهتهام بموارد التنزيل.

مَنْ هُوَ أعظم شأناً وغاية لِـمَنْ هُوَ راهن حاضر عِنْدَ نزول القُرآن الكريم، فالذي هُوَ راهنٌ وحاضرٌ فِي نزول القُرآن هُوَ نمرود إبراهيم اللهِ أو نمرود الجاهلية فِي الإسلام أو نمرود نفاق الإسلام أو نفاق الإيان، وَمِنْ الواضح أنَّ المُرَاد به أولئك يعني مُرادٌ لهم جداً، وكذلك مراد جدًا لما وراءه بلا منافاة فِي ذَلِكَ المُرَاد الجدّي لكنَّ المُراد الجدي الثَّانِي أو التَّالِث أو ... النح يكون مراداً جدّاً أكثر تشدّداً.

تنبيه هام

في نهاية الكلام عَنْ قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير نودُّ الإشارة إلى مطلب مهم وحاصله أنَّهُ عِنْدَمَا نعبِّر فِي قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير أنَّ المُرَاد هُوَ أنَّ نعبِّر بالقاعدة والضابطة فَإنَّ مثل هَذَا لَيْسَ ضابط خيالي شاعري، وإنْ كَانَ وللأسف بَعْض الباحثين المثقفين أو غيرهم عِنْدَمَا

يقفون عَلَى مثل هكذا روايات وهكذا مضامين يقول هَذِهِ مِنْ مشرب الغُلاة! والواقع خلافه فَإنَّهُ مشرب عقلي صافٍ نهله ونمير عذبٌ فَإنَّ أيّ مُقنن إذَا لَمْ يلتفت إليه سواء عَلَى صعيدالقانون أو غيره عِنْدَمَا يضع ويُقنن قانون جنائي فَإنَّ أهم شيء لديه هُوَ ذكر المصاديق الخطيرة لا المصاديق المتوسِّطة أو الأقل خاصة إذَا كَانَ يعلم بها ذَلِكَ اللَّقنِّن وأنَّ المصاديق المتوسِطة أو الدانية سوف تكون بالتبع وبالعرض مشمولة لهذا التقنين، هَذَا عَلَى صعيد التقنين البشري، فكيف بتقنين ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلجِّنَ وَأَلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١).

إذَنْ أهميّة وخطورة المصداق الأعظم يُعبأ بها ولا يعني ذَلِكَ تجاهل المصاديق المتوسِّطة أو الدانية كلا ولا منافاة، فمثلاً عبارة رسول الله عَلَيْقُ الذي هُوَ المصداق الأعظم أين عبادته عَلَيْقَ مِنْ عبادة رجل صالح؟

وإِنْ كَانَ الله غنيّاً عَنْ عبادة العباد، إلّا أنَّ الاكتراث الإلهي يعتني، ويعني بمعنى التقسيم والتقدير بعبادة سيد الأنبياء عَلَيْ ولذلك إذَا كانت غاية الخِلْقة هِيَ الخضوع لله وإظهار عظمة الله عَلَى يدي أهل بيته ولا تُقاس بإظهار عظمته تَعَالَى عَلَى يدي جبرائيل وميكائيل فَإنَّهُ يوجد فرق بين العبادتين؛ ولذا وَرَدَ فِي زيارات أهل البيت الميّلِ نعوت: «لا يُضادكم ذو ابتهال وخشوع» أيّ مها ابتهل وتضرَّع وتضعضع الدَّاعي مِنْ ملكِ مُقرِّب أو نبي مُرْسل فَإنَّهُ لا يمكن أنْ يُضادكم وكيف لَهُ أنْ يضادكم وما قَدْ ألمُوا به مِنْ معرفة الله فوق معارف سائر الخلائق بنصّ يضادكم وما قَدْ ألمُوا به مِنْ معرفة الله فوق معارف سائر الخلائق بنصّ

⁽١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

اهتمام القرآن بجانب الشرور الواقعة جرياً كقاعدة

القُرآن الكريم الذي هُوَ مُهيمن عَلَى بقيّة الكتب السهاويّة مِنْ صحف إبراهيم اللَّهِ وتوراة موسى اللَّهِ وإنجيل عيسى اللَّهِ و... الخ.

وَبَيْنَ القُرآن الكريم وراثه عترة الْنَبِي عَلَيْ للكتاب مِنْ الْنَبِي عَلَيْ وبنصّ القُرآن الكريم ﴿ لَا يَمَسُهُ وَ إِلَّاللَمُ طَهَرُونَ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ اَلَجُنَ وَ الْإِنسَ إِلّا التطهير وَهُمْ عترة الْنَبِي الأكرم عَلَيْ إذَنْ و ﴿ وَمَا خَلَقْتُ اَلَجِنَ وَالْإِنسَ إِلّا التطهير وَهُمْ عترة الْنَبِي الأكرم عَلَيْ إذَنْ و ﴿ وَمَا خَلَقْتُ اللّهِ فِي الْإِنسَ إِلّا لِيعَرفون إنّهُ لولا الإمام الحجة ﴿ حُجّة الله فِي الأرض هُو القمّة لساخت الأرض بأهلها (٣): الإمام الذي هُو حجّة الله فِي الأرض هُو القمّة العالية لا الهدف المتوسّط، وإنْ كَانَ الله تَعَالَى غنيّاً عَنْ عبادة الخلق أجمعين بها في العالية لا الهدف المتوسّط، وإنْ كَانَ الله تَعَالَى غنيّاً عَنْ عبادة الخلق أجمعين بها في ذلك عبادة سيد الأنبياء عَلَيْ الله المناه على والخل الربانية والجهال والكهال الرباني، هُو تَعَالَى اللّه المُعنى بالآية وبقيّة المصداق الأتمَّ وَهُوَ المعنى بالآية وبقيّة المصداق مرادة بالتبع والظل.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الإرادة فِي المداليل فيها شدَّة وضعف وَلَمْ يذكرها عُلَمَاء البلاغة والأصول والفقه، فَإِنَّ الدلالة تابعة إلى الإرادة، والإرادة فيها شدَّة وضعف، وكذا المدلول فيه شدَّةً وضعفاً وكأنَّما الدلالة عمليّة تركيز وإضاءة ونور وشعاع شديد عَلَى الإرادة، وَالْمُرَاد الأتمّ، والمدلول الجدّي

⁽١) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

⁽٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

⁽٣) ساخت: أي بطلت الحكمة من خَلْقِه الأرض.

أشدّ مما تركز الدلالة عَلَى الْمُرَاد ذو الإرادة المتوسِّطة أو الدانية فَإنَّ إضاءتَه خافتَةٌ.

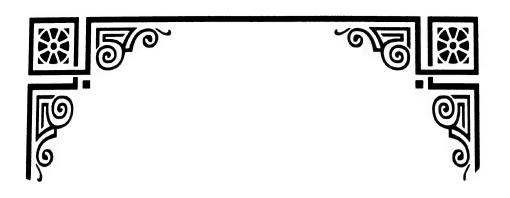
وَهَذَا مما اعترفوا به ارتكازاً ألم يقولوا بإنَّ الدلالة فيها نصُّ وفيها صريحٌ وفيها تصريح وفيها ظهور أقوى وظهور متوسِّط وظهور ضعيف، وَهَذَا معناه الدلالة عَلَى درجات وكذلك الحال في المداليل الحقيقيّة بحسب الإرادة، وَعَلَيْهِ فَهُنَاك إرادة جدّيّة أشد وَهُنَاك إرادة جدّيّة متوسِّطة وَهُنَاك أقل وهكذا.

خاتمت

إنَّ المصاديق وإنْ اشتهرت بين البلاغيين أنَّها خارجة عَنْ مُحيط الدلالة والمدلول وأنَّ الكلام إنَّها يُستعمل في الصور الذهنية مِنْ المفاهيم والمعاني إلَّا أنَّ الدلائل الَّتِي مَرَّت دالَّة عَلَى أنَّ صقع المصاديق داخلة في دائرة المدلول ولا سيّها في الكلام الإلهي ولو بتوسّط مرآتية المعاني والمفاهيم للمصاديق الخارجية ومقام التطبيق، وبالتالي فالصور والمعاني والمفاهيم في الذهن هِي بدورها أيضاً دوال انضاميّة للكلام لاستعالها حاكيةً ودالةً عَلَى المصاديق فالمدلول الملحوظ غاية هُو المصداق في مقام الاستعال والدلالة لا سيّما المصداق الأعظم، فكما أنَّ التلفظ بأصوات اللَّفظ وحروف الكلام أو نقش كتابته هُو لغاية الدلالة عَلَى ما وراءه وليس مقصوداً لذاته، فكذلك المعاني والمفاهيم في الذهن لَيْسَ مقصودة ومعنيّة في الدلالة لذاتها،

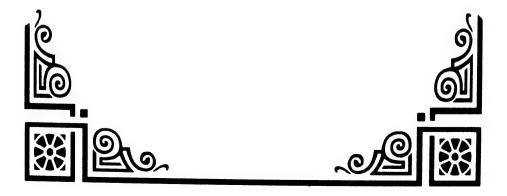
بَلْ لغاية وقصد المصاديق واهمها المصاديق ذَاتَ الشأن الكبير في الطبيعة الكليّة.

وبعبارة أُخْرَى: فَكَمَا أَنَّ الحال فِي المعاني والمفاهيم الذهنية قَدْ تقصد لمعاني أُخْرَى ورائها والمعاني لأخرى قَدْ تقصد أيضاً لمعاني ثالثة والثالثة لرابعة مِنْ طبقات المعاني والمفاهيم المتعاقبة والمترامية، وَهَذَا بابٌ مِنْ أبواب الجري والتعبير والعبور، وكذلك حركة الجري مِنْ المعاني إلى المصاديق ولا سيّما الهام والخطير مِنْها.



القاعدة السادسة:

قاعِدَةُ الذِكْرِ فِي القُرآنِ الكريم



قاعِدَة الذكرِ فِي القرآن الكريم

الفهرس الإجمالي:

- * المقدمة.
- * معنى القاعدة.
- * مدرك القَاعِدَة.
- * الذَّكر صفة لمراتب وجودية متكثَّرة.
- * حقيقة الإعجاز في القُرآن وصلة ذَلِكَ بأنَّ حقيقته ذكرٌ.
 - * السِّر في عدم اكتشاف إعجاز القُرآن.
 - * طبيعة حقيقة القُرآن أنَّهُ يُفعِّل كُلِّ علم.
 - * ما معنى الذكر.
 - * التذكر مِنْ شرائط قراءة القُرآن المستحبة.
 - * الذكر بمثابة الأصل الذي انحدر مِنْهُ القُرآن الكريم.
- * ضرورة تأسيس الجانب العملي والعلمي للمفسِّر فِي قاعِدَة

الذِكر.

- * الحقيقة لا تقتنص بالتنظير الفكري فَقَطْ.
- * تأثير العدالة والتقوى عَلَى الجانب العلمي.
- * الطهارة الروحية ودخالتها في جانب التفسير.

- * أهم مميزات قاعِدَة الذِكر.
- * الفرق بين الندبة بالذكر والندبة بالنياحة.
- اهم الشرائط المُعتبرة فِي المفسِّر للقُرْآن الكريم، طهارة المُفسِّر سبب لوصوله إلى حقيقة الذكر فِي القُرآن الكريم.
 - * لَيْسَ كُلّ تهذيب أخلاقي ذِكر.
 - * المعاني الأُخْرَى لقاعدة الذِكر.
 - * تنبيه: _ كُلِّ سورة فِي القُرآن لها وزن مُعيَّن وتفعلية خاصّة.
 - * كيفية استكشاف قواعد الذِكر.
 - * الذِكر هُوَ أحد معاني أشهد أنَّك تلوت الكتاب حقَّ تلاوته.
 - * المفسِّر الناجح مَنْ يستطيع التمييز بين الآية الأم وغيرها ..
- * أهميّة وخطورة علم التفسير في تنظيم متطلبات أفراد المجتمع في يومياتهم.
- * علم التفسير هُوَ للمفسِّر الناجح الذي يُلبي حاجة البشر أينها ما كانت.
 - * أهم ثلاث مُميزات لقاعِدَة الذِكر.

الذكر في القرآن الكريم

لمقدمة:

لا يخفى عَلَى المُتتبع الكريم أنَّ أسلوب القُرآن هُوَ أُسلوب ذِكْرٍ، وجاري عَلَى الأمثال، وقبل الخوض فِي تفاصيل هَذِهِ القَاعِدَة الخطيرة وَالْمِهِمَّة نُذَكِّر بجملة أُمُور:

الأمر الأوّل: إنَّ بَعْض المُحققين مِنْ الباحثين وإنْ كَانَ قَدْ عنونها بعنوان آخر وَهُوَ: _ قَاعدِة الذِكر والأمثال أو المثل في القُرآن، وأنَّ هَذَا العنوان يوحي أنَّهُ يحتوي عَلَى قَاعدِة واحدة إلَّا أنَّ الواقع هُمَا قاعدتان مُنفصلتان، وَلِكُلِّ قَاعدِة معناها ومدركها عَلَى حِدة، كَهَا سوف نبحثها عَلَى ضوء منهجنا التفسيري أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات، ونظراً لتشابك وتقارُب الصلة الوطيدة بينها عَلَى رأي بَعْض المناهج دُمج الكلام عنها تحت عنوان واحد، وإنْ كَانَتْ قَاعدِة الذِكر مِنْ أعظم محكهات قواعِد التفسير عَلَى الإطلاق وبلا منازع، وأنَّ قَاعدِة الأمثال، إنَّما هِيَ إعداد لها، والغاية هِيَ القَاعِدَة الأولى ـ قَاعدِة الذِكر ـ وَالثَّانية ـ قَاعدِة الأمثال عُمَهدَة لها.

الأمر الثَّانِي: إنَّ قَاعدَة الذِكر وكذا الأمثال الَّتِي سيأتي بحثها لاحقاً ليستا مُكتشفة الأبعاد، وَإنَّما خوضنا فيهما مِنْ باب التنويه والتنبيه رجاءً أنْ تنكشف جملة مِنْ جهات القَاعِدَة المذكورة.

والتركيز عَلَى جعل قَاعدِة الذِكر مِنْ قَواعِد التفسير العظيمة والخطيرة، عِمَّا قَدْ ينفرد به خواص منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات دون باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى، ولنلاحظ أنَّ هَذِهِ القَاعِدَة هِيَ حصيلة منظومة قَواعِد ولكن بنُظم وتركيب قُرآني خفيِّ، وَأنَّها ليست قَاعدِة مُنعزلة عَنْ بقيّة قَواعِد التفسير، وليست هِيَ كَذَلِكَ مُستنتجة مِنْ قَاعدِة فاردة، أو قاعدتين، أو بضع قَواعِد فِي التفسير، بَلْ هِيَ نظام مجموع قَواعِد التفسير، بَلْ ومنظومة طبقات أنظمته.

الأمر الثَّالِث: إنَّ هَذِهِ القَاعِدَة تمتاز بمميزات نذكرها فِي محلّها يجمعها: أنَّ الذِكر هُوَ نظام العلوم يوظّفها إلى الكمال، وَأنَّها بمثابة العلامة البوصليّة لسلامة المنهاج التفسيري، وَهَذِهِ القَاعِدَة قَاعدِة منهجيّة راسمة لمختلف علوم تفسير القُرآن وقواعده، كَمَا سوف يتّضح كُل ذَلِكَ فِي محلّه - إنْ شاء الله تَعَالَى -

يقع الكلام فِي أُمُور: _

الأمر الأوَّل: معنى القَاعِدَة.

الذِكر لغةً: قَالَ الخليل: _الذِّكْر: _هُوَ الحفظ للشيء تذكرُه، وَهُوَ مِنِّي عَلَى ذكر، والذِكْر: ﴿ وَإِنَّهُ وَاللَّهُ عَلَى ذَكَر، والذِكْر: ﴿ وَإِنَّهُ وَاللَّهُ عَلَى ذَكَر، والذِكْر: _ الشرف والصوت، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّهُ وَإِنَّهُ اللَّهُ عَلَى ذَكَر، والذِكْرِ اللهِ عَنَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّهُ مُلْكُ اللَّهُ عَلَى ذَكَر، والذِكْرِ اللهِ عَنَا لَا اللهُ عَنَا وَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّهُ مُلْكُ اللَّهُ عَلَى ذَكَر، والشَّو اللهُ عَلَى اللهُ عَنَا لَهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُولُولُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى ال

⁽١) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

الذِكْرُ فِي القُرآن الكريم

والذِكر: الكتاب الذي فيه تفصيل للدِّين، وَكُلِّ كتاب للأنبياء ذِكرٌ.

وَقَالَ ابن دريدُ: _الذكر ضد النسيان.

الذِكر بالمصطلح التفسيري: ذكر الفخر الرَّازي أنَّ المُرَاد بالذكر هُوَ القُرآن كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكُ أَنزَلْنَهُ ﴾ (١) ﴿ وَإِنّهُ الذِكرُ لُكَ ﴾ (٢) و ﴿ وَالْفَرْءَانِ ذِى الذِّكرِ ﴾ (٤) و ﴿ وَمَا يَأْنِيهِم مِن ذِكْرٍ ﴾ (٤) و ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكرُ ﴾ (٥).

وَقَالَ الفخر الرازي، ثمَّ فِي تسميَّة القُرآن بالذكر وجوه: _

أحدهما: _ إنَّهُ كتاب فيه ذِكر ما يحتاج إليه الناس مِنْ أمر دينهم ودنياهم.

وثانياً: إنَّهُ يذكر أنواع آلاء الله تَعَالَى ونعمائه ففيه التذكير والمواعظ.

وثالثاً: فيه الذكر والشرف لك ولقومك عَلَى ما قَالَ: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكُرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكُ ﴾ (١)، واعلم أنَّ الله تَعَالَى اسمه تسمَّى كُلِّ كُتبه ذِكراً فَقَالَ: ﴿ فَسَـٰتُكُواْ

⁽١) سورة الأنبياء: الآية ٥٠.

⁽٢) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

⁽٣) سورة ص: الآية ١.

⁽٤) سورة الأنبياء: الآية ٢.

⁽٥) سورة الحجر: الآية ٦.

⁽٦) سورة الزُخرف: الآية ٤٤.

٢٦٤..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني أَمْ لَا اللهِ عَلَمُ اللهِ عَلَمُ اللهِ المُحْكَمات ـ الجزء الثاني أَهْ لَ الذِّكُرُ إِن كُنْتُمْ لَا تَعَامُونَ ﴿ اللهِ اللهِ (١)(٢).

وَقَالَ السَّيِّد العَلَّامة الطباطبائي: _ المُرَاد مِنْ الذكر هُوَ القُرآن الكريم، أو ما يشتمل عَلَيْهِ مِنْ المعارف المتنوِّعة الَّتِي يُذكر بها الله سُبْحَانَهُ مِنْ حقائق وقصص وعِبَر وأخلاق وشرائع وَغَيْر ذَلِكَ (٣).

وَعَلَيْهِ فلو عمّمنا صفة الذكر لألفاظ القُرآن الكريم الذي يُقابل الشعر كَمَا فِي الآية ﴿وَمَا عَلَمْنَكُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانُ مُبِينٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانُ مُبِينٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّا الللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

بتقريب: _ أنَّ الذكر يُقَال لَهُ شعر حَتَّى فِي وقع التفعيلة وترتيب القافية الصوتية والسجع الصوتي.

ولذا عِنْدَمَا نقرأ القُرآن الكريم نجد أنَّ هُنَاك آياتُ كثيرة يصِفُ القُرآن بها نفسه بأنَّه ذكر، كَمَا سيأتي بحثها في الأمر الثَّانِي ـ مدرك القَاعِدَة ـ وسيأتي تقرير مَعْنَى الذكر عَلَى مختار منهج أمومة الولاية في نهاية القَاعِدَة.

الأمر الثَّانِي: مدرك القَاعِدَة:

أُوَّلاً: قوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا عَلَّمَنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

⁽١) سورة النحل: الآية ٤٣.

⁽٢) تفسير الفخر الرازي: ج٣٢، ص١١٣.

⁽٣) تفسير الميزان للعلّامة الطباطبائي: ج١٤، ص٢٠٩.

⁽٤) سورة يس: الآية ٦٩.

بتقريب: _ إنَّ القُرآن الكَرِيم بَيَّنَ أنَّ حقيقة القُرآن سواء عَلَى صعيد الكلام الصوي وما فوق ذَلِكَ مِنْ مراتب القُرآن لَيْسَ تركيبٌ صوي لتحريك خيال الإنسان وعواطفه كَمَا هُوَ الحال فِي الشعر، بَلْ هُوَ يُعَبِّدُ الطريقَ ليُحَمِّلَ حالة التذكّر لدى الإنسان وغيره مِنْ قراءته والعمل به، فَمِنْ ثمَّ حار الأدباء فِي تشخيص حقيقة ماهية التركيب الأدبي للقُرْآن، وَأَنَّهُ هل يدخل فِي الشعر، أو فِي السجع وفي الغزل أو فِي الحاس، أو فِي الأسلوب الرمزي، أو فِي النثر القصصي إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ أبواب الأدب فِي اللَّهُ.

وَلَمْ يفطنوا إلى يومنا هَذَا لقواعده فِي التركيب البلاغي، وَأَنَّهُ مِنْ أَيِّ شَاكِلَة.

وفي الحقيقة: _ أنَّ سبب هَذَا التحيّر هُو أنَّ ماهيّة التركيب اللغوي والبلاغي لألفاظ القُرآن هِيَ ماهيّة التركيب الذكري، أيّ الذي يوجب التذكر، لا الذي يوجب إثارة الخيال مِنْ حَيْثُ هُوَ خيال، ولا إثارة العاطفة مِنْ حَيْثُ هِيَ عاطفة، ولا إثارة الوهم والواهمة في هيهان معاني، ولا إثارة شعور الإحساسات والحسّ والتحسّس مِنْ حَيْثُ هُو، ولا إثارة جُرْبُزَة الفكر مِنْ حَيْثُ هُو تحليقٌ فكري، ولا غَيْر ذَلِكَ مِنْ إثارة أفعال قوى النفس مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ، بَلْ هُو توظيف كُلّ ذَلِكَ فِي مسيرة أفعال قوى النفس مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ، بَلْ هُو توظيف كُلّ ذَلِكَ فِي مسيرة

(١) سورة يس: الآية ٦٩.

٢٦٦ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

ومسار حصول التذكّر والذكر للإنسان لما مَرَّ به مِنْ عوالم أخذت عَلَيْهِ المواثيق فِي تركيب فطرته وذاته.

ثمَّ إِنَّ توصيف ما نُزِّلَ عَلَى الْنَّبِيَ ﷺ مِنْ الكتاب بأَنَّه ذكرٌ، ثمَّ توصيفه بالقرآنيّة، دالٌّ عَلَى نقد وعلو مرتبة الذكريّة للقُرْآن عَلَى مرتبة قرآنية الكتاب.

٢ _ قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكُرُّ لِلْعَالَمِينَ ﴿ ﴾ (١).

بتقريب: _ إنَّ هَذِهِ الآية المباركة تشير إلى أنَّ الذكر الذي هُوَ مِنْ أعظم غايات القُرآن عَايته الذكر المخلوقات.

٣ _ قوله تَعَالَى: ﴿ وَهَاذَا ذِكُرُ مُّبَارِكُ أَنزَلْنَا أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾(٢).

بتقريب: _ إنَّ فِي الآية المباركة إشارة إلى أنَّ حقيقة الذكر علويةٌ لا يَصِلُ إليها إلَّا بالعروج، وَمِنْ ثمَّ كَانَ الذكر عَلَى مراتب وأقسام فوقَ أنْ تُحْصَى.

٤ _ قوله تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيْتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ (٥٠٠٠) (٣٠٠ .

بتقريب: وفي الآية مقابلةٌ بين الآيات والذكر وفيه إشارة إلى علو

⁽١) سورة ص: الآية ٣٨.

⁽٢) سورة الأنبياء: الآية ٥٠.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ٣.

الذِكْرُ فِي القُرآن الكريم

حقيقة الذِّكر وأنَّ الآيات المباركة تنزلات لَهُ، وَهُوَ مطابق لما تَقَدَّمَ فِي سورة يس مِنْ كون الذكر أعلى مقاماً لحقيقة الكتاب مِنْ مرتبة قرآنيّة الكتاب.

٥ _ قوله تَعَالَى: ﴿ أَوَعِجَبْتُدَ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِن رَّيِّكُمْ عَكَ رَجُلٍ مِنكُرُ لِيُنذِرَكُمْ وَلِنَنَّقُواْ ﴾(١).

٦ - قوله تَعَالَى: ﴿ وَقَالُواْ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِى ثُرِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (١).

والآيتان الخامسة والسادسة بنفس مضمون تقريب الآية الرابعة.

٧ ـ قوله تَعَالَى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّے رَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ
 وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكَّرُونَ ﴿ ﴾ (٣).

بتقريب: ـ إنَّ هَذِهِ الآية المباركة فيها إشارة إلى أنَّ الذكر مَعَ كونه ذكراً إلَّا أنَّهُ يحتاج إلى بيان وتبيان وترجمان.

٨ ـ قوله تَعَالَى: ﴿ فَالنَّالِيَتِ ذِكْرًا ﴿ أَلْنَالِيَتِ ذِكْرًا ﴿).

9 _ قوله تَعَالَى: ﴿ كَلَّ إِنَّهُ, تَذْكِرَةٌ ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ, ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَآءَ اللَّهُ ﴾ (٥).
 يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَآءَ اللَّهُ ﴾ (٥).

⁽١) سورة الأعراف: الآية ٧.

⁽٢) سورة الحجر: الآية ٥.

⁽٣) سورة النحل: الآية ١٦.

⁽٤) سورة الصّافات: الآية ٣٧.

⁽٥) سورة المدّثر: الآية ٥٤ ـ ٥٦.

٢٦٨..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

بتقريب: _ إنَّ الآية المُبَارَكَة دالَّة عَلَى أنَّ التذكر بالقرآن لا يحصل إلجاءاً قهريّاً، بَلْ لابُدَّ مِنْ إرادة ومشيئة مِنْ الإنسان أيضاً فَهُوَ أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض.

۱۰ _ قوله تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُو ذِكْرًا ﴿ آَسُولَا يَنْلُواْ عَلَيْكُو ﴾ (١٠. بتقريب: _ حسب ما وَرَدَ فِي الروايات فالذكر هُوَ رسول الله ﷺ، والأئمة أهله (٢٠).

١١ _ قوله تَعَالَى: ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ ﴿ ۚ إِلَّا لَذَكِرَةً لِمَن يَخْشَىٰ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

بتقريب: _ في الآية دلالة على أنَّ التذكر لا يحصل مِنْ قراءة المصحف والتدبّر بالمعاني إلَّا بالتقوى وحصول الخشيّة القلبيّة، ممّا يُشير إلى ما مَرَّ مِنْ أنَّ التذكّر والذِكر لَهُ مراتب فوق بعضها البعض مُتصاعدة إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ الآيات الكريمة.

ثانياً: الروايات:

الرواية الأُولى: الحسن بن مُحمَّد الطوسي فِي (المجالس) عَنْ أبيه، عَنْ المفيد، عَنْ المظفر البلخي، عَنْ مُحمَّد بن همام، عَنْ عبدالله بن جعفر الحميري، عَنْ أبي أحمد بن مُحمَّد بن عيسى، عَنْ الحسن بن محبوب، عَنْ أبي حمزة الثُمالي، عَنْ أبي

⁽١) سورة الطلاق: الآية ١٠_١١.

⁽٢) مستدرك سفينة البحار: ج٣، ص٤٢٥ للشيخ حسين بن علي النهازي.

⁽٣) سورة طه: الآية ٢ ـ ٣.

الذِكْرُ فِي القُرآن الكريم

جعفر مُحمَّد بن علي الباقر عليه ، قَالَ: «لا يزال المؤمن في صلاة ما كَانَ في ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، قائماً كَانَ أو جالساً أو مضطجعاً، إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذَكُرُونَ ٱللَّهَ قِيكَمًا وَقُعُودُ لَوَ عَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ (١٠٪).

الرُّواية الثَّانية: ... عَنْ أَبِي عبدالله السِّلاِ، قَالَ: «... ما مِنْ شيء إلَّا وَلَهُ حَدٌ ينتهي إليه إلَّا الذكر فَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ ينتهي إليه، فرض الله عَزَّ وَجَلَّ الفرائض، فَمَنْ أَدَّاهُنَّ فَهُوَ حَدَّهُنَ وشهر رمضان فَمَنْ صامه فَهُوَ حَدُّه، والحج فَـمَنْ حجَّ فَهُوَ حدّه، إلَّا الذكر، فَإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لم يرضَ مِنْهُ بالقليل وَلَمْ يجعل لَهُ حدٌّ ينتهي إليه، ثمَّ تلا ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿ ۚ وَسَبِّحُوهُ بَكُوهُ وَأَصِيلًا ﴿ اللَّهُ لَهُ حَدًّا ينتهي إليه، قَالَ: وَكَانَ أَبِي كثير الذكر، لقد كنتُ أمشي معه وَإِنَّهُ ليذكر الله، وآكل معه الطعام وَأَنَّهُ ليذكر الله، ولقد كَانَ يحدث القوم وما يشغله ذَلِكَ عَنْ ذكر الله، وكنتُ أرى لسانه لازقاً بحنكه، يقول: لا إله إلَّا الله، وَكَانَ يجمعنا فيأمرنا بالذكر حَتَّى تطلع الشمس - إلى أنْ قَالَ: - وَقَالَ رسول الله عَيْنِ أَنْ أَخْبُرُ كُم بِخْيرِ أَعْمَالُكُم لكم وأرفعها فِي درجاتكم، وأزكاها عِنْدَ مليككم، وخيرٌ لكم مِنْ الدينار والدرهم، وخيرٌ لكم أنْ تلقوا عدو كم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ فقالوا: بلي، فَقَالَ ذكر الله كثيراً، ثمَّ قَالَ: جاء رجلٌ إلى النَّبِيَّ عَيَّا الله فَقَالَ: مَنْ خيرُ أهل المسجد؟ فَقَالَ:

⁽١) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

⁽٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٧، كتاب الصلاة، أبواب الذكر: ب١، ح٥، ص٠١٥٠.

⁽٣) سورة الأحزاب: الآية ٤١ ـ ٤٢.

٢٧٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني أكثرهم لله عَزَّ وَجَلَّ ذكراً (١).

وَمِنْ كلام لأمير المؤمنين الله في نهج البلاغة: _ عِنْدَ تلاوته ﴿ رَجَالُ لَا نُلْهِمِمْ تِجَدَرَةٌ وَلَا بَيْعُ عَن ذِكْرِ ٱللهِ ﴾ (١). قَالَ: إِنَّ الله سُبْحَانَهُ جعل الذكر جلاءاً للقلوب تسمع بِهِ بَعْدَ الوقرة وتَبْصِرُ به بَعْدَ العشوة، وتنقاد به بَعْدَ العائدة (٣).

الرُّواية الثَّالِثة: عَنْ الإمام الحسن المجتبى، قَالَ: _ قَالَ رسول اللهُ عَلَيْ بادروا إلى رياض الجنّة، فقالوا: وما رياض الجنّة، قَالَ: حَلَق الذِكْر (') إيضاح ذلك _ كما في مستدرك سفينة البحار: ج٣ ص ٤٣٠ للرُّاد مِنْ حلق الذكر: _ المجالس الَّتِي يُذكر الله فيها عَلَى قانون الشَّرع، ويُذكر فيها علوم أهل البيت المَيِّ وفضائلهم، ومجالس الوعظ الَّتِي يُذكر فيها وعده ووعيده، لا المجالس المبتدعة المخترعة الَّتِي يُفضى الله فيها، فيها، فأنَّا مجالس الغفلة لا حلق الذكر.

وذكر المولى النراقي فِي مشكلات العلوم إنَّهُ ذُكِرَ فِي بَعْض

⁽١) الوسائل: ج٧، كتاب الصلاة، أبواب الذكر: ب٥ ح٢، ص١٥٤، ط مؤسسة آل البيت الميكار.

⁽٢) سورة النور: الآية ٣٧.

⁽٣) سفينة البحار، للشيخ عباس القمي: ج٣، ص٢٠٩، عن كتاب الإيهان: ٣٠٤/٣٠، ج: ٣٢٥/٣٢٥، والوقرة: بالفتح هي الثقل في الأذن أو ذهاب السمع كله، وهنا من بركات الذكر أنْ يُذهب الثقل في السمع، والعَشْوَة: مثلثه العين هي الأمر الملبتس وأن يركب الشخص أمراً بجهالة لا يفرق وجهه، وهنا من بركات الذكر أنه سوف تزول ظلمة الأمر.

⁽٤) معاني الأخبار للصدوق: ٢٠٠.

الأخبار: _ لَيْسَ الذكر مِنْ مراسم اللسان ولا مناسم القلب: مِنْ أَنَّ الذكر التّام الحقيقي لَيْسَ مِنْ وظائف اللسان فَقَطْ، ولا مِنْ وظائف القلب القلب فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ أُوّلاً أَنْ يدخل فِي الذُكر _ بضم الذال _ أيّ القلب والخاطر، ثمَّ فِي الذاكر بعين اللسان، والمحصَّل أَنَّ الذِّكر اللساني فَقَطْ، أو القلب فَقَطْ، لَيْسَ ذكراً كاملاً، بَلْ لابُدَّ أَنْ يكون بالقلب واللسان معاً.

الرُّواية الرَّابعة: ... عَنْ عبدالحميد بن أبي الديلم عَنْ أبي عبدالله اللهِ ونقل حديثاً طويلاً وفيه يقول اللهِ : وَقَالَ الله جَلَّ ذكره ﴿ فَسَالُوا أَهْ لَ ٱلذِّكِرِ إِن كُنتُمُ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ اللهُ عَنَّ قَالَ الكتاب الذكر وأهله آل مُحمَّد اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بسؤالهم، ولم يؤمروا بسؤال الجهال، وسَمَّى الله عَزَّ وَجَلَّ بسؤالهم، ولم يؤمروا بسؤال الجهال، وسَمَّى الله عَزَّ وَجَلَّ القُرآن ذكراً، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكَرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَهُمْ يَنفَكَّرُونَ ﴿ اللهِ اللهِ عَنْ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ ا

الرُّواية الخامسة: فِي باب مجلس ذكر الرضاطِيِّ مَعَ المأمون فِي الفرق بين العترة وَالأُمَّة حديث طويل وفيه قالت العُلَمَاء: _ فأخبرنا هل فَسَرَّ الله تَعَالَى الاصطفاء فِي الكتاب؟ فَقَالَ الرضاطِيُّ: فَسَّر الاصطفاء فِي الظاهر سوى الباطن فِي اثني عشر موطناً وموضعاً، فأوَّل ذَلِكَ قوله عَزَّ وَجَلَّ إلى أَنَّ قَالَ: وأمَّا التَّاسعة فَنَحْنُ أهل الذكر الَّذِيْنَ قَالَ الله تَعَالَى ﴿

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧.

⁽٢) أصول الكافي: ج١، ٢٩٣، كتاب الحجة الإشارة والنَّص على أمير المؤمنين اللَّهِ: ج٣.

٢٧٧..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني فَسَعَلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكَرِ إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ الثَّالُ اللَّالِيَ المُحْكَمات ـ الجزء الثاني

فَنَحْنُ أهل الذكر فاسألونا إنْ كنتم لا تعلمون، فقالت العُلَمَاء: إنها عنى بذلك اليهود والنصارى، فَقَالَ أبو الحسن: سبحان الله، هل يجوز ذلِكَ إذاً يدعونا إلى دينهم ويقولون إنَّهُ أفضل مِنْ دين الإسلام؟ فَقَالَ المأمون فهل عندك فِي ذَلِكَ شرح بخلاف ما قالوا ياأبا الحسن؟ فَقَالَ: نعم الذكر رسول الله عَنَّ وَحَلَّ اهله وَذَلِكَ بيِّن فِي كتاب الله عَنَّ وَجَلَّ حَيْثُ يقول فِي سورة الطلاق ﴿ فَأَتَقُوا اللّهَ يَتَأُولِي الْأَلْبَ الذِينَ ءَامَنُوا قَدَ أَزَلَ الله عَنَّ وَخَلُ الله وَنَحْنُ أهله، فَهذِهِ التاسعة (٢٠). فالذكر رسول الله عَنَّ الله عَنَيْنَ وَنَحْنُ أهله، فَهذِهِ التاسعة (٢٠).

الرُّواية السَّادسة: ما أرسله العيّاشي بسنده عَنْ أبي حمزة عَنْ أبي جمزة عَنْ أبي جعفر اللهِ : «﴿ وَلَقَدْ صَرَّفَنَا فِي هَذَا ٱلْقُرَّءَانِ لِيَذَّكُرُوا ﴿ يعني ولقد ذكرنا علياً فِي القُرآن وَهُوَ الذِّكر فيا زادهم إلَّا نفوراً » (٤٠).

فَعَلَيْهِ فالذكر صفة وحقيقة تعمّ حَتّى أوصاف ألفاظ القُرآن الكريم، بَلْ وتعمّ كيفية ترتيب القُرآن الكريم يعني في مقابل خطابه في مقابل اللهو والغناء والموسيقى والشرور، بَلْ الذكر يعمّ حَتّى الحالات

⁽١) سورة الأنبياء: الآية ٧.

⁽٢) سورة الطلاق: الآية ١٠ ـ ١١.

⁽٣) عيون الأخبار: ص١٧٩ ب٢٣ ح١ عنه تفسير نور الثقلين للحويزي: ج٤، ص٦٨.

⁽٤) تفسير العيّاشي: ج٣، ص٥٣، ح٧٨.

الذكر صفة لمراتب وجودية متكثرة:

مِنْ خلال ما تَقَدَّمَ يُعْلَم أَنَّ الذكر صفة لمراتب وجودية متكثّرة تبدأ مِنْ الصوت إلى أعهاق الرُّوح، فمثلاً أحد أبعاد المادّة المعنويّة الخياليّة الموجودة في الشعر لَيْسَ فَقَطْ الوزن الصويّ لتفعيله ألفاظ الشعر، بَلْ هُنَاك أبعاد أُخْرَى للشعر؛ أحدها: _ارتسام المعاني الخيالية فيه.

وَعَلَيْهِ فَعِنْدَمَا يقول القُرآن [ذكر] يعني ليست معانيه خياليّة، وَإِنَّمَا الذكر معناه: _ إِنَّ مجموعة أصوات وألفاظ حُبكت فِي القُرآن الكريم تصبّ فِي تذكر الإنسان ولا تؤدي به إلى الخِفّة والمجون واللهو والاستهتار.

فَالقُرآن عِنْدَمَا يكون سبباً لإثارة الذكر فَإِنَّ إثارته للذكر ليست كإثارة الموسيقى والغناء الَّتِي هِيَ سبب لإثارة الغريزة الشهويّة، كَمَا فِي وصف رسول الله عَيَّالُهُ للغناء وَأَنَّهُ رُقية الزنا، قَالَ رسول الله عَيَّالُهُ: «الغِناء رُقيّة الزنا، قَالَ رسول الله عَيَّالُهُ: «الغِناء رُقيّة الزّنا» (۱)، وَعَنْ الإمام الصادق اللهِ «الغناء يورث النفاق» (۲).

بخلاف ترتيل القُرآن وتجويده وتفسيره و ... فإنَّها أسباب داعية إلى الذكر فَإِنَّ الْنَبِيِّ الأكرمُ عَلَيْكُ عِنْدَمَا كَانَ يقرأ القُرآن حين نزوله، فَإِنَّ قلوب رؤوس أئمة الكفر وفراعنة الأُمَّة أمثال أبي جهل وأبي سفيان

⁽١) بحار الأنوار: ج٧٩ ص٧٤٧ ح٢٦.

⁽٢) المصدر السابق: ص٢٤٩ ح٧.

وشيبة وربيعة والوليد بن المغيرة وعتبة و ... النح تصغي إلى القُرآن الكريم ولا يمتلكون أنفسهم وقلوبهم فَهِيَ تهوي وتصغي إليه، فَإِنَّ صوت ونغمة وترنيمة الْنَبِي عَلَيْلِهُ وترتيله للقُرْآن كَانَ بنغمة ذكرية وليست بنغمة مجونية لهوية ولا شعرية ولا خطابية ولا فوضوية خلطية وَمِنْ هُنَا تبيَّن دقة مَعْنَى الذكر وَأَنَّهُ مِنْ الصِّفات الكيفية أيضاً وهكذا الحال بالنسبة إلى باقي أئمة أهل البيت الميلي إذا قرؤا القُرآن يحدث لدى السامع موعظة وخشوع يجذب القلب.

ولذا وَرَدَتْ روايات تقول: نزل القُرآن بحزن فاقرؤه بحزن، أيّ النغمة الَّتِي يُقرأ فيها هِيَ أقرب إلى الحزن وأقرب إلى ترتيل القُرآن مِنْ النغمة الَّتِي فيها ابتهاج وسرور فَإنَّ نغمة الحزن تثير الذكر.

ولذا وَرَدَ عَنْ عبدالرحمن بن سائب قَالَ: _ قَدْ مَرَّ علينا سعد بن أبي وقاص فأتيته مُسَلِّماً عَلَيْهِ فَقَالَ مرحباً بابن أخي بلغني أنَّك حسن الصوت بالقرآن قلتُ: نعم والحمد لله، قَالَ: _ فَإنِّي سمعتُ رسول الله عَلَيْهُ يقول: _ "إنَّ القُرآن نزل بالحزن فإذا قرأتموه بكوا، فإنْ لَمْ تبكوا فتباكوا، وتغنّوا به فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرآن فَلَيْسَ مِنَّا»(۱).

بتقريب: _ إِنَّ القراءة بصوتٍ حزين ليست فَقَطْ بخصوص قراءة القُر آن بَلْ حَتَّى باقي الكتب السهاويّة كَمَا فِي قول الصادق اللهِ: _ إِنَّ الله

⁽١) بحار الأنوار: ج٨٩ ب٢١ من أبواب كتاب القرآن: ص١٩١ ح٢.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى أوحى إلى موسى إذَا وقفتَ بين يديَّ فقف وقف الذليل الفقير، وإذا قرأت التوراة فاسمعنيها بصوت حزين، وَكَانَ موسى الطِّلِا إذَا قرأ كَانَتْ قراءته حُزْناً وكأنَّما يُخاطب إنساناً (١).

إذَنْ الذكر صفة للقُرْآن عَلَى معاني ومدارج كثيرة؛ ولذا هُنَاك فرق بين الألفاظ والكلمات المستعملة في الغناء وألحانها وأطوارها وبين مفردات ألفاظ القُرآن، فَإنَّ معاني ألفاظ ومفردات الغناء مجونيّة حَتّى لو لَمُ تُقرأ بأطوارها وألحانها الخاصّة بها وَإنَّما مُجُرَّد ألفاظ وكلمات يرددها القارئ وإنْ لَمْ تكن بتنغيم حاذق _ والعياذ بالله _ توجب المجون والخفّة والطرب، وبالتالي فَهِيَ مُحَرَّمة فِي بحوث الفقهاء كَمَا فِي الشَّريعة الإسلاميَّة المقدَّسة، بخلاف معاني مفردات الآيات القرآنيّة فَإنَّها توجب حصون الخوف وحصون الركادة التؤودة والوقار والسكينة فِي نفس القارئ ها.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ كُلِّ شيء فِي القُرآن وبكل مراتبه وأبعاده وزواياه يُحْدِثُ ذكراً.

والخلاصة: إنَّ قَاعدِة الذكر فِي القُرآن الكريم لها أبعاد عديدة كَمَا سوف يتّضح خلال البحث فمثلاً أحد أبعادها حَتَّى فِي طريقة قراءة القُرآن الكريم فإنَّها ليست كطريقة قراءة الشعر أو النثر؛ ولذا وَرَدَتْ

⁽١) المصدر السابق: ح٣.

بتقريب: _ إنَّ الشعر فيه نغمات وأصوات صاعدة ونازلة ممّا تُحدث هزهزة، ومثل هَذَا اتركه في قراءة القُرآن، واقرأ القُرآن عَلَى وتيرة واحِدة مبيّنه، فَإنَّ طور الأداء الصوي للقُرْآن يختلف مِنْ زوايا عديدة مَعَ الشعر وَمَعَ النثر وَمَعَ ... الخ ولكن اقرأ القُرآن بترتيل فَإنَّ هَذَا الطور الأدائي الصوي يؤثِّر في القلوب القاسية، وبالتالي يُسبب لها الذكر، حَتّى معارف القُرآن ليست كالمعارف الفلسفية فَإنَّما أفكار تجريدية ونثر وانتشار للأفكار وتشتتها بخلاف المعارف القرآنية، فَإنَّما نوع مِنْ نسق الأفكار بنحو يُؤدِّي بالإنسان إلى الذكر، فَحَتَّى في باب العقائد والمعارف

(١) سورة المزّمل: الآية ٤.

 ⁽٢) الكافي: ج٢، ص٥٧٨، ترتيل القرآن بالصوت الحسن، بيّنه تبياناً: _ دَلَّ على أن الترتيب هو إخراج الحروف من مخارجها، والهزّ هو سرعة القطع، والرمل عند نثره يقع متباعد الحبّات أراد التنبيه على أنْ الترتيل هو إخراج الحروف من مخارجها بحيث تظهره متميزة عن بعضها البعض.

فَقَدْ يكون الإنسان متشاغلاً بها ولكن هَذَا التشاغل لَيْسَ كشاكلة المنظومة القُرآنية أيّ بها يُحدُّث لَهُ ذكراً، وهكذا العابد قَدْ يتشاغل في عبادته، ولكن أيضاً في بَعْض حالات الإنسان وَهُوَ متلبس بالعبادة إلّا أنّها ليست ذكراً، ولذلك آخر ما استقرّت عَلَيْهِ سُنة الْنَبِي عَلَيْهُ كَها في روايات أهل البيت المي في استحباب صوم يوميّ الاثنين والحميس، وَكَانَ عَيَا يُلِهُ يصومها أو يصوم أيام البيض أو كُلّ أربعاء و ... إلّا أَنّهُ يَعَلَى عَنْدَمَا يصومها كعبادة يُحْدِث لَهُ ذكراً بخلاف ما إذا صام الإنسان أيام شهر رجب أو شعبان فَإنّهُ يستحب صيامها إلّا أنّهُ يُقطّع صيامه وَلابُدّ أنْ يستمر ويتحسّس حالة الذكر حينها يتقطّع خلال الصّوم، أمّا إذا لمَ يحدث لَهُ حالة الذكر فحينئذٍ يصبح الأمر عادة اعتادها خاصة إذا تعوّد أنْ يصوم يوماً ويفطر آخر، وَهَذَا بالتالي يكون أكثر شائكة عَلَى الإرادة.

وهكذا مثل صلاة الليل فَإِنَّ الْنَّبِيّ الأكرم اللَّهِ لَمُ يصلها فِي مجلس وَوِرْد واحد وَإِنَّمَا يُقَطِّعها إلى ركعتين ركعتين حَتَّى يستثمرها ويجني مِنْهَا ثمرة الذكر والتوجّه والانقطاع إليه تَعَالَى، وَإِلَّا إِذَا لَمْ تحدث لَهُ حالة الذكر يصبح الأمر أنْ ينام الإنسان ثمَّ يقوم ثمَّ ينام، وهكذا لا يستفاد مِنْهُ شيءً.

وَمِنْ باب الكلام يجرّ الكلام نذكر: _ أنَّ مسألة تقطيع وتفريق صلاة الليل هُوَ أمر شاقَ عَلَى الإنسان، وفي رواية عَنْ الإمام الرضاليَّ: «إنَّما عَلَى المؤمن أنْ يأتي بالصلاة ولو فِي وردٍ واحِدٍ ثمَّ يذهب حَيْثُ يشاء»

وإِنْ كَانَ هَذَا أدنى درجات الفضيلة، إلَّا أنَّهُ إذَا أراد أنْ يستوحي مِنْ الصَّلاة الذكر فَعَلَيْهِ بالتفريق بين ركعاتها حَتّى تحدث لَهُ حالة الذكر.

وَهُنَاك رواية مضمونها: _ أنَّ زرارة بن أعين قَالَ للإمام الصادق اللهِ صليتُ نوافل الظهر وفريضتها ونوافل العصر وفريضتها دفعة واحدة وبلا فاصل، وَكُنْت صائهاً ولما خرجتُ ومررتُ مِنْ بَعْض مساجد المدينة وجدتُ أنَّهم لَمْ يصلوا الظهر بَعْدُ، فَقَالَ لَهُ الإمام الصادق اللهِ: «إيّاك أنْ تعود لمثل هَذَا».

بتقريب: _ إنَّهُ ما الثمرة فِي أداء هكذا مستحبات ونوافل وواجبات بلا إحداث حالة الذكر وإنْ كَانَ الذي يأتي بها أفضل ممن لا يأتي بها أصلاً، إلَّا أنَّ الذي يأتي بها إذَا أراد أنْ يستوحي مِنْ الصَّلاة حالة الذكر والتوجّه فَعَلَيْهِ بالفصل بين ركعاتها _ كُلِّ اثنين عَلَى حِدة مَعَ الفاصل _ مَعَ مراعاة عدم خروج وقت الفضيلة.

وَعَلَيْهِ فحتى الطقس العبادي لَهُ نمط بوصف القُرآن يمكن أنْ يؤدِّي إلى حالة الذكر القلبي وَالرُّوحي والأخلاقي، ولذا فَإنَّ كُلِّ صعيد مِنْ الأصعدة لَهُ نمط خاصٍ مِنْ المهارسة.

الإعجاز البلاغي في القرآن

إعجاز القُرآن البلاغى

إِنَّ قُواعِد الذكر لَمُ تبحث بالمستوى المطلوب إلى الآن ـ وللأسف ـ لا مِنْ قِبَل عُلَمَاء البلاغة، ولا عُلَمَاء النحو، ولا الصرف، ولا المنطق ولا التجويد ولا الترتيل ولا غيرها فَلَمْ يستطيعوا بحث قَاعدِة الذكر فِي مجالات عديدة مِنْ علوم عديدة لآليات عديدة تُحدِثُ الذِكْر.

وإنْ كَانَ عدم توصلهم إلى ذَلِكَ هُوَ أحد أسباب إعجاز القُرآن، بخلاف الشِعْر مثلاً، سواء مِنْ جهة التركيب الصوتي أو جهة المعنى، أو سائر تراكيبه، أو مثل قواعِد علم المنطق، أو فن الخطابة وَقُواعِد الجدل والمغالطة وغيرها.

فَإِنَّ آليات عملها وتعدّد جهاتها فِي علوم وفنون عديدة تَمَّ اكتشافها، بخلاف قَواعِد الذِكر فَإِنَّها لَمُ تكتشف، فَهَذَا هُوَ أحد المعاني الَّتِي تُفَسِر بها إعجاز القُرآن اللغوي والبلاغي.

وَعَلَيْهِ فَمَ هِيَ القواعدالبلاغي عَلَيْكُ الَّتِي يمكن أَنْ تؤثَّر وتُجُمَع وتُنَظِّم وتؤدِّي إلى التأثير فِي إحداث الذكر؟

. ٨٨. تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

ولكن إلى الآن لَمْ يبحثها عُلَمَاء البلاغة، لذلك لا زال سر مَعْرِفة إعجاز القُرآن بابٌ مسدود أمام عقل البشر وفكره ونظره.

فَإِنَّ الأسلوب القُرآني الرائع إذَا أخذته مِنْ أي اتّجاه مِنْ اتّجاهات علوم اللَّغَة والأدب بلاغةً أو نحواً، أو صرفاً، أو اشتقاقاً وغيرها.

فَإِنَّ هَذِهِ الاتِّجَاهات وَالقَوَاعِد موجودة فِي نظام أَلفاظ القُرآن الكريم وتؤدِّي إلى الذكر، إِنْ استُعْمِلتْ وفق موازين قَاعدَة الذكر، إلَّا أَنَّهُ إلى الآن لَمْ يخض عُلَمَاء هَذِهِ الفنون فِي بحث وبيان هكذا قَواعِد.

فمثلاً قوله تَعَالَى: ﴿ بَلُ قَالُوٓاً أَضْغَنْتُ أَحَلَامٍ ﴾''، وقوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّا فَالْوَا أَضْغَنْتُ أَحَلَامٍ ﴾''،

فَفِي هَذِهِ الآيات المُباركة وغيرها احتمالاتٌ أبداها الكفّار فِي التعرُّف عَلَى حقيقة القُرآن.

حقيقة الإعجاز في القرآن وصلة ذلكَ بأن حقيقته ذكر:

الاحتمال الأوَّل: قوله تَعَالَى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَنَثُ أَحُلَامٍ ﴾ (٣) قالوا أضغاث أحلام حَيْثُ أنَّهم رأوا أنَّ القُرآن مُشتمل عَلَى تنبئات فعزَوها إلى أضغاث أحلام حَيْثُ انتَّهم مناميّة غَيْر معلومة الصِدق، فَإنَّ القُرآن الكريم فيه

⁽١) سورة يوسف: الآية ٤٤.

⁽٢) سورة سبأ: الآية ٨.

⁽٣) سورة يوسف: الآية ٤٤.

الإعجاز البلاغي فِي القُرآن

أضغاث أحلام؛ لِأنَّ القُرآن وإنْ كَانَ فيه تصوير وإنذار شبيه بالمشهد المنامي والحلم الذي يُحْلِمُهُ النائم الذي يُنبئُهُ عَنْ شيء ويحكي عنه، ولكن القُرآن لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإنَّ القُرآن الكريم يُنبئك ويؤدِّي بك إلى الذكر.

الاحتمال الثَّانِي: قوله تَعَالَى: ﴿أَفَتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبَا﴾ (١) وقوله تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ اللَّهِ يَكُ اللَّهِ وَقَالَ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ قَوْمُ اللَّهِ وَقَالَ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ قَوْمُ مَا اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ قَوْمُ مَا اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ قَوْمُ مَا اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَ

فَإِنَّ الافتراء: شبيهٌ بالأسلوب القصصي الأسطوري الخرافي، بخلاف القُرآن فَإِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ؛ وَإِنَّما للقُرْآن أسلوبه وأدبه الخاص، وَالقُرآن وإِنْ كَانَ به أسلوباً قصصياً ولكن قصصه تؤدّي إلى الذكر وَإلى حقائق تختلف عَنْ قصص وكتابات الروائيين والقصصيين في قصة المسرح، أو الأفلام فَإنَّما رواية أسطوريّة تداعب الخيال والوهم بخلاف ذكر القُرآن وحبكه لقصّة قُرآنية حباكةً تُؤدِّي إلى الذكر.

وَعَلَيْهِ فَقُواعِد أسلوب القُرآن الكريم تختلف عَنْ قُواعِد كتابة القصة الروائية الأسطورية، وللأسف فَإنَّ كثير مِنْ المُفسرين يظنّون أنَّ القُرآن الكريم عِنْدَمَا يُعَبِّر فِي قَاعدَة الأمثال وضَرْبها ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا اللّهَاسِ لَعَلَّهُمْ يَنَفَكَرُونَ (١٠٠٠).

⁽١) سورة سبأ: الآية ٨.

⁽٢) سورة الفرقان: الآية ٤.

⁽٣) سورة الحشر: الآية ٢١.

بتقريب: - فإنهم - المفسرون - يزجّون بالآيات والسور وتفسيرها إلى نظام القصّة الرُّواية - والعياذ بالله - ومثل هكذا زجُّ خطأ وخطر كبير مترتِّب عَلَيْهِ وَهُوَ: - إنَّهُ سوف تُبْنى هَذِهِ الحقائق عَلَى أَنَّ معاني القُرآن ليست حقائق، وكأنهم بين نارين:-

نارُ الحقائق ونار الخرافات والأسطورات، وَهَذَا مِنْ المباحث الحسّاسة وَاللّهِمَّة جدّاً، وبالتالي نصل إلى هَذَا الأمر الحسّاس والخطير وَهُوَ وجود الفرق بين أسلوب القُرآن في أصعدة عديدة لفظية صوتيّة ترتيبيّة ذو معاني وعلوم وفنون ومهارات تختلف عَنْ أساليب القصصيين أو البلاغيين أو المؤرّخين وغيرهم.

وبالتالي فَإِنَّ فنّ الذكر غَيْر فن الأسطورة وفن القصّة.

الاحتمال الثَّالِث: قوله تَعَالَى ﴿ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ (١) بتقريب: _ أيّ نسيج قوّة الخيال كَمَا هُوَ الحال فِي الشعر فَإِنَّ أعذبه أكذبه، حَيْثُ يقوم الشاعر بتلفيق وترتيب صور بتصرّف مِنْ قوَّة الخيال والمخيَّلة، يتوخّى فيها قوّة الإثارة والاستقطاب الرُّوحي لكن بدعاية التصوير ورسم المعاني والصور بنحو يُثير الحفيظة ويُحرِّك ويُهيِّج الأحاسيس، وَهَذَا بعيد كُلِّ البُعد عَنْ حقيقة القُرآن، فَإِنَّهُ لا يعتمد إلَّا عَلَى رباط الحقيقة وترابط الحقائق وانتظام الواقعية بالواقعيات.

⁽١) سورة الأنبياء: الآية ٥.

نعم كشفه للمجهولات مِنْ الحقائق فِي العوالِم المختلفة مهولٌ مُدْهِلٌ مُثيرٌ مُقرِعٌ لا بدعاية أوهام الخيال الَّتِي قَدْ تُنْشِئ عوالِم مِنْ سراب، وأين هَذَا مِنْ صور للحقائق لا تحزم المطابقة للحقائق قيدُ شعرَة.

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا عَلَمْنَكُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنْبَعِي لَهُ ۚ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَهُوَ اللَّهِ فِي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى الْكَيْفِرِينَ ﴿ اللَّهُ الْأَلْوَلُ عَلَى ٱلْكَيْفِرِينَ ﴿ اللَّهُ ﴾ (١).

بتقريب: _ أنَّ المُلفت فِي الآية المُبَارَكَة بَعْدَ نفي كون حقيقة القُرآن مِنْ الشعر بيَّنت الآية المُبَارَكَة: _ أنَّ حقيقة القُرآن: _

أُوَّلاً: إنَّهُ ذَكْرٌ.

ثانياً: إنَّهُ قرآن مبينٌ، فحقيقة الذكر أصل فِي واقعية القُرآن.

ثالثاً: أمَّا بالنسبة إلى تراكيب القُرآن المقروءة، والبيِّنة الدلالة فَهِيَ فرعٌ ثانٍ وبالتبع لحقيقته الأولى، ووصفه ليُنْذِر مَنْ كَانَ حيّاً مناسباً لحقيقته الأولى وَهُوَ كونه ذكر، كَمَا أنَّ فِي ذَلِكَ إشارة إلى أنَّ التركيب الذكري لألفاظ القُرآن لارتباط ذَلِكَ التركيب بالحقيقة العينية لَهُ، وَالَّتِي هِيَ حقيقة الذكر.

وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ نَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۗ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَحِرِ ۗ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿ ۚ فَأَلْقِى ٱلسَّحَرَةُ سُجَدًا قَالُوٓا ءَامَنَا بِرَبِّ هَارُونَ

⁽١) سورة يس: الآية ٦٩.

٢٨٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني وَمُوسَىٰ (١٠).

بتقریب: _ إنَّ الساحر قوّته محدودة، وأفكاره وصفاته منحرفة، ولمّا كَانَ السحر عملاً مُنحرفاً، وفيه نوع مِنْ الخدعة والمكر، فَإنَّهُ يحتاج إلى وضع روحي ينسجم معه، فَإنَّ الساحر خدّاع ماكر يمكن معرفته بسرعة مِنْ خلال مطالعة نفسيته.

والنتيجة: إنَّ كُلِّ ما يحصل عَلَيْهِ الساحر مِنْ سحره هُوَ خيال باطل لا حقيقة لَهُ ولا سعادة يظفر بها فِي أمر خيالي موهوم لا واقع حقيقي لَهُ.

الاحتمال الرَّابِع: قوله تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَاۤ إِلَّاۤ إِفْكُ ٱفْتَرَىٰـُهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْـهِ قَوْمٌ ءَاخَـرُونَ ۖ فَقَدْجَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿ اللَّهُ ﴾ ('').

بتقريب: _ إنَّ القُرآن عبارة عَنْ تلفيق مشترك مِنْ الْنَّبِيَ عَلَيْكُ وَمعونة آخرين ومُنْتَجٌ مِنْ المجموع، وَهَذَا الاحتمال يُلْحِظُهُ خروج هَذَا المنظوم القُرآني بتركيبه وعِظَم معانيه وحقائقه عَنْ قدرة البشر، وَقَدْ تصدّى القُرآن لِرَدِّ هَذَا الاحتمال فِي عِدَّة موارد كقوله تَعَالَى: . ﴿ قُل لَينِ اجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ ظَهِيرًا ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ ال

⁽١) سورة طه: الآية ٦٩_٧٠.

⁽٢) سورة الفرقان: الآية ٤.

⁽٣) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

الاحتمال الخامس: قوله تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوٓ أَالَسَطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَبَهَا فَعِيدُ الْكَتَبَهَا فَعِيدُ الْكَتَبَهَا فَعِي تُمُلِّى عَلَيْهِ بُصُحْرَةً وَأَصِيلًا ۞ ﴿(٢).

بتقريب: _ احتمل الكفّار أنَّ منبع حقيقة القُرآن هُوَ الكتب الموروثة مِنْ القرون القديمة، سواء كَانَتْ سهاويّة كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وآدم وغيرها، أو كَانَتْ بشرية.

فأجابهم القُرآن الكريم: بأنَّ هَذِهِ المعلومات الموجودة فِي القُرآن هِيَ أسرار فِي شؤون السهاوات والأرض ليست بمقدرة البشر.

الاحتمال السَّادِس: قوله تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعُلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِكُ يُعَلِّمُهُ وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِكُ مُبِيكُ مُبِيكً وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِكُ مُبِيكً مُبِيكً السَّانُ عَرَبِكُ مُبِيكً اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَرَبِكُ مُبِيكً اللَّهُ الللَّهُ الللللْمُ الللللِّلْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُولِمُ اللللْمُ اللللللللْمُولِمُ اللللْمُولِمُ اللللْمُ اللللللَّةُ اللَّهُ اللللْمُ الللللْمُولَ الللللْمُ الللللْمُل

بتقريب: ـ ما قاله علي بن إبراهيم القمّي في تفسيره: ـ وَهُوَ لسان: أيّ فكيهة مَوْلَى بني الحَضْرَمي كَانَ أعجمي اللسان، وَكَانَ قَدْ اتّبع نبي الله وآمن به، وَكَانَ مِنْ أهل الكتاب، فقالت قريش هَذَا ـ والله ـ يُعَلِّمُ

⁽١) سورة هود: الآية ١٣.

⁽٢) سورة الفرقان: الآية ٥.

⁽٣) سورة النحل: الآية ١٠٣.

٢٨٦..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

محمداً عَلَيْهُ عَلَّمة بلسانه يقول الله ﴿ وَهَا ذَا لِسَانٌ عَرَبِكُ مُّبِيثُ ﴾ (١).

الاحتمال السَّابِع: قوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا نَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَنَطِينُ ۞ وَمَا يَنَزَّلُتْ بِهِ ٱلشَّيَنِطِينُ ۞ وَمَا يَنْبَغِي لَمُمُّ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۞ ﴾ (١).

بتقريب: _ إنَّ هَذَا الاحتهال يغاير احتهال الكهانة الآي ذكره، في أنَّ مُؤدَّى هَذَا الاحتهال فِي أنَّ القائِل به يُسَلِّم أنَّه مِنْ عِنْدَ الله، ولكن يزعم احتهال دخول الشياطين في عملية التنزيل، وَهَذَا ما يرفع الأمان والاطمئنان عَنْ كونه كلام الله، وَأنَّهُ لَمْ يتغيِّر وَلَمْ يتبدل بخلاف الكهانة، فإنَّها _ كَها سيأتي _ قول تنشأه الشياطين.

وملخَّص هَذَا الاحتهال أنَّ الكفّار احتملوا أنَّ القُرآن ـ والعياذ بالله ـ مِنْ إيحاء ووحي الشياطين، إلَّا أنَّ القُرآن الكريم رَدَّه بردّين:

أحدهما: إنهم - الشياطين - لا يتمكنون مِنْ تنزيل القُرآن، وَذَلِكَ لِأَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عازلُ للشياطين عَنْ توكيلهم فِي أيّ مأمورية إلهيّة، وما ينبغي لله تَعَالَى أنْ يوكّلهم فِي ذَلِكَ إذْ هُوَ خلاف الحكمة والرُشد، إذْ لا يتناسب الكلام والوحي الإلهي الذي هُوَ مِنْ سنخ النور مَعَ استيهان مخلوقٍ لا حيطة ولا إحاطة لَهُ بِهَذَا السنخ مِنْ النور الإلهي.

والآخر: إنَّ الشياطين ـ كَذَلِكَ ـ لا قُدرة لهم، بَلْ ولا تمكن لهم مِنْ

⁽١) تفسير القمى: ج١، ص٣٩٢.

⁽٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٢.

الإعجاز البلاغي فِي القُرآن

تلقي الوحي الإلهي وإيصاله إلى الْنَبِي عَلَيْكُمْ، وَذَلِكَ لعزلهم وحجبهم عَنْ القدرة والتمكّن مِنْ سمع الوحي والكلام الإلهي، وَهَذَا نظير قوله تَعَالَى في نفس سورة الشعراء: ﴿ هَلْ أُنبِتُكُمْ عَلَى مَن تَنزَلُ الشَّينطِينُ ﴿ اللهُ عَلَى مَن تَنزَلُ الشَّينطِينُ ﴿ اللهُ عَلَى كُلِّ اللهُ عَلَى مَن تَنزَلُ الشَّينطِينُ ﴿ اللهُ عَلَى مَن تَنزَلُ الشَّينطِينُ ﴿ اللهُ عَلَى مَن اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

بتقريب: - إنَّ الشياطين وإنْ حاولوا السمع إلَّا أنَّهم لا يتمكنون مِنْهُ، كَمَا أَنَّهم لا يتمكنون مِنْ النزول عَلَى الْنَّبِيَّ عَلَيْكُ لِلْنَّ المَهْدَ البشري الذي يتمكنون مِنْ النزول عَلَيْهِ هُوَ كُلِّ أَفّاك منغمِسُ بالإثم والآثام، وقدْ علمت قريشُ أربعين عاماً أنَّ الْنَبِيِّ عَلَيْهُ هُوَ الصادق الأمين، فكيف تتمكن الشياطين مِنْ التمكن عَلَيْهِ.

وَهَذِهِ سَنَ تَكُوينية يفصح عنها القُرآن الكريم، وَهِيَ نظير قوله تَعَالَى أَيضاً ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ, وَبَيْنَ ٱلْجِنَةَ فِسَبَأَ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ (٢).

بتقريب: _ إنَّهم _ الجنَّة _ فِي العجز مقيمون ومسيطر عليهم، فأنَّى لهم تلك القدرة والسيطرة.

الاحتمال الثَّامِن: قوله تَعَالَى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنَ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلِ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِهِمُّ قَالَ السَّخِرُ مُبِينً ﴿ آَ ﴾ (٣).

⁽١) سورة الشعراء: الآية ٢٢١_٢٢٣.

⁽٢) سورة الصّافات: الآية ١٥٨.

⁽٣) سورة يونس: الآية ٢.

٨٨٨..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَعِجِبُواْ أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِنْهُمُ ۗ وَقَالَ ٱلْكَنْفِرُونَ هَاذَا سَاحِرٌ كَذَابُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الل

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ نَلْقَفْ مَاصَنَعُوٓٱ إِنَّمَاصَنَعُواْكَيْدُ سَنِحِرٍّ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى اللَّ فَأَلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجِّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ الله قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ. قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمُّ إِنَّهُ. لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّيحْ فَلأَقطِّعَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِنْ خِلَفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَنَعْلَمُنَّ أَيَّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ الله الله الله الله الله الله عنه الله عنه الم الله الكهانة، كَمَا الله الله الكهانة، كَمَا يُغاير تنزّل الشياطين به، ووجه المغايرة: _ بين الكهانة وتنزّل الشياطين، فَقَدْ مَرَّ بيانه آنفاً _ وأمَّا السحر: فَلَيْسَ هُوَ مِنْ إنشاء الشياطين كالكهانة، ولا مِنْ وساطة الشياطين فِي تنزيل الوحي الإلهي، بَلْ عبارة عَنْ أنَّ هَذَا القُرآن تراكيبه جذَّابة ومؤثِّرة كتركيب كتابة العزائم والطلَّسمات ـ والعياذ بالله ـ وَمِنْ قبيل النفث بالعُقَدِ المعقودة للسحر، ويشير إلى هَذَا القول قوله تَعَالَى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... سَأَرُهِقُهُ, صَعُودًا ١٠٠٠ إِنَّهُ, فَكُرَ وَقَدَرُ اللَّ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى كَنْفَ قَدَرُ اللَّ المُمَّ قُيلَ كَيْفَ قَدَّرُ اللَّ الْمُمَّ نظرَ اللّ المُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ اللَّ الْمُمَّ أَذَبَرُ وَأَسْتَكُبَرُ اللَّهِ فَقَالَ إِنْ هَلَدَآ إِلَّا سِخُرٌ يُؤْثَرُ اللَّهِ إِنْ هَلَآ إِلَّا فَوْلُ ٱلْبَشَرِ اللَّ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

بتقريب: - حَيْثُ رأى زعماء قريش أنَّهم لا يملكون أنفسهم مِنْ

⁽١) سورة ص: الآية ٢.

⁽٢) سورة طه: الآبة ٦٩ ـ ٧٢.

⁽٣) سورة المدّثر: الآية ١١_٢٥.

جاذبيّة استماع القُرآن كلّما تعاهدوا بينهم أنْ لا يستمعون إلى القُرآن ينكث كُلِّ منهم عهده فيذهب للاستهاع إليه حَتَّى انفضح أمرهم فيها بينهم مَرَّات وكرّات، وجرى مثل ذَلِكَ للوليد بن المغيرة، وَكَانَ الوليد شيخاً كبيراً مجرباً مِنْ دهاة العرب، وَكَانَ مِنْ المستهزئين برسول اللهَ عَيَّاللهُ، وَكَانَ رسول الله يقعُد فِي الحجر^(١) ويقرأ القُرآن، فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة، فقالوا: يا أبا عبد شمس ما هَذَا الذي يقول مُحمَّد؟ أشِعْرٌ هُوَ أم كِهانة أمْ خُطَب؟ فَقَالَ دعوني أسمع كلامه، فَدَنا مِنْ رسول الله عَيْلِكُ فَقَالَ: _ يا مُحَمَّد أنشدني مِنْ شعرك، قَالَ: ما هُوَ شعر، ولكن _ ولكنَّه _ كلام الله الذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه ورُسُله، فَقَالَ: إتلُ عليَّ مِنْهُ شيئاً، فقرأ عَلَيْهِ رسول اللهَ عَلَيْلُهُ «حم السجدة، فَلَمَّا بلغ قوله ﴿ فَإِنَّ أَعْرَضُواْ ﴾(١). يا مُحمَّد يعني قريشاً ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُوْ صَعِقَةً مِّثْلَ صَعِقَةِ عَادِ وَثَمُودَ ﴿ (٣).

قَالَ: فاقشعر الوليد، وقامت كُلّ شعرَةٍ عَلَى رأسهِ ولحيته، وَمَرَّ إلى بيته وَلَمْ يرجع إلى قريش مِنْ ذَلِكَ، فمشوا إلى أبي جهل، فقالوا يا ابا الحكم: _ إنَّ أبا عبد شمس صبا^(١) إلى دين مُحمَّد، أمَّا تراه لَمْ يرجع إلينا؟ فغدا أبو جهل إلى الوليد فَقَالَ لَهُ: يا عم نكست رؤوسنا وفضحتنا،

⁽١) حجر إسهاعيل الله في البيت الحرام.

⁽٢) سورة فُصِلت: الآية ١٣.

⁽٣) سورة فُصّلت: الآية ١٣.

⁽٤) صبا فلان أي خرج من دين الى دين آخر.

. ٢٩. تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وأشمت بنا عدونا وصَبَوْت إلى دين مُحمَّد؟ فَقَالَ مَا صبوتُ إلى دينه ولكن سمعت كلاماً صعباً تقشعر مِنْهُ الجلود، فَقَالَ أبو جهل: أَخُطَبُ هُو؟ قَالَ لا، إنَّ الخُطبَ كلام متصل وَهَذَا كلام منثور ولا يشبه بعضه بعضاً، قَالَ فشعر هُوَ؟ قَالَ: لا أمَّا إنِّي سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملها ورجزها وما هُوَ بشعر، قَالَ: دعني أَفكر فيه، فلما كَانَ مِنْ الغد قالوا لَهُ: يا أبا عبد شمس ما تقول فيها قلناه؟ قَالَ: قولوا هُوَ سحرٌ فَإِنَّهُ أَخذ بقلوب الناس، فأنزل الله عَلى رسوله عَلَيْ في ذَلِكَ ﴿ ذَرِف وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا الله عَلى رسوله عَلَيْ أَتو حد بكسوة وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا الله عَلى مسادرٌ وَالله عَلَى الله عَلَى مسوله عَلَيْ أَتو حد بكسوة البيت سنة، وعليكم بجهاعتكم سنة ... (۱).

وَقِيلَ فِي سبب النزول: _ أنَّ الوليد انطلق حَتَّى أَتَى مجلس قومه مُخروم، فَقَالَ والله لقد سمعت مِنْ محمدٍ آنفاً كلاماً ما هُوَ مِنْ كلام الأنس، ولا مِنْ كلام الجن، وإنَّ لَهُ لحلاوَة، وأنَّ عَلَيْهِ لطلاوة (٢) وإنَّ أعلاهُ المثمر وإنَّ أسفله لمعذق (٣) وأنَّهُ ليعلوا وما يُعْلَى، ثمَّ انصرف إلى منزله (٤).

فخافت قريش أنْ ينتشر قول الوليد فيؤمن الناس بمحمد عَلَيْكُ اللهُ

⁽١) تفسير القمي: ٢/ ٢٩٢ مع اختلاف يسير.

⁽٢) الطلاوة: الحُسْن والبهجة والقبول.

⁽٣) والغدق: كُلّ غصن له شعب، والمذق المعني أزهر.

⁽٤) تفسير القمي: ٢/ ٣٩٣ مع اختلاف يسير مع المطبوع، وتصرّف بسيط، عنه تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني: ج٨، ص١٥٧، تفسير نور الثقلين للحويزي: ج٨، ص٤٨، ٤٩.

فألحتوا عَلَى الوليد أَنْ ينال مِنْ مقام الرسول عَلَيْ الله وماذا أَقُول عنه؟ هل أَقُول مجنون؟ وَمَنْ يُصَدِّق؟ أم أقول: كاهن وما تكهن قط، أم أقول شاعر وما نطق بالشعر، أم كاذب وما جُرِّبَ عَلَيْهِ أحدٌ شيئاً مِنْ الكذب ... ثمَّ فكَّر الوليد بن المغيرة - فلاح لَهُ أَنْ يصف رسول الله عَلَيْ الله الله الله الله عَنْ الكهنة والسَحَرة، ما هُوَ إلا ساحر ما رأيتموه يُفرِّقَ بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما يقوله سحرٌ يؤثِّر عَنْ أهل باب فتفرقوا معجبين مِنْهُ (۱).

فأجاب القُرآن عَنْ ذَلِكَ: بأنَّ هَذِهِ سُنة الأقوام المختلفة في جحودهم وإنكارهم لأنبيائهم حَيْثُ يرون مَدَى تأثير الأنبياء وانجذاب المؤمنين لهم، بَلْ انجذابهم - الكافرون - أنفسهم للأنبياء رغم جحودهم لهم، وإنْ لمَ يكن انجذاب تسليم وانقياد، فيعزون هَذَا التأثير إلى السحر كما في قول فرعون للآيات المعجزة الَّتِي شاهدها مِنْ النَّبِيّ موسى للله وبوتيرة واحِدة، فَإنَّ الكفّار الجاحدين لعالم الآخِرة عِنْدَمَا يُشاهدون لعان نور الغيب الظاهر في معجزات الأنبياء كما هُوَ الحال في معجزة القُرآن لا يتهالكون أنفسهم ولا يُنكرون التأثير والإنجذاب ولكنَّهم يحددون كون هَذَا التأثير مِنْ عالم غيب الملكوت، فَهَذَا الاحتهال والقول يتضمَّن وينطوي عَلَى الإقرار بقدرة وقوّة المعجزِة كالقرآن وإنْ جُحِدَ التسليم بها وبحقيقتها.

⁽١) مجمع البيان للطبرسي: ج٠١/ ٥٨٤.

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ أَيِنَا لَتَارِكُوٓا عَالِهَتِنَا لِشَاعِرِ تَجْنُونِ ﴿ ثُلَ مَآ عَا لَكَا وَكُوۡا عَالِهَتِنَا لِشَاعِرِ تَجۡنُونِ ﴿ ثُلَ مَاۤ عَالَى اللَّهُ مُسَلِينَ ﴿ ثُلُ مَا اللَّهُ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ ثُلَّ ﴾ (٢).

بتقریب: _ إنَّ هَذَا الاحتهال فِي الغالِب يُطلِقهُ المعانِدون، وَهُوَ الجنون مرددین بینه وبین الشِعْر، أو السِّحْر، أو شيء آخر مؤثّر؛ فإنهم بعْد أنْ يعترفوا بالتأثير إلَّا أنهم يريدوا أنْ يوصموا حقيقة القُرآن بالعشوائية والفوضى واضطراب المعلومات وإرباك المضامین لِأنَّ هَذَا هُوَ طابع وضابط الجنون _ والعیاذ بالله _ إلَّا أنَّ فسق نظام المعلومات في القُرآن وعظمته يدحض قول هؤلاء المعاندین، فَإنَّ نسق النظام المعلومات في المعلومات في كلّ حقل يتحدّث عنه القُرآن، وَعَنْ كُلّ عالم يُفيض فِي شؤونه علوم القُرآن فلعجزهم وتعاجزهم عَنْ الإحاطة بِهَذَا الهول مِنْ شؤونه علوم القُرآن فلعجزهم وتعاجزهم عَنْ الإحاطة بِهَذَا الهول مِنْ المعلومات والحقائق يرتبكون ويضطربون وتعشُ عقولهم عَنْ التمكّن المعلومات والحقائق يرتبكون ويضطربون وتعشُ عقولهم عَنْ التمكّن مستوى مِنْ هَذِهِ المعلومات، فيصفون الحال الَّتِي تصيبهم ويلصقونها بالقُرآن.

الاحتمال العاشر: قوله تَعَالَى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ

⁽١) سورة الطور: الآية ٥٥.

⁽٢) سورة الصّافات: الآية ٣٦_٣٧.

الإعجاز البلاغي فِي القُرآن

بِكَاهِنِ وَلَا بَعَنُونٍ اللهُ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّلَ بَصُ بِهِ عَرَبِ ٱلْمَنُونِ اللهُ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِي مَعَكُم مِّنِ ٱلْمَنُونِ اللهُ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِي مَعَكُم مِّنَ أَمْ هُمْ مِّنَ الْمُعْرَ الْحَلَمُ هُم بَهٰذَا أَمْ هُمْ فَوْمٌ طَاغُونَ اللهُ أَمْ مُعَمَّ مِهٰذَا أَمْ هُمْ مِّنَ أَمْ هُمْ فَوْمٌ طَاغُونَ اللهُ أَمْ فَعُمْ مِهٰذَا أَمُو اللهُ اللهُ مُعْمَ فَوْمٌ طَاغُونَ اللهُ اللهُ اللهُ يَوْمِنُونَ الله اللهُ اللهُ

وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولِ كَرِيمِ ﴿ ثَ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا نُؤْمِنُونَ ﴿ ثَ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا نُؤْمِنُونَ ﴿ ثَ نَا مَا لَكُو مِنْ أَمَا لَا مَعْضَ وَلَا بِقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ اللَّهُ الْوَتِينَ ﴿ ثَ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّاللَّالَةُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

بتقريب: _ إنَّ هَذَا الاحتمال _ كَمَا مَرَّت الإشارة إليه إجمالاً _ فَهُوَ عبارة عَنْ وصف حقيقة القُرآن بحالةِ الكهانة والكهان، حَيْثُ يرتاض الكاهن بالاتصال بأحد مَرَدَةِ الشياطين فيغوص في خِلْسَة الغيبوبة عِبر حركات ورياضات لكي ينقطع عَنْ الحسّ الظاهر إلى الحسّ الباطن فيتمّ اتصاله بهارِد الشياطين، ثمَّ يقوم ذَلِكَ الشيطان بالإيجاء بالأقوال إلى ذَلِكَ الكاهن، فيصحوا ويُخبر عمّا أحبره ذَلِكَ المارد مِنْ الشياطين.

ويجيب القُرآن الكريم عَنْ هَذَا القول بقوله تَعَالَى: ﴿ قُل لَيْنِ الْجَنَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىۤ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِهِ عَلَاَ ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ

⁽١) سورة الطور: الآية ٢٩ ـ ٣٤.

⁽٢) سورة الحاقّة: اآية ٤٠ ـ ٤٨.

٢٩٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني كَاكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ ظَهِيرًا اللهِ اللهُ ال

وكذلك قوله تَعَالَى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَىكُمْ قُلُ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّشْلِهِ وَأَدْعُواْ مَنِ السَّ اَسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَدِقِينَ ﴿ ثَالَهُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ مُكَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمِّ فَانْظُرَ كَيْفَ كَاكَ عَنقِبَهُ ٱلظَّلِمِينَ ﴾ (٣).

بتقريب: _ إنَّهُ إذَا كَانَ جميع الإنس متظاهرين بشركائهم مِنْ جميع الجنّ وغيرهم لا يستطيعون أنْ يأتوا بسورةٍ مِنْ مثله فكيف بها وَرَدَ مِنْ مَرَدَةِ الشياطين تكون لَهُ القدرة.

⁽١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ٢٣_٢٤.

⁽٣) سورة يونس: الآية ٣٨_٣٩.

السرفي عدم اكتشاف إعجاز القرآن

إنَّ إعجاز القُرآن الكريم البلاغي مثلاً معناه البحث عَنْ سببه وتفسيره؟ فَقَدْ حارت العقول فِي اكتشاف القَوَاعِد البلاغية والنظام البلاغي فِي القُرآن، وكذا حارت فِي اكتشاف النظام اللغوي والصرفي والنحوي و ... الخ فِي القُرآن.

نعم قواعِد علم البلاغة والنحو والصرف وَاللَّغَة والاشتقاق و ... الخ معروفة في علومها كُل بحسبه وَهِيَ قَواعِد مارسها القُرآن الكريم، وَهَذَا لا ينكره أحدٌ والكلام لَيْسَ فيها عُرِف مِنْ القَوَاعِد المختلفة لعلوم مُخْتَلِفة واستخدمها القُرآن الكريم وَإِنَّها الكلام فِي القَوَاعِد الأدبيّة مِنْ بلاغة ونحو وصرف ولغة واشتقاق و ... الخ المُفَعَّلَة فِي القُرآن الكريم وَلَمْ تكتشف إلى الآن وَهِيَ مجهولة وبالتالي هِيَ غَيْر مقدروة، وَمَعْنَى العجز يعني عدم القدرة، وعدم القدرة أحد الأسباب السياسيّة في كون القُرآن معجز.

وَمَعْنَى عدم القدرة يعني الجهل وعدم العلم ببلاغة القُرآن الكريم فَإِنَّهُ مُعْجِزٌ، وكذا أسلوب النظام الأدبي فَهُوَ معجز أيضاً. وسبب العجز هُوَ عدم امتلاك كُلِّ أجيال البشر إلى يَوُم القيامة، القدرة عَلَى العلم بقواعدالعلوم تفصيلاً، وإنْ عُلِم مِنْهَا شيئاً بسيطاً بها يتهاشى مَعَ

٢٩٦ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني استفادته مِنْ القُرآن الكريم.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الأساس فِي عدم القدرة هُوَ عدم العلم بتهام ومجموع القواعِد لعلوم مُخْتَلِفَة فِي القُرآن مِنْ اللغوية والأدبيّة والصرفية والنحوية والاشتقاقية و ... الخ الَّتِي استثمرها وأعملها القُرآن فِي نظامه الأدبي والبلاغي واللغوي و ... الخ.

وَعَلَى هَذَا يترتب أمراً آخر ألا وَهُوَ أَنَّ هَذَا الجهل وعدم العلم بقواعد العلوم كالبلاغة وغيرها فَهَذَا معناه أَنَّ القُرآن الكريم لَمْ يُحدِّد معالمه اللغوية والأدبيّة، وَإلى الآن لَمْ يتحدَّد وَلَمْ يعرف ما هُوَ أُسلوب القُرآن هل هُوَ أُسلوب قصصي؟ كلا، القُرآن هل هُوَ أُسلوب قصصي؟ كلا، هل هُوَ أُسلوب نثري مسجّع القوافي؟ كُلّ، لَيْسَ ذاك و ... الخ.

إذَنْ لَمْ تكتشف إلى الآن تمام منظومة قواعِد البلاغة والنحو والصرف وَاللَّغة والاشتقاق و ... إذْ لو اكتُشِفَت لاستطاع البشر أنْ يأتوا بمثل القرآن، وَعَلَيْهِ فَالقُرآن منظومة خاصّة مترابطة مِنْ الصوت إلى الهيأة إلى المعنى إلى الجو القرآني كُلَّهُ برسم هندسي إلهي خاص، وباعتراف عُلَمَاء النحو والصرف والبلاغة وَاللَّغة و ... الخ وأنَّهم يُذعِنون أنَّ هُنَاك بحوثاً نحوية وصرفية و .. في القُرآن لَمْ يستطع علماء يُذعِنون أنْ هُنَاك بحوثاً نحوية وصرفية و .. في القُرآن لَمْ يستطع علماء هَذِهِ الفنون أنْ يضبطوها وَهِيَ حتماً عَلَى القَوَاعِد، ولكن تلك القَوَاعِد النّبي بُني عَلَيْهَا إعراب القُرآن أو اشتقاقه لَمْ تكتشف كُلَّهَا بَعْدُ، بَلْ حَتّى توجد اشتقاقات للمصادر في القُرآن وَهِيَ قليلة الاستعمال مَعَ أَتَنا عِنْدَمَا

نقرأها فِي القُرآن الكريم نقرأها بكُلِّ طراوة وبلاغة وجمال بديعي رهف، ولكن مَعَ ذَلِكَ حَتَّى فِي يوميات الأدب العربي تتقاصر عَنْ الاستثهار والاقتباس مِنْ هَذِهِ البدايع البلاغيّة، فَإنَّ هَذِهِ الاشتقاقات خلّابة وبديعة وعجيبة جداً فِي القُرآن.

تنبيه: إيّانا أنْ نتوهم أنَّ الإعجاز الأدبي محصور فَقَطْ وَفَقَطْ فِي علم البلاغة مِنْ معاني وبيان وبديع كلا، وَإِنَّمَا الإعجاز الأدبي أحد مباحث قواعِد علم التفسير، وعَلَيْهِ فَإِنَّ تفسير الإعجاز القرآني لا ينحصر بعلم مِنْ علوم الأدب، فَإِنَّ القُرآن الكريم فيه نحو تراكيب وَقَواعِد نحوية وبلاغية وصرفية واشتقاقية و ... الخ يعجز عُلَمَاء ومُتخصصوا كُلِّ فن عَنْ اكتشافها وإنْ كَانَتْ هَذِهِ العلوم مُتقاربة وموادة في القُرآن، فَإِنَّ الإنسان العربي وغيره تتقاصر هممهم أو قدراتهم عَنْ الاستفادة مِنْ تلك المواد، بينا القُرآن استعملها واستفاد مِنْ تلك المواد، بينا القُرآن استعملها واستفاد مِنْ تلك المَواعِد أعظم استفادة حَتّى وصلت الله حدّ الإعجاز.

إذَنْ هُنَاك أبعاد عديدة في الحقيقة في القُرآن في جانب علوم الأدب وغيرها أعجز القُرآن علماء تلك العلوم مِنْ أَنْ يحيطوا بنظام منظومة القَواعِد المرئية في القُرآن الَّتِي استخدمها وفَعَّلَها وأعجز البشر عَنْ إدراك قوّتها وجمالها وبديع بريقها في أبعاد مُخْتَلِفَة، واللطيف أنَّ الجامع لها كُلَّها هُو عنوان الذكر أي أنَّ أسلوب ومعلم معالم القُرآن هُوَ الذكر.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قراءة القُرآن لا تُحْدِث للإنسان طرباً ولا خِفَّة ولا مجون ولا إثارة الغضب ولا إثارة للشهوة، وَإِنَّما فِي قراءة القُرآن توجد إثارة لدفائن العقول ومنسي الفطرة، وَإلى الآن لَمْ يتمكَّن عُلَماء الأخلاق مِنْ التوصّل إلى موازنة فِي كُلّ الفضائل كفضائل فَقَطْ لأجل أنْ تُحْدِث فِي الإنسان ذكر، وإنْ كَانَ هُنَاك تناسب وتناسق معيّن فِي الفضائل يُحْدِث فِي الإنسان ذكراً ولكنَّهم إلى الآن لمَ يتوصّلوا إليه.

طبيعة حقيقة القرآن أنه يفعل كل علم:

وَرَدَ فِي بَعْض الروايات مِنْ الفريقين قول رسول الله عَيَّاللهُ: «مَنْ انهمك فِي طلِب النحو سُلِبَ الخشوع»(١).

بتقريب: - إنَّ مَنْ تعمَّق فِي طلب النحو سلب الخشوع فِي الصَّلاة وقراءة القُرآن يوجد أو قراءة القُرآن أو الأذكار مَعَ أنَّ ما فِي الصَّلاة وقراءة القُرآن يوجد إعجاز وتعمَّق نحوي فِي تدبّر القُرآن وتفسيره لا يسلب الخشوع، بَلْ يوجد الخشوع والذكر، فَإنَّ طبيعة حقيقة القُرآن أنَّهُ يُفَعِّل كُلِّ علم فِي مسير الوصول إلى القمة والكهال وَإلى الذكر، فمثلاً النظام النحوي فِي القُرآن لَيْسَ نظاماً يسير ويصب إلى الردى أو إلى اللاهدف كلا، وَإنَّما يستخدمه القُرآن وبنحو إعجازي، إلَّا أنَّ هَذَا الإعجاز لا يكون عائقاً ومكبلاً للإنسان ومُقعِداً لَهُ عَنْ المسير، بَلْ بالعكس دافِعاً لَهُ بقوة إلى

⁽١) بحار الأنوار: ج١، ص٢١٨ كتاب العلم.

السر فِي عدم اكتشاف إعجاز القُرآن

المسير للأمام، أمَّا أنَّهُ كيف يمكن أنْ يتسخدم القُرآن هَذِهِ العلوم بنمط ذكري ويخدم بنحو يدفع الإنسان في مسيره نحو الكمال والتكامل، فذاك بحث يتضح مِنْ خلال المباحث الآتية، وَهُنَا يكمن سرّ إعجاز القُرآن.

ما معنى الذكر

لا يمكن لأحَدِ أَنْ يفهم ويفقه مَعْنَى الذكر إلَّا أَنْ يكون نفس الإنسان متذكر، وأعظم متذكر هُوَ الْنَبِيّ الأكرم مُحُمَّد عَيَّا أَنَّ الأَنسان متذكر، وأعظم متذكر هُوَ الْنَبِيّ الأكرم مُحَمَّد الأنبياء عَيَّا أَنْ القُرآن لَمْ يُنْعِت أحداً بأنه ذِكر أو جَسَّدَ الذكر إلَّا سيِّد الأنبياء عَيَّا أَنْ دون بقيّة الأنبياء والأوصياء.

كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿قَدْ أَنَزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُو ذِكْرًا ۞ رَسُولًا يَنْلُواْ عَلَيْكُوْءَ اينتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَنَرِ لِيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَنتِ مِنَ ٱلظَّلُمَنتِ إِلَى ٱلنُّورِ

⁽١) سورة الطلاق: الآية ١٠ ـ ١١.

⁽٢) سورة النجم: الآية ٤.

٣٠٢..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني حَسَنَةُ ﴾(١).

وهكذا هُنَاك وصفاً للنبي عَيَّالَهُ فِي القُرآن لتهام وجودة عَيَّالَهُ ﴿ وَمَا عَلَمْنَكُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَا ذِكْرٌ ﴾ (٢).

بتقریب: _ إِنَّ النعت الأوَّل للقُرْآن هُوَ الذكر، فَإِنَّ هَذَا النعت (الذكر) كَمَا هُوَ نعت للقُرْآن كَذَلِكَ هُوَ نعت للنبي عَيَّالُهُ، وَهَذَا يُوضَح لنا أَنَّ القَاعِدَة الشريفة _ قَاعدَة أَنَّ القُرآن ذِكْرٌ _ يعني فيها تعنيه، وأَنَّ علم التفسير لَيْسَ علمٌ بقواعِد وعلوم نظرية فَقَطْ، وأَنَّ علم التفسير يحتاج مِنْ المفسِّر أَنْ يكون متذكراً بقدر ما عنده مِنْ ذاكرة، وأَنْ يكون ذكره لله عَزَّ وَجَلَّ حَتّى يستوعب مِنْ حقائق ومعاني القُرآن أكثر فأكثر.

وأنَّ هُنَاك مِنْ قَواعِد علم التفسير برنامجٌ عمليٌ وَلَيْسَ فَقَطْ برنامجًا نظرياً وفكرياً، وَعَلَيْهِ فَإنَّ المنهج التفسيري الأمثل والمتكامل هُوَ ما كَانَ فيه جناحان وبرنامجان أحدهما نظري فكري، والآخر منهاج عملي، والبرنامج العملي متمثِّل بأنْ تكون أيُّهَا المفسِّر مُتذكراً غَيْر مفتنن بالنزوات فحينئذٍ تستطيع أنْ تستوعب مِنْ معاني وحقائق القُرآن أكثر فأكثر.

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ وصيّة متكررة مِنْ القُرآن فِي سوره وآياته: ﴿ وَلَقَدْ

⁽١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

⁽٢) سورة يس: الآية ٦٩.

يَسَرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِللَّذِكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرِ ١٠٠٠ (١٠٠).

وإنَّ كُلِّ مَنْ يُريد أَنْ يتذكّر ويصير ذكرياً فَلابُدَّ أَنْ يحيط ويلِمُّ بكُلِّ ما هُوَ مرتبط بالذكر فَإِنَّهُ مرتبط بمعرفة القُرآن وعلوم القُرآن.

التذكر من شرائط قراءة القرآن المستحبة:

إذَنْ أهم ما تتميز به قَاعدِة كون القُرآن ذكر هُوَ أنّها ليست فَقَطْ برامجاً أو قَاعدِة فكرية وتنظيريةً بحتةً، بَلْ لها جنبة ومَسْحَةٌ عمليّة، وَهَذَا يلزم مراعاته فِي كُلِّ قَاعدِة مِنْ قَواعِد تفسير القُرآن الكريم، وَهَذِهِ الجنبة العَمليّة فِي قَاعدِة الذكر ترتبط بعمل الإنسان، وعمل نفس الذات النفسانية فِي الإنسان بغض النظر عَنْ القُرآن والتفسير، فَإِنَّ التذكر والمتذكر مِنْ شرائط قراءة القُرآن الكريم المستحبة، وكذا مِنْ الشرائط المستحبة أنْ يكون الإنسان مُتطهراً فِي غَيْر الأوقات الَّتِي تُؤدِّي بها العبادات المشروطة بالطهارة.

من الضروريات للمفسر تأسيس الجنبة العلمية

والعملية التطبيقية:

وَعَلَيْهِ لأجل أَنْ يؤسس الْمُفَسِّرُ فِي كيان نفسه وفي مساره العلمي جنبة تطبيقية لقاعدة الذكر، وقبل أَنْ يَرِدَ ويخوض فِي بحر أنوار القُرآن الكريم، عَلَيْهِ أَنْ يُراعي تأسيس الجانب العلمي والتطبيقي، واستفادة

⁽١) سورة القمر: الآية ١٧.

٣٠٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

هَذِهِ التوصية وَالقَاعِدَة قَدْ تَمَّتْ مِنْ فحوى قوله تَعَالَى: ﴿ لَا يَمَسُّهُۥ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿ لَا يَمَسُّهُۥ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿ لَا يَهَ الْمُبَارَكَة خاصّة بأهل آية النُبَارَكَة خاصّة بأهل آية التطهير، إلَّا أنَّ فَحْوَاها للمراتب النازلة عامّة تشير إلى معادلة التناسب الطردي بين طهارة الإنسان وقَدَرَ نيله مِنْ درجات بواطن القُرآن.

كَذَلِكَ هُنَاكَ عِدَّة آيات قرآنيَّة وروايات وَصَفَت ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله بوصف الذكر والتذكّر.

كقوله تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُ, لَنَذَكِرُهُ لِلْمُنَقِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللهُ الل

وكقوله تَعَالَى: ﴿ فَمَا لَمُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿ أَنَّ اللَّهِ عَنْ الولاية.

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿ كُلَّآ إِنَّهَا نَذَكِرَةً ﴿ اللَّهُ ﴿ وَقُولُه: ﴿ إِنَّ هَاذِهِ ـ تَذَّكِرَةً ﴾ يعني الولاية.

وقوله تَعَالَى: ﴿هَاذَا ذِكُرُ مَن مَّعِيَ وَذِكِّرُ مَن قَبْلِيٌّ ﴾(١) ففي رواية كنز

⁽١) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

⁽٢) سورة الحاقة: الآية ٤٨.

⁽٣) الكافي: ج١، ص٣٥٩ ح٩١ عنه البُرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: ج٢٦ جلد ٨ ص١١٠.

⁽٤) سورة المدّثر: الآية ٤٩.

⁽٥) سورة المدثر: الآية ٥٤.

⁽٦) سورة الأنبياء: الآية ٢٤.

ما معنى الذكرما معنى الذكرما معنى الذكرما معنى الذكرما ٣٠٥

الكراجكي عَنْ الكاظم اللهِ فِي هَذِهِ الآية قَالَ: ﴿ذِكْرُ مَن مَعِيَ ﴾ عليٌّ ذكر ﴿ وَكُرُ مَن مَعِيَ ﴾ عليٌّ ذكر ﴿ وَذِكْرُ مَن مَعِيَ ﴾ الأنبياء والأوصياء (١).

وكقوله تَعَالَى: ﴿ اللَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَعِنَ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ قَالَ: الَّذِيْنَ آمنوا: الشيعة، وذكر الله: أمير المؤمنين الله والأئمة الله عني ألدِّكُ للله بذكر الله تطمئن القلوب (٢). وكقوله تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الدِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِ ﴾ (٣).

الذكر بمثابة الأصل الذي ينحدر منِهُ القرآن الكريم:

⁽١) الكافي للكليني: ج١، كتاب الحجة: ب١٦٥، نكت ونتف من النتنزيل في الولاية: ص٥٠٤ - ٥ - ٩١، يعنى الولاية لأمير المؤمنين على بن أبي طالب الثيلاً.

⁽٢) ويُستفاد مُمّا تقدم أن الذكر في القرآن على ستة وجوه: _ القرآن، والنبيّ، وأمير المؤمنين ﷺ والأئمة الله في المؤمنين الله والأئمة الله والولاية، والإمامة، وطاعتهم، ومعناه المتعارف، مستدرك سفينة البحار، مادّة ذكر، للشيخ حسن النهازي: ج٣، ص٤٢٧.

⁽٣) سورة الفرقان: الآية ٢٩.

⁽٤) سورة يس: الآية ٦٩.

٣٠٦ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني وهكذا ما وَرَدَ فِي زيارات أمير المؤمنين عليه مِنْ أَنَّهُ عليه ذكرٌ.

وأمَّا الروايات:

فَقَدْ روى ابن المغازلي فِي مناقب الإمام على الثِّلا: _ عَنْ جابر بن عبدالله الأنصاري، قَالَ: _ قَالَ رسول الله عَلَيْكُ وإنْ لأدناهم في حج الوداع بمنى، قَالَ عَيْشُ: ـ لا أفينكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بَعْض، وأيم الله إنْ فعلتموها لتعرفنَّى فِي الكتيبة الَّتِي تضربكم ثمَّ التفت إلى خلفي، ثمَّ قَالَ: ـ أو عليّ، أو عليّ ثلاثاً فرأينا أنَّ جبرائيل غَمَزَهُ وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَثْرِ ذَلِكَ ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّننَقِمُونَ ﴿ اللَّهُ ﴿ بعلي بن أبي طالب اللهِ _ ﴿ أَوْ نُرِيَّكَ ٱلَّذِي وَعَدْنَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ الله ثمَّ نزلت، ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِينِي مَا يُوعَدُونَ ﴿ ثُنَّ رَبِّ فَكَا تَجْعَكُ فِي فِ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّلِلِمِينَ ١٤ ﴾ ثمَّ نزلت ﴿ فَأَسْتَمْسِكَ بِٱلَّذِي ٱوْحِيَ إِلَيْكُ ۖ إِنَّكَ عَلَى صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ ٣٣﴾ وإنَّ علياً لَعِلْمٌ للساعة، ﴿ وَإِنَّهُ. لَذِكِّرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْتَكُونَ اللَّهِ عَنْ علي بن أبي طالب اللِّهِ.

وما أرسله العيّاشي بسنده عَنْ علي بن أبي حمزة عَنْ أبي جعفر السِّلا: « ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَلْذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَرُوا ﴾ يعني ولقد ذكرنا علياً فِي القُرآن وَهُوَ الذكر في زادهم إلّا نفوراً » (١٠).

⁽١) تفسير العيّاشي: ج٣، ص٥٣، ح٧٨.

ضرورة تأسيس الجانب العملي للمفسير في قاعدةِ الذكر:

ولأجل أنْ يؤسِّس المُفَسِّرُ فِي كيان نفسه وفي مساره العلمي جنبة تطبيقية لقاعدة الذكر، وقبل أنْ يَرُدَّ ويخوض فِي بحر أنوار القُرآن الكريم، لابُدَّ أنْ يُراعي تأسيس الجانب العملي والتطبيقي عنده إلى حَدِّ ما شبيه ما يُقَال، أو يقتبسه الفلاسفة عَلَى مدرسة الإشراق، أو عَلَى العرفاء فِي مدرستهم العرفانيّة، إنَّ أحد القنوات الموصلة للمعرفة لَيْسَ قناة الفكر، وإنْ كَانَ صحيح أنَّهُ وَرَدَ ما مضمونه _ تفكر ساعة خير مِنْ عبادة سبعين سنة، وأنَّ أحد نوافذ المعرفة هُوَ الفكر إلَّا أنَّهُ هُنَاك نافذة عملاقة كبيرة أُخْرَى، وَهِيَ قناة القلب لِمَنْ كَانَ لَهُ قلب أو ألقى السمع وهُوَ شهيد.

وَعَلَيْهِ فالذكر عبارة عَنْ نظام مِنْ علوم مُخْتَلِفَة يختلف عَنْ الأنظمة بالعلوم، فمثلاً لعلم النحو أو الشعر، أو الصرف أو غيرها قواعِد وتفصيلات وأوزان خاصة كَذَلِكَ القُرآن فَإِنَّهُ ذكر لَهُ أوزان فِي بُعده اللفظي مِنْ الذكر، فضلاً عَنْ قواعِد الذكر في تركيب المعنى بدءاً مِنْ الطبقة الأولى مِنْ المعنى وتصاعداً إلى الدرجات الَّتِي لا تنفذ مِنْ طبقات المعنى، فضلاً عَنْ أوزان وقواعِد الذكر في حقائق القُرآن العينية، وارتباط حقيقة الإنسان بتلك وقواعِد الذكر في حقائق القُرآن العينية، وارتباط حقيقة الإنسان بتلك الحقيقة في قلبه وروحه (۱).

 ⁽١) صدر الحديث ذكره البخاري في صحيحه في كتاب العلم وفي كتاب الأضاحي رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيهان في كتاب القسامة، رواه أبو داود، والترمذي، وأحمد بن حنبل أما غمز

٣٠٨...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني الحقيقة لا تقتنص بالتنظير الفكري فقط:

مِنْ الواضح أنَّ الحقيقة والصواب لا يقتنص بالتنظير فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ أَنْ يَقْترن ورعٌ وزهد وجانب عملي وطيران عَنْ حضيض الغرائز (۱) وَعَلَيْهِ فالعلم بمفرده أيّ القوَّة الفكريّة لوحدها لا تؤمِن لك إصابة الحقيقة والصواب، وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ أَنْ يقترن العلم والقوى الفكرية بجانب العمل، حَتّى يُؤمَّن لك بَعْض الحقيقة؛ لِأنَّ العلم يهتف بالعمل فَإنَّهُ صدقة وَإلَّا ارتحل هكذا جاء في كلمات المعصومين الميليّ (۱).

فَإِنَّ هَذَا المُنظِّرِ حَتَّى لو كَانَ عبقرياً فِي أَيِّ علم مِنْ العلوم فَإِنَّهُ إِذَا نحى جانب العلم والقوى الفكرية التنظيرية فَقَطْ فيمكن أَنْ يُسيّس ذَلِكَ العلم والعالم سواءٌ فِي علم الفيزياء أو الكيمياء أو الأحياء أو الجغرافية أو التاريخ أو المال أو ... الخ وتنتج بَعْدَ ذَلِكَ نتائج فيزيائية مسيّسة، أو كيائية مسيّسة أو تأريخ مسيّس أو سياسية ماليّة، ولذا نسمع بين الآونة وَالأُخْرَى الأكذوبات العلميّة فِي مختلف العلوم لأنها سُيّسَتْ ونَحتُ جانب التنظير فَقَطْ ولذا وقعت فِي الخلط والخبط والحيص بيض.

جبرائيلٍ رواه الحاكم في مستدركه، أما الذيل روِّاه بن مردويه والسيوطي في الدر المتثور.

⁽١) ومنه لُقَبَ جعفر بن أبي طالب على الأنه طار وتَحَلَّصَ من حضيض الغرائز وجنباتها وطار عن حبس النات؛ ولذا يطير مع الملائكة في الجنَّة، وهكذا أبو الفضل على العباس ابن على بن أبي طالب على حصل على مقام الطيران فضلاً عن المعصومين الملك فإنهم حصلوا على هذا المقام السَّامي.

⁽٢) عوالي اللئالي: ٤/ ٦٦/ ٢٦.

وَعَلَيْهِ فالعلوم بشتّى أنحائها لا يمكنها أنْ تَصْفِق وتطير بجناح واحد وَهُوَ جانب القوى الفكرية النَّظَريَّة والتنظيرية، وَإِنَّمَا لابُدَّ مِنْ ضميمة جناح آخر وَهُوَ الجانب العملي الذي يشكل أزمة بين حضارة الدِّين الإسلامي وبالذات حضارة منهاج أهل البيت الجَيِّلِ والأطروحات البشرية، أو حَتّى فِي المذاهب الإسلاميَّة الأُخْرَى فِي أطروحات أهل البيت الجَيِّلُ الَّتِي تمثل البيت الجَيْلُ الَّتِي تمثل البيت الجَيْلُ الله عَنْ أطروحات أهل البيت الجَيْلُ الَّتِي تمثل العملية.

وهكذا الحال في علم التفسير، فَإِنَّهُ وعلوم القُرآن الأُخْرَى كعلم ونور لا يمكن الظن بالوصول مِنْ خلالها إلى حقائق بمجرد التنظير، وإذا أردت أيُّهَا المفسِّر الكريم أنْ تصبح مُفسِّراً ناجحاً وقديراً وتخرج بدورة تفسيرية قديرة عليك أنْ تتطهر أيُّهَا المفسِّر في أخلاقك وعملك وذاتك حَتَّى تحصل عَلَى نتائج تفسيرية طيبة بقدر ما يتطهر كَمَا بَيَّنا ذَلِكَ سابقا، ولذا يشترط في الفقيه في مدرسة أهل البيت المَيِّلُ أنْ يكون عادلاً، وهكذا تشترط العدالة في القاضي.

تأثير العدالة والتقوى على الجانب العملي:

صحيحٌ أن القضاء مهنةٌ علميّةٌ واحتراف مهني، ولكن ما ربط تأكيد الآيات والروايات عَلَى العدالة والورع مَعَ الجنبة العلميّة، وهكذا الحكم عبارة عَنْ السياسي الذي لَهُ القدرة والمراس فِي فن إدارة المتغيّرات

٣١٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وتناسقها مَعَ المصالح، وَعَلَيْهِ فها ربط اشتراط العدالة والورع بمنصب الحاكم وأدائه؟

وفي معرض الجواب عَنْ ذَلِكَ، بأنَّ القُرآن ذكر هَذَا الربط بقوله تَعَالَى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَبُ لَارَبُ فِيهُ هُدُى اِلْمُتَقِينَ ۞ ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُو

بتقريب: _ إنَّنا إذَا أردنا نتاج سديد وسليم فَلابُدَّ مِنْ اشتراط العدالة والورع بالفقيه والقاضي والحاكم وغيرهم.

فَإِنَّ النتيجة العمليَّة مِنْ اشتراط ذَلِكَ هُوَ الهداية للمتقين ممزوجة بالجانب العملي ﴿إِنَّهُ, لَقُرْءَانُ كَرِيمٌ ﴿ اللهِ فِكِنَبِ مَكْنُونِ ﴿ اللهِ لَا يَمَسُّهُۥ إِلَّا المُطَهَّرُونَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ

فَإِنَّ القُرآن لَهُ مقامات غيبيّة ودرجات مِنْ الطَّهارة خاصّة وإقرأ وارق.

فَإِنَّ الإِنسان لَهُ نافذِةٌ للعلم غَيْر الفكر وَلابُدَّ مِنْ جَمعها مَعَ الفكر، ألا وَهِيَ نافذة الطهارة، والرياضة الروحيّة والنفسانيّة فِي الرُّوح والنفس.

هَذَا وَقَدْ بني الشهيد الثَّانِي ﴿ عَلَى إنَّ ملكة الاجتهاد ملكةٌ قُدسيّة لا فكريّة بحتة، بَلْ طهارة الرُّوحِ مؤثرةٌ فيها.

⁽١) سورة البقرة: الآية ١.

⁽٢) سورة الواقعة: الآية ٧٧_٧٩.

وَقَدْ أَشْكُلَ عَلَيْهِ مَنْ تأخّر عنه: _ بأنَّ الملكة العلميَّة ملكةٌ فكريةٌ لا ربط ولا صلة لها بآليات العمليَّة في النفسانيَّة النفسانيَّة المتولِّدة مِنْ العمل نورانيَّة، أو ظلمانيَّة.

إِلَّا أَنَّ الصحيح هُوَ ما ذهب إليه الشهيد الثَّانِي الله أَنَّ إجمالاً، فَإِنَّ صفاء وشفافيّة الرُّوحي بالغة التأثير في جودة وطهارة صفاء مرآة الفكر لإدراك المطالب، بَلْ المحكي عَنْ كثير مِنْ أصحاب النبوغ والاختراع أنَّهم لا يوفقون إلى اكتشاف الاختراعات إلَّا بَعْدَ صفاء وتشفف الرُّوح وشفافيّة خُلُقية تعتوره.

وحاصل ما أشكله مَنْ تأخّر عَنْ الشهيد الثّانِي الله إذا اعتمد عَلَى الجنبة الفكرية، يمكن الحصول عَلَى نتائج طيّبة، ولا يشترط وجود الجانب العملي في الحصول عَلَى النتائج الطيبة وإنْ كَانَ لا تنكر أهميّة الجانب العملي إلّا أنّهُ لَيْسَ شرطاً فِي ذَلِكَ! ويُؤيِّد ذَلِكَ ما في حقيقة زيارة المعصومين الميّلا فَإنَّ البعض يدّعي أنَّ الزيارة هِي محضُ جنبة عملية وعمل فَقَطْ، وأنَّ الزائر الكريم ترك العلم لجانب العمل إلّا أنَّ هَذِهِ الدعوى مدفوعةٌ: مَنْ قَالَ بأنَّ الزيارة كُلَّهَا عملٌ محض وَأنَّهُ تُرِك العلم لجنبة العمل، كلا لَيْسَ كُلَّهُ كَذَلِكَ، فَإنَّ الزيارة صحيح فيها جنبة عَمَل، إلّا أنَّهُ ينبغي عدم الغفلة عَنْ بَعْض الجهات والبنود العلميّة المذكورة في القرات الزيارة، فَإنَّ الزيارة عبارة عَنْ ترويض علمي ودورةٌ ومنظومةٌ معرفية عقائديّة مُتكاملة، وَلابُدَّ مِنْ تطهير القلب وتنويره فحينئذٍ تزداد معرفية عقائديّة مُتكاملة، وَلابُدَّ مِنْ تطهير القلب وتنويره فحينئذٍ تزداد

٣١٢..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

قابليتك كُلَّما ازدادت طهارتك النفسيّة والروحيّة، ولذا فَإِنَّ الإخفاقات الكثيرة الَّتِي نلاحظها فِي المعارف أو العقائد ما هِيَ إلَّا نتيجة ضعف القوى الفكرية للباحث الكريم، وَهَذَا ما يُشير إليه قوله تَعَالَى ﴿ الشَّهَكُبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّلَّا اللَّهُ اللَّالَّ اللَّالَّ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّ اللَّهُ اللّه

بتقريب: _ إنَّهُ تَعَالَى أعزى وأسند إخفاق إبليس لعنة الله عَلَيْهِ فِي الإيهان و المعرفة إلى استكباره، وَهُوَ هيئة عمليّة مِنْ أفعال القلب والنفس تؤثِّر سلباً عَلَى القِوَى الفكرية والقلبية الإدراكية لذات الإنسان.

وَعَلَيْهِ فالجانب العملي لوحده لا يوصلنا إلى نتائج طيّبة وإتّباعه لوحده مُشْكِل ولا النظر وحده، ولذا إبليس عِنْدَمَا حُجِب بسبب استكباره، مؤشراً عَلَى أنَّهُ لَيْسَ الخطأ سببه في التصور والفكر فَقَطْ، ولذا فَمِنْ لطافة منهجنا التفسيري أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات في القُرآن بتفسير سديد في حمل الأطراف والآفاق والمراحل، إلَّا إذَا كَانَ عنده تولَّى لأولياء الله، والتولي والولاية لأولياء الله لَيْسَ فيه جنبة نظرية فَقَطْ، وَإِنَّا فيه جنبة وسلوكٍ عملي نفساني وقلبي كَذَلِكَ.

وَإِلَّا يكن هُنَاك فِي البين ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى البين ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِمْ غِشَوَةً ﴾ (٢).

نتيجة أعمالهم، بخلاف ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿إِنَّهُمْ فِتْ يَدُّ

⁽١) سورة ص: الآية ٧٥.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ٧.

بتقريب: _ إنَّ زيادة الهُّدَى هِيَ زيادة فِي الإِيهان والمعرفة، وَهَذَا حاصل نتيجة شيئين وَهُمَا: _ الفكر والعمل، لا أحدهما مِنْ دون الآخر. وَمِنْ هَذَا البحث ينفتح المجال أمام بحوث مِنْهَا: _

الشعائر الحسينية وقاعدة الذكر:

لَعَلَّ الكثير يتساءل عَنْ مسألة البكاء عَلَى الحسين الطَّ وَغَيْر البكاء فلهاذا العاطفة الشديدة؟ ولَعَلَّ أيسر ما يُجاب عَنْ هَذَا: ــ

بإنَّ الجانب النظري وَالأُمُور الفكريَّة لا تكفي لوحدها لفهم ما قام به الحسين عليَّة وَعَلَيْهِ فإذا كَانَ السائل متوحِّل ببراثن المعصية، فلا يمكنه أنْ يفهم، ولو ببعض ما قام به الإمام الحسين عليَّ ما لَمْ يتطهّر ويتنظّف مِنْ تلك المعاصي، وَهَذَا يحتاج إلى جنبة عملي عَلَيْ وَهُو ترك تلك المعاصي عملاً وخارجاً.

فالعاطفة لها دورٌ مهم في صقل الفكر وقوّة إدراكه، إذْ مِنْ دونها لا يستعد فكر الإنسان لإدراك جملةٍ مِنْ حقائق المعاني فضلاً عَنْ قصور الفكر لتناول الحقائق العينيّة، فضلاً عَنْ تأثير العاطفة عَلَى تصديق وتسليم القلب والنفس للحقائق، والإذعان بالعلم المطابق للحقائق العينية؛ فَإِنَّ الجانب الفكري مهما تضخم وتكاثر فَإِنَّهُ لا يوجب إرعواء النفس للإخبات للحقائق وعدم التمرّد عَلَيْهَا، كَمَا تشير إليه الآية المُبارَكة

⁽١) سورة الكهف: الآية ١٣.

٣١٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني هُوَجَعَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾(١).

فَإِنَّ بَعْضِ الأُمُورِ الفكريّة لَيْسَ مقدّمتها الفكر فَقَطْ، وَإِنَّمَا مقدمتها الرياضة الروحية السليمة.

الطهارة الروحية ودخالتها في جانب التفسير:

والخلاصة مِنْ كُلِّ ما تَقَدَّمَ أَنَّهُ تَحَصَّل ما يلي:

إنَّ المفسِّر بالإضافة إلى جانب إلمامه بقواعد عديدة معينة، أنْ يخوض بينه وبين نفسه حالة التطهير والرياضة الروحيَّة حَتَّى تنفتح لَهُ الآيات أكثر، فَإلَّا فلا تنفتح أمامه وَهَذَا جانب عملي يجب أنْ يلتفت إليه المُفسِّر وَهُوَ أحد أبعاد قَواعِد موازين الفكر وتوازنه.

⁽١) سورة النمل: الآية ١٤.

أهم مميزات قاعدة الذكر

إنَّ أهم ما تتميّز به قَاعدِهَ الذكر عَنْ سائر القَوَاعِد الأُخْرَى هُوَ:

الربط بين الذكر والترتيل والتلاوة:

أَوَّلاً: إِنَّ قَاعِدَة الذكر تتأطَّر وتتقولب وتتشكّل فِي كُلِّ صعيد بنحو خاص به، كَمَا وَرَدَ فِي روايات أهل البيت اللَّيْ فِي مَعْنَى الترتيل للقُرْآن، وأحد المعاني المُرادة مِنْ الترتيل فِي هَذَا الصعيد هُوَ الترتيل اللفظي.

كُمَا فِي رواية عبدالله بن سليهان، قَالَ: سألت أبا عبدالله الله عَنْ قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَرَبِّلِ أَلْقُومَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (١)، قَالَ: أمير المؤمنين اللهِ بيَّنه تبياناً (١) ولا تهذَّه هذَّ الشعر (٣) ولا تنثره نثر الرَّمْل (١) ولكن أفزعوا قلوبكم القاسية (٥) ولا يكن

⁽١) سورة المزّمل: الآية ٤.

 ⁽٢) دَلَّ على أن الترتيل هو إخراج الحروف من مخارجها، بحيث تظهر متميّزة بعضها عن بعض عند السامع؛ ولذا يقال ترتيل وترسيل.

⁽٣) الهَذَّ: سرعة القطع، وهذَّ القُرآن هذًّا إذَا أسرع فِي قراءته كَمَا يسرع فِي قراءة الشعر.

⁽٤) الرَّمل عند نثره يقَع على الأرض متباعِدَة حَبَاتَهُ، وكأنّه أرادَ بذلك التنبيه عَلَى المطلوب مِنْ الترتيل إخراج الحروف مِنْ مخارجها بحيث تظهر متميّزة بعضها عَنْ بَعْض، ولكن لَيْسَ بحيث تخرج الحروف متقطّعة منفصلاً بعضها عَنْ بَعْض كحبّات الرَّمل عِنْدَ نثرها، وَذَلِكَ لطول الفواصل بينها. (٥) أيّ أضيفوا قلوبكم الغليظة بالتدبّر في آياته وما وَرَدَ فيها مِنْ أخبار الأَمْم السالفة وكيف كفرت بالله

٣١٦..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني همَّ أحدكم آخر السورة (١)(٢).

نعم لقَاعِدَة الذكر وارتباطها بالتلاوة مراتب أُخْرَى مِنْ تلاوة المعاني فِي مواطنها المنطبقة عَلَيْهَا وتنزيلها فِي الموارد المستحقّة لها فضلاً عَنْ مرتبة قَاعدِة الذكر فِي الحقائق المرتبطة بترتيل رَثْل الحقائق وتلاوة وبعضها تلو بَعْض، وَحَيْثُ إنَّنا فِي مقام بيان قواعِد النظام اللفظي، فالتعرُّض متمركِزٌ فِي قَاعدِة الذكر فِي بُعْدِها اللفظي.

ثانياً: إنَّها موجودةٌ فِي منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات دون باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى، ولو نسبياً.

وثالثاً: إنَّها تتميّز بأنَّ لها جنبتان نظرية وعملية كَمَا تَقَدَّمَ.

رابعاً: يُشْتَرَط فِي هَذِهِ القَاعِدَة لأجل الغور إلى أعماقِ القُرآن لابُدَّ أَنْ يكون المتدبر مُتطهّراً بطهارة فِي عقله، وفي عقيدته ومعرفته وحالاته الخُلُقية، وَأَنَّهُ لا يستطيع أحدُّ أنْ يلج إلى أعماق القُرآن إلَّا بقدر ما أُوتي مِنْ درجة الطهارة.

فأخذها سُبْحَانَهُ أخذ عزيز مُقتدر، ولا ريب أنَّ التدبّر لا يمكن أنْ يتأتى إلَّا لِـمَنْ يقرأ القُرآن بهدوء مترسِلاً فاهماً مقاصده ومراميه.

⁽١) أيّ أهميّته أنْ يصل إلى آخر السور فيسرع في قراءته كسرعته في قراءة الشعر فلا يلتفت إلى معانيه ولا يدرك مغازيه.

⁽٢) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٥٧٨ ب٢٧٨ ترتيل القُرآن بالصوت الحسن.

خامساً: لا تُسْتَعْمل قَاعدِة الذكر عَلَى صعيد النظام الاستعمالي فحسب، بُلْ تستعمل عَلَى صعيد أنظمة قُرآنية مُتعدِّدة، كنظام معاني القُرآن الكريم، ونظام الحقائق القُرآنية وغيرها، فَإنَّ قَاعدِة الذكر لها ألوان ووجوه ودرجات فمثلاً هُنَاك فرقٌ بين الندبة بالذكر، فَإنَّ الندبة بالنياحة الذي هُوَ كيفية صوتية يختلف عن لندبة بالذكرفَإنَّ الندبة بالذكر أَعْظَمُ تأثيراً مِنْ الندبة بالنياحة، وإنْ كَانَتْ النياحة بالحق عَلَى أئمة المسلمين المنتِ أمرٌ راجحٌ، ولكن الندبة لمصابهم المنتِ بطور الذكر أعظم تأثيراً مِنْ الندبة بالنوح، وعَلَيْهِ فَإنَّ قَاعدِة الذكر حَتّى فِي علم الأداء الصوق النعمى للقُرْآن يختلف عَنْ النياحة كذكر.

سادساً: تختلف قَاعدِة الذكر فِي بعدها وضوابطها اللفظية عَنْ الشعر، ولذلك إلى الآن القُرآن الكريم يتحدّى الشعراء وَعُلَمَاء الموسيقى وَعُلَمَاء الغناء وَعُلَمَاء التجويد في اكتشاف حقيقة القَوَاعِد اللفظية للذكر.

إذَنْ قَاعدِة الذكر تمثّل تحدياً ماثلاً أمام البشرية منذ أربعة عشر قرناً وَالقُرآن يُنادي ويتحدّى فن هندسة الصوت وَعُلَمَاء الموسيقى و... الخ.

إنْ استطعم أنْ تأتوا بنغمة صوتية لا تثير الغرائز الحيوانية ولا توجب خِفّة العقل ولا تجعل الإنسان نزوي فهاتوا ما عندكم إنْ استطعتم،

فَإِنَّ قَاعِدِة الذكر تمثِّل تحدَّي إلهي إلى الآن عُلَمَاء كُلَّ الفنون ومعاهد الموسيقي في العالم عاجزون عَنْ أَنْ يأتوا بمثل نغمة الذكر، بَلْ أكثر مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ النَّدبة القرآنية هِيَ نوع مِنْ الذكر، فَإِنَّ القُرآن الكريم يندب مظلومين كثيرين كالأنبياء وَالَّذِيْنَ قُتِلوا كهابيل وأصحاب الأخدود وغيرهم فَإِنَّ ندبة القُرآن لهم توجب واقعاً تعاطف الإنسان بشكل شديد مَعَ هؤلاء المظلومين ولكن هل يندبهم القُرآن بنوح ونياحة؟ كلا مَعَ أَنَّ النياحة مشروعة وسائغة فِي الحقّ وَإِنَّما يحرم النوح بالباطل.

والخلاصة: _ إنَّ القُرآن الكريم لَمْ يستعمل الندبة بالنوح وَإنَّمَا استخدم الندبة بالذكر، فمثلاً دعاء الندبة لصاحب العصر والزمان الإمام الحجة بن الحسين الله الأوام الإنسان بترتيل وتركيز يتصدَّع قلبه وتتفجَّر دموعه لكنَّ لا بنغمة صوتيَّة ونياحة، وَإنَّمَا بنمط آخر وجانب وَمَعْنَى فَقَطْ مِنْ دون أَنْ يستخدم أطواراً متكلفة يُفجِّر بها الدمعة وإنَّما يتفجّر بها كيشان القلب بذكر طريقة الذِكْر.

سابعاً: إنَّ قَاعدِة الذكر الَّتِي نَحْنُ بصددها غَيْر مكتشفة الأبعاد، وَإنَّما خوضنا فيها مِنْ باب التنويه والتنبيه رجاءَ أنْ تنكشف جملة مِنْ جهات قَاعدِة الذكر.

⁽١) فيه روايتان: أحدهما أنَّهُ صادر مِنْ نفس الإمام الحجة الله من جهة الناحية المقدَّسة والآخر: إنَّهُ صادر عَنْ الإمام الصادق اللَّهِ.

الذكر ميزان في الكشف عن الوحي:

ثامناً: تمتاز قَاعدِة الذكر بأنّها قَاعدِة عظيمة تمثّل شموخ نتاج القُرآن وعظمة أثر القُرآن فِي كُلّ صعيد مِنْ أصعدة القُرآن، وأنَّ زرارة عِنْدَمَا سأل الإمام الباقر اللهِ سيدي بِمَ عُرِف رسول الله عَلَيْ إنَّ الذي يأتيه ملك مِنْ الله هُوَ جبرائيل لا الشيطان؟ قَالَ اللهِ : «عُرِف أنَّ الآتي مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ بالسّكينة والوقار» يعني الذكر انظر إلى دقّة سؤال زرارة والإمام اللهِ أجابه بأنَّ صهام أمان نبوّة النّبيّ عَلَيْ اللهُ هُوَ الذكر.

تاسعاً: الذكر هُوَ نظام فِي العلوم يوظّفها إلى الكمال والذكر وَلَهُ ــ الذكر ـ قَواعِد وأوزان لَمْ تكتشف إلى الآن.

عاشراً: إنَّ فرق قَاعدِة الذكر عَنْ سائر العلوم الأُخْرَى كالنحو والصرف والاشتقاق وَاللَّغة والبلاغة و ... الخ، هُوَ أنَّ قَاعدِة الذكر توظِّف هَذِهِ العلوم بشكل معادلي مُتوازن يصب في الذكر، وَهُوَ بالتالي يرجع إلى كيفية بناء شخصية المُفسِّر العلميّة وتوفر العناصر المطلوبة في المُفسِّر مِنْ الفطنة والالتفات وطهارة النفس و ... الخ، فإذا توفَّرت هَذِهِ العناصر وغيرها في المفسِّر وصل إلى نتائج طيّبة تصبّ في قاعدِة الذكر وتوجب ذكراً للمؤمنين وللبشرية لا أنَّهُ يتوسَّع في التفسير تجريداً عَنْ الحقائق والعروج فيها ووغولاً في بحر التنظير الفكري بعيداً عَنْ الحقائق الحقائق والعروج فيها ووغولاً في بحر التنظير الفكري بعيداً عَنْ الحقائق

٣٢٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني العنية.

الحادي عشر: إنَّ قَاعدِة الذكر قَاعدِة منهجية خطيرة فِي علوم التفسير تُبْعِدُ عَنَّا الحشو والفضول إلى ما هُوَ بنيوي وأساسي فِي علم التفسير وكشف أركان دعائم القُرآن.

الثَّانِي عشر: قَاعدِة الذكر علامة بوصليَّة لسلامة المنهاج التفسيري في دام التفسير يحدث ذكراً فَهُوَ فِي المسير الصائب والسديد.

الثَّالِث عشر: إنَّها قَاعدِة منهجية راسمة لمختلف علوم تفسير القُرآن الكريم ومهيمنة عَلَى كُلِّ بحوث التفسير وفي أيّ مجال مِنْ مجالات الآيات الكريمة وَعَلَى مختلف الأصعدة سواء عَلَى صعيد المفهوم والمعنى أو عَلَى صعيد المنهج الأكمل الذي يرسمه لنا القُرآن الكريم في الذكر وفي أيّ مجال مفهومي يؤدِّي إلى الذكر والتذكّر وأوبة وتوبة الإنسان لا أنْ يهارسه كيف ما شاء فَإنَّهُ سوف يصبح مجموع تراكمي مِنْ المفاهيم والمعلومات بلا توظيف لها بالصورة الصحيحة والمطلوبة بَلْ حَتَّى عَلَى الفضائل والرذائل الأخلاقية، ففي الرعاية الأخلاقية إذًا أردت أنْ تلزم نفسك وتطبعها عَلَى فضيلة معيّنة أو تقلعها عَنْ رذيلة معيّنة لَيْسَ معناه أَنَّهُ هَذَا هُوَ كُلِّ شِيء كلا، وَإِنَّمَا يكون هَذَا كُلِّ شِيء عِنْدَمَا تكون عندك منظومة ومجموعة مِنْ بنود الرعاية الأخلاقية الَّتِي توصلك إلى الذكر وَإِلَّا _ والعياذ بالله _ قَدْ يكون غرورك أو ابتهاجك وسرورك بفضيلة يَغرَّكُ ويحجبك الإقلاع المزبور عَنْ رذائل أُخْرَى فما الفائدة فيه؟

أهم الشرائط المعتبرة في المفسر للقرآن الكريم

طهارة المفسر سبب لوصوله إلى حقيقة الذكرفي القرآن الكريم

إنَّ أهم ما يعتبر كشرط أساسي فِي المُفسِّر الناجح للقُرْآن الكريم هُوَ ما يلي: ــ

أَوَّلاً: أَنْ يكون الإنسان مُتَطَهِّراً مِنْ جوانِب عديدة كالجانب الأخلاقي والعقائدي والمعرفي والسلوكي و ... الخ.

بتقريب: _ القصور في عقل الإنسان بنحو يوجب الظلم والسقوط في غمرتها هُوَ مرتبة مِنْ مراتب الرجاسة.

⁽١) سورة يونس: الآية ١٠٠.

٣٢٢ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني وقوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسُ فَلاَيقُ رَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾ (١).

بتقریب: _ إنَّ الشِّرْكِ فِي العقیدة ورجاسة الرذائل تُعْدِثُ رجاسة ونجاسة فِي القلب، ورجاسةً فِي صفات النفس وخواطر وأحوال جوامح النفس، وممّا يُؤيِّد ذَلِكَ ما وَرَدَ عندنا فِي الروایات الواردة عَنْ أئمة أهل البیت المیهِ مَنَّ عَلَیْ روایة ... عبدالله بن موسی بن جعفر، عَنْ أبیه المیه فَقَالَ: _ «ریحُ الکنیف والطیب سواءٌ؟! قلتُ لا، قَالَ: _ إنَّ العبد إذَا همَّ بالحسنة خرج نَفَسُه طیّب الریح، فَقَالَ صاحب الیمین المین الصاحب الشیال، قُمْ فَاثبتها لَهُ، وإذا هَمَّ بالسّیئة خرَج نَفَسهُ منتن الریح، فَقول صاحب الشیال لصاحب الیمین: قف، فَإنَّهُ قَدْ همَّ بالسّیئة، فإذا فَقول صاحب الشیال لصاحب الیمین: قف، فَإنَّهُ قَدْ همَّ بالسّیئة، فإذا فَقول صاحب الشیال لصاحب الیمین: قف، فَإنَّهُ قَدْ همَّ بالسّیئة، فإذا

وَمِنْ هَذَا يُعْرَف أَنَّ الطهارة والرجاسة عَلَى درجات فَإنَّ آيات وسور القُرآن فيها مِنْ الحقائق والخزائن والكنوز لا تفتح لأيِّ شخص إلَّا بقدر ما أُوتي مِنْ المَعْرِفَة أيِّ الطهارة، كَمَا بيَّنها القُرآن الكريم ﴿ لَا يَمَسُّمُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ ﴿ اللهِ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ وَنَ اللهُ ال

بتقريب: ـ إنَّ آية التطهير وإنْ كَانَتْ خاصَّةً بأهل البيت اللَّكِ، إلَّا أَنَّ لها مداليلها الالتزاميَّة والاقتضائية عَلَى درجات، كَمَا ذكره القُرآن

⁽١) سورة التوبة: الآية ٢٨.

⁽٢) وسائل الشيعة: ج١، أبواب مقدمات العبادات: ب٧، ص٥٨، ح٣.

⁽٣) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

بتقريب: _إنَّ درجات الهداية والاستهداء والتقوى فِي القُرآن الكريم مُخْتَلِفَة.

وَالقُرِآنِ الكريم دائماً يربط بين العمل الصالح والهداية ﴿ وَيَسْتَجِيبُ اللَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ وَيَزِيدُهُم مِن فَضَلِهِ ۚ ﴾ (٢) وقوله تَعَالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا اللَّذِينَ ءَامَنُواْ إِن تَنْقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (٣) وقوله تَعَالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا اللَّهُ وَيُعَلِمُ كُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٥) وقوله تَعَالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِنْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدَى ﴾ (٥).

فَهُنَاكَ ترابط ما بين استخراج الهداية ومعاني حقائق القُرآن بالعمل الصالح والهداية، هَذَا مُضَافًا إلى أَنَّهُ تَقَدَّم فِي القَاعِدَة السابقة _ الجري والتطبيق أو التعبير _ إنَّهُ يمكن العبور والتعريض بالآية ﴿ لَا يَمَسُّهُ وَاللَّا الْمُطَهَرُونَ التعبير لليَّكِ مِنْ المعصومين المَكِ مِنْ ائمة أهل البيت المَكِ ، وأنَّ الآيات القُرآنية تجري في غير أهل آية التطهير مِنْ عادي البشر بشكل مخفف القُرآنية تجري في غير أهل آية التطهير مِنْ عادي البشر بشكل مخفف ويمكنه أنْ يمس القُرآن بقدر ما أوتي مِنْ طهارة وتطهير في الأخلاق والعقائد والنفس و ... الخ فَإنَّ أحد قواعِد علم التفسير هُوَ طهارة الأخلاق، فإذا أردت والنفس و ... الخ فَإنَّ أحد قواعِد علم التفسير هُو طهارة الأخلاق، فإذا أردت أنْ تُطهر مفاد الآيات جيّداً فيجب عليك أنْ تُطهّر أخلاقك وَكُلّما تُطهر أخلاقك أخلاق في يوميات الإنسان ينفتح لَهُ فَهُمْ وإدراك مِنْ باطن أخلاقك أكثر فأكثر في يوميات الإنسان ينفتح لَهُ فَهُمْ وإدراك مِنْ باطن

⁽١) سورة البقرة: الآية ٢.

⁽٢) سورة الشورى: الآية ٢٦.

⁽٣) سورة الأنفال: الآية ٢٩.

⁽٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

⁽٥) سورة الكهف: الآية ١٣.

القُرآن أمْطارٌ مُنْعِشة مِنْ الإدراك والتعقّل، فمثلها نزول الأمطار يحيي الأرض بَعْدَ موتها كَذَلِكَ القلب الذي هُوَ أرض الرُّوح وأنَّ أرض العقل الإنساني لا تستطيع أنْ تستمطر مِنْ السَّهَاء إلَّا بقدر طهارته، هكذا ذكر الأكابر مِنْ ذوي القدم الراسخ فِي تهذيب النفس وعلم الأخلاق والتقوى، فَإنَّهُم ذكروا ذَلِكَ انطلاقاً مِنْ هَذِهِ البيانات فِي الآيات والروايات وتجربة عمل مُصَدِّقة لهذه الحقائق الوحيانيّة فِي يوميات الإنسان فَإنَّهُ تتنزل عَلَيْهِ الخيرات بقدر طهارته.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَتِ مِّنَ ٱلسَّكَاءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ اللَّهُ ﴿ (١).

بتقريب: _ إنَّهُ تفتح البركات مِنْ سهاء القُرآن عِنْدَمَا تكون هُنَاك تقوى وطهارة روحية ونفسية بخلاف ما إذَا عصوا وعتوا فَإنَّ الأرض تجذب وَالسَّمَاء تمنع قطرها وَهَذَا لَيْسَ مِنْ فرط الخيال والشِّعر وَإنَّها حقائق يبينها القُرآن الكريم فَإنَّ علم تفسير القُرآن علم فريد مِنْ نوعه وَلَيْسَ كباقي العلوم كعلم الفيزياء والكيمياء و ... الخ.

إذَنْ قَاعِدَة الذكر الْمُبَارَكَة بِهَذَا المعنى والتفسير كمنهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات هِيَ تولِّي وسير علمي وعملي وتبيِّن كيف للولاية دورٌ بقدر ما تتطهّر يشتد ولاؤك لله ورسوله ولأهل البيت المَيِّكُ فستمطر حينئذٍ عليك أنوار البرهان أكثر فأكثر.

⁽١) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

الإشارات القرآنية للخواص ولطائفه للأولياء

ثانياً: أَنْ يَكُون الْمُفَسِّر ذا رياضة روحية خاصة فَإِنَّ شرط معرفة بَعْض أسرار القُرآن أَنْ يمتلك المُفَسِّر رياضة روحيّة متميّزة، فَإِنَّ القُرآن الكريم كثيراً ما يُشارط ويُراهن في معرفة القُرآن أو في معرفة مغازي بيان كلام الله تَعَالَى فِي كتابه عَلَى أَنْ يَكُون عِنْدَ المُفَسِّر أو الباحث رياضات روحيّة عَلَى أوسمة ومقامات في السلوك النفسي وَالرُّوحي.

فَهُنَاك بحث ذكره الشَّهيد الثَّانِي اللهِ حول الاجتهاد وَأَنَّهُ ملكة روحيّة وقدسية نوريّة ولا يمكن أنْ يتّصف بها غَيْر العادل وَغَيْر الْمُتّقي.

إلا أنَّ المُتَاخِّرين أشكلوا عَلَى الشَّهيد الثَّانِي اللهِ بها حاصله: _ هَذَا حُسن ظَنِّ مِنْ الشَّهيد الثَّانِي اللهِ مِنْ أنَّ الاجتهاد أو الفقاهة ملكة قدسية نورية، وَإِنَّما الاجتهاد: _ ملكة تقوِّمُ قوة الفكر فِي الإنسان ولا صلة لها بالجانب العملي وأينًا لها صلة ما بالجانب العملي وليست لها علاقة وصلة وطيدة به _ أيّ بالجانب العلمي كَمَا يدّعيه الشَّهيد الثَّانِي.

وحاصل إشكال المُتأخِرين: _ أنَّ الاجتهاد ملكة علميّة وليست عمليّة كَمَا يستظهره الشَّهيد الثَّانِي وَأَنَّهُ ملكة قُدسيّة نُوريّة.

٣٢٦..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وبعبارة أُخْرَى: أنَّ ما ذهب إليه الشَّهيد الثَّانِي اللَّهِ فِي تعريف الاجتهاد صحيح مِنْ جهة أُخْرَى.

فَمِنْ جهة الْمُتَأخِّرين أنَّ الاجتهاد مُجُرَّد نتاج قوّة فكرية وأنَّ الاجتهاد بنحو متوازن يصيب إرادة الله تَعَالَى ومسير رضا الله تَعَالَى ويوازن الأمُّور بسداد وصواب وبصيرة، بخلاف ما ذهب إليه الشُّهيد الثَّانِي ﴿ أِنَّ الاجتهاد ملكة ونور قُدسي ولا يمكن أنْ يأتي إلى الإنسان إلَّا عَنْ طريق الورع وَهُوَ الجانب العملي فِي الإنسان، وأمَّا الجانب الفكري لوحده فلا يُمَكِّنُ الفقيه أو المستنبط مِنْ تحرّي الصواب والسداد ويؤيِّده ما ذكره الشَّيْخ جعفر كاشف الغطاء الله في أوَّل كتاب منهاج الرشاد في الرد عَلَى مُحمَّد بن عبدالوهاب ما حاصله: «... إنَّ الفقه إذَا كَانَ بمعنى العلم الفكري وَمُجرَّد القوّة الفكرية فَقَطْ وبلا وَرَع فَإِنَّ الفقيه يستطيع _ والعياذ بالله ـ أنْ يشكل مِنْ طينة المواد الفقهية وأدلَّتها ما يشتهيه هواه أو هوى غيره، والفقيه الجامع للشرائط أمينٌ لا يخون ولا يتلاعب لِإنَّهُ مؤتمن ويحمل أمانةً علميّةً لابُدّ مِنْ إيصالها بكُلِّ نزاهة إلى الناس ... »(١).

ولذا نقرأ فِي زيارة أمير المؤمنين عليه: «السَّلامُ عليك يا أمين الله الأوفى» لَيْسَ فَقَطْ أمين الله وَإِنَّمَا أوفى الأوفياء فِي أداء أمانة الله عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَيْهِ فيمكن

⁽١) منهاج الرشاد في ردّ محمد بن عبدالوهاب وإجابته على الملك عبدالعزيز آل سعود ومراستله إيّاه، جعفر كاشف الغطاء.

الإشارات القرآنية للخواص ولطائفِهِ للأولياء.....

التلاعب بالقانون إذًا غابت الأمانة، أمَّا إذًا وجدت الأمانة فَهُنَا يَكُون القانون ذو سداد وحقيقة بالتنظير فَقُطْ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الحركة الفكرية والسعي العلمي هُوَ الآخر عملٌ وإِنْ كَانَ متعلقه المعلومات والإدراك الذهني.

ثالثاً: مِنْ الشرائط الأساسية الَّتِي يجب توفّرها عِنْدَ المُفَسِّر هُوَ طهارة النفس، وأنْ يَكُون كُلِّ مُفَسِّر عنده برنامج تطهير نفساني وتطهير معرفي وعقائدي، وتطهير أحوال نيّات النفس، وَمِنْ ثُمَّ يُقدِّم عَلَى التدبّر في القُرآن ـ ولذا أفردنا هَذَا الشرط عَنْ الاول لأهمية تأثير الأخير عَلَى الْمُفَسِّر وإنْ كَانَ بينهما أوجه شبه _ ولذلك أصحاب التقوى والعلم يُوصون بالتدبُّر في القُرآن الكريم في أوقات صفاء أعمال الإنسان وصفاء نيَّاته، ولذا ما وَرَدَ عَنْ أهل البيت اللِّي مِنْ التأكيد عَلَى قراءة القُرآن أوَّل الصباح خاصّة بَعْدَ صلاة الصبح وَبَعْدَ الطلوعين فَإِنَّ هَذَا الوقت لَهُ مغزى باعتبار الصباح ابتداء أوَّل اليوم وصفاء النفس بَعْدُ لَمْ يتلوَّث، فَإِنَّ القُرآن الكريم يمطر حينئذٍ عَلَى أرض النفس بمعلومات نوريّة مُضيئة لظلمات النفس، وما للقُرْآن مِنْ أثر ووقع خاص في تربية وصقل النفس والالتفات إلى أسرار القُرآن الشيء الكثير خاصّة فِي وقت ما بين الطلوعين وإنْ كَانَ القُرآن مأدبة الله في أيّ وقت تستطرق للقانع والمعتر، ولكن تلك الأفراد أكثر تأثيراً.

٣٧٨..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أحد معاني قَاعدِة أَنَّ القُرآن ذكر هُوَ أَنْ يَكُون نفس المُفَسِّر متذكّر وكأنَّها يقول القُرآن الكريم لنا إنَّ الصاحب المطلق والمعلم الأكبر للقُرْآن هُوَ الطاهر المعصوم ويعتبر هَذَا أحد براهين ضرورة وجود معلمين للقُرْآن الكريم، وإنَّ صاحب القُرآن هُوَ المطهّر لِأنَّ القُرآن كتاب هداية للمتقين لا للفاسقين، فَإِنَّ مِنْ بديع وعظمة ومعجزة القُرآن الكريم الذي هُوَ خزينة مملوءة بالجواهر ولكنَّها لا تفتح الرقم السِّري لكلِّل باب مِنْ أبواب هَذِهِ الخزانة إلَّا لباب الطهارة والتزكية والذكر والتذكّر فَإِنَّ الله تَعَالَى يضن ويمسك بها عَلَى غَيْر ذَلِكَ ـ أي لا تفتح لغير الطاهر المُطهر - .

ولذا يعتبر هَذَا الشرط القرآني المهم أحد براهين ضرورة العصمة ووجود المعصومين فيها إذا كَانَ القُرآن كتاب هدى للمتقين، وَعَلَيْهِ كُلّما ازداد الإنسان تقوى ازداد هدايةً فكيف إذَنْ يدّعي البعض ويقول حَسْبَنا كتاب الله، أو بعضهم يَدّعي أنَّهُ أتقى المتقين وإذا كُنْت أتقى المتقين فحينئذٍ تكون مُعلِّم القُرآن.

وَإِلَى هَذَا المعنى يشير إليه قوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ۗ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ (١).

ونفس سورة البقرة تُفسِّر مَنْ هُمْ الراسخون فِي العلم ﴿ مُدَعلِنَا عَلِينَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الراسخون فِي العلم ﴿ مُدَعلِنَا عَلَيْ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُو

⁽١) سورة آل عمران: الآبة ٧.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ٢.

بتقريب: _ هُمْ ذو التقوى وإنَّ الإنسان كُلَّما ازداد تقوى صار راسخاً فِي العلم وفي القُرآن إلى أنْ يبلغ ما يبلغ، وَحَيْثُ أنَّ هداية القُرآن غَيْر محدودة ﴿قُل لَّوْكَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِكَامِنتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن نَنفَدَ ﴾ (١). وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ مدى غَيْر محدود فِي التقوى، أيّ لابُدَّ مِنْ استمرار إبقائه عَلَى التقوى وَلَيْسَ ذَلِكَ فحسب بَلْ لابُدَّ أيضاً مِنْ الترقي طولاً وارتفاعاً في الدرجات، وَإِلَّا سوف تكون معانى القُرآن وحقائقه معطَّلة ومُجمَّدة وحاشا لكتاب مِنْ ذَلِكَ لِإِنَّهُ أُنزل مِنْ رب العِزَّة يَكُون مُجمَّداً وَإِنَّمَا لابُدَّ أَنْ يَكُونَ مُفعَّلاً والذي يَصِل إلى ما لا نهاية وما لا محدوديّة في القُرآن الكريم لابُدَّ وأنْ تكون تقواه غَيْر متناهية ولا تقف عِنْدَ حدِّ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى العصمة الذي يُنادى القُرآن بوجودها وبوجود المعصوم الذي هُوَ صاحب القُرآن وعِدْله وَهُوَ الثقل الثَّانِي وَمِنْ دونه يعطل الكتاب، وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن كتاب مختلف عَنْ بَقيَّة الكتب وَلَيْسَ كتاب علوم أُخْرَى إِنَّمَا القُرآن كتابٌ يشترط تواجد صفات عمليَّة خاصَّة فِي الْمُعلِم والْمَتَعَلِّم، وإذا أردنا أنْ ننقب فِي الحقائق أكثر نستطيع أنْ نلتفت إلى أصحاب العلوم الأُخْرَى حَتَّى التجريبيَّة مِنْهَا كعلوم الفيزياء والكيمياء والأحياء و ... الخ والعلوم الإنسانية، بَلْ وَأَيِّ علم مِنْ العلوم الَّتِي يتداولونها ويتعاطاها النوابغ مِنْ البشر فَهُمْ يذكرون فِي مذكّرات تراجم حياتهم أنَّهم لا يصلون إلى اكتشاف علمي إلَّا أنَّ يتطهّروا خُلُقياً وروحياً وطهارة

⁽١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

٣٣٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

خاصّة، وتكون اكتشافاتهم عَلَى قدر ما لهم مِنْ طهارة ﴿ فَمَن يَعْمَلُ مِنْ طهارة ﴿ فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَةٍ خَيْرًا يَسَرُهُۥ ﴿ ﴾ (١).

فَإِنَّ هَذِهِ الاكتشافات تحتاج إلى شفافيّة نفسانيّة وصفاء روحي لذيذ جدًا لَمْ نعايشه فِي حياتنا إلَّا فِي تلك اللحظة.

وبالتالي هَذَا يدلّل عَلَى أنَّ الباري تَعَالَى فِي كُلِّ علم مِنْ العلوم يُمْطِرُ سهاء الفيض فيها مَعَ درجة خاصّة مِنْ الطهارة.

وهذا ما صَرَّح به برفسور مسلم باكستاني تلميذ أحد النوابغ في علم الفيزياء وكتابه موجود يجمع به كلمات النوابغ.

ليس كل تهذيب أخلاقي ذكر:

لو لاحظنا ما يصدر الآن مِنْ العرفاء أو الصوفيّة أو أصحاب السير والسلوك وما يطفح منهم مِنْ شذوذات ونشوزات وعجرفات فهَذِهِ ليست ذكراً وسببها أنّهم لم يكتشفوا قواعِد نظام الذكر؛ فَإِنَّ الذكر نظام خُلُقي معين ونظام اعتقادي مُعَيَّن لم يكتشف مِنْ قبل أكثر مشارب بحوث المتكلمين في مدارس إسلاميّة عديدة، ولذا أمثال الخوارج وغيرهم صاروا أشبه بالقدريّة والمرجئة بسبب عدم التفاتهم لمثل نظام الذكر وباقي الالتفاتات العلميّة الدقيقة؛ ولذا وقعوا في هَذَا التخبط والانحراف؛ لأنَّ النظام العقائدي نظام ذكر خاص لَهُ درجات مُعيّنة وبناء هَذَا النظام النظام العقائدي نظام ذكر خاص لَهُ درجات مُعيّنة وبناء هَذَا النظام

⁽١) سورة الزلزلة: الآية ٧.

الإشارات القرآنية للخواص ولطائفِهِ للأولياء.....

العقائدي الذي طرف مِنْهُ عِنْدَ الناس وطرف مِنْهُ عِنْدَ الله، فَإِنَّهُ يتدخّل فِي علم الأخلاق والعقائد فِي أغلب العلوم إِنْ لَمْ نقل كلّها فَإِنَّهُ يتدخّل فِي علم الأخلاق والعقائد والاقتصاد والتجارة و ... الخ ولأجل أنْ تكون نتائج ذَلِكَ العلم متينة ومنضبطة لابُدَّ مِنْ أعمال قَواعِد الذكر، وَلَعَلَّهُ أحد تفاسير الآية المُبَارَكَة ﴿ رَجَالُ لَا بُلْهِ مِهْمَ يَجَنَرُةٌ وَلَا بَيْعُ عَن ذِكْرِ ٱللهِ ﴾ (١).

بتقريب: _ أمَّا الإمام الله أجابهم برواية: _ لا أنَّهم لا يُتاجرون ولا يتبايعون، عَنْ أسباط بن سالم قَالَ: دخلتُ عَلَى أبي عبدالله الله اللهِ ... يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ رِجَالُ لَا نُلْهِيهُمْ تِجَـٰزَةٌ وَلَا بَيْعُ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخر الآية إنَّ القوم لَمْ يكونوا يتجرون كذبوا، ولكنَّهم لَمْ يكونوا يَدَعون الصَّلاة فِي ميقاتها، وَهُوَ أَفضل ممَّن حضر وَلَمْ يَتْجُر [الكافي: ج٥، ص٥٧، ح٨] عَنْهُ تفسير البُرهان لِلْسَّيِّد هاشم البحراني: ج٥، ص٣٩٦، ح٥؛ الطبرسي في مَعْنَى الآية، قَالَ روي عَنْ أبي جعفروأبي عبدالله اللَّمَالِكُا اللَّهَ عَوْمٌ إِذَا حَضَرَت الصَّلاة، تركوا التِّجارة وانطلقوا إلى الصَّلاة، وَهُمْ أعظم أجراً ممّن يتّجرُ، [مجمع البيان للطبرسي: ج٧، ص٤٥٢] ولكن هُنَاك تجارة لها نظام ذكر خاصٌ؛ لِأنَّ هُنَاك نوع مِنْ التجارة يَكُون لهويّاً ورأسهاليّاً وَهُنَاكَ تَجَارَةَ فَرَضَيَّةً مَافُويَةً، وَبِنَفُسَ الْوَقْتُ هُنَاكَ تَجَارَةً ذَكَرٍ؛ لِأَنَّ الذكر يدخل فِي كُلِّ شيء فَهُنَاك _ أكلُّ ذكر، وشرب ذكر، نكاح ذكر، وسياحة ذكر، أمَّا أنَّهُ كيف يصب هَذِهِ فِي الذكر وكيف يصبِّ الذِّكر فِي كُلِّ هَذِهِ

⁽١) سورة النور: الآية ٣٧.

٣٣٧ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني القنوات فَهَذَا معلم آخر يأتي توضيحه.

صفتان مختصتان بالنبي الأكرم

مِنْ بديع نعوت النَّبِيّ الأكرم عَلَيْلَ وما يرتبط بمقامات النبوة وَلَمْ يصف الله بها بشر ولا ملك قط، لا مِنْ قَبْلُ ولا مِنْ بعدُ ولا ... الخ عدا وَصْفُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب اللهِ بالذكر _ كَمَا تَقَدَّمَ _ لِإِنَّهُ بمنزلة رسول الله عَلِي الله الله عَلَيْلُ ﴿ وَأَنفُكُمْ الله عَلَيْلُ الله عَلَيْلُ الله عَلَيْلُهُ الله عَلَيْلُكُمْ الله عَلَيْلُهُ الله الله عَلَيْلُهُ الله عَلَيْلُهُ الله الله عَلَيْلُهُ الله عَلَيْلُهُ الله الله عَلَيْلُهُ اللهُ عَلَيْلُهُ الله الله عَلَيْلُهُ اللهُ عَلَيْلُهُ اللهُ عَلْمُ اللهُ اللهُ عَلَيْلُهُ اللهُ عَلَيْلُهُ اللهُ عَلَيْلُهُ اللهُ عَلَيْلُولُهُ اللهُ عَلَيْلُهُ اللهُ عَلَيْلُهُ اللهُ عَلَيْلِهُ عَلَيْلُولُهُ اللهُ عَلَيْلِهُ اللهُ عَلَيْلُولُهُ اللهُ عَلْمُ عَلَيْلُولُولُهُ اللهُ عَلَيْلُولُهُ اللهُ عَلَيْلِهُ اللهُ عَلَيْلِهُ عَلَيْلُولُهُ اللهُ عَلَيْلُهُ اللهُ عَلَيْلُولُولُولُولُهُ اللهُ عَلَيْلُهُ اللهُ عَلَيْلِمُ عَلَيْلُولُ اللهُ عَلَيْ

والصفتان هُمَا: ــ

الصفة الأولى: إِنَّهُ عَيْنَ فَوله تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحَى الْ الْمُورِ اللّهُ وَتبليغه، بَلْ بِتقريب: _ إِنَّ الضمير (هُوَ) لَيْسَ عائداً إلى نطق الْنَبِي عَيْنَ وتبليغه، بَلْ يعودالى تمام مراتب ذاته الشريفة بمقتضى وحدة مرجع الضمير المُقَدَّر في الآية السابقة ﴿ مَا صَلَ صَاحِبُكُو وَمَا غَوَى اللّهِ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْمُوكَى اللهُ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْمُوكَى الله الآية السابقة ﴿ مَا صَلَ صَاحِبُكُو وَمَا غَوى اللّه وقوده _ صلوات الله فوصف تمام مراتب ذاته بذلك دالله على أنَّ قالب وجوده _ صلوات الله عَلَيْهِ وآله وقوالب مراتبه بناءٌ عيني للوحي في الخارج، فَهُو عَلَيْ بَهَام شؤونه يُجسِّدُ الوحي لا بمعنى عَلَى أَنَّهُ أَوْ جَدَ وَخَلَقَ عَلَى طبق مواصفات الوحي، بَلْ هُو عَلَيْ الله وحي عيني خُوطِبَ به الآخرون وأَنْزِلَ إليهم.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

⁽٢) سورة النجم: الآية ٤.

⁽٣) سورة النجم: الآية ٢_٣.

الإشارات القرآنية للخواص ولطائفِهِ للأولياء.....

الصفة الثَّانية: إِنَّهُ عَلَيْ ذَكُرٌ فِي أَكثر مِنْ آية كقوله تَعَالَى ﴿إِنْ هُوَ إِلَا فَكُرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴾ (١)، وقوله تَعَالَى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٢)، وقوله تَعَالَى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٣)، وقوله تَعَالَى ﴿ وَقُولُه يَعْلَمُ عَلَيْكُمْ ءَاينتِ اللّهِ ﴾ (٣)، وقوله تَعَالَى ﴿ وَتُرَا لَا لَهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿ آلَ لَهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿ آلَهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿ آلَهُ إِلَيْكُمْ وَكُرُا لَا لَهُ إِلَيْكُمْ وَعَلَيْكُمْ عَالَىٰ اللّهِ ﴾ (٣)، وغيرها.

وَهَذَا النعت والصفة الثَّانية تطابق الأولى مِنْ جهة أنَّ الذكر هُوَ أساس وأصل الأصل الذي انحدر مِنْهُ القُرآن الكريم، كَمَا يشير إليه عطف القُرآن الكريم عَلَى الذكر فِي سورة يس/ ٦٩ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ بتقريب: _ إنَّهُ عَيْلِا ذاته عينيّة للوحى انحدرت مِنْهَا حقيقة القُرآن، وَمِنْ ثُمَّ فِي وصفه الأوَّل _ إنَّهُ وحيٌّ _ إنَّهُ لَمْ يحدد تلك المرتبة مِنْ الوحي الَّتِي يوصَف بها عَلَيْكُ ، بَلْ أُطْلِق الوصف بلا تحديد ولا تقدير، ولا وقوف عِنْدَ حَدٌّ حَيْثُ وُصِفَ بجملة الفعل المضارع المستمر، وبالرغم أَنَّهُ وصف بالاسم مِنْ مادَّة (وَحْيٌ) إلَّا أَنَّهُ أُكِّدَ بجملة الفعل المضارع المستمر _ يوحى _ للدلالة عَلَى الاستمرار بقاءاً وارتفاعاً في الدرجات، وأمَّا الوصف بالاسم ـ وحيٌّ ـ فله مدلول آخر وَهُوَ عينيَّة وتجسيم مَعَ أنَّهُ عين عينيَّة الوحي، وبالأخير فَإنَّ بين الوصف الأوَّل والثاني للذكر تناغمٌ و تشاهدٌ كبير .

⁽١) سورة ص: الآية ٨٧.

⁽٢) سورة التكوير: الآية ٢٧.

⁽٣) سورة الطلاق: الآية ١٠ ـ ١١.

٣٣٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني نتضة عقائدية:

أيضاً مِنْ عميزات أوصاف الْنَبِيّ الأكرم عَلَيْ وأهل بيته المَلِيْ هُوَ أَنَّهُ دائهاً ذكرهما مقترن مَعَ ذكر الله تَعَالَى، فَإِنَّ البعض ـ والعياذ بالله ـ مِنْ السلفيّة والوهابيّة وأضرابهم أصحاب الأفكاروالآراء المُتطرِّفة والناصبيّ العداء لأئمة أهل البيت المِلِيّ ولشيعتهم، بَلْ وَحَتّى للصوفيّة وغيرهم، تنطلي عَلَيْهِ شبهةٌ يُثيرها هؤلاء وَهِيَ: لماذا تغرقون فِي ذكر النبَّي عَيَيْهُ.

وجواب هَذِهِ الشبهة يتلخّصُ بها يلي: ـ

أُوَّلاً: إِنَّ القُرآن الكريم نصَّ عَلَى هَذَا الاقتران بقوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَيْكِ اللَّهِ وَسَلِّمُوا اللَّهِ وَسَلِّمُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا سَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا سَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا سَلْمُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا سَلْمُوا صَلْمُوا صَلْمُوا مَا اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا سَلْمُوا صَلْمُوا صَلْمُوا مَا اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا سَلْمُوا صَلْمُوا صَلْمُوا مَا اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا مَا اللَّهُ اللَ

بتقريب: _ إنَّ القُرآن الكريم يُريدُ دائماً وأبداً وفي كُلِّ وقت هَذِهِ العبادة، حَتَّى فِي وقت الصَّلاة المفروضة فِي الأوقات الخمسة فإنَّها _ الصَّلاة المفروضة _ هِيَ ذكر لله، فاذكروا الله ذكراً كثيراً، فلاحظ التطابق بين ذكر الله تَعَالَى وبين ذكر الْنَبَى عَيَالِيهُ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أَحد مقامات النبوّة هِيَ مقام _ إِنَّ الله وملائكته يصلون عَلَى الْنَبِيّ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمنوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّموا تسليهاً _ مُطْلَقاً ليلاً

⁽١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

ونهاراً فِي حال الصَّحة والسقم، وحال الاحتضار للموت، وَأَنَّهُ مِنْ الراجع عِنْدَ احتضار الموت، وَأَنَّهُ مِنْ الراجع عِنْدَ احتضار الموت وغرغرة الرُّوح فِي الحلقوم وَأَنْتَ يُساقُ بك إلى عالم البرزخ أَنْ تذكر الله، وَمِنْ ثمَّ بَيَّنَ أَمير المؤمنين اللِّهِ أَنَّ هَذَا المقام الذي بيّنته الآية لسيد الأنبياء اللَّه هُوَ أعظمُ مِنْ مقام آدم اللِه فِي قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَتَهِكَةِ السّجُدُوالِآدَمَ فَسَجَدُوا اللهُ (۱).

وَالرُّواية هِيَ: الحسن بن أبي الحسن الديلمي في إرشاد القلوب: _ بإسناده عَنْ موسى بن جعفر عَنْ آبائه للمِكِلُّا، عَنْ أمير المؤمنين للَّهِ أَنَّهُ قَالَ فِي جواب اليهودي، الذي سال عَنْ فضل الْنَّبِيِّ عَيَّا إِللَّهُ عَلَى سائر الأنبياء المِّكِثُ فذكر اليهودي أنَّ الله أسجد ملائكته لآدماليُّلا فَقَالَ النَّلاِ: وَقَدْ أعطى مُحَمَّدَ عَلَيْكِهُ أَفْضِلَ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنَّ الله صلَّى عَلَيْهِ، وأمر ملائكته أنْ يصلوا عَلَيْهِ، وَتَعَبَّد جميع خلقه بالصلاة عَلَيْهِ، إلى يَوُم القيامة، فَقَالَ جَلَّ ثناؤه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَكِ حَتَهُ لِيصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيُّ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿ ﴾ (٢) فلا يُصلى عَلَيْهِ أحدٌ فِي حياته ولا بَعْدَ وفاته، إلَّا صَلَّى الله عَلَيْهِ بذلك عَشْراً، وأعطاه مِنْ الحَسَنات عَشْراً، بكُلِّ صلاة صَلَّى عَلَيْهِ، ولا يُصَلَّى عَلَيْهِ أَمحُدٌ بَعْدَ وفاته، إلَّا وَهُوَ يعلم بذلك، ويَردُّ عَلَى المصلى السَّلامُ مثل ذلك لِأنَّ الله جَلَّ وَعَزَّ، جعل دعاء أمته فيها يسألون ربُّهم، جَلَّ ثناؤه، موقوفاً عَلَى الإجابة، حَتَّى يصلوا عَلَيْهِ عَيَّاللَّهُ.

⁽١) سورة البقرة: الآية ٣٤.

⁽٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

بتقريب: _ إنَّ الآية وَالرُّواية بيّنتا امتياز مقام الْنَّبِيّ الأعظم الْخَاتِم عَيَّالِيُّهُ مِنْ مقام آدم اللَّهِ مِنْ جهات عِدَّة: _

الجهة الأُولى: أنَّ صلاة الله تَعَالَى وملائكته فِي أعلى ملكوته، بينها سجود الملائكة لآدم فِي الأرض، أيّ فِي سلطان الملكوت مُقرَرُّ لخاتم الأنبياء، بخلاف سلطان الناسوت الأرضي.

الجهة الثَّانية: أنَّ فِي فضيلة الْنَبِيَّ عَلَيْ المختصَّة قَدْ جعل الله عَزَّ وَجَلَّ شؤون نفسه أوَّل المُصَلِّين عَلَى نبيّه، وأين هَذَا مِنْ فعل الملائكة، وَهُوَ تعظيم لشأن سيد الأنبياء عَلَيْلِهُ وما فوقه مِنْ تعظيم، وَذَلِكَ لكونه عَلَيْلِهُ باب أبواب رَبِّ العالمين.

الجهة الثَّالِثة: إنَّهُ جعلت الصَّلاة بصيغة الفعل المضارع المستمر (يصلون)، بينها في السجود لآدم جعل السجود بصيغة الفعل الماضي والمُنْصَرِم والمنقضي (فسجدوا) وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الفوارق، مَعَ أَنَّ مقام الخلافة مُقَرَّرٌ للنبي عَيَّالًا بالأصالة ولآدم الله التبع.

⁽١) مستدرك الوسائل للمحدث النوري ١٠٤٠ ج٥، ٣٣٢، ٣٣٣، ح١١/ ٢٠٢٠.

ثانياً: هُنَاك نصوص قُر آنية أكَّدت ونصّت عَلَى أَنَّ الْنَبِي عَلَيْهُ مُجَسّم الله تَعَالَى، وهكذا كُلّما الله تَعَالَى، وهكذا كُلّما صَلِّيْتَ عَلَى الْنَبِي عَلَيْهُ فَإِنَّهُ عَلَيْهُ فَإِنَّك ابتعدت عَنْ ذكر الله تَعَالَى، وإذا وحيّ، فإذا ابتعدت عَنْ الْنَبِي عَلَيْهُ فَإِنَّك ابتعدت عَنْ ذكر الله تَعَالَى، وإذا أردت أَنْ تقترب مِنْ ذكر الله اقترب مِنْ ذكر النَّبِي عَلَيْهُ هُو إِذَا قِيلَ لَمُمْ أَردت أَنْ تقترب مِنْ ذكر الله اقترب مِنْ ذكر النَّبِي عَلَيْهُ هُو إِذَا قِيلَ لَمُمْ اللهِ تَعَالَى اللهِ لَوْقُ أَرُهُ وسَعْمُ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُونَ وَهُم مُسَلّكُ مِرُونَ فَهُم اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الل

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ بابِ التوبة والأوبة إلى الله تَعَالَى تمامه ذكرٌ ووحيٌ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلْمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَأَسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ وَإَبَارَحِيمًا ﴿ اللهِ مَا اللهِ اللهُ اللهُولِي اللهُ الله

بتقريب: - أنَّ أوَّل وأهم شيء يقومون به هُو الإتيان إلى الْنَبِي عَيَّالُهُ لِأَنَّ المجيء إلى الله بنص القُرآن (جاؤوك) فاستغفروا الله بَعْدَ ذَلِكَ، ثمَّ تأتي شفاعة الْنَبِي عَيَّالُهُ واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً فَإنَّ الْنَبِي عَيَّالُهُ عَامِه ذَكْرٌ، والإغراق في ذكر الْنَبِي عَيَّالُهُ هُو إغراق في ذكر الله تَعَالَى وإغراق في وحي الله، وَمِنْ ثمَّ قرن الله ذكر النَّبِي عَيَالُهُ بذكره تَعَالَى كَمَا يشير إليه قوله تَعَالَى ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ الله ذكر النَّبِي عَيَالُهُ بذكره تَعَالَى كَمَا يشير إليه قوله تَعَالَى ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ

⁽١) سورة المنافقون: الآية ٥.

⁽٢) سورة النساء: الآية ٦٤.

ثالثاً: الإغراق فِي آل الْنَبِي عَيْلَهُ هُو أيضاً إغراقٌ فِي الْنَبِي عَيْلُهُ هُو السلفية يقولون هُو إغراق فِي وبالتالي هُو إغراق فِي الله تعالَى، وهؤلاء السلفية يقولون هُو إغراق فِي الصنمية ـ والعياذ بالله ـ وإغراقٌ فِي ذكر الحسين اللهِ وَنَحْنُ نقول هؤلاء: _ إنَّ الإغراق فِي ذكر النَّبِي عَيْلُهُ والإغراق فِي ذكر النَّبِي عَيْلُهُ هُو إغراق فِي ذكر الله، وَإِنَّمَ الصّنميّة فِي الابتعاد عَنْ ذكر الله، وَإِنَّمَ الصّنميّة فِي الابتعاد عَنْ ذكر النَّبِي عَيْلُهُ وذكر على وفاطمة والحسن الحسين المَا وَان تنوء عَنْ ذكر النَّبِي عَيْلُهُ وذكر على وفاطمة والحسن والحسين المَا وَعَلَيْهِ فَمِنْ تمام التوحيد والعبودية أنْ تداوم عَلَى ذكر الْنَبِي عَيْلُهُ وَالله هِي تمليل وتسبيح وتحميد.

وَهُنَاك رواية مضمونها: «أَنَّهُ أُجْلِس مؤمنٌ مِنْ قِبلَ منكر ونكير وأرادوا أَنْ يسألوه مَنْ ربك وَمَنْ نبيّك وَمَنْ إمامَك؟ قَالَ: _ اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، قالا _ الملكان _ كفى "''.

بتقريب: ـ أنَّ سؤال منكر ونكير كُلَّهُ فِي القبر يكتفى بالصلاة عَلَى عُمَّد وآل مُحُمَّد وسواء فِي سكرات الموت أو فِي البرزخ، أو عَلَى الصراط فَإنَّهُ ذكرٌ دائمٌ، وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ الحال كَذَلِكَ حَرَم السلفيون وغيرُهم أَنفُسَهم مِنْ رحمة الله الواسعة. وأُبلِسوا مِنْ رحمة الله بنأيهم عَنْ ذكر

⁽١) سورة الشرح: الآية ٤.

⁽Y)

الإشارات القرآنية للخواص ولطائفِهِ للأولياء النّبِي عَيْنَا وعلى وفاطمة والحسن والحسين المثين وبالتالي نأوا بأنفسهم عَنْ رحمة الله الواسعة، _أعاذنا الله وإيّاكم _ مِنْ هَذَا الخط والخط الأوكس.

طبيعة العلاقة بين قواعد منهج أمومة الولاية

على المحكمات في القُرآن

إنَّ أبواب وأساليب القُرآن الكريم في حين أنَّها متهايزة مَعَ قَواعِد الأسلوب الاستعمالي هِي كَذَلِكَ متداخلة فيها بينها وبينهها وحدة نظام، وعَلَيْهِ فالتفكيك والتمييز بين القَوَاعِد كَمَا هُوَ مطلوب في منهج قَواعِد تفسير القُرآن الكريم كانضباط منهجي ونظامي، ولكن مَعَ ذَلِكَ فَإنَّ الوقوف واكتشاف الارتباط بين القَوَاعِد أيضاً مطلوب.

واكتشاف الارتباط بين تلك القَوَاعِد لَيْسَ عَلَى صعيد سطح القَوَاعِد أو تداعياتها وآثارها بَلْ اكتشاف الارتباط حَتّى عَلَى مستوى وصعيد ذَاتَ مفاد تلك القَوَاعِد، وَهَذَا أمرٌ لَيْسَ بالسهل، وَحَتّى هَذَا المنهج الذي نَحْنُ فيه أيّ منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فَإنَّ التعمّق فيه وتفعيله عَلَى درجات.

وَنَحْنُ الآن فِي الخطوة الأولى ونشير فَقَطْ إلى بادرة الالتفات والاكتشاف إلى هَذَا المنهج، أمَّا تفعيله وَأَنَّهُ لَهُ طبقات وأطوار وأنهاط فلا زلنا فِي بداية الطريق، وربها تأتي بَعْض الأجيال القادمة مَنْ لَهُ القابليَّة عَلَى التعمّق فِي هَذَا المنهج بدرجات وأعهاق متطورة متكاملة وقويّة جدّاً وغاية ما نتعاطاه الآن هُوَ عمليات ابتدائيّة أو كبادئ أمر.

وَمِنْ الواضح أنَّ المُفَسِّر كُلّما تدرّب أكثر ومارس قَواعِد أكثر عَلَى هَذَا المنهج _ أيّ منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فِي القُرآن _ وصل إلى نتائج ومحطات مُهمّة وخطيرة جدّاً، ولا يظنن أحدُّ أنْ ما نثيره الآن هُوَ نهاية المطاف أبداً بَلْ هُوَ بداية المطاف والباب مفتوح والطريق مسلوك يحتاج إلى همم لطيّه.

مُضَافًا إلى أَنَّهُ تَقَدَّمَ فِي بحوث سابقة إلى أنَّ طبيعة العلاقة بين قَواعِد هَذَا المنهج _ أمومة الولاية عَلَى الْمُحْكَمات _ لا يمتنع أنْ يُدخِل عنوان باب معينة تحت أكثر مِنْ باب، فمثلاً بابٌ هُوَ فِي الأمثال لا يمتنع أنْ يَكُون نفس هَذَا الباب، باب حكمة وباب إحكام فمثلاً آية واحدة فِي باب المعارف يستفيد مِنْهَا الفُقَهاء حكماً فقهياً وَعَلَيْهِ لا تنحصر آيات الأحكام بخمسائة آية أو أكثر بَلْ أكثر مِنْ ذَلِكَ وأنَّ الفقيه كُلِّ الفقيه مَنْ يستطيع أنْ يستثمر آيات عديدة في أبواب عديدة للأحكام الفقهية، والعكس كَذَلِكَ فَإِنَّ الباحث في المعرفة والعقيدة لا يقتصر في بحثه عَلَى جملة مِنْ الآيات الظاهرة بدواً فِي العقائد حَتَّى فِي آيات الأحكام يستطيع أنْ يستل الباحث الملتفت والفَطِن مِنْهَا مطلباً عقائدياً وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ، لَقُرْءَانُّ كُرِيمٌ ١٠٠٠ فِي كِننبِ مَّكْنُونِ ١٠٠٠ لَا يَمَشُـهُۥ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ (١٠) ﴿ مِنْ أَنَّ الآية الْمُبَارَكَة وإنْ كَانَتْ الْمُرَاد بِهَا هُمْ أَهِلِ آية التطهير إِلَّا أَنَّهُ يمكن العبور والتعريض _ كَمَا مَرَّ فِي قَاعدِهَ الجري والتطبيق _ لغير

⁽١) سورة الواقعة: لاآية ٧٧_٧٩.

طبيعة العلاقة بين قواعد منهج أمومة الولاية

المعصومين مِنْ أهل آية التطهير لكنّها تجري بشكل مخفّف مَعَ عادي البشر، ويمكن أنْ يمسّ القُرآن بقدر ما أوتي مِنْ طهارة فِي الأخلاق، فإذا أردتَ أنْ تُبْصِر مفاد الآيات جيّداً فيجب عليك أنْ تُطهّر أخلاقك، وَكُلّما تطهِر أخلاقك أكثر فِي يوميات الإنسان تتنزل عَلَيْهِ مِنْ باطن القُرآن أمطار منعشة، مثلما نزول الأمطار يحيي الأرض بَعْدَ موتها فَإنَّ القلب أرض الرُّوح وأنَّ أرض العقل الإنساني لا تستطيع أنْ تستمطر مِنْ السَّمَاء إلَّا بقدرطهارته.

قاعدة الذكر بالمعنى الذي ذكرناه:

إنَّ قَاعدِة الذكر بالمعنى الذي ذكرناه عَلَى ضوء منهج أمومة الولاية غَيْر موجود فِي منهج تفسير القُرآن بالقُرآن الذي تَبنّاه السَّيِّد العلّامة الطباطبائي فَيُ وإنْ كَانَ السَّيِّد العلّامة يعترف بهذه الحقيقة، إلَّا أَنَّهُ لَمْ يُدْرِجُها فِي تفسيره، وكذلك غَيْر موجودة فِي باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى للقُرآن.

وَعَلَيْهِ فَقَاعِدِة الذكر بحسب منهج أمومة الولاية فيها صفات نظرية وصفات عمليّة، وإنْ كَانَ هُنَاك شخصاً أميّاً بحسب الظاهر ـ بأنْ لا يقرأ ولا يكتب ـ بأنْ لمَ يقرأ التفسير ولكنّه طاهر القلب والنفس والعمل فَإنّه يُبْصر مِنْ وصايا وأنوار الآيات والسور ما لمَ يُبْصره مفسر آخر يقرأ ويكتب وعنده اطّلاع عَلَى التفاسير، فلماذا القُرآن الكريم يكرم

٣٤٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني ذاك ويبخل عَلَى هَذَا؟

الجواب: يقول القُرآن الكريم هُنَاك شرط لابُدَّ مِنْ توفرها فِي المُفَسِّر لكي يُبصِر وصايا وأنوار الآيات والسور وَهِيَ طهارة النفس بطهارة إلهية قدسيّة مقدّسة، فَإنَّهُ بقَدَر طهارته وقدسيّته، ينهل مِنْ تلك الأنوار والوصايا ﴿ ذَلِكَ النَّكِ تَبُلَارَيْنَ فِيهُ هُدَى النَّعَينَ ﴿ اللَّهُ اللَّه

بتقريب: _ هداية مَنْ يُنادي بها القُرآن الكريم؟ هل هداية للمُقسِّرين بحسب الإحاطة النَّظَريَّة؟ كلا، هل هُوَ هداية للمُتقين، وربط التقوى كبرنامج عملي بينها وبين العلم بالكتاب والاهتداء به؟ كلا، وإنَّها هُنَاك نوع مِنْ ربط القُرآن أيّ طبيعة كتاب لا ينفصل فيه العمل عَنْ العلم ولا العلم عَنْ العمل فإنَّها متلازمان مُضَافاً إلى شرط آخر وَهُوَ العلم ولا الغيب فإنَّ الإنسان إذا لمَ يكن مؤمناً بالغيب لا يستطيع أنْ يلج بحور علوم القُرآن فَإنَّ علوم القُرآن محميّةٌ وقلعةٌ مُسَوَّرة بسياج كبير.

المعاني الأخرى لقاعدة الذكر:

مِنْ معاني قَاعدِة الذكر أَنَّ للقُرْآن طبقة صوتية خاصّة ورنين صوتي خاصّ ويشير إلى ذَلِكَ الْنَّبِيِّ عَلَيْكُ : "إِنَّ القُرآن نزل بالحُزن فإذا قرأتموه بكّوا، فإنْ لَمْ تبكوا فتباكوا»(٢).

⁽١) سورة البقرة: الآية ١ _ ٢.

⁽٢) بحار الأنوار: ج٧٩ ص٧٤٧، ح٢٦.

إذَنْ القُرآن لَهُ تجويد ذكري لا تجويد الأهازيج أو التواشيح وَإِنَّمَا تجويد ولحن صوتي خاص يُسَمَّى باللحن الذكري، وتقدّم إلى أنَّ عُلَمَاء التجويد لَمْ يكتشفوا التركيب النحوي ولا الصرفي ولا اللغوي ولا الاشتقاقي ولا البلاغي ولا ... الخ الَّتِي يستعملها القُرآن الكريم، فَإِنَّ لهذه التراكيب المذكورة الَّتِي يستعملها القُرآن الكريم صفة ذكر خاصة، وَعَلَيْهِ فَيكُون المذكورة الَّتِي يستعملها القُرآن الكريم صفة ذكر خاصة، وَعَلَيْهِ فَيكُون التركيب النحوي في شعر الرَجَز، التركيب النحوي في القُرآن الكريم غيرُها في باقي العلوم وهكذا باقي التراكيب الأُخْرَى فِي القُرآن الكريم غيرُها فِي باقي العلوم الأُخْرَى.

الفرق بين نداء القرآن

وعرض أصحاب علم الهندسة الصوتية:

هُنَاك فرق مهم جدّاً ينبغي ملاحظة هَذَا الفرق عَلَى الباحث المتبع بين نداء القُرآن الكريم وبين عرض أصحاب علم الهندسة الصوتية، فَالقُرآن يُناديهم بأعلى صوته صريحاً يا أصحاب علم الهندسة الصوتية والملحنين لماذا لا تصدرون وتبثّون ورود الكمال والأزهار الجميلة ذو الرائحة العَطِرَة الطيّبة إلى البشر، وَإِنَّما فَقَطْ تبثّون وتضخّون ورود الجفّة والاستخفاف والمجون واللاعقلائية للبشر كالغناء والرقص وكلّ ما تُبتذل به كرامة الإنسان ويترتب بالتالي عَلَى بثّ هكذا حالات جنونية نوع مِنْ الهيجان واللاستقرار عكس ما يبتّه القُرآن الكريم، جنونية نوع مِنْ الهيجان واللاستقرار عكس ما يبتّه القُرآن الكريم،

لقارئه ومتدبره ومتأمله مِنْ سكينة وطمأنينة وهداوة وثقل، فَالقُرآن الكريم حَتّى إذَا أراد أنْ يبث قضية فيها جانب إثارة شهويّة وجنسيّة أو غضبيّة أو ... الخ فَإنَّ هَذَا مرتبط بجانب المعاني القُرآنيّة والبلاغيّة والادبية فَإنَّهُ يستعرضها بذكر عِبْرَة وطمأنينة وسكينة لا بشكل مجوني مبتذل _ والعياذ بالله _ وَالقُرآن الكريم إنَّما يسلِّط الأضواء في عرض هكذا قضايا عَلَى الجانب النوري فيها لا عَلَى الجانب الشهوي فَإنَّهُ مبتذل وحقير وأمَّا الجانب النوري والرباني فَهُوَ عظيم الذكر.

⁽١) سورة الرحمن: الآية ١٠.

⁽٢) سورة الرحمن: الآية ١١.

⁽٣) سورة الرحمن: الآية ١٢.

⁽٤) تفسير البُرهان للسيد هاشم البحراني: ج٧٧، مج٧ ص٣٨٣، ٣٨٤.

القُرآن الكريم بَعْدَمَا تحدّي البلاغيين والنحويين واللغويين والشعراء والأدباء و... الخ والكفَّار بَعْدَمَا عَجِزوا عَنْ التعرف عَلَى نظام الذكر وحقيقته لِأنَّ التعرُّف عَلَى نظام الذكر وحقيقته يحتاج إلى إنسان طاهر مُطهِّر مُتطهِّر، كَمَا تَقَدَّمَ ـ فَقَدْ حاول الكفَّار والمشركون بَعْدَ عجزهم عَنْ وصف الذكر لأنَّهم تارة وصفوه بأنه أضغاث أحلام، وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَأُخْرَى وصفوه بأنه افتراء أيّ أسلوب قصصى رواثى مختلف فيه، وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ إِذْ لَيْسَ القُرآن بشعر لأنَّهم قالوا ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾(١) بتقريب: _ أن القرآن ليس بشعر فإن بين القرآن والشعر بون كبير، فإن الشعر في هيئة الكلام يعتمد على أوزان وفي المضمون يعتمد على المخيّلة فإن أعذبه أكذبه، وعليه فإن الشعر يعتمد على قوّة الخيال بخلاف القرآن فإنه يعتمد على أوزان قاعدة الذكر، تحدّي علماء النحو والصرف واللغة والاشتقاق والشعر و ... الخ على أنْ يكتشفوا قواعد علم الذكر، ومن آيات تأثير الذكر القرآني وافتراقه عن الموسيقي والشعر والغناء وأيّ خطاب فكرى آخر أنه لا يُثير القوى الغريزية بانفلات عن سيطرة العقل وهيمنة الحكمة ولا يُميتُها جامِدَة، بل يُثيرها موجهةً هادفةً، كما أنه لا يُعَيِّش الإنسان في جوِّ واحد غير متوازن ومتعادل مع أجواء أخرى بل يعبر به الي عوالم أخرى كثيرة متنوِّعة متوازنة.

⁽١) سورة الأنبياء: الآية ٥.

٣٤٨..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

تنبيه: كُلِّ سورة فِي القُرآن الكريم لها وزن مُعيّن ولها تفعيلة خاصّة، فمثلاً سورة القمر لها قافية معيّنة، والمدثر كَذَلِكَ لها قافية ونغمة صوتيَّة وذكريَّة خاصَّة بها، وهكذا باقي السور فَإنَّ لِكُلِّ سورة لها وَقْعٌ فِي أوزان مُخْتَلِفَة، إِلَّا أَنَّهُ إِلَى الآن لَمْ تكتشف هَذِهِ الأوزان، وَلَمْ يكتشف النظام الرابط لها هل هُوَ نظام نثر مُسَجّع أو غيره، فالوليد بن المغيرة كَانَ أديباً كبيراً في قريش، قَالَ لأصحابه في الفن: _ مِنْ الخطأ أنْ تحكموا عَلَى القُرآن بأنَّه شعر ولا نوحٌ ولا نياحة ولا رواية قصصية لِإنَّهُ لا يمكن أنْ تقولوا إنَّ الصادق الأمين مُحمَّد عَيَّا اللهُ جُنَّ أو صار عنده حالة هذيان في الكلام ـ وحاشاه مِنْ ذَلِكَ ـ وبالتالي فَإنَّ المغيرة قَالَ لهم أحكموا عَلَى القُرآن بأنّه سحر وَمَعْنَى السحر يعني إنَّهُ مؤثر ولا تهتدي إلى سبيله ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَنَى ﴾(١) ﴿ فَأَلْقَلْهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿ اللَّهُ ﴿ (١) وَمَعْنَى الإفك معناه الكذب والتخيّل والخداع.

وفيه: هل أنَّ كُلِّ مؤثِّر لا تهتدون إلى سبيل تأثيره يَكُون سحراً؟ الجواب: ـ كلا.

لذلك إلى الآن يتمتّع القُرآن بجانبه الإعجازي في البلاغة والأدب وَاللَّغَة والصرف و ... الخ، والمقصود أنَّهُ يتمتّع القُرآن بكُلِّ جوانب نظام الاستعمال اللفظي في القُرآن وَلَمْ تكتشف لحدّ الآن ولا أحد

⁽١) سورة طه: الآية ٦٩.

⁽٢) سورة طه: الآية ٢٠.

يستطيع أنْ يدّعي أنَّهُ أحاط بمنظومة نظام أوزان وتفعيلات الآيات القُرآنيّة، صحيح ندرك بَعْض تفعيلات السور كسورة القمر والمدّثر و ... الخ.

ولكن الكلام في ما هُوَ هَذَا النظام الْمُنسِّق بينها الذي يُعطيك نغمة ذكرية لا نغمة مجونيّة هيجانيّة لِأنَّ الشعر دائهاً فيه حالة خفّة ومجون وهزهزة للمشاعر إلَّا ما كَانَ مِنْهُ فِي حقَّ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الشعر فِي الحقّ غَيْر ذكر القُرآن وَهُوَ دون ذُكريّة القُرآن، وَهَذَا يعتبر بُعدٌ آخر مِنْ أبعاد قَاعدِة الذكر فِي القُرآن الكريم، وَالَّتِي تنفتح عَلَى أصعدة متعدِّدة فِي نظام الاستعمال اللفظى وكم كتب عُلَمَاء البلاغة والنحو والصَّرف وَاللُّغَة فِي مجالاتهم إلَّا أنهم إلى الآن ما وصلوا إلى قَواعِد الذكر فِي القُرآن فِي هَذِهِ الأبعاد، فمثلاً علم المعاني في القُرآن الكريم ثمرته الذكر إلَّا أنَّ نظام قواعده غَيْر معلومة، وهكذا علم البيان فِي القُرآن فيه استعارات ومجازات ولكن فِي أيّ نظام؟ فَهِيَ إلى الآن غَيْر مُكتشفة وإنْ كَانَتْ هُنَاك تحليلات كثيرة مسطورة في التفسير لكنّها بشكل متناثر وَلَيْسَ بشكل نظام مترابط وحدوي بين هَذِهِ الأبحاث، بحيث نكتشف قَواعِد هَذَا العلم، وإذا استطعنا أنْ نكتشف قواعده إذَنْ استطعنا أنْ نأتي بمثل القُرآن وَهُوَ مستحيل أنْ يأتي المخلوق بمثل ما أتى به الخالق، فمثلاً القُرآن يستعمل الجناس اللفظي ويستخدم البديع لكنّه لا يورث دغدغة الخيال ومشاغبة الوهم وهزهزة العاطفة و ... الخ بخلاف ما يؤثّره

٣٥٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

الذكر مِنْ إثارة الذي مِنْ علامته الوقار والسكينة والعقلانيّة ورجحان العقل وتوازن الغرائز ومكرمات الأخلاق وَعَلَيْهِ فَإِنَّ طبيعته ـ الذكر ـ هِيَ نظام خاص.

كيفية اكتشاف قواعد الذكر:

إنَّ أحد جوانب سِرِّ إعجاز القُرآن إلى الآن هُوَ عدم اكتشاف قواعِد الذكر فِي النظام الاستعمالي واللفظي فَإنَّ فيها بلاغة وفصاحة وبيان و ... الخ إلَّا أنَّها تجتمع فِي أنَّهُ ذكر القُرآن يوجب ويُسبب تفجّر المعلومات المدفونة فِي عقل الإنسان الباطن لإنَّهُ ذكر كَمَا يقول أمير المؤمنين المنافي : «فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبيائه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكّروهم منسي نعمته ويحتجّوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول ... "() وَهَذِهِ الفطرة الَّتِي هِيَ شبيهة إلى حدٍّ ما بالذاكرة الكمبيوتريّة والقرص النوري فيه ما شاء الله مِنْ المعلومات الهائلة والحقائق الكثيرة، ولكن السؤال الأهم في المقام هُوَ: _

كيف يُفَعَّل هَذَا الخزين مِنْ المعلومات؟

الجواب: لا طريق لفتح هَذِهِ الملفات والاستفادة مِنْهَا إلَّا عَنْ طريق الذكر، فَإنَّ الذكر هو مفتاح كهال الإنسان، والذي يولِّد الذكر هُوَ

⁽١) نهج البلاغة، الخطبة الأُولى، بحار الأنوار: ج١١، ص٦٠.

بتقريب: _ إنَّ الصفة الأولى هِيَ أنَّ القُرآن فيه ذكر وَهِيَ علامة كَمَالُ واستقامة وبعبارة أُخْرَى: _ إنَّ أيِّ علم مِنْ العلوم الَّتِي يمكن للبشر الاستفادة مِنْهَا إنْ أُحدِث فيه ذكر فَهُوَ كمال، وَإلَّا فَهُوَ تردي وهلاك.

والخلاصة: إنَّ صهام أمان القُرآن إنَّهُ ذكر مُبين وصهّم نبوّة سيد الأنبياء عَلَى اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ الرُّواية هُوَ الذكر وبواسطته يميّز النَّبِيّ الأكرم عَلَى الآي مِنْ الله تَعَالَى هل هُو ملك أم شيطان، فَإنَّ معرفة الملك تتميّز مِنْ خلال الوقار والسكينة يعني الذكر، بينها الشياطين ـ والعياذ بالله ـ تأزُّهم أزَّا أيّ تفزّهم، فمثلاً مِنْ حبائل وطرق الشيطان الموسيقى الماجنة فَإنَّها دائماً تتصف بحالة جنونيّة واضطراب وطيش وانفلات الماجنة فَإنَّها دائماً تتصف بحالة جنونيّة واضطراب وطيش وانفلات وعبثيّة واللاهدفيّة، بخلاف قاعدة الذكر، فَإنَّها وقار وسكينة، ولذا تعتبر قاعدة الذكر معلم رئيسي في كُل أصعدة وَقُواعِد وأنظمة القُرآن الكريم في النظام الاقتصادي في القُرآن فَإنَّها تولِّد الذكر ﴿وَكُوا وَاشْرَهُوا وَلاَ وَلَا مَنْ فَإِنَّا مَا لاَ المَالِمُ المَالِمُ الإسراف في النظام التجاري لمُ تصبح هُنَاك أزمة ماليّة في العالم، وَعَلَيْهِ فذكر نظام مُعيّن يولِّد الذكر، تصبح هُنَاك أزمة ماليّة في العالم، وَعَلَيْهِ فذكر نظام مُعيّن يولِّد الذكر،

⁽١) سورة يس: الآية ٦٩.

⁽٢) سورة الأعراف: الآية ٣١.

٣٥٧..... تفسير أمومة الولاية والمُخكَمات ـ الجزء الثاني وآنذاك لا يفتح الباب أمام الانخراط في نزوات الغرائز والحروب الطاحنة فَإنَّ الذكر يوجب للإنسان أرعواء.

الذكر نظام في العلوم يوظفها إلى الكمال

قاعدة الذكر: قاعدة استراتيجية

أو ناظوم لعلوم التفسير وميزان معادلي:

هُنَاك علم يُسمَّى بعلم الاستراتيجيات أو علم إدارة العلوم ووظيفة هَذَا العلم هُوَ تنظيم عمل وخطوات الباحث فِي أيّ علم مِنْ العلوم، فمثلاً: البحث أو المتعلِّم الكريم بدلاً أنْ يخوض فِي أيّ علم مِنْ العلوم كالفيزياء أو الكيمياء أو الأحياء أو الهندسة الفضائية أو ... الخ بنحو لا هادف وعبثي ولا يدري إلى أين يصل، فإذا تَعَلَّم علم إدارة العلوم والاستراتيجيات فَإِنَّهُ يُنظم لَهُ خطوات انتقاله وسيره نحو النتيجة العلميَّة المنضبطة بقواعد رصينة، فَإنَّ كثيراً مِنْ الجامعات والكُلّيات والمعاهد بمختلف أقسامها وتخصصاتها تطلب التنسيق مَعَ النقابات والمعاهد العلميّة العالمية حول بيان وتعلّم الاحتياجات الحقيقية لتوظيف العلوم المختلفة مِنْ طب وهندسة وكيمياء وفيزياء وحاجة المجتمع الماسّة لها لا أَنَّهُ تُدرَّس العلوم كيفها اتَّفق وكيف ما شاء، وما فائدة طرح دراسة تخصصيَّة حول نظرية محضة وتجريدية لا مسيس لها بالواقع المعاش، علماً أنَّ حاجة المجتمع الماسَّة إلى غيرها، فمثلاً صحيح أنَّ المجتمع يحتاج إلى

بناء نظام اقتصادي جيّد يعتمد عَلَى تطوير نظام وآليات الزراعة مثلاً، وهكذا ازدهار التجارة تحتاج إلى تطوير القابليات، وازدهار علم النفس يعني ينبغي تطوير آليات المجال النفسي في المجتمع، وهكذا ازدهار الجانب الأمني في المجتمع يحتاج إلى ازدهار القوّة العسكرية وتطويرها وهكذا.

إلا أنَّ هَذَا لا يتحقق إلا ببناء مؤسسات وإجراء موازنة ومعادلة بينها فإذا حصل إفراط وتفريط وتضخّم في جانب معيّن كالطب أو الجانب العسكري أو الجانب الأمني أو المالي أو ... الخ وَهُنَا يأتي دور القَاعِدة الاستراتيجية وإدراة العلوم وإجراء الموازنة فيها بينها وكهال العلوم أنْ تصب في الهدف النهائي لا أنَّ كهالها تذهب مستقلة منفردة بحيال نفسها بلغ الأمر ما بلغ، وَإِنَّها لابُدَّ مِنْ موازنة وإنْ لمُ تكن هَذِهِ الكهالات متوفّرة في مجتمع واحد، وَإِنَّها مجتمعات البشر تكمّل بعضها البعض، ولكن بالتالي تحتاج إلى موازنة سواء كَانَتْ في مشرق الأرض أو مغربها وفي أيّ صقع مِنْ أصقاع المعمورة.

الذكر: هو أحد معاني أشهر أنك تلوت الكتاب حق تلاوته:

أحد أهم الأوصاف الَّتِي تميّزَ بها المعصوم اللهِ عَنْ غيره ما وَرَدَ فِي زياراتهم «أشهد أنَّكَ تلوت الكتاب حقّ تلاوته» فما مَعْنَى حقّ تلاوته؟ هُنَاك معانٍ مُتعدِّدة أحد أهم مفاهيمها هُوَ أنَّ الذكر أيّ ذكر تلاوة الآية

ولذا الخوارج كانوا أيضاً يتلون الكتاب ويتمسكون به، ولكنَّهم كَمَا قَالَ أمير المؤمنين لليَّلِا: «يتظاهرون بحجج (الدِّين) عَلَى أوليائه» (١٠ أيّ ضد سبيل الله وضد أولياء الله، فَإنَّ مثل هَذَا لَيْسَ ذكر.

وينبغي أنْ نُحَدِّر أنفسنا مِنْ الوقوع به _ والعياذ بالله _ فَإِنَّ الإنسان قَدْ يَكُون عنده علم ديني ولكنّه يوظّفه لضعضعة وهدم الدِّين _ والعياذ بالله _ لا لنصرته، وَهَذَا مِنْ أشكل المتشابهات فبدلاً أنْ تتنامى عِنْدَ الإنسان حالة الذِّكر والأوبة إلى الله فَإِنَّهُ يشغل نفسه وعبادَ الله بإفراط وتضخيم وبُعد غَيْر متوازن مَعَ الصراط المستقيم، وإنْ كَانَ هَذَا وجه أكمل ولا يَتِمُّ إلَّا بهداية المعصوم إلَّا أنَّهُ ما لا يُدْرك كُلَّهُ لا يُترك كُلَّهُ

ولذا:

يفترق تفسير المعصوم عليه السلام عن غير المعصوم:

إنَّ تفسير المعصوم اللهِ دائماً حيوي وغضٌّ نضر ومؤثِّر، بينها تفسير غَيْر المعصوم مِنْ الْمُفَسِّرِين مُجُرَّد بحوث تنظيرية تجريدية وآفاق بعيدة عَنْ المسيرة والواقع المعاش؛ ولذا عِنْدَمَا سُئلَ الْنَبِيِّ الأكرم عَلَيْلَهُ مثلاً عَنْ علم

أنساب العرب علماً أنَّهُ لَيْسَ بقليل الأهميّة - فَقَالَ عَلَيُّ : - «فذاك علم لا يضرُّ مِنْ جهله، ولا ينفع مِنْ علمه »(۱) عَنْ الإمام الكاظم اللهِ: «إنَّما العلم ثلاثة آية محكمة، أو فريضة عادلة أو سنة قائمة، وما خلاهن هُوَ فضل »(۲).

بتقريب: أنَّ الْنَبِيّ الأكرم اللَّهِ أَكَّدَ عَلَى وجود علوم أساسية ومركزيّة وبنيويّة هامّة وخطيرة وَأَكَّد اللَّهِ عَلَى أهميّة التمركز حول المركز أو ما يصبّ في المركز، والابتعاد عَنْ كُلّ ما لَهُ هاجس التشتت والتوغّل والتباعد في التفاصيل فإنها لا تقودك إلى المنظومة المركزيّة - أيّ التعمق وإنْ كَانَ التعمّق في بَعْض الموارد مذموماً.

إلَّا أَنَّهُ كيف نوفِّق بين التعمّق الذي تستخدمه الآن في الحياة العصرية بمعنى التدقيق كيف يَكُون مذموماً؟ وبين ما وَرَدَ فِي الرواياتِ مِنْ أَنَّ التعمّق دائماً مذمومٌ حَتّى فِي الفكر، فكيف التوفيق بينهما؟

أمَّا التعمَّق المذموم في الفكر كالتعمَّق في علم التفسير والعلوم الأُخْرَى بمعنى أنْ تتعمَّق وتدخل في التفاصيل، بَلْ وتفاصيل التفاصيل، وهكذا وتضيع البُنى الأساسيّة وتَفْلُت زمام الأُمُور وعدم الوصول إلى نتائج علميّة مرضيّة منضبطة وَإنَّما يصل إلى عكسها وَإلى اللاهدفيّة، وَهَذَا إسرافٌ في أعمال القوى الفكريّة في أُمُور تافهة، فمثلاً

⁽١) بحار الأنوار: ج١، ص٢١١.

⁽٢) الكافي: ج١/ ٣٢، عنه بحار الأنوار: ج١، ص٢١١ كتاب العلم.

الذكر نظام فِي العلوم يُوظِّفُها إلى الكمال

لا تتعمق في الوضوء وكيفيته، فبدل أنْ تتعمق في الوضوء وتركِّز عَلَيْهِ رَكِّز عَلَيْهِ رَكِّز عَلَيْهِ رَكِّز عَلَى الله تَعَالَى يُحِب معالى (١) الله تَعَالَى يُحِب معالى (١) الأُمُور ويكره سفاسفها وأنَّ التعمّق يجر صاحبه إلى ارتكاب سفاسف الأمور إذَا لَمْ يكن هَذَا التعمّق مبتنٍ عَلَى ضوابط علميّة ذِكْريّة، وبخلافه فَإنَّهُ يؤدِّي إلى معالى الأُمُور.

وأمَّا التعمَّق غَيْر المذموم: _ بمعنى المداقّة وتمركز النظر حول المحاور الأصلية وجعل بوصلة الفكر تتمركز حولها والغور والفحص حول ذَلِكَ فَهَذَا ممدوح وبصيرة نافذة.

المفسر الناجح من يستطيع التمييز بين الآية الأم وغيرها بل اكتشاف مجموع الآيات التِي تشكل نظام

ومنظومة الأمومة في القرآن

ونظام المنظومة في القُرآن عبارة عَنْ مجموعة أعمدة وحلقات نظام وطبقات منظومة، وَهَذَا أفق عظيم في التفسير تتباعد عنده سائر المناهج التفسيرية كالتفسير الموضوعي والتنزيلي، وأسباب النزول و ... الخ ولا يكفي لإصابة الحقيقة والهداية الَّتِي هِيَ واسعة ومترامية الأطراف، والَّتِي يكشفها لنا القُرآن الكريم ويوقفنا عَلَيْهَا ـ أنَّ تبرز أَيُّهَا الباحث أو

(1)

المُفَسِّر آية قرآنية وتتمسَّك بها وتتبعها كيف ما اتَّفق، بَلْ لابُدَّ مِنْ التمييز بين الآيات مِنْهَا ما هُوَ أُمُّ فِي القُرآن، وبين ما لَيْسَ بأُمِّ ﴿ هُوَ ٱلَّذِي َ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِئْبَ مِنْهُ ءَايَكُ مُّكَمَّدَ مُنَّ أُمُ ٱلْكِئْبِ وَأُخُر مُتَشَلِهِ مَنْ أَمَّ ٱلَّذِينَ فِي عَلَيْكَ ٱلْكِئْبِ مِنْهُ ءَايَكُ مُّكَمَّدَ مُّكَمَّدَ هُنَّ أُمُ ٱلْكِئْبِ وَأُخُر مُتَشَلِهِ مَنْ أَمَّ ٱلَّذِينَ فِي عَلَيْكَ ٱلْكِئْبِ مِنْهُ ءَايَكُ مُتَكَامِنَ مُعَمَّدَ مُنَا اللَّذِينَ فِي عَلَيْكَ الْكِئْبِ مِنْهُ مَا اللَّهُ اللَّذِينَ فِي الْمُؤْمِدِ وَنَيْعُ ... ﴿ اللَّهُ اللَّ

فلا يغرنك أنَّ كُلِّ الآيات قرآن، وَإِنَّمَا الحَقِّ الَّذِي يُتبع هُوَ الآية المُحكمة لا المتشابهة ولا يكفيك أنْ تتمسَّك وتؤمن بِبَعْض الكتاب دون بعض ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿ آ ﴾ (١) . بتقريب: - أنَّ إيهانهم فيه تبعيض ﴿ اَفَتُوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِكْبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ ﴾ (١) فَإِنَّ اللازم هُو التمسّك التمسّك ببعض الآيات والحجج لا يكفي وَإِنَّمَا اللازم هُو التمسّك بمجموع المنظومة القرآنية؛ ولذا القُرآن يشترط في الهداية والعلم والرشد والنجاة لَيْسَ فَقَطْ صرف أصل الانتساب إلى القُرآن فَإِنَّ هَذَا لوحده لا يكفي، وَإِنَّمَا يشترط القُرآن فِي الهداية والعلم والطريقة أُمُور عديدة: _

مِنْهَا: ما يركّز عَلَيْهِ منهج أمومة الولاية والمُحْكَمات في التفسير بكُلِّ تفاصيله، ولا يكفي المُفَسِّر أنْ يَكُون صاحب منهج تفسيري وحسب، كلا وَإِنَّمَا الأمر أبعد مِنْ ذَلِكَ _ وإنْ كَانَ الله يعطيك أجر ما

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٧.

⁽٢) سورة الحجر: الآية ٩١.

⁽٣) سورة البقرة: الآية ٨٥.

الذكر نظام فِي العلوم يُوظِّفُها إلى الكمال عملت _ ولكنه هَذَا لَيْسَ هُوَ كُلِّ شيء، لِإِنَّهُ إِذَا أُردتَ أَنْ يَكُون لديك منهاجاً تفسيرياً قيّماً فَلابُدَّ مِنْ مُراعاة ضوابط أُخْرَى يذكرها لك القُر آن وَهُوَ التمييز بين ما هُوَ أُمٌّ وبين ما لَيْسَ كَذَلِكَ ﴿وَمَا يَعْـلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾(١). و ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَامُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّآةُ غَدَقًا (١) ﴿ إِنَّا هُنَاكَ طريقة ومنهاج مستقيم ﴿ وَهُدُوٓ أَ إِلَىٰ صِرَطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (٣) وَهُنَاكَ طريق مُعْوَّج _ والعياذ بالله _ ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (٤) ولأجل الثبات عَلَى الطريق المستقيم هُوَ أَنْ تأتي بالشرائط الَّتِي ركّز عَلَيْهَا منهج أمومة الولاية عَلَى الْمُحْكَمات فِي التفسير، وَهَذَا لوحده، أيضاً غَيْر كافٍ ما لَمْ يُضمّ إليه الثقل الثَّانِي ﴿ لَّا يَمَسُمُ وَ إِلَّا ٱلْمُطَهِّرُونَ ١٠٠٠ ﴾ (٥) وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أمومة الولاية مثلها هِيَ أمومة الْمُحْكَمات هُنَّ أم الكتاب، كَذَلِكَ هِيَ أمومة ومرجعية للراسخين في العلم والمطهرين هُمْ أهل بيت الْنَبِي عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْمَدُ لِلْذُهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْمَيْتِ

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

وَيُطَهِّرُكُو تَطْهِيرًا ﴾(١).

⁽٢) سورة الجن: الآية ١٦.

⁽٣) سورة الحجّ : الآية ٢٤.

⁽٤) صورة الصافّات: الآية ٢٣.

⁽٥) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

⁽٦) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

٣٦٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني علاقة قاعدة الذكر بمنهج أمومة الولاية على المحكمات:

إنَّ صلة قَاعدِة الذكر بمنهجنا التفسيري المختار أمومة الولاية عَلَى المُحْكَهات يكمن فِي أَنَّ علوم القُرآن كثيرة وَقَواعِد تفسير القُرآن كذلِك، ولكن يجب أَنْ يَكُون هُنَاك نسق منظومي فِي قَواعِد القُرآن وعلومه يصبّ فِي الهدف ويُراعي خارطة الهدف العالي، فإذا سلك المُفسِّر هَذَا الطريق نجح وفلح وَإلَّا أيّ إذَا لَمْ يُراَعِ ذَلِكَ فَهُوَ قَدْ أتعب نفسه وبذل جهداً فِي تفسير آيات القُرآن و وجزاه الله خيراً و إلَّا أَنَّهُ لَمْ يتوخَّ؛ الأكمل وما هُو روح القُرآن ولُبابه وأم كيانه وقوامه فِي هدى القُرآن وتفسيره الذي أحد قواعده ما نَحْنُ بصدد بحثه، وَهِيَ قَاعدِة الذكر؛ فَإنَّ لقاعدة الذكر موقع قدم لها ظلال تضفي به عَلَى كُلِّ قَاعدِة وَعَلَى كُلِّ علم على علم مِنْ علوم التفسير وتوظّفه نحو اكتشاف ما هُوَ أم قوام القُرآن الكريم.

فائدة جانبية: ذكرنا أنَّ قَاعدِة الذكر لها ظلال تضفي بهِ عَلَى كُلِّ قَاعدِة وعلم و ... الخ إلَّا أنَّه ينبغي التنبيه والالتفات إلى أنَّ أهمية أي قاعدِة تكمن فِي أنَّها تصبّ فِي الإفادة الجدوائيّة الهامّة، وما هُوَ مركزي وأساسي ومحوري وقطبي، بخلاف ما إذَا كَانَ التدقيق _ وإنْ كَانَ التدقيق في العلوم جيد إذَا كَانَ عَلَى أساس المسائل الأُمِّ والمحوريّة والمركزية _ فِي العلوم جيد إذَا كَانَ عَلَى أساس المسائل الأُمِّ والمحوريّة والمركزية _ فِي اللبنات الصغيرة وأجزاءها، فَهذَا بحث فاشل وعاطل، لأنَّ الاشتغال بالتفاصيل وبتفاصيل التفاصيل القشرية والسطحية لا جدوائيّة فيه، كَمَا فِي مثل مبحث الاستصحاب فِي علم الأصول، فَإنَّهُ _ بحث الاستصحاب ـ

مهم وجيّد، ولكنَّ الخوض في شقوقه وتفاصيله ولَعَلَّ البعض لا واقع لَهُ وَإِنَّهَا مُجُرَّد فرضي ومُحتمل، وهكذا الدخول والخوض في مثل مبحث شقوق الخلل في الصَّلاة وتفاصيلها فَإِنَّهُ لا جدوائيّة في الخوض في مثل هكذا مباحث، وهكذا ما صنعه الفخر الرازي في كتبه الفلسفية مِنْ الخوض بشكل مفرط في بَعْض المباحث كمبحث التسلسل وأدلّته وتسلسل التسلسل وهكذا، فَإِنَّ الخوض فثي مثل هكذا تفاصيل لن تُحُنك الملكة العلميّة بشكل مُركّز عِنْدَ صاحبها، وَإِنَّهَا عليك أنَّ تركّز عَلَى القَوَاعِد الأساسية، أمَّا تطبيقاتها وتشقيقاتها فذاك شيء آخر.

فَإِنَّ اللَّبابِ أهم مِنْ القشور، أيّ أنَّ مركزية كُلِّ علمٍ أهم مِنْ الخوض في فروعه وتفاصيله.

ولكن نسأل: _ هل أنَّ عُلَمَاء أيِّ علم مِنْ العلوم يتواصّون فيها بينهم عَلَى أنْ يبلوروا ضابطة تقيهم سفاسف الأُمُور وقشورها الَّتِي تبعدهم عَنْ المركز وَعَنْ الأُسس؟

الجواب: إنَّهُ مِنْ النادر مَنْ يبحث هَذَا الأمر مَعَ أَنَّهُ أمر مصيري، فكثير مِنْ الأبحاث العلميّة حَتّى يومَنا الحاضر بذلوا عَلَيْهَا الأموال الطائلة، ولكن بَعْدَ ذَلِكَ رأوا أنَّها ليست هِيَ المتوخّاة، ولذا أغلقوا ملفها ورجعوا مِنْ البداية ورسم خارطة جديدة.

ولذا هُنَا تأتي أهميّة وفائدة استراتيجية العلوم أو إدارة العلوم ورسم الخارطة مِنْ أوَّل الأمر وقبل الخوض فِي تفاصيل البحث، وَهَذَا هُوَ فِي الواقع قَاعدِة الذكر، فَلَيْسَ مِنْ الصحيح أَنْ تفتح الباب أمام أيّ باحث وَيُقَال لَهُ سِرّ فِي غور ظل وحي الله وَلَيْسَ معلوماً أَنَّهُ يصل إلى نتيجة مُرْضيّة فِي آخر بحثه أو لا؟

والصحيح ببركة قَاعدِة الذكر هُوَ رسم خارطة مُتكاملة للبحث العلمي تبتدأ بمعالي الامور مِنْ قَاعدِة الهرم إلى أعلى نقطة فيه.

ولذا نلاحظ توصية الوحي وَالدِّين مُركِّزة عَلَى قَاعدِة الذكر ولما لهذه التوصية مِنْ تأثير، فمثلاً الروايات الواردة تقول: «الفقيه كُلّ الفقيه مَنْ ذكرك الله كلامُهُ وهديه وعلمُه».

بتقريب: أنّه كب على الفقيه أنْ يوظّف علم الفقه بها فيه جدوائية ومنفعة عامّة ومركزيّة ذكريّة، وهكذا السائس كُلّ السائس الحاكم السياسي - مَنْ يُحيي ويُنشّط ويُفعِل حالة الذكر والإرعواء الذكري للمجتمع، لا أنّ يُنشّط في رعيته جنبة الإفراط الشهويّة في تلبية حاجات الغرائز، لا مانع مِنْ أنْ يلبيها بشكل متوازن فَإنّه لا يصادم حالة الذكر، أمّا الإفراط في جنبة معيّنة كالثقافة الاستهلاكيّة في الاقتصاد الرأسهالي أو الفلسفة الرأسهالية أو الفلسفة الرأسهالية أو الفلسفة الرأسهالية أو الفلسفة الرأسهالية أو الفلسفة الرأسهالية، فَهَذَا يؤدِّي إلى نتيجة سلبية وسيئة إذَا لَمْ يكن السير متوازناً، فالباحث الاقتصادي إذا لمَ يكن عَلَى صلة بقاعدة الذكر فَهَذَا الانقطاع عَنْ قَاعِدِة الذكر يشكِّل أحد أخطر الأُمُور الَّتِي الذكر فَهَذَا الانقطاع عَنْ قَاعِدِة الذكر يشكِّل أحد أخطر الأُمُور الَّتِي السوق متوازناً وبسياسة معيّنة وبالتالي يَكُون مِنْ السهل عنده ولا مانع مِنْ أنْ يرمى بملايين الأطنان مِنْ الحنطة وغيرها السهل عنده ولا مانع مِنْ أنْ يرمى بملايين الأطنان مِنْ الحنطة وغيرها

بخلاف ما إذَا كَانَتْ الصلة بقاعدة الذكر وطيدة «كَانَ عَقْلِي خالباً وهواي مغلوب ونفسي سليمة وطاعتي كثيرة ومعصيتي قليل» فآنذاك يمكن أنْ يرسم خارطة ومنهج يوصله إلى التمدّن والعمران في البشر، وارتفاع رصيده في كُلّ ما تتطلبه نواحي الحياة الدنيوية والبرزخية والأخروية، وَهَذَا الأمر لَمْ ولن تصل إليه سياسية البشر في أيّ حقل مِنْ الحقول، ولو وتُقوا علاقتهم بقاعدة الذكر ورسموا منهاجهم عَلَى ضوء هَذِهِ القاعِدة المُبارَكة لانتهى دمار البيئة البرية والبحرية والجوية، كُلّ ذَلِكَ يحدث إذا سار الإنسان عَلَى وفق التوازن الاستراتيجي للعلوم كافة، وَعَلَى ضوء الخارطة الَّتِي رسمتها يد القدرة الإلهية الوحيانية.

وَمِنْ هُنَا تأتي الحاجة المُلحّة فِي أهميّة علم التفسير ومدخليته فِي تنظيم حياة الإنسان. وَعَلَيْهِ فَيَكُون توظيف العلوم نحو سعادة البشر وصلاح الأرض وعمرانها لا نحو دمارالبشر والإفساد فِي الأرض وإماتته.

٣٦٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني أهمية وخطورة علم التفسير

في تنظيم متطلبات أفراد المجتمع في يومياتهم:

إنَّ الاختلاف في الأحكام الفقهية _ فقه الفروع _ مثلاً والعقائديّة والتفسيريّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والأمنيّة والسياسيّة و ... الخ جاء نتيجة التعدّد في المناهج التفسيريّة للقُرْآن الكريم مِنْ قبل المفسّرين والباحثين في الفرق الإسلاميَّة المختلفة. فَإنَّ المصدر الأوَّل والأساسي للتشريع في الإسلام هُوَ القُرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فإذا لَمْ يكن للمفسِّر منهج ناظم لامره وفيه تقيد وانضباط في التفسير، فالنتيجة خطرة جداً؛ لِأنَّ القُرآن حمَّال لوجوه، ولذا نتيجة عدم امتلاك المفسِّر للمنهج الناظم لَهُ حصل الخلط والتيه والضلال فتولّدت نتيجة هَذَا بَعْض الفرق الضالّة والمنحرفة فكرياً كالقدريّة والبتريّة والمرجئة والخوارج و ... الخ ولذا يجب أنْ يَكُون شعار المُفَسِّر ورمزه هُوَ وسام الذِكر، فَإنَّ تدخل حالة الذكر فِي بناء الأسرة والمجتمع فِي الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة أو الأمن أو التّربية أو ... الخ تدخُّل عظيم وبالغ التأثير وحالة مصيرية وفيصليّة فِي نجاح الأُمُور وسلامتها مِنْ الوقوع فِي منزلق الانحراف، ولذا أَكَّدَ القُرآن هَذَا المعنى عَلَى لسان نبيه مُحَمَّد عَلِيُّ وَهَذَا المعنى عِنْدَ الفريقين _ فِي كيفية دعوى الْنَّبِيَّ عَيَّالله إلى ترك الفتوى قبل التعلم والتفقّه ولا مانع مِنْهَا _ الفتوى _ بَعْدَ التفقّه فِي الدِّين ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَمِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ

الخطيب في خطابته والواعظ في موعظته و... هؤلاء سبل تصبُّ في صراط مستقيم واحد، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ العالمِ والفقيه مَنْ ذكَّرك الله واليوم الآخر، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الصيرورة والتأديّة والانتهاء إلى حالة الذكر علامة بوصليّة لسلامة المنهاج، وَهَكذَا حالة الذكر علامة بوصليّة لسلامة

فرق القرآن الذي يقودك إلى الذكر

عن بقية العلوم الروحية الأخرى

التي لا تقودك إلى حالة الذكر:

تأكيد القُرآن الكريم عَلَى قَاعدِة الذكر أكثر مِنْ أيّ قَاعدِة أُخْرَى فِي مُختلف العلوم:

يُؤكِّد القُرآن الكريم عَلَى أنَّ أصحاب العلوم الروحيّة سواء علوم شرِّ أو خيرٍ يدركون أهميّة قَاعدِة الذكر، وأنَّ ترتيب نسيج الآيات

المنهاج.

⁽١) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

٣٦٦ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثانى

والمعاني القرآنيّة يقود إلى نورانيّة روحية وارتباط روحي بالملكوت الأعلى، بينها بقيّة العلوم الأُخْرَى _ غَيْر علوم القُرآن _ كعلم السحر أو علم الغناء أو علم الموسيقى أو الشعبذة أو خيالات الشعر والغزل أو المجون أو علوم روحيّة أُخْرَى كثيرة تقودك إلى حالة روحيّة غَيْر سليمة عَنْ الشياطين بخلاف القُرآن فَإنّهُ يربطك بأبواب روحيّة نوريّة سالمة عَنْ الشياطين وَعَنْ كُلّ واردٍ يَصُدُّ عَنْ سبيل الله وبالتالي يقودك إلى حالة الذكر، وَهَذَا هُوَ فرق القُرآن عَنْ بَقيَّة العلوم الروحيّة الأُخْرَى.

وَعَلَيْهِ فَأَنَّ قَاعِدَة الذكر هِيَ قَاعِدَة منهجية راسمة لمختلف علوم تفسير القُرآن الكريم يُؤكِّد عَلَى تفسير القُرآن الكريم يُؤكِّد عَلَى قَاعِدَة الذكر تصريحاً أو تلميحاً أو تأويلاً، فَإنَّ هدف القُرآن لَيْسَ جامعية العلوم فحسب وَإنَّها الهدف هُوَ إحداث حالة الذكر المستمرة ﴿ فَذَكِّرُ وَقُرْءَانُ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا بَحْنُونٍ ﴿ آ ﴾ و ﴿ إِنَ هُوَ إِلَا ذِكْرٌ وَقُرْءَانُ مُبِينٌ ﴾ (١) و ﴿ إِنَ هُوَ إِلَا ذِكْرٌ وَقُرْءَانُ مُبِينٌ ﴾ (١) .

بتقريب: _ إنَّ أوَّل شيء فِي هويَّة القُرآن إنَّهُ قرآن مبين، وَمَعْنَى القُرآن المبين يعني الجامع لجميع العلوم، وَعَلَيْهِ فالأعظم فِي الرسالات هُوَ الذكر وَلَيْسَ المقصود مِنْ الذكر هُوَ الذكر اللساني وَإنَّمَا الذكر عَلَى كُلِّ الأصعدة.

⁽١) سورة الطور: الآية ٢٩.

⁽٢) سورة يس: الآية ٦٩.

الذكر نظام فِي العلوم يُوطِّفُها إلى الكمال

ويلخّص أمير المؤمنين الله أنَّ هدف الأنبياء والأولياء والرسالات هُو الذكر و التذكر: «... أوَّل الدِّين معرفته وكهال معرفته التصديق به وكهال التصديق به توحيده، وكهال توحيده الإخلاص لَهُ، وكهال الإخلاص لَهُ نفي الصِّفات عنه ... ثمَّ اصطفى سُبْحَانَهُ مِنْ ولده (۱) أنبياء أخذ عَلَى الوحي ميثاقهم، وَعَلَى تبليغ الرسالة أمانتهم لمّا بَدَّلَ أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقّه ... فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياء ليستأدُوهم ميثاق فطرته وبذكرهم مَنْسِيَّ نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويُثيروا لهم دفائن العقول ويُروهم الآيات المقدّرة ... الخ»(۱).

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّلَابَصُ بِهِ ـ رَبِّبَ ٱلْمَنُونِ ﴿ ﴾ (٣) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُونَ نَقُولُونَ نَقُولُونَ نَقُولُونَ نَقُولُونَ نَقُولُونَ نَقُولُونَ نَقَولُونَ نَقُولُونَ شَاعِلُونَ نَقُولُونَ مَنُونَ لَا يَوْمِنُونَ .

وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ, لَقَوْلُ رَسُولِ كَرِيمِ ﴿ ثَا هُوَبِقَوْلِ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَا نُؤْمِنُونَ ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَا نُؤْمِنُونَ ﴿ فَلَ اللَّهِ مَا نَذَكُرُونَ ﴿ فَا لَا نَذَكُمْ مَا نَذَكُمْ مَا يَذَكُمُ مَا يَذَكُمُ مَا يَعَالَى السَّمَعَ اللَّهُ مَا مَنَ مَن تَنزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿ أَنْ مَن تَنزَلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَاكٍ أَشِيمٍ ﴿ أَنْ مُنْ لَكُونَ السَّمْعَ ...

⁽١) ولد آدم.

⁽٢) الخطبة الأولى من نهج البلاغة.

⁽٣) سورة الطور: الآية ٣٠.

⁽٤) سورة الطور: الآية ٣٣.

⁽٥) سورة الحاقة: ٤٠ ـ ٤٣.

٣٦٨ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

اللهِ اللَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ وَذَكَّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١).

الخلاصة: أنَّ العاصم مِنْ كُلِّ هَذِهِ الأُمُورِ أيِّ مِنْ الشياطين والجن وَكُلِّ أَفَّاكَ أَثْيِمٍ و .. .هو الذكر سواء كَانَ ذكراً لسانياً أم قلبياً، وَعَلَيْهِ فتعاطيك وتعاملك مَعَ أيّ علم وَأيّ منهج يوصلك إلى الذكر، فَإنَّ التعاطى مَعَ هكذا منهج يعتبر سليهاً وناجحاً وَهُنَا يكمن سر اختلاف القُرآن عَنْ العلوم الأُخْرَى كعلم الأخلاق والعرفان والسير والسلوك و ... الخ فَإِنَّ القُرآن الكريم يعتبر الذكر نظاماً عامّاً فِي كُلِّ أصعدة بحوث القُرآن فمثلاً البرنامج الأخلاقي في القُرآن الكريم يختلف عَنْ البرنامج الأخلاقي في علم الأخلاق، فَإِنَّ القُرآن الكريم لا يبحث الأخلاق كعلم بها هُوَ علم فَقَطْ، ولا يُثير البحث فِي العلوم بها هِيَ علوم وَإِنَّما يُثيرها بمقدار تصبّ بالهدف وَهُوَ إحداث الذكر، ولذلك نلاحظ قلّما مِنْ عُلَمَاء الأخلاق مَنْ بحث في علم الأخلاق وحقائقه الأخلاقيّة بها يحدث للباحث في علم الأخلاق ذِكراً بَلْ وَحَتّى العرفان العملي كَذَلِكَ لَمْ يحدث بحثه ذكراً كَمَا يبحثه ويبيِّنه القُرآن الكريم، فَإنَّ كثيراً مِنْ كبار العرفاء فِي مسير عالم المعنى وما شابه ذَلِكَ تُغريهم المكاشفات وتستحوذ عليهم وتستخفهم وتحرمهم مِنْ كمالات أُخْرَى أعظم مِنْ هَذِهِ الَّتِي بين أيديهم وانغررتم بالأدنى والأبسط واكتفيتم به، ولذا لَمُ تستمروا بالعمل فانحرمتم مِنْ الأعلى والأعظم.

⁽١) سورة الشعراء: الآية ٢٢١_٢٢٦.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نفس هَذِهِ القَوَاعِد الأخلاقيّة والعرفانيّة لَمْ ترسم في علومها قَاعدِة الذكر كَمَا رسمها القُرآن الكريم حَتّى وتنتهى بالإنسان إلى حالة الذكر. ونفس هَذَا يسري إلى المجال العقائدي التنظيري كَمَا في جملة كثيرة مِنْ كتب الكلام والفلسفة فَإِنَّهُ أيضاً لا يوجب حالة ذكر للأُمَّة، وَهَذَا لا ينفعها شيئاً، بَلْ وَحَتَّى في بحوث توحيدية مترامية الأطراف وفي بحوث تفصيلية وإنْ كَانَ التوحيد شيء عظيم وبه الآية الأُمّ _ إلَّا أنَّ الانشغال بالهوامش والتفاصيل، يُسبب للإنسان تضييع ما هُوَ أهم، ولذا اهتمّ وراعى منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات مسألة أنَّ لا يُساوي بين ما هُوَ مركزي ومحوري وبين ما هُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ ولذلك تَقَدَّمَ أَنَّهُ توجد روايات وَرَدَتْ عَنْ أَئِمَةً أَهِلِ البيت اللِّكِ لا تَذُمَّ التعمِّق وذمَّ التعمِّق _ كَمَا تَقَدَّمَ _ لَيْسَ بسبب التدقيق في المطالب الأُمّ والمركزيّة كلا، وَإِنَّها بسبب التدقيق بالهوامش وتفاصيلها، وَهَذَا مما يبعدك عَنْ الاهتمام بالبُّني الأصليَّة الأساسيّة البنيويّة الخطيرة ويجعلك جاهلاً وغافلاً عَنْ المطلب المحوري، فَإنَّ مثل هَذَا التعمّق مذموم، بخلاف ما إذا ركَّزْت عَلَى الخشوع في التعمّق في الوضوء وَالصَّلاة والحج و ... الخ، فَهَذَا هُوَ المهم ولذا الباري تَعَالَى يُحِب معالى الأُمُور ولا يُحب سفاسفها، وعَلَيْهِ لأجل أنْ تكون باحثاً ناجحاً فِي أيّ علم مِنْ العلوم سواء فِي الفقه أو الأصول أو المنطق أو العقائد أو التفسير أو ... الخ فعليك التركيز عَلَى المطالب المحوريّة الأساسيّة لا الخوض بالأمور التفصيلية والهوامش والقضايا الَّتِي هِيَ مِنْ باب البحث

٣٧٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

والترف الفكري، فَإِنَّ مثل هكذا تعمَّق مذموم، ويُذم البحث والمنهج الذي يوصف بِهَذَا الوصف.

وَهُنَاكَ تعبير لطيف وتوصية جيدة للميرزا علي القاضي الله والسَّيِّة وَالسَّيِّة وَالسَّيِّة وَالسَّية السَّهيد السعيد الشَّيْخ مرتضى المطهري الله العلامة الطباطبائي الله وأكّد عَلَيْهَا الشَّهيد السعيد الشَّيْخ مرتضى المطهري الله حاصله: _ أنَّ البشريّة فِي كُلِّ حاجاتها الأصليّة والأساسيّة الماسّة تحتاج إلى المعصوم الله ولكن لا جبر ولا تفويض بَلْ أمر بين أمرين _ وأنَّ الساحة العلميّة البشريّة والحوزويّة تحتاج بمعدل كُلِّ عشرين أو ثلاثين أو أربعين العلميّة إلى تفسير يتلائم ومتطلبات الوقت الراهن.

وَعَلَيْهِ فَيَكُونِ المقصود مِنْ هَذِهِ التوصية: _ هُو أَنَّ القرآنا لكريم لكي يقود زمام الهداية البشرية والتمسّك به لَيْسَ معناه أَنَّ للإنسان أَنْ يكُونِ يسرح ويتوغل في بحث التفسير في أيّ اتّجاه كَانَ وَإِنَّهَا لاَبُدَّ أَنْ يَكُونِ البحث التفسيري عَلَى قدر حاجة تعطّش البشر، وفي أيّ مجال حدث إخفاق وانتكاسة بشريّة فَهُنَا ياتي دور تطبيق قَاعدة الذكر لأجل انتشال البشريّة مَنْ ذَلِكَ الإخفاق والانتكاسة باستخراج مَصْل ودواء مِنْ القُرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ ضابطة عامّة يجب مراعاتها في المنهج التفسيري بصورة عامّة، بخلاف المنهج الموضوعي الذي يُراعي وحدة الموضوع، أو تفسير القُرآن بالقُرآن أو المنهج التفسير الإشاري أو الفلسفي أو ... الخوان كَانَتْ هَذِهِ التفاسير جيّدة لا تخلو مِنْ فائدة، وأنعِم بها إلَّا أَنَّهُ وللأسف لَمْ تُلبِّ حاجة البشر وَلَمْ ترو عطشه، وَعَلَيْهِ فَهِيَ ليست بالتفسير الأمثل والأحوذي الذي يُلبِّي حاجات البشر ويُحتذى به، فهي ليست بالتفسير الأمثل والأحوذي الذي يُلبِّي حاجات البشر ويُحتذى به، نعم الذي يُلبِّي الحاجة والعطش للبشر يُعتذى به،

الذي يلبي حاجة البشر أينما كانت:

شرائح المجتمع البشري في الوقت الحاضر تحتاج إلى أنْ تُغذّى بالبُعد العبادي في القُرآن، فمثلاً أيُّهَا المُفَسِّر الناجح أنَّ المجتمع بحاجة ماسة إلى البُعد الأخلاقي أو العقائدي أو التفسيري أو ... الخ فَغَذّه بها، وَهَذَا يتطلّب مِنْ المُفَسِّر والباحث الكريم أنْ يُراعي أنَّ المجتمع البشري في أيّ مرحلة هُو وبالتالي لابُدَّ مِنْ إعطائها ما هُو المُناسِب لها مَعَ تلك المرحلة، فمثلاً بَعْض مُجتمعات البشر نفترض أنَّها الآن استنارت بنور هدي القُرآن، وَهَذَا معناه أنَّها في المرحلة الابتدائية فَلابُدَّ مِنْ إعطائها ما يتناسب ويتلائم والمرحلة، وهكذا ما يلائم مرحلة الثانوية ومرحلة التخرّج وما يتناسب ويتلائم والمرحلة م يناسبها.

وَمِنْ هُنَا تَختلف نظرة القُرآن ومعالجاته عَنْ غيره، فَالقُرآن لَمْ ينظر ببُعد أحادي للواقعة والمشكلة وما يحتاج إليه المجتمع، وَإِنَّما نظراته نسخة مجموعيّة فِي آية واحدة فيها عقائد وفيها فقه وأخلاق و ... الخوهكذا ما قاله الْنَّبِي عَيِّلِهُ وأمير المؤمنين اللهِ فِي أقواله وخطبه فِي نهج البلاغة، فَإِنَّ أمير المؤمنين عَلِيهُ يحذو حذو القُرآن ويُعطي اللهِ نسخة مُتكاملة يُنْظُرُ فيها مَعَ مقطع واحد البُعد الفقهي والفلسفي والاقتصادي و ... الخولذا لمَ يتوغَل أمير المؤمنين اللهِ فِي نهج البلاغة فِي علم الأخلاق بها هِيَ أخلاق يتوغَل أمير المؤمنين اللهِ هُو أَنْ الذكري، وَإِنَّما منهجة أمير المؤمنين اللهِ هُو أَنْ

تأخذ باقة حسّاسة مِنْ الأخلاق وَعَيِّنَة مُهمّة مِنْ العقائد ونهاذج مِنْ الاقتصاد و ... الخ فَإِنَّ مثل هَذَا لَيْسَ تشتتاً؛ لِأَنَّ التشتت هُوَ أَنْ تقتصم في البحث الأخلاقي عَلَى جانب الأخلاق بها هِيَ أخلاق وتتمحّض بها فَإِنَّ مثل هَذَا تشتت ولا ينفع البشريَّة، وهكذا مِنْ التشتت هُوَ أَنْ يتمحّض البحث العقائدي في التفسير أو في المحاضرة الوعظيّة والإرشاديَّة لشريحة معيَّنة في الأُمَّة، فَإنَّ مثل هَذَا تشتت وَلَيْسَ بدواءٍ ناجع وكامل؛ لِأنَّ بحثك هَذَا فَقَطْ فِي المبحث الأخلاقي أو الإرشادي الوعظى أو الفقهي أو الاقتصادي أو ... الخ، نظير مَرْضي البشريّة عَلَى اختلاف أمراضهم سواء الروحيّة مِنْهَا أو العضويّة أو ... الخ، ولذا نلاحظ كثيراً مِنْ المَرْضي يأخذون العلاج ولا يتشافون وَذَلِكَ إمَّا بسبب أنَّ الطَّبيب الذي شخَّص لَهُ العلاج نظر إلى المرض مِنْ زاوية وبُعْد أُحادي أو أنَّ نفس المريض لَمْ يلتزم بتمام ما فِي الوصفة مِنْ توصيات مِنْ الجوانب الأُخْرَى فِي الغذاء والنوم واللّباس والرَّاحة و ... الخ.

كَذَلِكَ القُرآن والتفسير فَإِنَّهُ مأدبة الله فيه كُلِّ ما يحتاج إليه البشر كَمَا قَالَ رسول الله عَلِيُّةُ: «القُرآن مأدبة الله، فَتَعَلَّموا مأدَبَتَهُ ما استطعتم»(١٠).

وكذا قوله ﷺ: «إنْ أردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يَوُم الحَسْرَة والظلّ يومَ الحرور، والهُدى يَوُم الضلالة فادرُسُوا القُرآن؛

⁽١) بحار الأنوار: ج٩٢، ١٨،١٩.

بتقريب: إنَّ الباحث فِي علوم القُرآن وتفسيره عَلَيْهِ أنْ يأخذ طبقاً مِنْ تلك المأدبة الإلهية فيه مِنْ كُلِّ باقة نوع وتناول غذاءاً روحياً متكاملاً.

وَهُنَا يَاتِي دُورِ قَاعِدَة الذِّكرِ فَإِنَّهَا بَصِيرة فِي العلوم والمناهج وبالتالي فَهِيَ بَصِيرة مجموعيّة منظُوميّة مُهمّة، إلَّا أنَّ البشر يعجز عَنْ اكتشافها _ أيِّ قَاعِدَة الذكر _ فِي كُلِّ مجال فَإِنَّهُ مِنْ الصعب اكتشاف إعجاز القُرآن فِي الأخلاق وإعجازه فِي العقائد وفي البلاغة. وفي الصرف والنحو وفي كُلِّ علوم الأدب، بَلْ وَحَتّى للقُرْآن إعجاز فِي صوت الأداء وأنَّ القُرآن لَهُ إعجاز فِي كُلِّ مجال واكتشافه فِي قَاعِدِة الذكر أمر صعب ولكن ما لا يدرك جُلَّهُ لا يترك كُلَّهُ.

(١) المصدر السابق نفسه.

أهم ثلاث مميزات لقاعدة الذكر

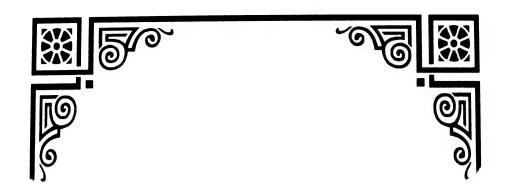
والخلاصة: إنَّ قَاعدِة الذكر تميَّزت بما يلي:

أُوَّلاً: إِنَّ قَاعِدِة الذكر هِيَ موازنة منهجية عظيمة عِنْدَ الباحث وَالْمُفَسِّر المُنصِف فِي بحوث علوم القُرآن الكريم وتفسيره وباقي علوم الدِّين، وعلامة جدوائيّة البحث العلمي فِي التفسير هِيَ أَنْ يُحْدِثَ التفسير ذكراً عِنْدَ صاحبه.

ثانياً: تفسير قَاعدِة الذكر بوصلة علاميّة تُبيِّن لنا ثرمومتر الصَّحة، فَهِيَ ترسم لك كيفية التوغل في الفقه وكيفية كتابة وتدوين الرسالة العملية الفقهية والعقائديّة والأخلاقيّة الَّتِي يحتاجها كُلِّ جيل، فَإنَّ كُلِّ جيل يحتاج إلى تدوين فقهي مُعيَّن وبلونٍ خاصّ يحتاج إلى تدوين أخلاقي وعقائدي خاص.

ثالثاً: وَعَلَيْهِ مَا ذَكَرِهُ بَعْضُ الأَكَابِرِ مِنْ أَنّنَا نَحْتَاجٍ فِي ظُرِفَ كُلِّ عشرين أو ثلاثين سنة أو أكثر إلى تفسير للقرآن كَانَ فِي محلّه، وأنّنا نحتاج إلى تدوين فِي كُلِّ العلوم بها يتناغم مَعَ ذَلِكَ الجيل لا أَنْ يقتصر عَلَى خصوص ما كتبه الفقهاء والمُفسِّرين قبل أكثر مِنْ عشرة قرون وما يتلائم مَعَ فتراتهم المتصرِّمة، أو ما كتبه عُلَهَاء الأخلاق والعقائد و ... بها يتلائم ٣٧٦..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني وحقبهم الزمانيّة بها يُلبي احتياجات مجتمعات ذَلِكَ الوقت وما أُثير فيها مِنْ شُبهات فكريّة وغيرها.

ولذا نحتاج اليوم رسالة عملية يكتبها الفقيه بأسلوب جديد فنّي معاصر يتلائم ومتطلبات العصر الحالي الذي نعيشه في ظل أنفجار معلوماتي في كُلّ العلوم وَعَلَى جميع الأصعدة وما يحتاجه المجتمع البشري كُلّ بحسب وقته.



القاعِدة السابعة:

الأمثال في القرآن الكريم



الفهرس الإجمالي لقاعدة الأمثال

فِي القُرآن الكريم

* مقدمة.

* التلازم فِي قَاعدِة الأمثال يقع فِي جهات:

الجهة الأولى: المعنى اللغوى والاصطلاحي.

الجهة الثَّانية: مدرك قاعدة الأمثال.

١ ـ الآيات . ٢ ـ الروايات.

* قراءة الأمثال بلغة عقليّة وفكريّة.

الجهة الرابعة: ارتباط أُسلوب المثل بالتعريض.

الجهة الخامسة: المثل تمسية واسم ولقب وتوصيف وعبَرٌ وآية ...

* تنبيه وفيه أمران:

الجهة السادسة: العلاقة بين قاعدتي المثل، وقَاعدَة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير، وأنَّ هَذه الجهة مُرتبطة بنظام حقائق القُرآن الآتَى بحثه.

الجهة السَّابعة: المَثَل منهج معرفي [أساليب القُرآن الثمانية بُرهانية وَلَيْسَ لمجرَّد إقناع].

٣٨٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

- * عُموم البُرهان لكُلِّ العلوم وقوى النفس.
- * عموم الكشف البرهاني والشهود والبرهان العياني لكُلِّ قوى النفس.

الجهة الثامنة: الفرق بين ضرب المَثَل وجعل المَثَل، وصَرَّف المثل، ويضرب الأمثال.

الجهة التاسعة: حقيقة استعمال المَثَل في القُرآن الكريم والحقائق القرآنية.

الجهة العاشرة: لَيْسَ كمثله شيء.

الجهة الحادي عشرة: الأوصاف القرآنية للجنة حقائق أم تمثيل [مثل الجنة الَّتِي وعد المتقون فيها أنهار منْ ماء غَيْر آسن ...] سورة مُحمَّد/١٥.

* نظرية المثل ونظرية المعاد.

الجهة الثّانية عشر: إنَّ قصص الأنبياء والمُرسلين والمُصطفين مثل لآل مُحمَّد عَلَيْظِهُ منْ القُرآن الكريم.

- * بيان القُرآن لحقيقة عظيمة في قصص الأنبياء.
- * نماذج التفضيل القرآني لأهل البيت المُثَلِثُ عَلَى بقيّة أنبياء أُولوا العزم.
 - * الأمثال عَلَى طبقات كَذَلكَ الأسماء.
 - * حالات الأسماء.
 - * حقيقة الاسم الإلهي.
 - * الغرض من مبحث الأسماء.
- * الروايات الَّتِي أَكَّدت عَلَى أَنَّ قصص القُرآن هِيَ ظهرٌ بطنه آل مُحمَّد عَيَاللهُ.
- * صلة وطيدة بين حقيقة الإمامة والولاية وحقيقة القُرآن وعلاقتها بقاعدة الأمثال.

- * صلة قَاعدة الأمثال بأقسام الوحى وأنواعه وأسراره.
 - * صلة أنَّ للقُرْآن ظهر وبطن بمحث الأمثال.

الجهة الثالثة عشر: تقابل مثل أهل البيت المثلِثُ وأعداؤهم في القُرآن. الجهة الرابعة عشر: ﴿ فَأَهْلَكُنَا آشَدَ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأُوَّلِينَ الرَّحُوفُ ٨ الرُّحُوفُ ٨

الجهة الخامسة عشر: المَثَلُ الأعلى ومَثَل السَوْء ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ السَوْء ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ السَوْءَ ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ السَوْءِ ﴿ 10.

الجهة السَّادسة عشرة: السير في المعرفة لا ينتهي والرجوع والأوْية إلى الله لا تقف عُنْدَ حَدِّ [إنَّ الذي لا يعتبر ولا يعبر بالمثال إلى ما وراء يَضِلُّ]. الجهة السَّابعة عشرة: الثمرة الكُبرى لقاعدة المثل.

القاعدة السابعة: قاعدة الأمثال

في القرآن الكريم(١)

مقدمة:

إنَّ قَاعدِة الأمثال فِي القُرآن الكريم مِنْ القَوَاعِد التفسيرية المُهِمَّة والخطيرة، ولها تداعيات كبيرة ومُؤثِّرة تلقي بظلالها عَلَى النتائج التفسيرية المُستخلصة مِنْ آيات القُرآن، وتندرج هَذِهِ القَاعِدَة فِي قَواعِد نظام المعنى لا فِي قَواعِد النظام المعنوي^(٢) والنفسي أو النفساني، وَهَذَا ما يُعبِّر عَنْهُ بالتفسير الأنفسي فِي القُرآن، وَهَذَا معناه أنَّ كُلِّ طبقة مِنْ طبقات الإنسان بإمكانه أنْ يقرأها حسب طبقته، فمثلاً أحد طبقات الإنسان

⁽١) وستأتي في الجهة الخامسة التعرُّض الى أن بعضهم يعنون هذه القاعدة بعنوان آخر وهو قاعدة العِبْرَة والأمثال ... فانتظر.

⁽٢) والفرق بين قواعد نظام المعنى، والنظام المعنوي هو: _ أن الأوَّل _ المعنى _ هو معنى ذهني يرتبط بنظام المعاني حسب بيانات أهل البيت الكِيْ وإنْ كَانَ لها ارتباط بالألفاظ والاستعال كأسلوب لفظي، كمَّا ذكره البلاغيون، ولكن هِيَ _ قَاعدِة الأمثال _ ألصق بعالم وعلم المعاني مِنْهَا مِنْ عالم الألفاظ، ولا يخفى أنَّ علم المعاني هُوَ أحد أقسام علم البلاغة _ المعاني والبيان والبديع. أمَّا المعاني: _ فَهُوَ بالدقة علم مُرتبط بمعاني الألفاظ بغض النظر عَنْ قوالبها أيّ الألفاظ، وإنْ كَانَ يتناول شيئاً مِنْ الألفاظ.

والبيان: فَهُوَ علم مزيج ومُرتبط بالألفاظ والمعاني. والبديع: هُوَ لفظي بحتٌ، وإنْ كَانَ فيه شيء مِنْ المعني.

العُلّيا: العقل فيمكن قراءة القُرآن بقراءة عقليّة، كَذَلِكَ أحد طبقات الإنسان السرُّ والذوق والقلب والنفس وغيرها؛ ولذا جاء التأكيد فِي الغايات وبيانات القُرآن عَلَى القراءة الأنفسيّة، والمشهد النفساني، ولذا فَإنَّ النظم الَّتِي يمكن أنْ تُبْحَث قواعدها فِي القُرآن الكريم كثيرة وبعدد طبقات وجود الإنسان.

والمَثَل مِنْ اللغات المنتشرة انتشاراً وسيعاً في القُرآن، ولذا _ فَمِنْ الضروري معرفة قَواعِد هَذِهِ اللَّغَة كلغة معرفية، لها أثرها البالغ عَلَى النتائج المعرفية التفسيرية، وَمِنْ ثمَّ فهل لغة الأمثال لغة برهانية، أو لغة إنشاء وفرض خيال، أو لغة تزويق أدبي، أو لغة إشارة وتلويح لا تَتَضَمَن أخبار وتحقيق في ما مُثِّل به، بَلْ في ما مُثُل لَهُ؟.

وَقَدْ بَيَّنت الآيات والروايات: أنَّ الذي لا يُراعي قَاعدِة الأمثال في جملة سور وآيات القُرآن، لا يقف عَلَى مغازي القُرآن ومغزى آياته وَالْمَرَاد الأصلي مِنْ السورة أو الآية وَإنَّمَا يَكُون وقوفه عَلَيْهَا وقوفَ منحبس وساكنِ عَلَى الظاهر مِنْ دون أنَّ يصل إلى الأعماق.

كَمَا وينبغي التنبيه والالتفات إلى أنَّ قَاعدِهَ الأمثال ترتبط بالقراءة العقلية والفكرية للأمثال.

والتحليل والتأمُّل والترجمان العقلي ـ لعلهم يتفكرون ، ولعلهم يعقلون، ولعلهم يعقلون، ولعلهم يتدبرون وغيرها، فَإنَّ العَقل يَعْبِرُ بالقارئ وَالمُفَسِّر للقُرْآن الكريم مِنْ مشهد تنزيلي إلى ما وراء وغاية أعظم، وهكذا إلى غاية

المهم إنَّ هَذِهِ القَاعِدَة وإنْ كَانَ لها صلة ببحث الألفاظ كأسلوب ومنهج فِي القُرآن الكريم إلَّا أنَّها ألصق بعالم المعاني والمعنى.

الكلام في قاعدة الأمثال يقع في جهات

الجهة الأولى: المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لِكُلِّ مِنْ:

* المِثْل * المَثَل * المُثَلُ * المُثْلَةُ * المُثْلَة، المَثِل * الأمثل * المُثْلي.

أَوَّلاً: المِثْلُ لُغَةً: الميم والثاء واللام أصلٌ صحيح يَدُلُّ عَلَى مناظَرَةِ الشيءِ للشيء.

وَهَذَا مِثْلُ هَذَا أَيّ نظيرُه، والمِثْلُ المِثال فِي مَعْنَى واحد(١).

قَالَ الفيومي فِي المصباح المنير: _ المِثْل بالكسر: _ كلمة تسويةٍ وَهِيَ عَلَى ثلاثة أوجه:

أ) بمعنى التشبيه.

ب) وبمعنى نفس الشيء وذاته.

ج) وَقِيلَ بمعنى الشِبه^(۲).

وجَمْعُ مِثْل: _ أمثال:

⁽١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادَّة (م ث ل).

⁽٢) المصباح المنير للفيّومي.

٣٨٨...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني والفرق بين المِثْل: أنَّ المثلَين ما تكافئا في الذات (١).

والفرق بين المِثْلُ النظير: _ تَقَدَّمَ أَنَّ المثلين ما تكافئا في الذات ... والنظير ما قابل نظيره في جنس أفعاله وَهُوَ متمكن مِنْهَا، كالنحوي نظير النحوي، وإنْ لَمْ يكن لَهُ مثل كلامه في النحو، أو كتبه، ولا يُقَال: _ النحوي مِثْل النَحْوي؛ لِأَنَّ التهاثل يَكُون حقيقة في أخص الأوصاف وَهُوَ الذات (٢).

ونقل الأزهري عَنْ أبي عُبَيد، عَنْ الفرّاء: يُقَال: _ مَثَلٌ ومِثْلٌ، وشَبَهٌ وشِبْهٌ بمعنى واحد^(٣).

ومِثْل كلمةُ تسوية يُقَال هَذَا مِثْلُهُ ومَثَلَهُ، كَمَا يُقَال شِبْهَهُ وشَبَهُهُ (٤).

المِثْلُ اصطلاحاً: المُرَاد مِنْ المِثْل فِي المصطلح العقلي: _هُمَا الشيئان المندرجان فِي الماهيّة الجنسيّة فَيُقَال لهما مُتجانسان، أو ما اتّحد مَعَ الشيء فِي الماهيّة فِي نوعه وهويّته فَيُقَال لَهُ مُتماثل، أو هُوَ الفرد مِنْ طبيعة مُشابهة لفرد آخر مِنْ نفس الطبيعة، أو مِنْ صنفه، أو مِنْ نوعه، أو مِنْ جنسه، كُلّ ذَلِكَ يُعبَّر عَنْهُ (مِثْل) ويختلفان فِي الصّفات الفردية، فمثلاً الجهاد مِثْل أنسان فِي الجسميّة مَعَ أنّهُ جنسٌ بعيد، وهكذا الإنسان مِثْل مِثْل مِثْل أَ

⁽١) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ص٤٨٠.

⁽٢) المصدر السابق: ص٤٨١.

⁽٣) معجم تهذيب اللغة للأزهري مادَّة (مثل) ص ٢٣٤١.

⁽٤) لسان العرب لابن منظور: ج٤، ص٣٦٥٦.

⁽٥) مِثْل على وَزْن فِعْل بكسر الفاء وسكون العين.

الكلام في قاعدة الأمثال يقع في جهات

الحيوان _ والعكس _ في الغريزة الجنسيّة الحيوانية، وكذا الإنسان مِثْل الحيوان في حُبّ أكل الطعام، وهكذا في سائر الغرائز الأُخْرَى، فتوجد بينهما مثليّة.

وكذا المَلَك مِثْلُ الإنسان _ والعكس _ بأصل طبيعة العقل وَالرُّوح، فَإِنَّ الإنسان فيه جنبة روح مِنْ النوع الملكوتي العالي، فإذا فَعَلَها ونشَّطها مثلاً يَكُون مِثل الرُّوح الأمري، وإنْ كَانَ هَذَا لَيْسَ بمقدور كُلّ أفراد البشر، وَإِنَّهَا بعضهم خاصة مَنْ اصطفاهم واجتباهم، وَلَيْسَ الأمر بالسهل.

وهكذا الإنسان مثل النبات في النمو، فَمِثْلَمَا النبات ينمو كَذَلِكَ بدن الإنسان في نمو، ولذا مِثْل هَذِهِ الأُمور تذْكَر فِي قانون الطب القديم؛ لِأنَّ الإنسان يماثل كثير مِنْ الأجناس.

والخلاصة: فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ يُعبِّرُون عَنْهُ بـ (المِثْل) بالكسر فالسكون الذي هُوَ عبارة عَنْ تشابه فردين تحت طبيعة ذاتية واحدة إمَّا مِنْ جانب النوع، أو الجنس أو الصنف.

وأمَّا قوله تَعَالَى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ عَشَى ۗ ﴾ (١) فَهِيَ مِنْ مُحكمات القُرآن، فالله تَعَالَى لَيْسَ بنوع ولا جنس ولا صنف، وَلَيْسَ فِي ذَاتَ الله تَعَالَى تركب، ولا يشترك معه أحدٌ فِي الطبيعة والذات، فكمالاته لا تُحدّ، وذاته

⁽١) سورة الشورى: الآية ١١.

. ٣٩..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

كَذَلِكَ لا ثُحَدّ، وَإِلَّا كَانَ الباري ناقصاً تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ علواً كبيراً؛ وَلَيْسَ لَهُ مِثل؛ لِأَنَّ المثل لابُدَّ لَهُ مِنْ توافق أمرين يوافقه فِي حدِّ وفي مِثْلٍ، كذا وَرَدَ المثل فِي موردين فِي القُرآن الكريم:

الأوَّل: قوله تَعَالَى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ، ﴿ (١).

الثَّانِي: قوله تَعَالَى: ﴿ فَأَنُّوا بِسُورَةِ مِنْلِهِ ـ ﴾ (٢).

بتقريب: إنَّهُ عَلَى تقدير كون (مِنْ) بيانيّة، فَإنَّ مَعْنَى الآيتين يَكُون مُتقارباً، وأمَّا عَلَى تقدير (مِنْ) نشوية فَيَكُون محصل مَعْنَى الآية الْمُبَارَكَة: تحدّي السَّمَاء لهم بأنْ يأتوا بها دون مِثْل السورة، وَهُوَ الناشيء مِنْ المِثْل وإنْ لَمْ يكن عين المِثْل.

وقوله تَعَالَى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُلَبًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ, كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهُ قَالَ يَنُوَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَلَذَا ٱلْغُلَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّدِمِينَ ﴿ آ ﴾ (٣).

بتقريب: إنَّ المطلوب هُوَ التمحيص فِي موارد التهاثل بالفعل أو الماهيّة وَهَذَا النوع يفتح باباً بأنَّ المِثْلَ بالكسر لا ينحصر بالاندراج بالماهيّة الواحدة، بَلْ فيها كَانَ هُنَاك تشابه فِي مقام الفعل وصفاته.

⁽١) سورة البقرة: الآية ٢٣.

⁽٢) سورة يونس: الآية ٣٨.

⁽٣) سورة المائدة: الآية ٣١.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مورد الآية هُوَ التشبيه بالمِثْل ـ بالكسر فالسكون ـ فِي مورد الفعل لا الذات مما يَدُلِّ عَلَى توسّع المِثْل ـ بالكسر فالسكون ـ لذلك كَمَا وَرَدَ فِي أدعية اليوم الثَّانِي والعشرون مِنْ كُلِّ شهر [... لا حَدَّلَهُ، وَلا بُدُلُكُ كَمَا وَلا كَفَقْ لَهُ، ولا خِدود لَهُ ولا كفق لَهُ، ولا كُنهَ لَهُ، ولا مِثْلَ لَهُ، ولا مِرْيك لَهُ فِي ملكه، ولا وزير لَهُ و ...](١).

كَذَلِكَ ما وَرَدَ فِي باب أعمال خصوص يَوُم عرفة وليلتها [... لا ضِدً لَهُ وَلاَئِدً لَهُ ولا قريب لَهُ ولا ضِمِي لَهُ ولا كَفَوْ لَهُ، ولا قريب لَهُ ولا شبيه لَهُ ولا نظير، ولا مُبَدِّل لكلهاته، ولا يبلغ شيء مبلغه، ولا يقدر شيء قدرته، ولا يُذرك شيء أحرزه، ولا يحولُ دونه شيء ...](۱).

وما وَرَدَ فِي هذين الخبرين ضروبٌ مِنْ المِثْل العقلي فِي الأجناس، أو الانواع، أو فِي العوارض العارضة عَلَى الماهيّة، أو الوجود الخارجي، والجامع بين هَذِهِ الأنواع هُوَ تقرير الماهيّة للشيء فيتهاثل معها فِي أحد درجاتها، كَمَا وَرَدَ فِي خطبة أمير المؤمنين المَيِّةِ: «ما وَحَده مَنْ كَيَّفَه، ولا حقيقته أصاب مَنْ مَنْلَه، ولا إيّاه عَنَى مَنْ شَبّهه، ولا صَمَده مَنْ أشار إليه وته همه».

وَعَنْ الإمام زين العابدين السِّخ: «والصَّمَدُ الذي أبدع الأشياءَ

⁽١) بحار الأنوار: ج٩٤/ باب أعمال أيام مطلق الشهر ولياليه: ص٢٦٩.

⁽٢) بحار الأنوار: ج٩٥، باب أعمال خصوص يوم عرفة وليلتها: ص٢٢٩.

⁽٣) بحار الأنوار: جـ٧٤، باب خطبه المعروفة: صـ٣١٠.

٣٩٢ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات -الجزء الثاني فَخَلَقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتَفَرَّدَ بالوحَدةِ بلا ضِدِّ ولا شَكْلٍ ولا مِثْل ولا نِدِّ»(١).

ثانياً: المثل بفتحتين لُغَةً: ذكر ابن فارس فِي مقاييسه أنَّ المَثَل: المِثْل أيضاً، كَشَبَه وشِبْه، والمثل المَضروب مأخوذ مِنْ هَذَا؛ لِإِنَّهُ يُذْكر مورداً به عَنْ مِثلهِ فِي المعنى (۲).

والمَثَل بالتحريك: الصفة، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿مَّثُلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٣).

أيّ صفة الجنَّة، وقولك: ضربتُ لفلان مثلاً معناه أَنَّكَ وصفت لَهُ شيئاً، وقولك: مَثَل هَذَا كَمثَلِ هَذَا أيّ صفتُه كصفَته، وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿ كَمْثُلِ اللهِ مَثَلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿ كَمْثُلِ اللهِ عَالِي عَمْلِ الشّفَارًا ﴾ (٤) وحاملوا التوراة لا يماثلون الحمار ولكنَّ جمعهم وإيّاه صفة فاشتركوا فيها (٥) ومَثَل الشيء أيضاً صفته ﴿ مَثَلُ النّجَنَّةِ الّتِي وُعِدَ اللهُ مَثَلاً أيّ والمَثَل: _ الحديث نَفْسُه (٧) والمَثَل بمعنى الوصف وضَرَبَ الله مَثَلاً أيّ وصفاً ...

⁽١) التوحيد للصدوق: ص٤٨/ ح٤.

⁽٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادّة_مثل_ج٦، ص٢٩٦.

⁽٣) سورة الشورى: الآية ١١.

⁽٤) سورة الجمعة: الآية ٥.

⁽٥) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ص٠٤٨.

⁽٦) الجوهري في صحاحه مادّة ـ مثل ـ .

⁽٧) معجم تهذيب اللغة.

قَالَ ابنُ السكيت: _ المَثلُ: _ لفظٌ يُخالِفُ لفظَ المضروب لَهُ، ويوافق معناه مَعْنَى ذَلِكَ اللَّفْظ، شبَّهُوه بالمثال الذي يُعْمَلُ عَلَيْهِ غيرُه، وسُمِّيت الحِكَمُ القائمُ صدقُها فِي العقول أمثالاً لانتصاب صُورِها فِي العقول، مشتقةً مِنْ المثول الذي هُوَ الانتصاب.

وَقَالَ إبراهيم النظّام: _ يجتمع فِي المَثَلِ أربع لا تجتمع فِي غيره مِنْ الكلام: إيجازُ اللفظِ، وإصابة المعنى، وحُسْنِ التشبيه، وجَوْدَة الكتابة، فَهُوَ نهاية البلاغة والمَثَل بفتحتين والمَثيل وزان كريم كَذَلِك، والمَثَل بمعنى الوصف ﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا ﴾ أيّ وصفاً.

وَقَالَ الميداني فِي مجمع أمثاله (۱) أربعة أحرف سُمِعَ فيها فِعْلُ وفَعَلُ، وَهِيَ: _ مِثْلَ ومَثَلَ، وشبه وشَبه، وبَدْلُ وبَدَل، ونِكُلٌ ونَكُل، فَمَثُلُ الشيء ومِثْلُه وشَبَهُه وشِبْهَهُ ما يهاثله ويُشابهه قدراً وصفةً، وبَدَلُ الشيء وبِذْلُه غيرُه، ورَجُلٌ نكلٌ ونِكْل للذي ينكل بدا عداؤه.

وفعيلٌ لغةٌ فِي ثلاثةٍ مِنْ هَذِهِ الأربعة، يُقَال: مَثيلُه وشبيهه وبَديلُه ولا يُقَال نكيلُه، فالمَثلُ ما يُمَثَّلُ به الشيء أيّ يُشَبَّه، كالنْكَلَ مِنْ يُنكَّلُ به عدوّه، غَيْر أنَّ المِثْل لا يوضع فِي موضع هَذَا المَثَل، وإنْ كَانَ المَثل يوضعُ موضعه، فَصَارَ المَثل اسها مُصَرحاً لهذا الذي يُضْرَب ثمَّ يُردُّ إلى أصله الذي كَانَ لَهُ مِنْ الصِّفَة؛ فَيُقَال: مَثَلُك، ومَثَلُ فلان أيّ صفتك وصفته،

⁽١) مجمع الأمثال للميداني: ج١، ص٧٠ ـ ٧١.

وَمِنْهُ قوله تَعَالَى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُنَّقُونَ ﴾ (١) أيّ صفتها، ولشِدَّةِ المَتزاجِ مَعْنَى الصفة به صَحَّ أَنْ يُقَال: _ جعلتُ زيداً مَثَلاً، والقومُ أمثَالاً، وَمِنْهُ قوله تَعَالَى ﴿ سَآءَ مَثَلاً الْقَوْمُ ﴾ (٢) أيّ جعل القوم أنفسهم مَثَلاً في أحد القولين (٣).

وجاءت كلمة المَثَل فِي القُرآن عَلَى عِدَّة وجوه: _

الوجه الأوَّل: المَثَل بمعنى الشبه، كقوله تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَلُ الْمَثَلُ الْمَثَلُ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ (٥) وقوله تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ (٥) يغني: وَصَف الله شبها، وقوله تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَكَةِ وَمَثَلُّهُمْ فِي ٱللَّهُمْ فِي ٱلتَّوْرَكَةِ وَمَثَلُّهُمْ فِي ٱللَّهُ وَمَثَلُّهُمْ فِي ٱللَّهُ وَمَثَلُّهُمْ فِي ٱللَّهُ وَمَثَلُّهُمْ فِي اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُولِي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُولِيَّ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ال

الوجه الثَّانِي: المَثَل بمعنى سُنَنٌ، كقوله تَعَالَى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَذْخُلُواْ الْجَنَّكَةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ ﴾ (٧) يعني سُنَنَ الَّذِيْنَ مِنْ قبلكم مِنْ الملأ، يعني مؤمني الأمم الخالية، وقوله تَعَالَى: ﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (٨) يعني سُنن

⁽١) سورة الرعد: الآية ٣٥.

⁽٢) سورة الأعراف: الآية ١٠.

⁽٣) المصباح المنير للفيومي: ص٤٣٨، مادَّة مثل.

⁽٤) سورة الحشر: الآية ٢١.

⁽٥) سورة النحل: الآية ٧٥.

⁽٦) سورة الفتح: الآية ٢٩.

⁽٧) سورة البقرة: الآية ٣٠.

⁽٨) سورة الزخرف: الآية ٨.

الأولين، وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَمَا يَأْتِكُم مَّنُلُ ٱلَّذِينَ خَلَوًا مِن قَبْلِكُم ۗ ﴿ (١) يعني سنن العذاب مِنْ الأمم الخالية.

الوجه الثَّالِث: بمعنى عِبْرَة، قوله تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبَدُ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَهُ مَثَلًا لِبُنِيَ إِسْرَتِهِ بِلَ () عني عِبْرَة.

الوجه الرَّابع: بمعنى العذاب كقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالُ ﴾ (٣) يعني: وصَفْنا لكم العذاب إنه نازُلٌ بهم في الدُّنيا، يعني الأمم الخالية.

والَمْثَل والمَثِلُ: كالمِثْل والجمع أمثال(٤).

وأما المَثَل: جمع أمثال، وهو بالأصل بمعنى نظير (٥).

وهكذا وَرَدَ (المَثَل) فِي إعمال قدرة الله تَعَالَى فِي خلقه كَمَا فِي قوله تَعَالَى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثُلِ ءَادَمَ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثُلِ ءَادَمَ ﴿ أَيِّ المَثَل بِالفَتْحِ، وَلَمْ يرد التعبير بالكسر فِي الآية المُبَارَكَة أو التعبير مَثَل آدم _ أو مَثَل عيسى إلى آدم؛ وَذَلِكَ فيه الكسر فِي الآية المُبَارَكَة عُول قدرة الله تَعَالَى فِي عيسى للنَّا فَيكُون شأن احتمالات لِأنَّ الكلام فِي الآية حول قدرة الله تَعَالَى فِي عيسى للنَّا فَيكُون شأن عيسى النَّا مَثَلُ _ بالفتح _ عِنْدَ الله عيسى النَّا مَثَلُ _ بالفتح _ عِنْدَ الله عيسى النَّا مَثَلُ _ بالفتح _ عِنْدَ الله

⁽١) سورة البقرة: لاآية ٢١٤.

⁽٢) سورة الزخرف: الآية ٥٩.

⁽٣) سورة الفرقان: الآية ٣٩.

⁽٤) لسان العرب: مادّة مثل.

⁽٥) مجمع البحرين للعلّامة الطريحي ١٠٠٠ مأل ..

⁽٦) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

٣٩٦ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني لأجل التشبيه بين فعل الله وقدرته في الموردين - مورد آدم ومورد عيسى المُمَالِكُا.

المَثَلُ اصطلاحاً: هُو عبارة عَنْ الآية والتجلّي، بظهور، ويُطلق ـ المَثُلُ عَلَى المعلول بالإضافة إلى علّته، فَإِنَّهُ لا يُشارك علّته فِي ماهيّة، ولكنّه حاكي عَنْ كهال علّته فَيُطلق عَلَى الرقيقة الحاكية عَنْ كهال الحقيقة، وَعَلَى الآية بالنسبة إلى ذي الآية، والوجود القائم بغيره، أيّ الوجود الحرفي، وتقدم أنَّ المثلَ لهُ مُرادفات عقلية عديدة، وسيأتي المزيد في موضعه المناسب، ويُقرِّر القُرآن الكريم ثبوت المَثل ﴿ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُو الْعَزِيزُ الْمَثِلِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُو الْعَزِيزُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُو الْعَزِيزُ مورد المثل، بَلْ يتعدّى إلى ما وراءه وَهُو الأعظم نظير ﴿ وَرِضُونَ ثُرِّ مِن مصيغة المُورد المثل، بَلْ يتعدّى إلى ما وراءه وَهُو الأعظم نظير ﴿ وَرِضُونَ مُن مِن اللّهِ اللّهِ الْمُارَكَة وَرَدَ بها التعبير بصيغة المُور في هَذَا التعبير بصيغة المُور في هَذَا التعبير بالله الأعلى] وَلَمْ تعبّر [ولله الأمثال] فيا هُو السّر في هَذَا التعبير؟

هل المقصود مِنْ (المَثَل) أيّ جنس المَثَل أم شيء آخر؟ وسيأتي التعرُّض لهذه النكتة تحت عنوان [الغرض مِنْ مبحث الأسماء].

ثمَّ أنَّ القُرآن الكريم يذكر لِكُلِّ شيءٍ مثلاً وَلَمْ يعبِّر لله كَمَا فِي قوله تَعَالَى ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ بينها هُنَا عَبَّر [ولله الأمثال].

⁽١) سورة النحل: الآية ٦٠.

⁽٢) سورة التوبة: الآية ٧٢.

الكلام في قاعدة الأمثال يقع في جهات

وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (١) فسَّرها صاحب مجمع البيان العلَّامة الطبرسي ﷺ بشِبْه حال الأولين، وكذا قوله تَعَالَى ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوًا مِن قَبْلِكُم ﴾ (٢).

وَهَذَا نظير ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسَّمَا أَهُ ٱلْخُسُنَى ﴾ (٣) بتقريب: _ فَإِنَّ للأسم وللمثل وللآية وللتجلّي مَعْنَى واحد أو مُتقارب، ولا ربط للمَثَل بالتوافق بين شيئين فِي حَدِّ، وَإِنَّهَا المَثَل هُوَ تَجلّي لصاحبه، أو هُوَ الشيء الذي لا يشترك مَعَ الشيء المَمَثَّل لَهُ فِي النوع أو الجنس.

والْمَثَل لَيْسَ فَقَطْ مقابل المِثْل وَإِنَّمَا يجري الْمَثَل فِي القِصَّة والقصص، وأنَّ القصص الَّتِي ذُكِرت فِي القُرآن الكريم هِيَ مَثَلٌ، وأنَّ الغاية مِنْ القصَّة ـ كَمَا مَرَّ ـ فِي القُرآن هِيَ العبور إلى الغير.

كَذَلِكَ الغاية مِنْ الأمثال فِي القُرآن هِيَ العِبْرَة والعبور إلى الغير، والترجمان فَإِنَّ المَثَل ترجمان للمُمثل لَهُ.

إذَنْ هُنَاك ترابط وتلازم بين بحث القصَّة والأمثال والمَثَل والعبور والتذكّر والترجمان.

ثَالثاً: المثال لغةً: والمِثْل والمِثالُ فِي معنى واحداً (٢) وجمع المثال أمْثِلَةٌ،

⁽١) سورة الزُّخرف: الآية ٨.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

⁽٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

⁽٤) معجم المقاييس لابن فارس: ج٥.

٣٩٨ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجز الثاني والمثال: الفراشُ والجمع مُثُل وَهُوَ شيء يُماثل ما تحته أو فوقه.

والمِثال: بالكسر اسمٌ مِنْ ماثَلَهُ مُماثَلةً إِذَا شَابَهَهُ، وَقَدْ استعمل الناس (المِثال) بمعنى الوصف والصورة، فقالوا: مِثالُهُ كذا أيّ وَصْفَهُ وصورتُهُ، والجمع أَمْثِلَةٌ(۱).

والفرق بين المِثْل والمِثال: المِثْل: هُوَ المشارك فِي تمام الحقيقة، ولذا نُفي عَنْ الله _ سُبْحَانَهُ _ المِثل كَمَا قَالَ: ﴿ لَيْسَ كُمِثْلِهِ مِ شَحَى مُ اللهُ وَالمِثال: المشارك فِي بَعْض الأغراض، فَإنَّ الإنسان المنقش فِي الجدار، مثال للإنسان الطبيعي لمشاركته فِي المقدار، والجهة ونحوه، وَلَيْسَ مثلاً لَهُ (٣).

والمِثال: صفة المقدار، والقصاص، والشيء، والفراش ينام عَلَيْهِ يُقَال «فِي البيت مثالٌ رثّ» أيّ فراشٌ خلق، وجمع المثال: أمثِلَةٌ ومُثُلٌ ومُثُلٌ ومُثُلٌ ، والمثال: المقدار وَهُوَ مِنْ الشِّبْه (٥) القالب الذي يُقَدَّر عَلَى مثله صفة الشيء وصورته (٦).

اصطلاحاً: المثال:

⁽١) المصباح المنير للفيّومي، مادّة ـ مثل ـ .

⁽٢) سورة الشورى: الآية ١١.

⁽٣) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ص٤٨٠.

⁽٤) أقرب الموارد للشرتوني، مادّة ـ مثل ـ .

⁽٥) لسان العرب لابن منظور، مادّة ـ مثل ـ .

⁽٦) معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا، مادّة مثل بتصرف.

الكلام في قاعدة الأمثال يقع في جهات

رابعاً المُثُل لُغةً: هُوَ جمع المثال: والجمع: أمثِلَة ومُثُل (١).

وَقَدْ وَرَدَ فِي نهج البلاغة، قَالَ أمير المؤمنين اللهِ: "واعلم أنَّ لِكُلِّ ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه ... "(المج البلاغة).

واصطلاحاً:

خامساً: المُثْلَةُ: يُقَال: مَثَّلَ بالرَجِلِ يَمْثَل مَثْلاً ومُثْلَةً ـ الاخيرة عَنْ ابن الإعرابي ـ ومَثَّل كلاهما: نكَّل به، وَهِي المَثْلَةَ والمُثْلةُ، قَالَ الزجَّاج: الضمَّة فيها عِوَضٌ مِنْ الحذف(٢)، والمُثلَة اسم وزان غُرْفة، من الفِعل مَثَلْتُ بالقتيل مَثْلاً من باب قَتَلَ وضَرَب إذا جَدَعُتَهُ وَظَهَرَت آثارُ فِعْلك عليه تنكيلاً والتشديد مُبالغة(٢).

المُثلَةُ: _ بالضّم: التنكيل أو آفة من قولهم (فلانٌ مُثْلَةٌ في الخير والشر) أي عَجَبٌ وآفة، وَهَذَا كَمَا يُقَال لمن كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفة فتنة وداهية، واسم مِنْ مَثَل به إذَا نُكِّلَ به (٣) والعَرَبُ تقول العقوبة: _ مَثُلَةً، ومُثْلَة؛ فَـمَنْ قَالَ: (مُثْلَةً) جمعها عَلَى مَثْلات، وَمَنْ قَالَ: (مُثْلَةً) جمعها عَلَى مَثْلات، وَمَنْ قَالَ: (مُثْلَةً) جمعها عَلَى مُثُلات ومُثَلات ومُثلات ومُثلات فِي العقوبة:

⁽١) لسان العرب لابن منظور مادّة ـ مثل ـ .

⁽٢) المصباح المنير للفيّومي، بتصرّف.

⁽٣) أقرب الموارد مادة مثل.

⁽٤) معجم تهذيب اللغة للأزهري.

. . ٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

التنكيل، تُجْمَع عَلَى مُثُلات ومَثَلات ومَثَلات (١).

سادساً: المَثْلَة: _ العقوبة، يُقَال: حَلَّتْ به المَثْلَة، وما أصابَ القرون الماضية مِنْ العذاب وَهِيَ عِبَرٌ يُعتبَرُ بها والجمعُ مَثُلات (٢).

سابعاً: المَثيْل: الشِبْه والنظير والفاضل، جمع مُثُل، والمَثيل تصغير المِثْل (٣) الشبيه والنظير والفاضل في قومه (٤).

ثامناً: الأَمثْل: _ الأفضل في قومه أو الأشبه بالأفاضل، الادنى عَنْ الحير يجمع، أماثِل ومُثُل، وجاء في الحديث في جمعه: المياثل (٥) ذو الفضل الذي يَسْتَحق أنْ يُقَال لَهُ، هُو أَمْثَل قومه (١) كالأَفْضَل زِنَةً ومعنى و (زيد أَمْثَل مِنْ عمرو) أيّ: أَفْضَل، و (هَذَا أَمْثَل قومه) أيّ أَفْضَلهم، قِيلَ هُو أَمْثَل مِنْ عمرو) أيّ: أَفْضَل، و (هَذَا أَمْثَل قومه) أيّ أَفْضَلهم، قِيلَ هُو أَمْثَل مِنْ عمرو) أيّ الشبه، يُقَال هُو أَمْثُل بالأفاضل كَمَا يُقَال أشبه بالأفاضل مَثَل الشبه منى الأشبه، عَلَى المُفضل وصُرِّف مِنْهُ فعلٌ، بالأفاضل، ثمَّ كثر استعماله فصار بمعنى الأفضل وصُرِّف مِنْهُ فعلٌ، مؤنثه _ الأمثل _ مُثلى، تجمع أمَاثِل (٧).

تاسعاً: المُثْلَى: قَالَ الأخفش: _ المُثْلَى تأنيث: _ الأَمثَل، والطريقةُ

⁽١) معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا.

⁽٢) أقرب الموارد مادّة ـ مثل ـ .

⁽٣) المصدر السابق.

⁽٤) معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا.

⁽٥) معجم متن اللغة للشيخ محمد رضا.

⁽٦) معجم تهذيب اللغة للأزهري.

⁽٧) أقرب الموارد للشرتوني اللبناني بتصرف.

الكلام في قاعدة الأمثال يقع في جهات

الْمُثْلَى أَيِّ الشبهى بالحق^(۱) مؤنث الأمثل، والطريقة المُثْلَى الَّتِي هِيَ أَشبه بالحق، وَالَّتِي هِيَ أَعدل (۱) ﴿ بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَى ﴾ (۳) بتقريب: _ إنَّ المُثْلَى هُوَ الأشبه بالأفاضل والأقرب إلى الخير.

الجهة الثانية: نذكر فيها أمرين:

الأوَّل: الفرق بين المِثْل والمَثَل والمثال ـ حسب الاصطلاح.

الثَّانِي: مدرك القَاعِدَة، الآيات والروايات:

الأمر الأوَّل: الفرق الاصطلاحي بين : المِثْل والمَثَل والمثال.

المِثْل فِي المصطلح العقلي: _هُوَ الفرد مِنْ طبيعة مُتشابهة لفرد آخر مِنْ نفس الطبيعة أو مِنْ صنفه أو مِنْ نوعه أو مِنْ جنسه ويختلفان فِي الصفاة الفردية (٤).

المَثَل اصطلاحاً: هُوَ الآية والتجلّي والظهور، وَقَدْ قرَّرها القُرآن الكريم ثبوت المَثَل ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (٥).

الأمر الثانِي: مدرك القاعدِة منِ الآيات والروايات:

أَمَّا الآيات كقوله تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ عَشَى أَيُّ ﴾ (١) بتقريب: - إنَّ

⁽١) معجم تهذيب اللغة للأزهري.

⁽٢) معجم متن اللغة، محمد رضا:

⁽٣) سورة طه: الآية ٦٣.

⁽٤) تقدَّم تعريف المِثْل اصطلاحاً.

⁽٥) تقدم مُفصَّلاً في تعريف الْمَل اصطلاحاً.

⁽٦) سورة الشورى: الآية ١١.

٤٠٢..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

هَذِهِ الآية مِنْ مُحكمات القُرآن، وأنَّ الله تَعَالَى لَيْسَ بنوع ولا جنس ولا صنف، وَلَيْسَ فِي ذاته تَعَالَى تركب، ولا يشترك معه أحَدٌ فِي الطبيعة والذات، فَكَمَالاته تَعَالَى تُحَدِّ وذاته لا تحدُّ كَذَلِكَ، وَإِلَّا كَانَ الباري ناقصاً تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ علواً كبيراً، وَلَيْسَ لَهُ مِثْل؛ لِأَنَّ المِثْل لابُدَّ لَهُ مِنْ توافق أمرين: يوافقه فِي حَدِ وفي مثل.

وَوَرَدَ فِي الأدعية: «لا حَدَّ لَهُ، ولا نِدَّ لَهُ، ولا شبيه لَهُ، ولا ضِدَّ لَهُ، ولا حَدود لَهُ، ولا كفواً لَهُ، ولا كنه لَهُ، ولا مِثْل لَهُ، ولا شريك لَهُ فِي ملكه، ولا وزير لَهُ و ... (۱).

وَوَرَدَ «... لا ضِدَّ لَهُ، ولا نِدَّ لَهُ، ولا وَلَدَ لَهُ، ولا سَمِيَّ لَهُ، ولا كفو لَهُ، ولا قريب لَهُ، ولا شبيه لَهُ، ولا نظير، ولا مُبَدِّل لكلهاته، ولا يَبْلُغ شيء مَبْلَغه، ولا بقلر شيء قدرته، ولا يُدْرك شيء أحرزه، ولا يحولُ دونه شيء ...» (۲).

وما وَرَدَ فِي هذين الخبرين ضروب مِنْ المِثْل العقلي فِي الأجناس، أو الأنواع، أو العوارض العارضة عَلَى الماهيّة أو الوجود الخارجي، والجامع بين هَذِهِ الأنواع هُوَ تقرير الماهيّة للشيء فيتهاثل معها فِي أحد درجاتها، كَمَا وَرَدَ فِي خطبة أمير المؤمنين المَيِّلِا: «ما وَحَدَه مَنْ كَيَّفَهُ، ولا حقيقته أصاب مَنْ مَثْلَه، ولا إيّاه عَنى مَنْ شبّههُ، ولا صَمَده مَنْ أشار إليه

⁽١) بحار الأنوار: ج٩٤، باب أعمال أيام مطلق الشهور ولياليه: ص٢٦٩.

⁽٢) بحار الأنوار: ج٩٥، باب أعمال خصوص يوم عرفة وليلتها ص٢٢٩.

وَعَنْ الإمام زين العابدين العلاد والصمَدُ الذي أبدعَ الأشياء فَخَلَقَها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتَفَرَّدَ بالوِحْدَة بلاضِدِّ، ولا شَكْلِ ولا مِثْلِ ولا نِدِّ»(٢).

وكقوله تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَـزِيرُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ".

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِمِينُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١٠).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُ مْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٥).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثُـٰ لُ نَضْرِيُهُ كَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهُ ۖ إِلَّا الْعَسَلِمُونَ ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثُـٰ لُ نَضْرِيُهُ كَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهُ ۖ إِلَّا الْعَسَلِمُونَ ﴿ وَمَا يَعْقِلُهُ كَا الْمُعَالِمُونَ ﴿ وَمَا يَعْقِلُهُ كَا اللَّهُ عَلَيْهُ كَا اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّاللَّا اللّه

بتقريب: _ مضمون هَذِهِ الآيات الْمُبَارَكَة تشير إلى:

أَوَّلاً: فَمِنْ جانب أَنَّ الله تَعَالَى ينفي أَنْ يَكُون لَهُ مِثْل ـ بكسر فسكون ـ بينها يُثبت لَهُ تَعَالَى المَثَل ـ بفتحتين.

ثانياً: يُسْنِد تَعَالَى لنفسه ضَرْب الأمثال، وأنَّ الغاية مِنْهَا هُوَ التَفكُّر، ثمَّ التعقُّل ثمَّ التذكُّر.

⁽١) بحار الأنوار: ج٧٤، باب خطبه المعروفة: ص٠١٣.

⁽٢) التوحيد للصدوق: ص ٤٨/ ح٤.

⁽٣) سورة النحل: الآية ٦٠.

⁽٤) سورة الروم: الآية ٢٧.

⁽٥) سورة إبراهيم: الآية ٢٥.

⁽٦) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

٤٠٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات -الجزء الثاني

ثالثاً: ينفي الله تَعَالَى قدرة البشر أَنْ يضربوا الأمثال لله تَعَالَى، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَضُرِبُوا لِللَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللَّا اللّهُ اللّهُ اللللّ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَيِلًا ﴿ اللَّ اللَّهُ اللّ

رابعاً: وَمِنْ النقطة السابقة يتبيِّن أنَّ القدرة عَلَى معرفة المَثَل والأَمْثال ينطوي عَلَى علم بحقائق الأشياء، وأنَّ لُغَة الأَمْثال والمَثَل ليست لغة خطابية، بَلْ هِيَ لُغَةٌ بُرهانية.

خامساً: إنَّ المَثَل ـ بفتحتين ـ مرادفٌ عقلاً لمعنى الآية والاسم، وإنْ لَمْ يكن مُرادفاً لَهُ لُغَةً، وَمِنْ ثمَّ يتبيِّن أنَّ هُنَاك مُرادفات عقلية كثيرة للمَثَل كالحرف والكلمة والدال والتجلّي والظهور والاسم والنعت والوصف والإشارة والظهور والآية وغيرها مِنْ المُرادفات العقليّة، وَمِنْ ثمَّ يتضح أكثر فأكثر اشتراك حِكْمَة المثل مَعَ أحكام المُرادفات لها، فَكَمَا أنَّ الأسهاء توقيفيّة وتوقيتيّة فكذلك لا يُضرَب لله المَثل والأمثال، بَلْ هُوَ لَهُ تَعَالَى أنْ يتّخذ المَثل الأعلى لنفسه كمَا هُوَ الحال في الصّفات في قوله تَعَالى أنْ يتّخذ المَثل الأعلى لنفسه كمَا هُوَ الحال في الصّفات في قوله تَعَالى:

⁽١) سورة النحل: الآية ٧٤.

⁽٢) ذكرت الآية في موضعين في الإسراء: ٤٨، والفرقان: ٣٩.

الكلام في قاعدة الأمثال يقع في جهات

﴿ سُبَحَنَ ٱللّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ ﴿ اللّهُ ﴿ اللّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ سُبَحَنَهُ وَتَعَلَىٰ اللّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ اللّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ اللّهُ ﴿ اللّهُ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ اللّهُ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ اللّهُ ﴿ اللّهُ مَا يَعِلَىٰ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ

سادساً: حيث تبيَّن ممّا تقدّم ترادف المَثل والأمثال مع الأسهاء والآيات، تبيّن من ذلك أن المثل له تأويل، وله تعبير مترامي الى بطون عديدة، وَمِنْ ثمَّ يحتاج التدبُّر فِي المَثل والأمثال إلى تَعَقُّل وتفكَّر، فإذا تَمَّ الوصول إلى مقامات البطون ومنازل المعاني التأويليّة حصل للإنسان درجات مِنْ الذكر والتذكّر، وَمِنْ ذَلِكَ تبيَّن أنَّ المَثل والأمثال درجات وطبقات مُترامية ومتعاقبة طولاً ورتبةً، وبحذاء ذَلِكَ وموازاته تترامى درجات التعقُّب للأمثال ودرجات الذكر والتذكّر.

ويتعدَّد التأويل والتعبير والعبور ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾(١٠).

بتقريب: _ المُرَاد (مِنْ تأويل الأحاديث) أيّ مِنْ تعبير الرؤيا، تسمّى التعبير تأويلاً، لِإنَّهُ يؤول أمرُه إلى ما رأى فِي المنام، وسُمّي الرؤيا

⁽١) سورة المؤمنون: الآية ٩١.

⁽٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

⁽٣) سورة الصَّافات: الآية ١٥٩.

⁽٤) سورة الصَّافات: الآية ١٨٠.

⁽٥) سورة الزُّخرُف: الآية ٨٢.

⁽٦) سورة يوسف: الآية ٦.

٤٠٦ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

أحاديث لأنبًا أحاديث تلك الرؤيا إنْ كَانَتْ صادقة، وأحاديث النفس والشيطان إنْ كَانَتْ كاذبة (۱۱) أو مِنْ تأويل غوامض كتب الله تَعَالَى، وسنن الأنبياء، وكلمات الحُكماء، ويمكن إرجاع تعبير الرؤيا إلى الأصل، فإنَّ النَّوم أحاديث النفس إمَّا ملكية أو شيطانيّة، ويمكن أنْ يَكُون المُرَاد بالأحاديث مطلق أحاديث النفس، وخطوراتها أعم مِنْ النَّوم واليقظة، وتأويلها هُوَ الانتقال إلى ما يرتبط بها مِنْ الحوادث؛ فَإنَّ عامّة الحوادث مرتبطة بعضها ببعض (۲) وَقِيلَ المُرَاد مِنْ تأويل الاحاديث: أيّ تعبير الرُّؤيا، لِأنَّ يوسف اللَّهِ قَدْ بلغ الغاية فِي تفسيرها ومعرفة مآلها، ولكن ظاهر اللَّفظ أعم مِنْ ذَلِكَ، والأنسب بنبوَّة يوسف اللَّهِ أنْ يَكُون تأويل الأحاديث؟ الأحاديث الأحاديث كناية عَنْ معرفة الحقائق، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ سيعلمه ما لمَ يكن يعلم (۳).

وَمِنْ كُلِّ هَذَا يتلخَّص أَنَّ التأويل هُوَ إرجاع الشيء، ونتيجة ومآل كُلِّ عمل أو حديث تصل إلى الغاية والهدف النهاية تسمّى تأويل، وتحقّق الرؤيا فِي الخارج مصداق للتأويل.

⁽١) زبدة التفاسير، للفيض الكاشاني: ج٣، ص٣٤١.

⁽٢) تفسير البيان، لِلْسَّيِّد العلّامة الطباطبائي: ج٦، ص٢٣.

⁽٣) التفسير الكاشف، مُحمَّد جواد مغنية: جَ ٤، ص ٢٨٩.

⁽٤) سورة النحل: الآية ٧٤.

بتقريب: _ إنَّ لَيْسَ هُنَا نَفِي الأَمثال لله امتناعاً ذاتيًا، وَإِنَّمَا نَفِي علم البشر والحَلْق بأَمثال الله، بمعنى أنَّ الله تَعَالَى مالِكُ للأَمثال، ويتضح مِنْ هَذَا المعنى إذَا تَقَرَّر أنَّ المَثَل _ بالفتح _ مرادفٌ عقليّ للاسم والآية، وَكَمَا أنَّ الأسماء توقيفية وتوقيتيّة، فكذلك الحال فِي المَثَل _ بالفتح _ والأَمثال.

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَاذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ مَثَلٍ مَثَلٍ مَثَلً وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ أَكُثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿ قَالَ اللَّهُ ﴾ (١).

بتقريب: _ إنَّ كُلِّ مَثَلِ يمكن أنْ يَخْطُر عَلَى الإنسان هُوَ تعبيرٌ وآية لشيء ولما وراءه ودالِّ عَلَى عموميَّة الأمثال، فَهُوَ مقرَّر وجوده فِي القُرآن الكريم، وَعَلَيْهِ فَإنَّ قَاعدِة الأمثال ليست هِيَ قَاعدِة أبعاض، وَإنَّما هِيَ دالَّةُ عَلَى العموم.

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَ الِلنَّاسِ فِي هَاذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ (٣). وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَ الِلنَّاسِ فِي هَاذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلِ لَّعَلَّهُمْ يَاذَكَّرُونَ ۞ ﴾ (٣).

وقوله تَعَالَى: ﴿ كَنَالِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (١).

بتقريب: _إنَّ الألف واللام في (الأمثال) للجمع والعموم الاستغراقي.

⁽١) سورة الكهف: الآية ٥٤.

⁽٢) سورة الروم: الآية ٥٨.

⁽٣) سورة الزمر: الآية ٢٧.

⁽٤) سورة الرعد: الآية ١٧.

٤٠٨ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُ مْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَيَلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ ﴿ اللَّا ﴾ (١).

قراءة الأمثال بلغة عقلية فكرية:

وَمِنْ خلال استعراض الآيات الْمباركة الآنفة الذكر يتبيَّن: ـ أنَّ المثل فِي القُرآن الكريم لا يقتصر فيه عَلَى درجةٍ وسطح نازلِ الذي هُوَ المثل في علم البلاغة ـ المعاني والبيان و البديع ـ وَاللَّغَةُ، بَلْ أَكَّدَ القُرآن الكريم عَلَى قراءة المَثَل القرآني بقراءة علميّة وعقليّة عميقة ودقيقة يُبَيِّن فيها لُبِّ اللباب، وحاق وحقيقة المثل، وَهَذَا معناه أنَّ الأديب وَالْمُفَسِّر والباحث وغيرهم عليهم أنْ لا يقرأوا المَثَلَ القُرآني بقراءة سطحيّة نازلة وبحسب درجات اللُّغَة الأدبيّة، وَإِنَّمَا لابُدَّ أَنْ تُقرأ بقراءة علميّة وعقليّة عميقة لا يعقلها إلَّا العالمون، كَمَا توهمه كثير مِنْ الْمُفَسِّرِين وأنَّ قَاعدِاَة الأمثال فِي القُرآن هِيَ قَاعدِهَ أدبية لفظية لغوية استعمالية، والواقع أنَّها تحتاج إلى أنْ تقرأ بقراءة عقليّة علميّة عميقة وبحاجة إلى عُلَمَاء متخصّصون فِي علوم حَتّى يصلوا إلى نتائج علميّة وبرهانيّة لا يستطيع الأديب أو اللغوي أنْ يصل إلى تلك النتائج العلمية الَّتِي قَدْ توصل إليها مِنْ خلال القراءة العلمية العقليّة الفكريّة كالمتخصّص في علم الفيزياء

⁽١) سورة إبراهيم: الآية ٢٥.

⁽٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

الكلام في قاعدة الأمثال يقع في جهات

فَإِنَّهُ يقرأها بقراءة فيزياوية، والعالم بعلوم الفضاء يصل لها بلغة علوم، وهكذا صاحب كُلِّ تخصّص يستطيع أنْ يقرأ الأمثال القُرآنية بحسب ما توفّرت لديه مِنْ آليات علمه.

وأمَّا الروايات الَّتِي تصلح كمدرك لقاعدة الأمثال فِي القُرآن فسنعرض بعضاً مِنْهَا كَمَا يلي:

فَقَدْ روي عَنْ أمير المؤمنين الله قوله: «إنَّ أسهاء الله الحُسْنى وأمثاله العُليا، وآياته الكُبرى»(١).

عَنْ الصادق عَلِيْ فِي وصف المعراج ... فَقَالَ تَعَالَى لي: «يا مُحمَّد هَذَا الْحَرَم وَأَنْتَ الحرام وَلِكُلِّ مَثَلِ مثال ... »(*) الخ.

... رواية تفسير الإمام اللهِ في أحياء ستة بدعاء رسول الله عَلَيْ قالوا: _قَدْ رأينا لـمُحمَّدِ مثالاً عَلَى سرير عِنْدَ البيت المعمور وَعِنْدَ العرش، ولعليِّ اللهِ مثالاً عِنْدَ البيت المعمور وَعِنْدَ العرش، وأملاك الساوات والحُجُب، وأملاك العرش يحفّون بها ويعظمونها، ويصلّون عليهان ويصدرون عَنْ أوامرهما، ويقسمون عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ لحوائجهم إذا سألوه بها ".

وروى الشَّيْخ الطوسي فِي الأمالي عَنْ الصادق لللِّهِ عَنْ الْنَبِيَّ عَلَيْكُ الْنَبِيَّ عَلَيْكُ وَلَهُ عَنْ الْنَبِيَّ عَلَيْكُ وَلِهُ عَلَيْكُ الله أشهدَك معي فِي سبعة مواطن حَتَّى آنست بك، قوله عَلَيْكُ (يا عليّ إنَّ الله أشهدَك معي فِي سبعة مواطن حَتَّى آنست بك،

⁽١) مستدرك سفينة البحار للشيخ عَلَى النهازي: ج٩، ص٣١٨.

⁽٢) المصدر السابق: ٣١٥.

⁽٣) إحقاق الحقّ: ج٩، ص٦٦٨؛ ومستدرك سفينة البحار: ج٩، ص٣١٧.

٠١٤..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني وقوله لَهُ مكرَّراً: ومثالك معى (١).

رواية العُيون بإسناده الصحيح عَنْ ياسر الخادم، عَنْ الرضائلِيِّا عَنْ آبائه اللَّهِ اللهُ عَنْ آللهُ اللهُ عَنْ آبائه اللهِ الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله وَأَنْتَ الطريق إلى الله، وَأَنْتَ النبأ العظيم، وَأَنْتَ الصراط المستقيم، وَأَنْتَ المَثَل الأعلى (٢).

روى الصدوق في الأمالي بإسناده عَنْ الأصبغ بن نُباتة عَنْ أمير المؤمنين اللهِ: _ «أنا خليفة رسول الله ووزيره ووارثه ... إلى أنَّ قَالَ: أنا الحجة العُظمى والآية الكُبرى، والمَثَل الأعلى»(٣).

وفي خطبة لأمير المؤمنين المنظفظ: _ أعطانا الله عشر خصال لَمْ يكن لأحدٍ قبلنا، ولا يَكُون لأحدٍ بعدنا إلى أنْ قَالَ: _ فَنَحْنُ كلمة التقوى، وسبيل الهُدَى، والمثل الأعلى والحجة العُظمى(٤).

روى الصدوق الله بإسناده عَنْ الهيثم بن عبدالله الرمّاني عَنْ الرضاطيّلِا عَنْ الرضاطيّلِا عَنْ أمير المؤمنين الله قوله في خطبة لَهُ في وصف الله تَعَالَى: «فلا إليه حدٌّ منسوب، ولا لَهُ مَثَلٌ مضروب، ولا شيءٌ عَنْهُ محجوب تَعَالَى عَنْ ضرب الأمثال والصّفات المخلوقة علوّاً كبيراً»(٥).

⁽١) مستدرك سفينة البحار: ج٩، ص٣١٧.

⁽٢) المصدر السابق: ص١٨٦، إحقاق الحقّ: ج٤، ص٢٨٤.

⁽٣) المصدر السابق: ص٣١٨.

⁽٤) المصدر السابق: ص٣١٩.

⁽٥) عيون أخبار الرضا: ج١، ص١١٢.

الكلام في قاعدة الأمثال يقع في جهات

... أبي العبّاس الفلكي، قَالَ عليُّ اللّهِ! «ألا إنَّ الذِكرَ رسول اللهُ عَلَيْ اللهِ وَنَحْنُ منار الهُدَى اللهُ عَلَيْ العلم، وَنَحْنُ منار الهُدَى وأعلام التُّقَى، ولنا ضُرِبَتْ الأمثال»(١).

الجهة الثالثة: القرآن الكريم اعتمد أسلوب المثل من ضمن أساليب عديدة اعتمدها،

كما نبهت عليه روايات أهل البيت.

ما مضمونه إنَّ أسلوب القُرآن: _ السنن والأمثال، والفرائض والأحكام، والحكمة والجدل، والأخبار والأنباء، والمحكم والمتشابه، وزجرٌ وأمرٌ، وترغيب وترهيب، وجَدَلٌ وقصص ومَثْل وأمثال.

ورواه أصحابنا عَنْ أمير المؤمنين اللهِ أَنَّهُ قَالَ: _ «إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنزل القُرآن عَلَى سبعة أقسام كُلِّ قسم مِنْهَا كافٍ شافٍ وَهِيَ أُمرٌ ورَجرٌ وترغيب وترهيب، وجدل ومَثَل وقصصٌ "``.

ورواية مُحمَّد بن مسلم عَنْ أبي جعفر اللهِ ﴿ وَالنَّهِ اللَّهِ ﴿ وَالنَّهِ إِذَا يَغْشَىٰ اللَّهِ ﴿ وَالنَّهِ إِذَا يَغْشَىٰ اللَّهِ ﴿ وَالنَّهِ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

⁽١) بحار الأنوار: ج٣، ص٨٤، ح٥٠.

⁽٢) بحار الأنوار: ج٩٠، ص٤.

به وَنَحْنُ نعلمه، فَلَيْسَ يعلمه غيرنا »(١).

الجهة الرابعة: ارتباط أسلوب المثل بالتعريض:

والكلام فيها يقع فِي نقاط:

النقطة الأولى: مِنْ الظاهر استعمال أسلوب المَثَل مِنْ أحد أساليب التعريض؛ لِأَنَّ المَثَل _ كَمَا مَرَّ _ هُو آيةٌ وعلامة لما وراءه، وَقَدْ تترامى طبقات الآيات والعلامات، فالمَثَلْ كـ (الكِن) الذي يَحْفَظ خَلْفَه المُراد الأصلي فيعْبَر مِنْهُ إليه سواء بواسطة أو بوسائط، فَيَكُون المَثَلُ بمثابة وبمنزلة الكناية وأقسامها العديدة بالمعنى الأعم وبالتالي يتطرَّق التأويل بحسب طبقات المعنى ودرجاته.

نعم، لا ينحصر التعريض بأسلوب المثل، بَلْ يَعُمُّ بِقيَّة أبواب وأساليب القُرآن الكريم كأبواب القصص والحِكم والجَدَل و ... الخ.

النقطة الثّانية: إنّهُ رغم التفات جملةٍ مِنْ المُفسرين إلى أسلوب المَثَلَ فِي القُرآن، لا سيّها جملة مِنْ مُفسريّ الخاصّة، وأسلوب المَثَل ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ الغرض النهائي مِنْه هُوَ العبور مِنْ المَثَل إلى ما وارءه، وأنَّ ما وراءه هُوَ الغرض النهائي مِنْه هُو العبور مِنْ المَثَل إلى ما وارءه، وأنَّ ما وراءه هُو المُراد كفاية فِي مراتب الجد، إلَّا أنَّهُ يعكفون عَلَى المَثَل وخصوصياته ولا يتعدون مِنْهُ إلى وراءه، ويقصرون الأهميّة عَلَى سطح المَثَلِ نفسه، بينها ذَلِكَ إخلالٌ بقاعدة أسلوب المَثَل، بَلْ يجعلون مِنْ المثل مداراً وأساساً

⁽١) تفسير القُمّي: ج٢، ص٤٢٥، عَنْهُ البحار: ج٢٧، ص٢٠٥، ح٨٠.

ومهيمناً عَلَى ما سواه مِنْ المعاني وأمٌّ لها، بينها أسلوب المَثَل عَلَى العكس عَاماً مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا ما هُوَ مشاهَدٌ فِي مناهج التفسير لدى غالب، أو جُلّ المُفَسِّرِين وَمَنْ جَعَل التنزيل بهذه الصِّفات دون التأويل وأنَّ التنزيل مُحُكمٌ والتأويل مُتشابه، أو جعل المُحكم والمتشابه بحسب الدلالة وبنيتها لا بحسب بُنية المعنى وبُنيانه وأحكامه.

النقطة الثّالثة: إنّ تأكيد القُرآن وروايات أهل البيت المِيِّ عَلَى أسلوب المثل فِي القُرآن برهانٌ بَيِّنٌ عَلَى قَاعدِة التعريض الكُبرى فِي أسلوب القُرآن والوحي النازل عَلَى سيّد الأنبياء، بَلْ فِي الاحاديث النبوية وأحاديث المعصومين كَذَلِك، وبالتالي فَهُو بُرْهان عَلَى كون ظاهر القُرآن ودلالته ومدلولاته ذو طبقات ولا ينحصر بطبقة السطح، نعم تلك الطَّبقات والمراتب مِنْ بطون القُرآن بينها ترابط بموازين علوم اللَّغَة والعلوم الأُخْرَى، وأنَّ للمصحف العظيم طبقات مِنْ المعاني وبحور لا تتناهى عِنْدَ حدِّ، وَهَذَا أصلٌ عظيم فِي منهج ثُّفسير القُرآن.

المثل تسمية واسم ولقب وتوصيف وعبِر وآية:

الجهة الخامسة: هُنَاك ترادف عقلي فضلاً عَنْ الترادف الوجودي بين الاسم والتسمية ولأجل توضيح الفرق بين التراد اللغوي والترادف العقلي والتراد الوجودي هُوَ أنَّ يُقَال:

التراض اللغوي:

أمَّا الترادف اللغوي: _ والذي عادةً تكون مفرداته لغوية _ فَإِنَّ اكتشافه لَمْ ينجز بشكل وافر وكامل في اللَّغَة لحدِّ الآن، لتوقّفه عَلَى الترادف المعنوي، والترادف المعنوي يتوقّف عَلَى تحليل علمي للمعاني الكثيرة، وَعَلَى تنقيب ونقض وإبرام وتأمُّل وتدبُّر في المواد الواصلة، وَعَلَى ذَلِكَ فالترادُف اللغوي متوقّف عَلَى الترادُف العقلي الآتي، إذْ الترادف العقلي موطنه المعنى والمعاني، وَمِنْ ثمَّ قَدْ يسمى بالترادف المعنوي.

كَمَا أَنَّ لفصول الرجعة ومسلسل أحداثها أسماءٌ لَمْ تكتشف فيها كُتب عَنْ الرجعة، وَلَمْ ينقّح البحث عنها فِي ذَلِكَ، مَعَ أَنَّهَا مقرّرة وموجودة فِي الروايات، نظير فصول مسلسل (دابة الأرض)، مَعَ أَنَّهَا مِنْ أخطر حلقات مسلسل الرجعة، وَقَدْ وصف هَذَا الحدث فِي روايات الفريقين المستفيضة والمتواترة أنَّها طامّة وهولٌ عظيم، وَأَنَّهُ إِذَا قيس حدث ظهور الإمام المهدي الله على حدث ظهور دابة الأرض فَهُو كالقطرة فِي البحيرة، هَذَا بالقياس الى المفاجئات الكونية الحاصلة عِنْدَ ذَلِكَ الحدث.

وَقَدْ أَطلَقَ عَلَيْهَا (الطامّة الكُبرى) أيضاً، أيّ نسبياً بالقياس إلى ما تقدمها مِنْ أحداث إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ أحداث وتفاصيل كثيرة لَمْ يقع الحوض والبحث والتنقيب فيها مليّاً، ولا زالت الكثير الكثير مِنْ المباحث كمواد خام غَيْر مُنقَّب عنها.

والعامّة لَمْ يلتفتوا إلى جملة مِنْ فصول الرجعة، مَعَ أنَّهم رووها بطرق مُستفيضة ومُتواترة، إلَّا أنَّها لَمْ تتضمّن لفظة الرجعة.

وَمِنْ أمثلة الترادف اللفظي المغفول عَنْهُ فِي الرجعة، ما أُشير إلهي فِي عِدَّة آيات مِنْ علامات الرجعة وإرهاصاتها، وَهُوَ مجيء آيات الرَّب.

وَهَذَا العنوان القُرآني للرجعة عنوان أصيل فِي كتب الحديث لدى الفريقين، لكنّه مغفول عَنْ كونه مِنْ فصول الرجعة اللهِمَّة، وَهَذَا نمط مِنْ أنهاط الترادف اللفظي.

الترادف العقلي:

وأمّّا الترادف العقلي فَهُو اشتراك شيئين وذاتين وماهيتين وهويّتين في جزء مِنْ معنيهما كالجنس القريب المشترك أو الجنس البعيد أو الجنس المتوسّط أو فصل الفصل أو الفصل الفوقي، واللازم هُو وجود وتقرُّر جزء مشترك، فإذا تقرّر وجود ذَلِكَ الجزء المشترك فلا محالة تكون آثار ذَلِكَ الجزء وأحكامه التكوينية مشتركة بينهما، فَيَكُون ما ذَلَّ عَلَى آثار وأحكام الشيء الأوَّل دالاً عَلَى ترتبها عَلَى الثَّانِي أيضاً إذَا كَانَ ترتب تلك الآثار مِنْ حيثية ذَلِكَ الجزء المشترك، فلا محالة يَكُون ذَلِكَ الدَّليل دالاً عَلَى تلك الآثار والأحكام في الشيء الثَّانِي.

وَمِنْ الواضح أنَّ هَذَا المنهج توسّع فِي استنطاق الأدلّة وتحليل مفادها ومعانيها بطريق أعمق وأغور، فلا يقتصر الاستدلال عَلَى الألفاظ المشتركة، ولا عَلَى سطح المعاني، أيّ لا يقتصر عَلَى المعنى المتّحد في سطح الإدراك الأولي وَإِنَّمَا يعتمد عَلَى المعنى المُتّحد المطوي بخفاء في طيّات معاني مُتعدّدة، وَهَذَا يؤدّي إلى اكتشاف الأجزاء المشتركة بين المعاني كنظام موحّد بينها، وَهُوَ اكتشافٌ لبنيان النظام في المعاني.

وَهَذَا بحث وتنقيح وتحرِّ ثبوتي للواقعيات، وَلَيْسَ مُجَرَّد استكشاف دلالي وإثباتي.

وأحد ثمرات هَذَا المنهج ما مَرَّ مِنْ اكتشاف المعنى المتواتر النظري والمُستفيض والموثوق النظرييين المُكتشف بقوة الاجتهاد والتحقيق، بَلْ كَمَا تبيَّن هُنَا أَنَّ الفائدة فِي الترادف العقلي أعظم مِنْ اكتشاف مُجرَّد التواتر، بَلْ ترجع الفائدة إلى اكتشاف نظام التوافق والموافقة مَعَ قَواعِد الكتاب والسنة كبنيان منظومي.

الترادف الوجودى:

وأمَّا الترادف الوجودي فَهُوَ يغاير كلاً مِنْ الترادف اللفظي والعقلي؛ لِإِنَّهُ لا يعتمد عَلَى وحدة تمام المعنى، أو المعنى الظاهر كمَا في الترادف اللفظي، كَمَا أَنَّهُ لا يعتمد عَلَى الجزء المشترك مِنْ المعنى الخفي كمَا في الترادف العقلي، بَلْ لا يعتمد عَلَى الوحدة في المعنى أصلاً، وَإِنَّمَا يعتمد عَلَى وجود الرابطة الوجودية بين شيئين وإنْ لَمْ تكن بينهما رابطة وارتباط في المعنى أصلاً.

واكتشاف هَذَا الترادف أصعب كثير مِنْ اكتشاف التراد العقلي رغم صعوبة الترادف العقلي كَمَا مَرَّ، لا سيّما مَعَ اختلاف درجات الترادف العقلي في الحفاء، وَذَلِكَ لِأنَّ الترادف الوجودي يتخطّى عالم المعنى إلى تقصّي العينية الواقعية وملاحظة الآثار والتأثيرات في الوجود، وملاحظة أنَّ التقارن بسبب الملازمة والتسبب في التأثير أم لا.

وبعبارة أُخْرَى: إنَّ منظومة الوجود وأنظمته أوسع ترابطاً بين الأشياء المختلفة مِنْ ترابط الأشياء فِي جانب معانيها اللغوية وذاتياتها، فَإنَّ الترابط بين الأشياء فِي جانب المعنى مِنْ ناحية ذواتها _ أجناساً أو أنواعاً أو أصنافاً _ أضيق دائرةً مِنْ ترابطها فِي جانب الوجود العيني.

والمِثْل والمَثَل، وإنْ لَمْ يكن بينهما ترادفاً لغوياً، وَذَلِكَ لوجود جهة اشتراك في المعنى وَهِيَ إشارة كُلِّ مِنْ الاسم والمَثَل إلى ما وراءه، وهكذا في بيانات القُرآن الكريم والروايات الواردة عَنْ أهل البيت اللهِ في خصوص الاسم الأعظم، وأنَّ للاسم اسم، ولاسم الاسم اسم، وهكذا فَهُنَاكُ اسمٌ أعظم تتشعب مِنْهُ أسهاء تشتق مِنْهُ أسهاء، ويشتق مِنْ تلك الأسهاء في الطبقة الأولى أسهاء للطبقة الثَّانية، وَمِنْ الطبقة الثَّانية أسهاء للطبقة الثَّانية، وَمِنْ الطبقة الثَّانية أسهاء للطبقة الثَّانية أسهاء والأمثال تترامى طولاً ﴿ سَبِّحِ اَسَمَ للطبقة الثَّانية والته والمَثَل الله الأعلى، ولذا يُعَبِّرون عَنْ هَذَا التسلسل والترامى والتبويب في كُلِّ طبقة بأنَّه بابٌ للطبقة الَّتِي فوقها وهكذا.

⁽١) سورة الأعلى: الآية ١.

فالَثَل والاسم وإنْ اشتركا فِي جهة إلَّا أنَّهما يختلفان فِي التفاصيل، فيندرج المثل فِي النعت والتوصيف أيضاً، وبالتالي يَكُون المثل نوع مِنْ اللقب.

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ جهة اشتراك أُخْرَى بينهما ـ الاسم والمَثَلَ ـ وَهِيَ أَنَّ فِي كُلِّ مِنْ المَثَل والتسمية بيانٌ لِصِفةٍ وحكاية لتوفّرها فِي المحكي عَنْهُ؛ إذْ جُلُّ الأسهاء والتسميات كَمَا هُوَ معروف مأخوذٌ مِنْ أوصاف حَتّى ـ أسهاء القلم، بَلْ قِيلَ فِي البحث العقلي، أَنَّكَ لا تجد اسمٌ للجوهر إلَّا وَهُوَ مأخوذٌ مِنْ وصفٍ وحدث فعلي، فما يُخْتسَب بأنه جوهرٌ فَهُوَ بالأصل وصفٌ حدثى.

ويشيرُ هَذَا الترادُف العقلي إلى ما وَرَدَ فِي الرُّواية، العياشي عَنْ مسعدة بن صدقة عَنْ أبي جعفر عَنْ أبيه، عَنْ جدّه اللَّهِ قَالَ أمير المؤمنين اللَّهِ: _ «سمّوهم بأحسن أمثال القُرآن _ يعني عترة الْنَبِي عَلَيْهُ _ المؤمنين اللَّهِ: _ «سمّوهم وهَذَا ملحٌ أُجاج فاجتنبوا»(١).

رواية الشَّيْخ الطوسي بإسناده عَنْ الفضل بن شاذان عَنْ داود بن كثير، قَالَ: قلتُ لأبي عبدالله اللهِ عَنَّ وَجَلَّ وَجَلَّ وَجَلَّ وَأَنتم الرَّكاة وأنتم الحجّ؟ فَقَالَ: «يا داود نَحْنُ الصَّلاة وَنَحْنُ الزَّكاة وَنَحْنُ الزَّكاة وَنَحْنُ الجَّجَ...»(٢).

وَمِنْ هَذَا يظهر أنَّ قَاعدِة المثل لا تقتصر عَلَى القصص، وما

⁽۱) العيّاشي: ج۱، ص۹۰ ح۷.

⁽٢) بحار الأنوار: ج٢٤ ص٣٠٣، ح١٤ ب ٦٦.

ضُرِبَ مثلاً، بَلْ يتعدّى لِكُلِّ آيات القُرآن وجمله، بَعْدَ كون التوصيف والتسمية والنعت كُلَّهَا مِنْ التمثيل بالمعنى الأعم، وَهَذِهِ التوسعة فِي قَاعِدِة المثل والأمثلة يُبيِّن وجود أصول مشتركة وأصل مشترك فِي قواعِد التفسير، الَّتِي أشار إليها أهل البيت المَيِّلُ فِي بياناتهم وأشاروا إلى تقريرها فِي القُرآن الكريم، وبالتالي فَإنَّ هُنَاك ترابط وطيدٌ ووثيق فيها بينها تداخلاً وتكميلاً وتناسُقاً.

وسيأتي في الجهة السابعة (الفرق بين ضرب المَثَل، وجعل المثل، وصَرَّف المثل، ويضرب الأمثال) الإشارة إلى أنَّ المثل آية والآية مثل.

تنبيه وفيه أمران:

الأمر الأوَّل: توسعة قَاعدِة المثل لِكُلِّ القُرآن وَكُلِّ آياته وجملة وَلِكُلِّ تأويل وعبور وعِبْرَة وعدم اقتصاره عَلَى ذكر القصص وما ضُرِبَ مثلاً.

ويُؤيِّد هَذَا ما رواه الشَّيْخ أبو جعفر الطوسي بإسناده إلى الفضل بن شاذان عَنْ داود بن كثير، قَالَ: قلت: لأبي عبدالله اللَِّذ: _ أنتم الصَّلاة في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنتم الزكاة _ وأنتم الصِّيَام _ وأنتم الحَجُ؟ فَقَالَ: «يا داود نَحْنُ الصَّلاة في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحْنُ الزكاة، وَنَحْنُ الصِّيَام، وَنَحْنُ البلد الحرام، وَنَحْنُ كعبة الله، وَنَحْنُ قبله الله، وَنَحْنُ وجه الله في قوله تَعَالَى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُواْ

فَثَمَّ وَجُهُ اللَّهِ ﴿ '' وَنَحْنُ الآيات، وَنَحْنُ البيّنات، وعدوُّنا فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ: الفحشاء، والمنكر، والبغي، والخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، والأصنام، والأوثان، والجبت، والطاغوت، والميتة، والدَّم، ولحم الحنزير يا داود إنَّ الله خلقنا فأكرم خلقنا، وفضَّلنا وجعلنا أُمناءه وحفظته وخُزّانه عَلَى ما فِي السموات وما فِي الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءاً، فسمّانا في كتابه، وكنّى عَنْ أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه تكنية عَنْ العدوِّ وسَمَّى أضدادنا وأعدائنا في كتابه وكنّى عَنْ أسماءهم وضَرَبَ لهم الأمثال فِي كتابه فِي أبغض الأسماء» ('').

الأمر الثَّانِي: الإشارة إلى أنَّ بعضهم يعنون هَذِهِ القَاعِدَة بعنوان آخر، وَهِيَ قَاعدِة العِبْرة والأمثال باعتبار أنَّ المَثَلَ يُرادُ مِنْهُ عِبْرَة وعبور إلى غيره، وَهَذَا ما سنتعرِّض لَهُ خلال طيّات البحث.

فائدة: وَمِنْ باب الفائدة والتنبيه، سوف نشير إلى وجود علاقة وصلة بين قَاعدِة الأمثال والتعبير والاسم والكلمة والآية والتجلي والتأويل، فَإِنَّ الأمثال لها تأويل ومآل ومرجع ما وراء ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ " وبتقريب: _ أنَّ كُلِّ شيء لَهُ تأويل سواء كَانَ مِنْ عالم المعنى، أو عالم العين أو ... الخ.

⁽١) سورة البقرة: الآية ١١٥.

⁽٢) كنز الفوائد، تأويل الآيات الباهرات، لشرف الدِّين النجفي: ص٢١، ٢٢؛ بحار الأنوار: ج٤، ص٣٠٣.

⁽٣) سورة يوسف: الآية ٦.

وكذا علاقة الأمثال بالترجمان وكيش المقصود مِنْهُ الترجمة اللفظية في اللُّغَة بأنْ يترجم مِنْ لفظ إلى آخر وَمِنْ لغة إلى أُخْرَى، وإنْ كَانَ مَعْنَى الترجمان والترجمة واحد إلَّا أنَّ مَعْنَى الترجمان أوسع وَهُوَ أحد أوصاف أئمة أهل البيت المِيَّانُ، كَمَا وَرَدَ فِي حقَّهم وأنَّهُم اللَّئِ ترجمان وحي الله (السَّلامُ عليكم يا ترجمان ـ تراجمة ـ وحى الله) وَمَعْنَى أنهم للَّهِ اللَّهُ قَدْ نشاهد ظواهر تكوينية معيّنة لا نعرف ولا نهتدي إلى ترجمتها وتُرْجمانها، بينها أهل البيت المِيَلِا بمجرَّد مشاهدتهم لها يعرفون ترجمانها فمثلاً قوله تَعَالَى قَالَ رسول اللهُ عَلَيْكُ: «… اشتد غضب الله عَلَى اليهود حين قالوا عزيرٌ بن الله، واشتدّ غضب الله عَلَى النّصاري حين قالوا: المسيح ابن الله واشتدّ غضب الله عَلَى مَنْ أراق دمى وآذاني في عترتي»(١) بتقريب: ـ أنَّ الاشتداد غضب الله تَعَالَى آيات يعرفها أهل البيت الله عن مشاهدتها، بينها غَيْر المعصوم اللَّهِ لا يُدْرِك كنهها وحقيقتها، وبالتالي فالترجمان وحيٌّ مِنْ الله تَعَالَى.

كَذَلِكَ يأتي الترجمان بمعنى ترجمة مَعْنَى إلى مَعْنَى آخر، أيّ طبقات مِنْ المعنى تترجم طبقات مَعْنَى آخر، ولربها معاني ترجمة وترجمان الحقائق، أو حقائق ترجمة وترجمان الحقائق أعلى وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الترجمة والترجمان عبور.

كَذَلِكَ هُنَاك تشابك وتشابه بين بحث الأمثال والذكر والعبور

⁽١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٨٦، عَنْهُ بحار الأنوار: ج٢٧، ص٢٠٦، ح١٤.

٤٢٢ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

والتعبير والقصص؛ لِأنَّ الغرض مِنْ القصص الَّتِي ذكرها القُرآن كقصة مريم وقصة يوسف وموسى وعيسى وغيرهم اللَّكِ مَعَ أنَّها قصص حقيقيّة وخارجيّة وواقعة، وَلَيْسَ حديث يُفترى، ولكن الغاية مِنْ العرض القصصي القُرآني هُوَ لأجل العبور والتعبير والمَثَل والتمثيل.

بتقريب: _ إنَّ هدف القُرآن مِنْ ذكر القصص لا لأجل أنْ يُلْبَث عِنْدَ القصّة، أو لأجل الإصغاء إلى مَلاحتها وجاذبيتها، بَلْ لأجل التفكّر والتعقّل والتدبُّر والتحليل العلمي والعبور مِنْ مورد القصّة إلى غيره.

نعم، شأن الشِعْر والأدب غايته صرف الشعر والأدب ويمكن أنْ يُخْمَدَ ويُقصَر النظر عَلَى ظاهره، بخلاف القُرآن الذي يُنادي بالعبور مِنْ مورد إلى آخر وعدم الجمود والانحباس عَلَى مورد المثل والآية ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَرُونَ ﴾ (٢).

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ (٣) * (٣)

⁽١) سورة يوسف: الآية ١١١.

⁽٢) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

⁽٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٥.

الكلام في قاعدة الأمثال يقع في جهات

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰ لُ نَضْرِبُهِ كَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهِ ۖ إِلَّا الْعَسَالِ وَمَا يَعْقِلُهِ ۖ إِلَّا الْعَسَالِمُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّالَا اللَّهُ اللَّا اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّالَّا اللّ

بتقريب: - إنَّ الهدف مِنْ ضرب الله الأمثال هُوَ لأجل غايات كثيرة، مِنْهَا: التفكّر والتذكّر والتعقّل والقصص اختلاف التعبير القُرآني، وأنَّ الذي يقف عَلَى ظاهر القصّة والمَثَل والمثال لَيْسَ مِنْ ذوى الألباب ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا ۚ إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ ٣٠٠ ﴿ وَلَيْسَ الْمُرَادِ مِنْ التَّعَقُّلِ هُوَ الوقوف عَلَى ا ظاهر المَثَل والقصّة والآية، وَإِنَّمَا العبور إلى ما وراء ولغاية أعظم، وَهَذِهِ حقيقة لابُدَّ مِنْ الوقوف عَلَيْهَا، فيما أكثر العِبَر وأقل الاعتبار والمعتبر، فَهُنَاك منافذ كثيرة يمكنك أيُّهَا الباحث أنْ تعبرها وتصل إلى الحقيقة، ولكن وللأسف قليل مَنْ يَسْلُك هَذِهِ الطرق ويعبر هَذِهِ الجسور والقنوات لأجل الوصول إلى أسرار تلك الكنوز وحقائقها، وَعَلَيْهِ فَمَعْنَى (ما أكثر العِبَر) أيّ ما أكثر المعابر والقنوات الَّتِي توصلك إلى سماء أرض الحقيقة، ولكن وللأسف (ما أقل المعتبر) أيّ ما أقل المتهيئون والجاهزون لعبور هَذِهِ القنوات والمعابر، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الخطأ يقتصر الْمُفَسِّر أو الباحث الكريم في مفردات القُرآن عَلَى مواردها، بَلْ لابُدَّ مِنْ العبور مِنْهَا إلى الحاضر والمستقبل.

كَذَلِكَ يُستفاد مِنْ بركة بيانات أهل البيت المِكِلا أنَّهُ لَيْسَ الْمُرَاد مِنْ

⁽١) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

٤٢٤..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

القصص القُرآنيّة ﴿ لَقَدَ كَانَ فِي فَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِلْأَوْلِي ٱلْأَلْبَابُ ﴾ (١) الاقتصار عَلَى سرد الحدث السابق الذي بيّنه القُرآن الكريم، بَلْ يُتَعَدَى بالقصص إلى سرد الأحداث وَلَيْسَ حدثاً واحداً، الماضية ولما سيأتي، بَلْ يتعدّى حَتّى لمثل الأحكام.

الأحكام الشرعية السابقة يمكن أن تكون مثلا:

إنَّ الأحكام الَّتِي بيَّنها وذكرها القُرآن للأُمم السابقة يمكن أنْ يُتعدَّى بها إلى ما وراء، وتصلح أنْ يَكُون ذَلِكَ الحكم الشرعي مثلاً كحرمة قتل النفس بغير ذنب وغيره مِنْ الأحكام فيمكن أنْ يُتعدَّى بها إلى الما وراء، فَيَكُون حال الأحكام الشرعية حال القصّة الَّتِي يذكرها القُرآن في خصوص نبي أو أُمَّة يتعدّى بها اى ما وراء ويؤيِّد هَذَا ما وَرَدَ فِي الروايات.

العيّاشي عَنْ أبي الجارود قَالَ: _ سَمِعْت أبا جعفر للسَّلِا يقول: نزل القُرآن عَلَى أربعة أرباع: «ربعٌ فينا، ورُبْع فِي عدوّنا وربعٌ فرائض وأحكام، وربعٌ سُنَن وأمثال، ولنا كرائم القُرآن»(٢).

... عَنْ اأصبغ بن نُباتة، قَالَ: _ سمعتُ أمير المؤمنين عَلَيْ يقول: «نزل القُرآن أثلاثاً: ثُلُثُ فينا وفي عدوّنا، وثُلُثٌ سنن وأمثال، وثلث

⁽١) سورة يوسف: الآية ١١١.

⁽٢) تفسير العيّاشي: ج١، ص٨٤ عَنْهُ بحار الأنوار: ج٢، ص٢٤٤.

الفرق بين المثل البلاغي والمثل القرآني:

يكمن الفرق بين المَثَل في علم البلاغة، والمثل القرآني في أنَّ المثل في علم البلاغة هُو أنْ المُمثل لَهُ الذي ما وراء المُرَاد الجدّي لَيْسَ مُراداً أصلاً أيّ تشبيه لَيْسَ لَهُ حقيقة، وَإِنَّمَا المُرَاد فَقَطْ هُو ما ذُكِر مِنْ مصداق للممثل لَهُ ولا يُتَعَدَّى إلى ما وراءه، بخلاف المثل القُرآني بحسب بيانات أهل البيت المَيِّ أنَّ الأمثال لا يقتصر فيها عَلَى ما ذُكِرَ مِنْ مصداق، وإنْ كَانَ ذَلِكَ البيت المَيْ أنَّ الأمثال لا يقتصر فيها عَلَى ما ذُكِرَ مِنْ مصداق، وإنْ كَانَ ذَلِكَ المصداق المذكور مُراداً بالإرادة الجدّية، وَمَعَ ذَلِكَ يُتعدّى إلى ما وراءها ويُرادُ أيضاً بإرادة جدّية أعظم مِنْ الأولى؛ لِأنَّ مراتب المُرَاد الجدّي هِي وَيُرادُ أيضاً بإرادة وعظم وعظيم، وما هُوَ أعظم، وما هُوَ أعظم وأعظم وأعظم وأعظم وأعظم وأعظم وهكذا.

المثل في علم البلاغة تشبيه له حقيقة

حسب نظرية السيد العلامة الطباطبائي اللهُ:

تَقَدَّمَ ذكر الفوارق العلميّة بين منهج السَّيِّد العلّامة الطباطبائي التفسير الموضوعي للقُرْآن وبين منهجنا أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فِي عِدَّة مواضع وَقُواعِد تقدَّمت، إلَّا أنَّهُ وَمِنْ الإنصاف أنَّ السَّيِّد العلّامة اللهِ عَبِي مَلْ وَحَتّى القرآني هُوَ تشبيهٌ لَهُ حقيقة وَلَمْ يقصر فِي مبحث المثل البلاغي بَلْ وَحَتّى القرآني هُوَ تشبيهٌ لَهُ حقيقة وَلَمْ يقصر

⁽١) المصدر السابق.

السَّيِّد العلامة نظره عَلَى المعاني الكُلِّية بقطع النظر عَنْ المصاديق - كَمَا كَانَ يصنع فِي جَملة مِنْ القَوَاعِد مِنْهَا ما تَقَدَّمَ فِي قَاعدِة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير - بَلْ فِي هَذِهِ القَاعِدَة - كَمَا كَانَ يصنع فِي جَملة مِنْ القَوَاعِد مِنْهَا ما تَقَدَّمَ فِي قَاعدِة الجري وبمعنى التطبيق أو التعبير - بَلْ فِي هَذِهِ القَاعِدَة ما تَقَدَّمَ فِي قَاعدِة الجري وبمعنى التطبيق أو التعبير - بَلْ فِي هَذِهِ القَاعِدَة - الأمثال، جعل السَّيِّد العلامة اللَّي المَثل حقيقة، وَلَهُ مصداق، ويُعْبَر مِنْ هَذَا المصداق إلى حقيقة وغاية ما وراء أكبر وَلَمْ تنحبس وتنحسر في المعنى الكُلِّي، وَهَذَا ما أَكَدته الآية البُارَكة ﴿ لَقَدُ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عَبْرَةٌ لِلْأُولِي النَّيْ اللَّي المُبَارَكة ﴿ لَقَدُ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عَبْرَةٌ لِلْأُولِي النَّي اللَّهُ اللَّهِ المُبَارَكة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عَبْرَةٌ لِلْأُلِي اللَّهُ اللللَّهُ اللَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ ال

بتقريب: _ أنَّ القُرآن جمع بين المطلبين.

الأوَّل: إنَّ ما ذُكر فِي قصص الأنبياء السابقين لَيْسَ خيالاً وحديثاً يُفترى. وَإِنَّهَا لَهُ حقيقة وراءهُ أعظم، فمثلاً ما ذُكِرَ مِنْ قصة فِي سورة يوسف هُوَ مَثلُ وحقيقة لما هُوَ أعظم مِنْ يوسف آل يعقوب ألا وَهُوَ يوسف آل مُحمَّد عَلَيْ اللهُ وَهُوَ يوسف آل مُحمَّد عَلَيْ اللهُ هُوَ مِنْ قصة مريم بنت عمران المِنَّ هُوَ مثالاً لما هُوَ أعظم مِنْ مريم وعبوراً إلى فاطمة بنت مُحمَّد عَلَيْ اللهُ وهكذا ما ذُكر فِي قصة يعقوب آل إبراهيم اللهِ أعبر مِنْهُ إلى يعقوب آل مُحمَّد عَلَيْ على بن أبي بن الحسين المِنْ وهكذا، وَهذَا لَيْسَ مِنْ نسج الخيال، وَإنَّها حقيقة اعتقادية.

⁽١) سورة يوسف: الآية ١١١.

الثَّانِي: مَا ذُكِرَ فِي الآية الْمُبَارَكَة يصلح رَدًّا عَلَى مَا ظَنَّه بَعْض العرفاء، أو الصوفية أو الفلاسفة أو بَعْض المُفَسِّرِين مِنْ أَنَّ مَا ذُكِرَ مِنْ كلمة (مَثَل) فِي القُرآن لَيْسَ لَهُ حقيقة، والواقع هُو لَهُ حقيقة حسب بيانات القُرآن وأهل البيت المَيِّكُ، ولكن هُنَاك حقيقة ما وراءه أعظم، لا أنَّ هَذِهِ حقيقة _أي الماوراء والغاية _وتلك ليست بحقيقة.

ويَدْعَم هَذَا ما ذكره القُرآن الكريم ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(١).

بتقريب: _ إنَّ الشيء الأكبر هُوَ الحقيقة والغاية وَالْمَرَاد بالإرادة الجدِّيّة، وما دونه والأصغر، لَهُ حقيقة أيضاً ومُراد بالإرادة الجدِّيّة، والإرادة الجدِّيّة كَمَا قُرِّرَ عَلَى مراتب، ولا تعارض بين الإرادتين الجدِّيّتين لِأنَّ بينهما ترتّب طولي.

⁽١) سورة التوبة: الآية ٧٢.

العلاقة بين قاعدة المثل، وقاعدة الجري

فِي التعبير لا التطبيق

الجهة السادسة: نظام حقائق القرآن:

إِنَّ هَذِهِ الجهة مُرتبطة بنظام حقائق القُرآن الذي سيأتي بحثه وَبَعْدَ أَنْ تبيَّن مِنْ الجهة السَّابِقة مِنْ أَنَّ أسلوب المثل، وضرب المَثل فِي القُرآن الكريم هُوَ احد الأساليب والأبواب المُهمَّة فِي القُرآن الكريم، يتبيَّن أَنَّ قَاعِدِة المثل برهانٌ عَلَى المعنى الذي قرَّرناه لقاعدة الجري، خلافاً للمعنى الذي التزم به جملة مِنْ الأعلام كالسيّد العلامة مُحمَّد حسين الطباطبائي الله في الميزان وَالسَّيِّد الحولي الله في كتابه البيان، وَالسَّيِّد عبدالأعلى السبزواري الله في مواهب الرحمن وغيرهم مِنْ أعلام العصر في التفسير، والذي بنى عَلَيْهِ جملة مِنْ مفسّري الجمهور أيضاً في القرن الأخير.

بيان ذَلِكَ: إنَّ قَاعدِة الجري والتطبيق بالمعنى الذي ذكروه جري المعنى الكُلِّي الواحد فِي تطبيق المصاديق، فجري حَرَكَة الآية فِي المصاديق ومقام التطبيق وَلَيْسَ جرياً فِي المعنى، وأنَّ المعنى الكُلِّي ذو شأنٍ.

بينها قَاعدَة الجري الَّتِي قرَّرناها، والمُستفادة فِي الأصل، لدى كلا المبنيين ــ مبنى السَّيِّد العلّامة، ومبنى ــ أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فِي تفسير القُرآن _ مِنْ بيانات أئمة أهل البيت المَيِّا، هِيَ جريٌ فِي طبقات المعنى المُرَاد ولا تنحصر فِي الجري فِي المصاديق، بَلْ الجري فِي المصاديق _ كَمَا مَرَّ _ أَنَّهُ نمطٌ مِنْ الجري فِي المعنى وَلَيْسَ المصداق بمنأى عَنْ المعنى المُرَاد كَمَا اصطلح عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ مُتَاخِّريّ عُلَمَاء البلاغة ومشهور عُلَمَاء المُراد كَمَا اصطلح عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ مُتَاخِّريّ عُلَمَاء البلاغة ومشهور عُلَمَاء أصول الفِقْه المُتَاخِرين، بَلْ المعنى الكُلِّي رشحة مِنْ رشحات المصداق الأعظم وَلَيْسَ العكسن أيّ المعنى الكُلِّي اتّفاقاً رشحة انعكاس وتجلّي مِنْ نفس الوجود العيني العظيم لا العكس، وَهَذَا الذي يقع فيه اشتباه معرفي وعقائدي كثير، بَلْ وَحَتّى فِي علم التفسير.

وَعَلَى ضوء هَذَا المبنى العلمي يصير الوجود العيني العظيم حينئذٍ هُوَ الْمُرَاد الأصلي والمعنى الكُلِّي بالتّبع، وَهَذَا معناه أنَّ الْمُرَاد الجُلِّدي عَلَى درجات: مِنْهُ الوجود العيني العظيم، وَمِنْهُ: المعنى الكُلِّي، وبين هَذِهِ المراتب الجَدِّية درجات.

هَذَا كُلَّهُ حسب منهج أُمُومة الولاية عَلَى المُحْكَمات القائم عَلَى نظام المراتب وطبقات هندسته الطوليّة لا العرضيّة، وَهَذَا ما أكَّدته روايات أهل البيت المَيِّكِة.

وَمِنْ هَذَا اتّضح وجه دلالة قَاعدِة المثل عَلَى المعنى الذي ذهبنا إليه فِي قَاعدِة الجري هُوَ دلالة قَاعدِة المُثَلَ عَلَى تعدّد طبقات المعنى المُرَاد، وعدم حصر طبقات المعنى المُرَاد بالمصداق الكُلِّي، وعدم بيعضها البعض بالملازمة والملازمات الكُلِّي، بَلْ المعاني المتلازمة الَّتِي ترتبط ببعضها البعض بالملازمة والملازمات

العلاقة بين قاعدة المثل، وقاعدة الجري

وأنواعها الكثيرة ليست نسبتها إلى بعضها البعض نسبة المصداق إلى الكُلِّي كي يَكُون نظير الترادف اللغوي أو العقلي الجلي عَلَى أحسن التقادير، بَلْ يشمل الترادف العقلي الخفي الوسيع.

وَمِنْ خلال هَذَا تبيَّن التطابق الواضح بين مَعْنَى قَاعدِة الجري التِّي ذَكَرناها وَقَاعدِة المَثَل، كَمَا تبيَّن التدافع الواضح بين التزام الأعلام بقاعدة المثل كأسلوب مِنْ الأساليب المُهِمَّة فِي القُرآن الكريم مَعَ قَاعدِة الجري والتطبيق مَعَ المعنى الذي التزموا به.

المثل منهج معرفي

الجهة السابعة: أساليب القرآن الثمانية

برهانية وليس لمجرد إقناع:

إنَّ أساليب القُرآن الثهانية هِيَ أساليب برهانيّة وَلَيْسَ لمجرد الإقناع، كَمَا ذهب إلى ذَلِكَ جملة مِنْ الأعلام ومنهم السَّيِّد العلّامة الطباطبائي ﷺ.

وبيان ذَلِكَ يقع ضمن نقاط:

عموم البرهان لكل العلوم وقوى النفس:

النقطة الأُولى: أنَّهُ قَدْ حَرَّرْنا فِي المباحث العقليّة فِي منهج المعارف مِنْ شرح أصول الكافي فِي مبحث العقل والجهل أنَّ ما اشتُهِرَ لدى الفلاسفة مِنْ حصر البرهان بالعقل غيرُ تامِّ، بَلْ البُرهان يتأتى بحسب كُلّ القِوى النفسانيّة والروحيّة، سواء كَانَتْ إدراكيّة أو عمليّة فضلاً عَنْ حصر البُرهان العقل النظري الذي بنى عَلَيْهِ ابن سينا وَمَنْ أتى مِنْ بعده إلى يومنا هَذَا، إلَّا القليل مِنْ المُتأخّرين مِنْ فلاسفة الإماميّة، مَعَ أنَّ القُدماء منهم بنوا عَلَى عموم البُرهان إلى كُلّ مِنْ العقل النظري والعقل

ععى تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني العملي، كَمَا بيَّناه فِي كتاب العقل العملي (١).

وَعَلَى ضوء عموم البُرهان لِكُلِّ قِوى النفس يتبيَّن عموم البُرهان لِكُلِّ عِلى خُل عِلْم وفن لِكُلِّ عِلْم ولغة علم وفن علم ولغة علم ولغة علم ولغة علم ولغة علم ولغة ومهارة، وَهِيَ بُرهان عياني أرقى مِنْ البُرهان العقلي الفكري الحصولي، كَمَا تَنوعَت معاجز الأنبياء فِي كُل حَدْبٍ وصوبٍ، وَلَمْ تقتصر عَلَى الحكمة العقلية.

النقطة الثّانية: عَلَى ضوء ما تَقَدَّمَ فِي النقطة الأُولى يتبيَّن أنَّ بقيّة الصناعات الخمس مِنْ الجدل والخطابة والشعر والمغالطة، قابلة لأنْ يتشكَّل مِنْهَا بُرهانُ، وكذلك بقيّة أساليب أبواب القُرآن الكريم بُرهانيّة، كباب الموعظة، وباب القصص وباب السُّنَنِ والأمثال والفرائض والأحكام، والأنباء بالملاحم.

وبعبارة أُخْرَى: إنَّ إدراك الحقيقة اللامُتناهية مُتيسِرٌ ومُمكِنٌ عَبْر كُلّ قوة مِنْ قوى النفس كَمَا مَرَّ، وبالتالي عَبْر كُلّ علم مِنْ العلوم المرتبط بنمط مِنْ قوى الإنسان، فلا يختص رؤية الثابت السرمدي الأزلي بقوة العقل دون بَقيَّة القوى، وكذا الحال في رؤية الكمالات اللامحدودة كالقدرة والعلم اللامحدودان، والأوليّة والأخرويّة، والجمال والبهاء والنور وغيرها مِنْ الكمالات اللامتناهية، وَكُلّ ذَلِكَ لَمعانٍ وعيانٍ للغيب المطلق.

⁽١) كتاب العقل العملي، للشيخ مُحمَّد السَّند.

عموم الكشف البرهاني والشهود

والبرهان العياني لكِل قوى النفس:

النقطة الثَّالثة: يتبيَّن مِنْ النقطة السابقة أيضاً دفع ما تبنَّاه العُرفاء والصوفيّة مِنْ حصر الكشف والشهود بقوّة القلب وما فوقها مِنْ السِّرِّ الخفيّ والأخفى، وأنَّ الكشف والشهود للبُرهان العياني فضلاً عمّا دونه فَإنَّهُ لا ينحصر بتلك القِوى، بَلْ يعمّ كُلِّ قِوى النَّفس.

ويوضح كُل ذَلِكَ ما فِي بيان الإمام الصادق اللهِ ، وَقَدْ ذكرنا عِنده الجدال فِي الدِّين، وأنَّ رسول الله عَلَيُهُ والأئمة اللهِ قَدْ نهوا عَنْهُ، فَقَالَ الصادق اللهِ : «لَمْ ينه عَنْهُ مُطلقاً، ولكن نهى عَنْ الجدال بغير الَّتِي هِي الصادق اللهِ : «لَمْ ينه عَنْهُ مُطلقاً، ولكن نهى عَنْ الجدال بغير الَّتِي هِي أحسن أما تسمعون الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: _ ﴿ وَلَا نَجَكِدُلُوا أَهُلَ الصِحَنبِ إِلَا بِاللِّي هِي أَحْسَنُ ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ آدَعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِاللِّكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخُسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِاللِّي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) (٣) .

بتقريب: _ إن مفاد بيانه الله الله القضية الصادقة الحقّة سواء كانت في هيئة الجدل أو الموعظة أو شاكله قوالب الحكمة هي بُرهانٌ، وهذا مُقتضى قوله تعالى، فَجُعل علم الصدق والإيهان بالبُرهان، وهل يُؤتى بالبُرهان إلا في الجِدال بالتي هي أحسن، ثم فرَّقَ الله الله الله الله الحدل التي هي للتعصُّب، وبين

⁽١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

⁽٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

⁽٣) تفسير العسكري: ص١٥٠، ح٣٢٢.

٣٦ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

صناعة الجدل التي لا يُنكر فيها حقٌّ، وإنْ استعان به الخصم، فحصل خلط لدى الفلاسفة والمناطقة بين الجدل بالتي هِيَ أحسن والجدل بالباطل فجعلوها مِنْ باب واحِدٍ وشاكلةٍ واحِدَةٍ، مَعَ وضوح الفوارق فِي الضوابط بينهما وَقَدْ بيَّنه بِعِدَّة ضوابط، وفوارق فِي أدناه.

الفوارق بين القسمين:

أُوَّلاً: أَنْ تُجادِل مُبْطِلاً بخلاف الجدل البُرهاني بأنْ تجادل مُحِقاً.

ثانياً: أنْ تُبْطل الباطل بالباطل، بخلاف الجدال البُرهاني وَهُوَ إبطال الباطل بالحق.

ثالثاً: إنَّ الجَدَل بالباطل يعتمد عَلَى الجحود مِنْ حَيْثُ هُوَ جحود، بينها الجدال البُرهاني يعتمد عَلَى صدق وحقّانيّة الحُجِّة، وَمِنْ ثمَّ كسرها للباطل.

رابعاً: إنَّ الجدل بالباطل يتضمَّن جحد الحق، ولو استعان المُبْطِل لأعانه به باطله، بخلاف الجدل البرهاني، فَإنَّهُ يُفَرِّق ما بين هُوَ حق فِي كلام المبطل فلا يجحده، وبين ما هُوَ باطل فِي كلامه فيجحده.

خامساً: إنَّ الجدل بالباطل لا يُفرق بين ما هُوَ حق وباطل لدى الخصم بخلاف الجدل البُرهاني فَإنَّهُ يقوم عَلَى الفرقة بين ما هُوَ حق، وبين ما هُوَ باطل فِي مقالة الخصم.

سادساً: إنَّ الجَدَل بالباطل يتساوى فيه المحق والمبطل، فَإنَّ المبطل

المثل منهج معرفي

أصل مقالته باطلة جَحَدَ بها الحَقّ أصلاً، وأمَّا المحقّ فَهُوَ يجحد الحَقّ الذي يُغالِط به المبطل ليستعين به عَلَى باطله، فتساوى الاثنان في جَحْدِ الحَقّ، بخلاف الجدل البُرهاني فَإِنَّهُ يتجنب ويتوخّى عَنْ إبطال أيّ حق في البين.

فَهَذِهِ جَمَلَةٌ مِنْ الفوارق والضوابط الَّتِي بيَّنها الإمام الصادق اللَّنِي فِيَ فَهَذَا الحديث الشريف للفرق بين الجدل التعصبي ـ بغير الَّتِي هِيَ أحسن ـ وبين الجدل البُرهاني ـ الجدل بالّتي هِيَ أحسن.

النقطة الرَّابعة: قَدْ تَنَقَّحَ فِي الجهات السابقة مِنْ بحث الأمثال، الترادف العقلي بين المَثَل والآية، وَقَدْ تقرَّر فِي مباحث المعرفة العقلية أنَّ منهج الآيات منهج بُرْهاني فِي المعرفة، وبذلك يتبيَّن مِنْ ذَلِكَ فضلاً عها تَقَدَّمَ مِنْ النقاط السابقة أنَّ أسلوب المَثَل لغةٌ بُرهانيّة لإثبات الحقائق وإقامة الدلائل عَلَيْهَا.

⁽١) الميزان فِي تفسير القُرآن لِلْسَّيِّد الطباطبائي: ج١٢، ص٧٧- ص٣٧٤.

⁽٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

وَقَدْ فَسَّرت الحكمة _ كَمَا فِي المفردات _ بأصالة الحَقّ بالعلم والمعقل، والموعِظة كَمَا عَنْ الخليل بأنه التذكير بالخير فيها يرق لَهُ القلب، والجدال _ كَمَا فِي المفردات _ بالمفاوضة عَلَى سبيل المنازعة والمغالبة.

والتأمُّل فِي هَذِهِ المعاني يُعطي أنَّ المُرَاد بالحكمة ـ والله أعلم ـ الحجة الَّتِي تنتج الحَقّ الذي لا مريّة فيه ولا وَهُنَّ ولا إبهام، والموعِظَةُ هُوَ البيان الذي تلين به النفس ويرقّ لَهُ القلب، لما فيه مِنْ صلاح حال السامع مِنْ الغِبَر والعِبَر وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذَلِكَ.

فينطبق ما ذكره تَعَالَى مِنْ الحكمة والموعظة والجدال بالترتيب عَلَى ما اصطلحوا عَلَيْهِ فِي فن الميزان بالبُرهان والخطابة والجدل ... الخ.

النقطة الخامسة: قَدْ نَبَّه القُرآن الكريم فِي آياتٍ وسورٍ عديدةٍ ومواطنٍ معرفي متقوِّم بموازين ومواطنٍ معرفية متعدِّدة أنَّ أسلوب المَثَل منهج معرفي متقوِّم بموازين لمنظومة الحقائق وَأَنَّهُ مِنْ أوسع أبواب طُرق المَعْرِفة، كَمَا هُوَ الحال فِي منهج المعرفة للآية والآيات الذي أشاد به القُرآن الكريم فِي كُلّ السور كَمَا فِي الآيات التالية:

١) قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثُلِ ءَادَمٌّ خَلَقَ مُرمِن تُرَابٍ ثُمَّ

⁽١) الميزان فِي تفسير القُرآن لِلْسَّيِّد العلَّامة: ج١٨ ص٢٢٩.

المثل منهج معرفي ٢٣٩

قَالَكَهُ وَكُن فَيَكُونُ ﴿ الْحَقُّمِن زَيِكَ فَلاَتَكُن مِّنَ ٱلْمُعْتَزِينَ ﴿ فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْمِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَ نَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَ نَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّةً نَبْتِهِ لَ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى ٱلْكَندِبِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْ

بتقریب: ـ أنَّ القُرآن الكريم فِي هَذِهِ الآية المُبَارَكَة استدلَّ بمثل آدم كَبُرهان لدحض دعوى النصارى الألوهيّة فِي عيسى اللِّهِ بذريعة تَخَلُّقِه مِنْ غَيْر أبِ.

⁽١) سورة آل عمران: الآية ٥٩ ـ ٦١.

⁽٢) سورة الإسراء: الآية ٨٩-٩٣.

، ٤٤...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

تَأْنِيَهُمْ سُنَّةُٱلْأَوَّلِينَ أَوْيَأْنِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿ اللَّهُ ﴾ (١).

والتقريب فيه كَمَا مَرَّ، وأُطلق عَلَى المثل بأنه هُدى وهداية.

بتقريب: ــ هُنَا ضربَ الله المثل المادّي لحقائق غيبيّة مِنْ نشأة النور مما يُنبِّه ويدلل عَلَى أنَّ النشاة المادّية فيها قابليّة المثل والآية والطريق للعلم بالغيوب.

 ٤) وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِنْنَكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَغْسِيرًا ﴾ (٣).

٥) وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا ۚ إِلَيْكُرُ ءَاينتِ مُبَيِّنَتِ وَمَثَلًا مِنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْمِن فَبْلِكُرُ وَمَوْعِظَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ إِنَّ الْمَنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

بتقريب: _ إنَّ الآية المُبَارَكَة تُبيِّن أنَّ المُنْزَل فِي القُرآن ثلاثة أصناف: أ) آياتٌ مُبيِّنات. ب) ومَثلُّ أيِّ قصص الَّذِيْنَ مِنْ قبلنا. جـ) وموعظة.

⁽١) سورة الكهف: الآية ٥٤_٥٥.

⁽٢) سورة النور: الآية ٣٥.

⁽٣) سورة الفرقان: الآية ٣٣.

⁽٤) سورة النور: الآية ٣٤.

وَهِيَ صريحة فِي عظمة المَثَل وَأَنَّهُ بحذو نزول الآيات، كَمَا أَنَّ الآية المُبَارَكَة تُبيِّن أَنَّ قصص القُرآن كُلَّهَا مَثل وعِبْرَة لما وراءها، وأنَّ المَثل عَلَى حذو البيان المبين والآيات والدلائل البُرهانيّة.

آ) قوله تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَّشَلَا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَكُمْ مِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ مِن شُرَكَآء فِي مَا رَزَقْنَكُمْ فَأَنتُد فِيهِ سَوَآةٌ تَعَافُونَهُمْ مَلكَتْ أَيْمَنُكُمْ مِن شُرَكَآء فِي مَا رَزَقْنَكُمْ فَأَنتُد فِيهِ سَوَآةٌ تَعَافُونَهُمْ كَلَيْ اللّهَ عَلَيْ اللّهَ عَلَيْ اللّهَ عَلَيْ اللّهَ اللّهَ عَلَيْ اللّهَ اللّهَ عَلَيْ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ عَلَيْ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهُ اللّهَ اللّهُ اللّهَ اللّهُ اللّهَ اللّهُ اللّهَ اللّهُ اللّ

بتقريب: _ أنَّ الآية المُبَارَكَة صريحة فِي أنَّ المَثَل طريقٌ للتعقُّل، كَمَا أَنَّ تفصيل للآيات والتفصيل تمييزٌ وتُرْجمان للمُجْمَل، وَهُوَ إشارة إلى أنَّ النفس بابٌ للمعارف أوجده الله للإنسان كمثل يُضْرَب لتحقق المعرفة.

٧) وكقوله تَعَالَى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَامَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَةٌ ،قَالَ مَن يُحِي ٱلْعِظَامَ وَهِى رَعِيتُ اللهِ عَلَى مَا لَيْ اللهِ عَلَى مُن يُحِي الْعِظامَ وَهِى رَعِيتُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ا

بتقريب: _ إنَّ دحض القُرآن لمثل ذَلِكَ المُشرك هُوَ العاص بن وائل أو عبدالله بن أُبي بن خلف لا مِنْ جهة المثل، بَلْ مِنْ جهة أنَّ هَذَا المَثَل لَيْسَ مثلاً لما يدَّعيه ذَلِكَ المُشرِك، ولو لَمْ يكن الاستدلال بالمثل بحث معرفي لمُ يَتَصَدِّ القُرآن للجواب عَنْهُ.

٨) قوله تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَّكَآةُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا

⁽١) سورة الروم: الآية ٢٨.

⁽٢) سورة يس: الآية ٧٨.

٣٤٧ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني سَلَمًا لِرَجُل هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اللهُ (١).

بتقريب: _ إنَّ الآية فِي صدد إقامة البُرهان عَلَى نفي الشريك وإثبات الوحدانيّة لله تَعَالَى، وَذَلِكَ بوحدة نظام عالم المخلوقات فَإنَّ النُّظم يقتضي الوحدة والوحدة تقتضي وحدة الفاعل، فبُيِّن هَذَا البُرهان عِبْرَ هَذَا المَثَل.

بتقريب: _ إنَّ أسلوب المثل أسلوبٌ للتعقَّل، فالأمثال تحتاج إلى تعقُّل كي يُدْرِك العِبْرَة والغاية مِنْهَا وتعقّلها يتوقّف عَلَى العِلْم، وَهَذَا مما يُنبِّه عَلَى أنَّ المثل والأمثال متضمّنة لعلم جم وتستلزم قابلية كبيرة في قدرة التعقُّل، وَأنَّها تستدعي تحليل وتركيب فيها بين المعاني وَأنَّها لغةٌ في التعقُّل وآثار العقل للتنبه إلى معانٍ وقواعدٍ في الدلائل.

١٠) قوله تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنَفَكَّرُونَ ﴾ (٣).

بتقريب: - إنَّ الآية المُبَارَكَة تُبيِّن أنَّ الغاية مِنْ ضَرْب المثل هُوَ التفكُّر وتحريك الفكر لأجل إدراك الحقيقة والحقائق، فتبيّن الآية الكريمة أنَّ المثل بابٌ واسعٌ مِنْ أبواب الفكر ولغة عظيمة مِنْ لغات

⁽١) سورة الزمر: الآية ٢٩.

⁽٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

⁽٣) سورة الحشر: الآية ٢١.

المثل منهج معرفي ٤٤٣

الفكر، وأنَّ الحقيقة والبُرهان والحكمة قَدْ يُسْهُلُ ويَسْلُسُ إيصالها بلغة المثلل والأمثال أقربُ وأبين مِنْ اللغات العلميّة الأُخْرَى لا سيَّما وأنَّ المَثَل تتنزَّل فيه الحقائق بنحو نازلٍ ملموس يَسْهُل تناوله والإمساك بالطريق فيه لكافة درجات وقابليات العقول.

الجهت الثامنت

الفرق بين ضرب المثل، وجعل المثل، وصَرَف المثل

ويضرب الأمثال

قَدْ جرى فِي القُرآن إسناد عِدَّة أفعال إلى المثل.

الأوَّل: الصَرْف لُغَةً: بمعنى التغيير والإيجاد، وردُّ الشيء عَنْ وجهه (١).

وَقَدْ وَرَدَتْ كلمة (صَرَف) مسندة إلى الضمائر المختلفة فِي القُرآن كَمَا فِي:

ا قوله تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثْلِ فَأَبَنَ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُثُرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُثُورًا (١٠٠٠).

٢) وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَاذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلِ مَثَلِ
 وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿ اللَّهِ ﴾ (٣).

- ٣) وقوله تَعَالَى: ﴿ وَكَذَالِكَ أَنزَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾ (١).
 - ٤) وقوله تَعَالَى: ﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيِئَتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٠٠٠ ﴾ (١).

⁽١) لسان العرب لابن منظور مادّة ـ صَرَف.

⁽٢) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

⁽٣) سورة الكهف: الآية ٥٤.

⁽٤) سورة طه: الآية ١١٣.

٢٤٦...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

٥) وقوله تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَءَ يُتُمْ إِنَّ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَدَرُكُمْ وَخَنْمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنَ إِلَّهُ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظر كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآينَتِ ثُمَّ هُمْ يَصَّدِفُونَ إِلَّهُ خَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظر كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآينَتِ ثُمَّ هُمْ يَصَّدِفُونَ إِنَّ اللَّهِ عَلَيْ إِلَيْ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ

بتقريب: _ إنَّ الآية المُبَارَكَة استخدمت الصرف بمعنى المَثَل والعِبْرَة ولا يخفى الترادف العقلي بينهما _المَثَل والعِبْرَة كما تَقَدَّمَ.

٦) وقوله تَعَالَى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَغُرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذَنِ رَبِّهِ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَغْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَٰلِكَ نُصَرِفُ ٱلْآينَتِ لِقَوْمِ يَشْكُرُ وَنَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

بتقريب: _ إنَّ الآية هُنَا بمعنى المَثَل والعِبْرَة ولا يخفى الترادف العقلي بينهما.

٧) وقوله تَعَالَى: ﴿ وَكَذَالِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآينَتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسَّتَ وَلِنُبَيِّنَاهُ لِقَوْمِ
 يَعْلَمُونَ ﴿ وَإِنْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّا اللَّالِي اللَّهُ اللَّالَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّاللّل

وَقَدْ روى فرات الكوفي فِي تفسير قوله تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفَنَا فِي هَذَا الْفُرَءَانِ لِيَذَكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمُ إِلَّا نَفُورًا ﴿ اللهِ عَسْرَهُ عَنْ جابر قَالَ: قَالَ أَبو جعفر اللهِ: «قَالَ الله تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفَنَا فِي هَذَا ٱلْفُرُءَانِ لِيَذَكَّرُواْ ﴾ » قَالَ جعفر اللهِ: «قَالَ الله تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفَنَا فِي هَذَا ٱلْفُرُءَانِ لِيَذَكَّرُواْ ﴾ » قَالَ

⁽١) سورة الأحقاف: الآية ٢٥.

⁽٢) سورة الأنعام: الآية ٤٦.

⁽٣) سورة الأعراف: الآية ٥٨.

⁽٤) سورة الأنعام: الآية ١٠٥.

⁽٥) سورة الإسراء: الآية ٤١.

الفرق بين ضرب المثل، وجعل المثل، وصرَّف المثل ٤٤٧

يعني، ولقد ذكرنا علياً فِي كُلِّ آيةٍ فأبوا ولاية علي اللهِ وما يزديهم إلَّا نفوراً (١).

وروى فرات الكوفي بسنده عَنْ أبي حَمْزَة الثمالي: سألتُ أبا جعفر اللهِ عَنْ قول الله تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفَنَا فِي هَذَا ٱلْقُرَءَانِ ﴾ (٢) قَالَ ويعني (يعني) ولقد ذكرنا علياً فِي كُلِّ القُرآن وَهُوَ الذكر وما يزيدهم إلَّا نفوراً (٣).

وفي الرُّواية إشارة إلى ما ذكرنا مِنْ أنَّ المثل تسميةٌ واسم ولقب.

وذكر القُمّي فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكُنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَيٰ وَصَرَّفْنَا الْآيات أَيِّ بِيّنا الْآيات أَيِّ بِيّنا الآيات أَيِّ بِيّنا الآيات.

وفي تفسير الصّافي في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدُ صَرَّفْنَا﴾ أيّ كرّرنا الدلائل وفَصَّلنا العِبَرَ فِي هَذَا القُرآن (ليذَّكروا) ليتّعضوا ويعتبروا وقرئ ليذّكروا مِنْ الذكر بمعنى التذكّر ﴿وَمَا يَزِيدُهُمُ إِلَّا نُفُورًا ﴾ عَنْ الحَقّ(٥٠).

وهكذا فِي تفسير قوله تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾ كرَّرنا بوجوه مُخْتَلِفَة

⁽١) تفسير فرات الكوفي: ج١، ص٠٤٢، ح٥، مِنْ سورة الإسراء، ط مؤسسة النعمان.

⁽٢) المصدر السابق: ص ٢٤١ ح٦.

⁽٣) تفسير الصافي/ ملا محسن المعروف الفيض الكاشاني: ج٣، ص١٣٤ ذيل آية ٤١ الإسراء.

⁽٤) سورة الأحقاف: الآية ٢٧.

⁽٥) المصدر السابق تفسير آية ٨٩، الإسراء: ص١٥٠.

زيادة فِي التقرير والبيان ﴿لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْفَرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ يعني مِنْ كُلّ مَعْنَى كَلّ مَعْنَى كَلّ مَعْنَى كَالمثل ﴿ فَأَلِمَ آَكُمُ كُلّ مَعْنَى كَالمثل فِي غرابته أو وقوعه موقِعاً فِي الأنفس ﴿ فَأَلِمَ آَكُمُ كُلّ النَّاسِ إِلّا كُفُورًا ﴾ والعيّاشي عَنْ الباقر النِّلا: «انزل جبرائيل بهذه الآية هكذا ﴿ إِلّا كُفُورًا ﴾ بولاية على النِّلا إلّا كفوراً.

و لا يُنْعَد إرادة جَرْي المَثَل فِي المعنى المُمَثَّل لَهُ فتصريف المثل بمعنى جَرْيه. وكذلك استعملت مادَّة الصَّرْف فِي القُرآن الكريم فِي عِدَّة موارد:

مِنْهَا: قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفَنَا فِي هَلَاا ٱلْقُرَّءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمُ إِلَّا نَقُورًا ﴿ اللَّهُ ﴾ (٣).

وأمَّا [ضَرَب] فكثير ما ترد فِي الآيات كَمَا هُوَ فِي اللَّغَة بمعنى التمثيل والاعتبار والذكر والوصف والصَرْف.

أمَّا التمثيل فكقوله تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾(١).

⁽١) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

⁽٢) سورة الفرقان: الآية ٥٠.

⁽٣) سورة الكهف: الآية ٥٤.

⁽٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٤.

وأمَّا الوصف فكقوله تَعَالَى: ﴿ اَنظُرُ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُوا ﴾ (٢).

كذا فِي الوصف كقوله تَعَالَى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلُ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنَيَا ﴾ (٣). وكذا فِي الوصف قوله تَعَالَى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَمُمْ مَّثَلًا ﴾ (١).

وفي بَعْض الموارد استعملت (ضَرَبَ) مِنْ دون إسنادها صريحاً إلى المثل نظير قوله تَعَالَى: ﴿وَلَمَا ضُرِبَ أَبْنُ مَرْيَهُ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ أَبْنُ مَرْيَهُ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ﴿ وَلَمَا اللَّهِ مُنَا خَيْرُ أَمْرُ هُو مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾ (٥).

وأمَّا الصَرْف فكقوله تَعَالَى: ﴿ أَفَنَضِّرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكَرَ صَفْحًا ﴾ (٦).

الفرق بين ضرب المثل وصرف المثل:

فيشتركان فِي أصل التمثيل، ويفترقان فِي أنَّ (صرف المثل) يَكُون التركيز عَلَى المُمثل به والمجيء بالمثل للعبور إلى الممثْل به.

وأمَّا فِي (ضرب المثل) فَيَكُون التركيز عَلَى نفس المَثَل وَيَكُون

⁽١) سورة يس: الآية ١٣.

⁽٢) سورة الإسراء: الآية ٤٨.

⁽٣) سورة الكهف: الآية ٤٥.

⁽٤) سورة يس: الآية ١٣.

⁽٥) سورة الزخرف: الآية ٥٧ ـ٥٨.

⁽٦) سورة الزخرف: الآية ٥.

٤٥٠..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

المُمَثّل به غَيْر مغفول عَنْهُ، بَلْ هُنَاك عُقْدَة وإبهام فِي الممثل به يُرْفع هَذَا الإبهام والاعتراض والإشكال بوضوح.

ويُجابِ عَنْهُ: إنَّ جهة الاشتراك بينهم إفي المَثل.

وَهَذَا الفرق بينهما يقتضي أمران:

أَوَّلاً: يقتضي أنَّ كيفية سبك المثل فِي ضَرْب المثل يختلف عَنْ سبك المثل فِي ضَرْب المثل يختلف عَنْ سبك المثل فِي صَرْف المثل، وَلَيْسَ ذَلِكَ يقتصر عَلَى ذَلِكَ، بَلْ الافتراق مِنْ حَيْثُ سبك المعنى أيضاً، فَإِنَّ فِي صَرْف المثل محطّ النظر إلى الممثل به مِنْ دون التقييد بحدود المَثَل.

وأمَّا فِي ضرب المَثل فالتركيز _ كَمَا مَرَّ _ فِي المَثَل وماله مِنْ خصوصية بيانيّة فلا يُنطلق فيه إلى كُلّ جهات المُمَثّل لَهُ.

ثانياً: وكذا ينبغي في موارد (ضرب المثل) في القُرآن والوحي التركيز عَلَى المثل كَحَلْحَلَة الإبهام أو الغموض في الممثل لَهُ، وبخلاف ذَلِكَ فِي موارد صرف المثل.

وأمَّا: [جعل المثل] فَقَدْ وَرَدَ فِي قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبَدُّ الْعَمْمَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَهُ مَثَلًا لِبَنِيَ إِسْرَتِهِ بِلَ ۞﴾(١).

وقوله تَعَالَى: ﴿فَجَعَلْنَهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْأَخِرِينَ (اللهُ ﴿ اللهُ اللهُ

⁽١) سورة الزُّخرف: الآية ٥٩.

⁽٢) سورة الزُّخرف: الآية ٥٦.

بتقريب: _ الظاهر المُرَاد به _ جعل المثل _ موارد الجعل التكويني لا التمثيل في البيان اللفظي وَيَكُون حينئذٍ عَلَى وزان جعل الآية التكوينية، وباب جعل المثل حينئذٍ يَكُون الخِلْقة التكوينية لَهُ تَعَالَى وما تصرَّم مِنْ سنن القدر والقضاء الإلهي في الأُمم السابقة، فيتسع باتساع الجعل التكويني إذْ يساوق الآية، إلَّا أنَّ بين جعل الآية وجعل المثل افتراق، وَذَلِكَ: في جعل الآية: فَإنَّ الملحوظ فيها البُرهان والدلالة التصديقية لذي الآية.

وأمَّا فِي جعل المثل: _ فالمطلوب فيه أصل التنبُّه والتصوّر.

الجهة التاسعة: حقيقة استعمال المثل

فِي القرآن الكريم والحقائق القرآنية:

إنَّ مِنْ البحوث الَّتِي تجاذب فيها الاختلاف بين المُفَسِّرِين ذوي المشارب المختلفة مِنْ الأدبيّة والكلاميّة والفلسفيّة والعرفانيّة وغيرها مِنْ أنَّ القصص في القُرآن والمَثَل والإخبارات، هل هِيَ حقائق وقعت أو حقائق ستقع، أم أنَّها قصص خياليّة يُرْمَز بها إلى حقائق وراءها، لا أنَّها حقائق وقعت وستقع وانسحب كلامهم إلى ما أنبأ به القُرآن مِنْ الجنة والنار والصراط والبرزخ، وَكُل حقائق الآخِرَة.

ولتنقيح الحال نذكر نقاطاً: _

النقطة الأولى: إنَّ وجود التشبيه والمثل التشبيهي أُسلوب مُتكرِّرٌ

وقوعُه فِي القُرآن الكريم كقوله تَعَالَى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوْقِ فِيهَا مِصْبَاحٌ اللَّهِ الْمُصَبَاحُ اللَّهُ الْمُعْبَاحُ فِي نُجَاجَةٍ الزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبُّ دُرِيُّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبُرَكَةٍ نَيْتُونَةٍ لَآ الْمِصْبَاحُ فِي نُجَاجَةٍ الزَّبُونَةِ لَآ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّ

وقوله تَعَالَى: ﴿ضَرَبُ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَائِثُ وَفَرَعُهَا فِي ٱلسَّكَمَآءِ ﴿ ثَا تُوقِيَ أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَ أَوْيَضْرِبُ اللَّهُ ٱلأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُ مُ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ ثَا وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ لَللَّهُ ٱلأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُ مُ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ ثَا وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ الْمَثَنَّ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَادٍ ﴿ ثَ ﴾ (١).

وقوله تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا ﴾(٣).

فوجود مثل هَذَا النَّمط مِنْ التمثيل فِي القُرآن لا يُنكر، والعِبْرَة فيه والمدار عَلَى وجه الشبه، فَلَيْسَ الكلام فِي وقوعه أسلوباً مِنْ أساليب القُرآن الكريم، وَهُوَ أُسلوبٌ بلاغيٌّ مُعتمدٌ فِي كُلّ اللغات، إنَّما الكلام فِي بقيّة أنواع الأمثال فِي القُرآن وعدم حصرها فِي هَذَا النوع كَمَا تُوهِم.

النقطة الثَّانية: إنَّ هُنَاك جَملة مِنْ الأمثال الحقيقة اتَّخذها وضربها القُرآن مثلاً وَهَذَا ما يُبرهن أنَّ باب المَثل والأمثال بالقرآن لا ينحصر بالنوع السابق مِنْ المثل والتمثيل السابق الذي يندرج فِي التشبيه نظير

⁽١) سورة النور: الآية ٣٥.

⁽٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٤_٢٥_٢٦.

⁽٣) سورة النحل: الآية ٧٥.

وقوله تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوجٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ ﴾(٢).

وقوله تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَّشَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۚ هَل لَكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُم مِّن شُرَكَآءَ ﴾^(٣).

وقوله تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللّهُ مَثَلًا لِلّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنِجَنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ـ وَنَجِّنِي مِن ٱلْقَوْمِ ٱلظَّلِمِينَ ﴿ اللَّهِ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَنَ ﴾ (١٠).

وقوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَّ خَلَقَكُهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَلَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿ ﴾ (٥).

وغيرها مِنْ الآيات المُبَارَكَة الَّتِي هِيَ موارد أمثلة ومَثَل لِأُمُور متحققة وواقعة، وقصص حقيقيّة لكنَّ الله أوردها عِبْرَة وعبوراً لما وراءها، فليست هِيَ قصّة مسبوكة مِنْ نسيج الفرض والافتراض وَأَنَّهُ لا

⁽١) سورة الزُّخرف: الآية ٥٧.

⁽٢) سورة التحريم: الآية ١٠.

⁽٣) سورة الروم: الآية ٢٨.

⁽٤) سورة التحريم: الآية ١١_١٢.

⁽٥) سورة آل عمران: الآية ٩٥.

حقيقة لها ما وراءها فكون الشيء حقيقة لا ينفي كونه مثلاً يُعْبَر مِنْهُ وبه إلى حقيقة أعظم وأهم مِنْهُ، وَهَذَا الخلط الذي وقع فيه كثير مِنْ الفلاسفة والعُرفاء، أو بَعْض المُفَسِّرِين مَنْ توهَّم كون باب المثل والأمثال لَيْسَ لَهُ حقيقة إلَّا ما وراءه مِنْ العِبْرَة، وَمِنْ ثمَّ ينبثق بابٌ عظيم فِي الأُمُور والحقائق التكوينية أنَّها مَثَل وأمثال لحقائق غيبيَّة ملكوتية أعظم مِنْهَا.

وَمِنْ ثُمَّ وَرَدَ تنبيه وبيان فِي رواياتهم اللَّهِ بنحو مُستفيض أنَّ ما ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سيرة الأنبياء والمُرسلين السابقين أو الأوصياء والمصطفين مَثَلٌ ضربه الله عَزَّ وَجَلَّ للنبي عَيِّلِهُ وأهل بيته اللهِ وأنهم المعنيّون بتلك القصص وأنَّ مريم الله مَثَلٌ ضربه الله لفاطمة المَهُ وأنَّ مريم اللهُ عَرَّ وَجَهَ تَقَدَّمَ..

⁽١) سورة الحشر: الآية ٢١.

الفرق بين ضرب المثل، وجعل المثل، وصرَّف المثل

وَكَفَوْلُه تَعَالَى: ﴿ يَكَأَيُّهُا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ ۚ إِنَ النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ ۚ وَإِن يَسْلُبُهُمُ اللَّذِينَ تَدْعُونَ لَهُ وَإِن يَسْلُبُهُمُ اللَّهِ الْمَا لُوبُ شَيْءًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْ لَهُ ضَمُ فَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿ اللَّهُ ﴿ اللَّهُ الللَّلْمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللْمُ ال

الجهة العاشرة: [ليس كمثله شيء](١).

قَدْ يُتساءل فِي مَعْنَى الآية فِي عِدَّة زوايا: _

الأُولى: هل الكاف زائدة أو أصليَّة.

الثَّانية: هل الآية في صدد نفي المِثل بالكسر.

الثَّالثة: كيف التوفيق بين مفاد الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ عَمَى مُّ ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنبِّنُكَ مِثْلُ خَبِيرِ ﴿ اللَّهُ ﴾ (٣).

الرَّابِعة: كيف يُقرِّر مفاد الآية المُباركة عَلَى مسلك بَعْض اللغويين الَّذِيْنَ يَذَهُبُونَ إِلَى وحدة مَعْنَى المِثْل والمَثَل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَغْلَىٰ وَهُوَ يَلْهُ وَلُمُو اللَّهُ اللَّا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

وفي البدء نمحّص الحال في تنقيح الحال بهذه الزوايا بمجموعة نقاط: النقطة الأُولى: قَدْ ذكر المُفَسِّرون فِي شرح قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرِ اللهِ أَيِّ ولا يخبرك بالأمر مُخْبِرٌ مِثْلُ خبير عالمٌ به أخبرك وَهُوَ

⁽١) سورة الحج: الآية ٧٣.

⁽٢) سورة الشورى: الآية ١١.

⁽٣) سورة فاطر: الآية ١٤.

⁽٤) سورة النحل: الآية ٦٠.

الله سُبْحَانَهُ فَإِنَّهُ الخبير به عَلَى الحقيقة دون سائر المُخبرين.

وَقَالَ بعضهم: ﴿ وَلَا يُنَبِّنُكَ مِثْلُ خَبِيرِ ﴿ ثَالَ ﴾ مِنْ القُرآن العزيز أيّ ولا يُخبُرك بالأمور أحدٌ عَلَى حقائقها كالعارف بها العالم بكنهها.

وَقَالَ الشَّيْخِ الطوسي فِي التبيان فِي تفسير الآية [أيِّ ولا يُنبئك يا مُحمَّد بالشيء عَلَى حقيقته مِثل خبير عالم بها أخبر والله تَعَالَى عالم بالأشياء عَلَى حقائقها].

وَقَالَ فِي مجمع البيان: أيّ لا يُخبرك بها فيه الصلاح والفساد والمنافع والمضار مِثل الله سُبْحَانَهُ العليم بالأشياء كُلَّهَا.

وفي زُبدة التفاسير _ فتح الله الكاشاني: _ ولا يَخْبُرُك بالأمر مُخْبرٌ مِثُلُ خبير عالمٌ به أخبرك وَهُوَ الله تَعَالَى فَإِنَّهُ هُوَ الخبير به عَلَى الحقيقة دون سائر المخبرين، وَالْمُرَاد تحقيق ما أخبرَ به مِنْ حال آلهتهم ونفي ما يدّعون لهم كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ هَذَا الذي أخبرتكم مِنْ حال الأوثان هُوَ الحَقّ لأنِّ خبيرٌ بها أخبرتُ به.

وَقَالَ السَّيِّد عبدالله شبر الله في تفسيره: _ أيِّ بها يُخبرك وَهُوَ الله العليم بالحقائق.

وَقَالَ الطباطبائي فِي الميزان: _ أيّ لا يُخبرك عَنْ حقيقة الأمر مُخبرٌ مثل مخبر الخبير.

وَقَالَ الطبري فِي جامع البيان: مِثْلُ ذي خبرةٍ يأمرها وأمرهم وَذَلِكَ الخبير هُوَ الله الذي لا يخفى عَلَيْهِ شيء كَانَ أو يَكُون ... والله هُوَ

وَقَالَ السَمْعاني فِي تفسيره: ولا يُنبئك بِهَذَا أحد مِثْلي والخبير هُوَ الله تَعَالَى.

والمُحَسَّل مِنْ كلماتهم: _ أَنَّ هَذِهِ الآية المُبَارَكَة ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ تنفي المِثل أي أن مِثْل وصف للمقدّر وهو أحدٌ، أي نفي مماثلة غير الخبير بالخبير لا نفي المثل مُطلقاً، فنفي المثليّة في الصِّفات الفعليّة، مَثَل _ بالفتح _ لله تَعَالَى والمَثَلُ الأعلى لَهُ تَعَالَى دون غيره، فلا تكون الصِّفة العليا لغيره تَعَالَى، فَيَكُون المعنى: _ لَيْسَ هُنَاكُ مِثْلَ _ بالكسرة _ لِحَمْثُلِه _ بالفتح.

فيتحصَّل نفي المِثْليَّة _ بالكسر _ عَنْ مَثَلِة بالفتح _ تَعَالَى فضلاً عَنْ مَقام حريم ذاته.

وَمَنْ فَسَّرَ المِثْل ـ بالكسر ـ فِي قوله تَعَالَى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ـ شَحَ ۖ أَمُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَالَى اللَّثُلُ فَلَا يَشَابِهِ مَثَلَه ـ بالفتح ـ شيءٌ.

روى الكليني في الكافي في مرسل علي بن مُحمَّد عَنْ أبي الحسن الرضا الله في حديث عَنْ صفات الله وأسمائه ... ثمَّ وَصَفَ نَفْسَه تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأسماء دعا الخَلْق إذْ خلقهم وتعبَّدهم وابتلاهم إلى أنْ يدعوه بها فَسَمّى نفسه سميعاً بصيراً قادراً قائماً ناطقاً ظاهراً باطناً لطيفاً خبيراً قويّاً عزيزاً حكيماً حليماً عليماً وما أشبه هَذِهِ الأسماء، فلمَّا رأى ذَلِكَ مِنْ أسمائه

⁽١) سورة الشورى: الآية ١١.

الغالون المكذّبون وَقَدْ سمعونا نُحَدِّث عَنْ الله أَنّهُ لا شيء مِثْلَه، ولا شيء مِنْ الحَلْق فِي حالِه، قالوا: أخبرونا، إذَا زعمتم أَنّهُ لا مِثْل لله ولا شَبه لَهُ كيف شاركتموه فِي أسهائه الحُسْنى فتسَمَّيتم بجميعها؟ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ دليلاً عَلَى أَنَّكم مثله فِي حالاته كُلَّهَا أو فِي بعضها دون بَعْض، إذْ جمعتم الأسهاء الطيّبة؟ قِيلَ لهم: _ إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَلزم العِباد أسهاء مِنْ أسهائه عَلَى اختلاف المعاني، وَذَلِكَ ما يُجمع الاسم الواحد معنيين مُختلفين.

والدليل عَلَى ذَلِكَ قول الناس الجائز عندهم الشائع، وَهُوَ الذي خاطب الله به الخلق فكلَّمهم بها يعقلون ليكون عليهم حجَّة فِي تضييع ما ضيّعوا(١).

وَهَذِهِ الرُّواية تُركِّز عَلَى نفي المِثلِيَّة لَهُ تَعَالَى فِي مقام الأسهاء والأفعال فلا يختص نفي المِثليَّة عَلَى مقام الذات، كَمَا أُشير ذَلِكَ فِي بيانات أهل البيت المَهِ مِنْ أَنَّ الأحديَّة والصمديَّة ونفي الكفؤ ونفي الشريك المذكور فِي سورة التوحيد لا يختص بمقام الذات، بَلْ هَذِهِ الصِّفات لَهُ تَعَالَى فِي مقام الفعل أيضاً.

وَعَلَى ضوء ذَلِكَ فَكَمَا أَنَّ الأسهاء الخُسْنَى لَهُ تَعَالَى خاصّة به فكذلك المثل الأعلى لَهُ تَعَالَى مُخْتصّ به.

النقطة الثَّانية: هُنَاك عِدَّة احتهالات فِي الكاف فِي قوله تَعَالَى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ عِنْكُ ﴾.

⁽١) الكافي للكليني: ج١، ص١٧١ ب٣٩، مِنْ كتاب التوحيد باب آخر وَهُوَ الباب الأوَّل المذكور فيه معاني الأسهاء واشتقاقها، الحديث ٢.

الفرق بين ضرب المثل، وجعل المثل، وصرَّف المثل 209

الأوَّل: أنَّها زائدة.

الثَّانِي: إنَّها أصليَّة وَأنَّها حرفُ جرٍّ.

الثَّالِث: أنَّها اسمٌ بمعنى المِثل.

النقطة الرَّابعة: قَدْ مَرَّتْ الإشارة، أنَّ سورة التوحيد يمكن أنْ تُقَرَّرَ عَلَى صعيد الصِّفات الفعليّة، فَكَمَا يُنفَى عَنْهُ تَعَالَى الشِّريك والكفؤ فِي مقام الفعل أيضاً، فَكَا الشَّريك والكفؤ فِي مقام الفعل أيضاً، فلا مِثْلَ لَهُ فِي مقام فِعْلِه، وَمِنْ ثمَّ حُصِرَت الأسماء الحُسنى بحصر إضافتها إليه تَعَالَى ﴿ وَلِلّهِ الْأَسْمَاءُ الْخُسنَى ﴾ وقوله تَعَالَى ﴿ قُل لِّمَنِ تَعَالَى كَمَا فِي قوله تَعَالَى ﴿ وَلِلّهِ الْأَسْمَاءُ الْخُسنَى ﴾ (١) وقوله تَعَالَى ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُم تَعْلَمُون اللهُ سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكّرُون اللهِ عَلَى مَن رَبُ السَّمَع وَهُو يَجِيدُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُم تَعَامُون اللهِ مَلَكُوثُ حَلَى اللهُ ا

⁽١) سورة الشورى: الآية ١١.

⁽٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

٤٦٠ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (١٠) اللهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (١٠)

وقوله تَعَالَى: ﴿ قُل لِمَن مَا فِي ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِللَّهِ ﴾ (٢) وقوله تَعَالَى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَكُلَهُۥ لِلَّهِ ﴾ (٣).

وَمِنْ ثُمَّ إِذَا فُسِّرَ المِثْل فِي قوله تَعَالَى بالصفة وأُريد نفي التشابه فِي مقام الفعل وصفاته كَانَ المنفي التطابق والتشابه فِي الشريك، أو النِّد، أو الكفؤ، أو المجانس فَإِنَّهُ منفي عَنْهُ تَعَالَى سواء فِي مقام الصِّفات الذَّاتية أو الصِّفات الفعليَّة.

⁽١) سورة المؤمنون: الآية ٨٤_٨٩.

⁽٢) سورة الأنعام: الآية ١٢.

⁽٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

الأوصاف القرآنية للجنة حقائق أم تمثيل

الجهة الحادية عشر:

﴿ مَّثَلُ الْمَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُنَّقُونَ فِيهَا أَنْهَزُّ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ وَاسِنِ ﴾ (١)

والتساؤل الذي يُطّرح هو: _ لماذا اختصَّتْ هَذِهِ الآية المُبَارَكَة بنعت الجنَّة بالمثل، بينها في الآيات الأُخْرَى لَمْ تنعت الجنَّة بالمثل، بَلْ نعتتها بتحقيق هَذِهِ الأُمُور لا أنَّها مَثَل، وَمِنْ ثمَّ قِيلَ فِي الآية الكريمة أنَّها فِي صدد بيان أنَّ هَذِهِ الأوصاف للجنّة ليست عَلَى نحو الحقيقة، بَلْ إشارة إلى ما هُوَ أعظم مِنْ ذَلِكَ مدعوماً بقوله تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْشُ مَّا أُخْفِى لَلْمُ مِنْ ذَلِكَ مدعوماً بقوله تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْشُ مَّا أُخْفِى لَلْمُ مِنْ ذَلِكَ مدعوماً بقوله تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْشُ مَّا أُخْفِى اللّهُ مِنْ ذَلِكَ مدعوماً بقوله تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْشُ مَا أُخْفِى اللّهِ مِنْ ذَلِكَ مدعوماً بقوله تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْشُ مَا أُخْفِى اللّهُ مِنْ ذَلِكَ مَدْ فَسَّرَ المَثَلُ بالصَّفة.

وتنقيح هَذِهِ الجهة يَتِمُّ عِبر نقاط:

النقطة الأُولى: ولا يخفى أنَّ تمحيص البحث فِي هَذِهِ الجهة قَدْ تَقَدَّمَ شطر مِنْهُ فِي الجُهة التَّاسعة _ استعمال المثل فِي القُرآن الكريم والحقائق القُرآنية _.

⁽١) سورة مُحمَّد: الآية ١٥.

⁽٢) سورة السجدة: الآية ١٧.

النقطة الثّانية: إنَّ الجنان والحقائق الغيبيّة ذَاتَ مراتب كَمَا هُوَ الحال فِي النَّار والنيران لا سيّما وأنَّ العوالم الأخرويّة ليست عالماً واحِداً فَهُنَاك عالمَ البرزخ وعالم الرجعة ثمَّ عالمَ القيامة وَهُوَ عالم أطول عمراً وأقوى شِدَّة ممّا سبقه بأضعاف مضاعفة، وَقَدْ قامت الدلائل والبراهين العديدة عَلَى جسمانيّة هَذَا العالم فضلاً عَنْ الرَّجعة، والبرزخ، بَلْ وكذلك الحال فِي عالمَ الجنَّة والنَّار، وَهُوَ ما بَعْدَ عالمَ القيامة، وإنْ اختلفت الأجسام فِي درجات المواد لطافةً وغِلْظَةً.

النقطة الثَّالِثة: إنَّ هُنَاك جملة مِنْ الآيات فِي وصف الجنَّة أو الجِنان ما يُعَزِّز كون تلك الأوصاف حقيقية ﴿ وَبَشِرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَكِمِلُوا الصَّكلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّتِ تَعَرِي مِن تَعْتِهَا ٱلأَنْهَا لَأَنْهَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ الصَّكلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّتِ تَعْرِي مِن تَعْتِهَا ٱلأَنْهَا لَأَنْهَا وَكُهُمْ فِيهَا أَزُوجُ لِي الصَّكلِحَاتِ أَنَّ اللَّهُمُ فِيهَا أَذُوبُ لَي رُزِقُنَا مِن قَبْلُ وَأَتُوا بِيهِ مُتَشَيْبِهَا وَلَهُمْ فِيهَا أَزُوبُ لِي رَزِقًا قَالُوا هَذَا ٱلذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَتُوا بِيهِ مُتَشَيْبِهَا وَلَهُمْ فِيهَا أَزُوبُ لَي رَزِقُنَا مِن قَبْلُ وَأَتُوا بِيهِ مُتَشَيِّهَا وَلَهُمْ فِيهَا أَزُوبُ لَي مُن مَعْنِهَ اللّهُ مَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ ا

بتقريب: ـ أنَّ كُلِّ ما ذُكِرَ فِي هَذِهِ الآية الْمُبَارَكَة، والآية السَّابقة مِنْ أَنهار مِنْ عسل وخمر وأشجار وفواكه وأثهار وغيرها هُوَ مَثُلُّ للجنَّةِ، أو أنَّ الجنَّة فيها هَذَا الذي ذُكِر، وبقطع النظر عَنْ الخلاف واللغط الذي

⁽١) سورة البقرة: الآية ٢٥.

⁽٢) سورة الرعد: الآية ٣٥.

حَصَل بين مَنْ يذهب إلى أنَّ الجنَّة هِيَ جنَّة جسمانيّة، وَهُوَ ما يذهب إليه جمهور المُتكلّمين وغيرهم، وبين مذهب جملة مِنْ الفلاسفة الّذين أنكروا هَذَا الضروري، وَهُوَ أنَّ الجنَّة جسمانيّة، وَإنَّما ادّعوا كون الجنَّة جنَّة عقليَّة أو روحيّة ومعنويّة وَهِيَ ليست جنَّة جسمانيّة، وأنَّ ما ذُكِرَ فِي الآيتين وغيرهما مِنْ وصف للجنَّة وَأنَّهُ فيها شُررٌ متقابلين مُتكئين عَلَيْهَا، وفيها الحور العين وكواعب أتراباً وكأساً دهاقاً وغيرها، هَذِهِ كُلَّهَا مَثَل للجنَّة وَلَيْسَ هِيَ الحقيقة، حسب دعوى هؤلاء الفلاسفة، وكلتا الآيتين مِنْ قسم المُحكم ولا تتنافى مَعَ سائر المُحْكمات.

[قاعدة المثل ونظرية المعاد]:

إنَّ القائلين بالمعاد الجسماني لا ينكرون ضرورة وجود المعاد الروحاني المعنوي، فَكَمَا أَنَّ هُنَاك جزاء وعقاب جسماني، كَذَلِكَ هُنَاك جزاء وعقاب روحي ومعنوي، علماً أنَّ هَذِهِ المعيّة بين المعاد الجسماني وَالرُّوحي ليست معيّة عرضيّة، أو معيّة ظرفيّة بمعنى هيمنة، وَإنَّما المعاد الجسماني معادُ روحاني.

هَذَا ما ذهب إليه الصدوق في كتابه الاعتقادات وأنَّ الجزاء في الآخرة لا ينحصر بالمعاد والجزاء الجسماني، وَإنَّما هُنَاك جزاء معنوي طبقاً لما جاء في الآيات والروايات، وأنَّ هُنَاك تنعم ببحر الحمد الإلهي، وبحر التسبيح وبحر التهليل وغيرها.

وإنْ كَانَ الشَّيْخِ المفيد الله السَّيْخِ الصَّدوق الله وأنَّ ما ذهب إليه الصَّدوق هُوَ مِنْ أقاويل النصارى وينبغي طرح هَذِهِ الروايات إلَّا أنَّ مَعَ تحقيقات المُتأخِّرين تبيَّن الحقّ مَعَ الشَّيْخِ الصَّدوق؛ لِأنَّ المعاد الجسماني لا يتناقض ولا يتدافع مَعَ المعاد الروحاني المعنوي، وتدلّ عَلَيْهِ روايات عديدة في بحث المعاد.

مِنْهَا: ما رواه أبو بصير، قَالَ: قَالَ أبو جعفر اللهِ ينكر أهل العراق الرجعة؟ قلت: نعم قَالَ: «أما يقرؤن القُرآن ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِ أُمَّةٍ وَوَجًا ﴾ (() وَعَنْ الأصبغ بن نباتة: أنَّ ابن الكوا سأل علياً اللهِ عَنْ الرجعة، فأجابه الإمام بأنَّها حقّ واستدلَّ عَلَيْهَا بآيات مِنْها ... حَيْثُ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيكِهِمْ وَهُمْ أُلُوفُ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهَ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَكُهُمْ ﴾ وقوله تَعَالَى أيضاً في عزير حَيْثُ أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِي خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّ يُحْي عَلَى وَرَيةٍ وَهِي خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّ يُحْي عَلَى عُرُوسَهَا قَالَ أَنَّ يُحْي عَلَى عُرُوسَهَا قَالَ أَنَّ يُحْي عَلَى عُرُوسَهَا قَالَ أَنَّ يُحْي عَلَى عُرُوسَةً عَلَى عُرُوسَهَا قَالَ أَنَّ يُحْي عَلَى عُروسَةً عَلَى عُرُوسَهَا قَالَ أَنَّ يُحْي عَلَى الذّنب (مأة عام ثمَّ بعثه) وردّه إلى الدُّنيَا ثمَّ قَالَ فلا تشكنّ يا بن الكوا في قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ (*).

وَعَنْ عبدالرحمن القصير عَنْ أَبِي جعفر الطِّلِا، قَالَ: قرأ هَذِهِ الآية الله الله الله الله الله المُؤْمِنِينَ اَنفُسَهُمْ وَأَمَوْ لَكُم الله فَقَالَ هل تدري مَنْ الله المؤمنون فيقتلون ويقتلون ، فَقَالَ: لا، ولكن مَنْ قتل يعني؟ فقلت يقاتل المؤمنون فيقتلون ويقتلون ، فَقَالَ: لا، ولكن مَنْ قتل

⁽١) سورة النمل: الآية ٨٣.

⁽٢) تفسير البرهان: للفتنوني، المقدمة: ٦٨ ٥ ح١.

الجهة الثانية عشر: إن قصص الأنبياء والمرسلين

والمصطفين مثل لآل محمد عَلَيْكُ فِي القرآن الكريم:

هُنَاكُ نُكتة أَكَّدَ عَلَيْهَا القُرآنِ الكريم فِي آياته وسوره وبيَّنها أهل البيت الميليّ كَذَلِكَ وَهِيَ أَنَّ كُلّ القصص الإلهية الَّتِي ذكرها القُرآن الكريم للحجج مِنْ الأنبياء والمُرسلين في الأُمم السَّابقة هِيَ مَثَل ضربه الله لآل محمَّد الميليّ ، إلَّا أنَّ الكثير مِنْ المُفسِّرِين غفلوا عنها، وَأَنَّهُ لَيْسَ المقصود مِنْ ذكر تلك القصص المذكورين مِنْ أهل ذَلِكَ الزمان الماضي والذي تصرَّم - كمَا يفهمه الكثير - إلَّا أنَّ هَذَا مَعْنَى خاطئ فَإنَّ القُرآن الكريم كتاب إلهي لَيْسَ فَقَطْ للزمان الماضي، بَلْ وَهُوَ الصحيح للزمان المحاضر وللمستقبل، فَإنَّ الباب الواحد فِي القُرآن الكريم حسب بيانات الحاضر وللمستقبل، فَإنَّ الباب الواحد فِي القُرآن الكريم حسب بيانات عبور للأزمنة التالية مِنْ الحاضر و المستقبل ولا يقتصر فيه عَلَى الزمان عبور للأزمنة التالية مِنْ الحاضر و المستقبل ولا يقتصر فيه عَلَى الزمان الماضي، كَمَا فِي الموارد التالية:

أُوَّلاً: قوله تَعَالَى: ﴿ لَقَدُكَا كَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأَوْلِي ٱلْأَلْبَابِّ ﴾ (٢) فَإِنَّ

⁽١) المصدر السابق: ح٣.

⁽٢) سورة يوسف: الَّاية ١١١.

الآية الْمُبَارَكَة فيها تصريح بأنَّ قصص الأنبياء والمُرسلين والصفوة الَّتِي ذكرها فِي القُرآن يُراد بها مَعْنَى وغاية وراءها ولا يقتصر المُرَاد عَلَى الوقوف عَلَى شؤونهم وشخصهم رغم تأكيد القرآن بلزوم الإيهان بجميع الرسل وعدم التفرقة بينهم، إلَّا أنَّه رغم ذَلِكَ يُطالبنا القُرآن الكريم بالتركيز والاهتهام بها ورائهم بها هُوَ أهم منهم وَهَذَا نظير توصية القُرآن وتعليمه وتأكيده عَلَى التفضيل بين الرسل في قوله تَعَالَى ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ ﴾(١) وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضِّ ﴾(٢) ففي حين يُؤكِّد القُرآن الكريم عَلَى عدم التفرقة بين الرسل فِي أصل النهج وَالدِّين وفي نفس الوقت يُؤكِّد عَلَى مُراعاة التفضيل والتفاضل، وإعطاء الأهميّة والأولويّة للأفضل، وَأَنَّهُ غاية أعلى، كَذَلِكَ مفاد هَذِهِ الآية مِنْ سورة يوسف تُبيِّن أنَّ الغاية مما استعرضه القُرآن الكريم مِنْ قصص الأنبياء غايةٌ أهم وهَدَفٌ أسمى فذكرها عبورٌ يُعْبَر مِنْهُ إلى الغاية الأصليّة.

وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ قَاعدَة قُرآنية عظيمة _ أيّ العبور مِنْ الماضي إلى الحاضر والمستقبل في البعض _ تُؤسس لكون الغاية الأصليّة مِنْ استعراض وسرد القُرآن لشؤون الأنبياء والمُرسلين والأوصياء وأئمة الدِّين في القُرآن الكريم لها مغزى وهدَف وراء ذَلِك، أيّ أنَّ هَذِهِ

⁽١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

⁽٢) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

الشؤون وَالأُمُور هِيَ حالات وشؤون ومقامات الْنَبِيَّ عَلَيْكُ وأهل بيته اللَّهِ الَّذِيْنَ شهد لهم القُرآن الكريم بالطهارة، فلا يقف المُفسِّر والباحث في علم الكلام ولا غيرهما مِنْ بُحّاث العلوم الدِّينية عَلَى النُّوع عَلَى قصص الأنبياء بنحو موضوعي وذاتي أصالة لشخوصهم، بَلْ لابُدَّ أنْ يتجاوز النظر ويُعْتَبر مِنْهُ كطريق لمعرفة شؤون سيد الأنبياء وأهل بيته اللِّكِيُّ ، وَمِنْ ثُمَّ لَمْ يستعرض القُرآن الكريم كُلِّ صغيرة وكبيرة في شؤون وحياة الأنبياء والمُصطفين، بَلْ تَعَرَّضَ إلى ما هُوَ قمّة فِي حياتهم وسيرتهم ممَّا تُعَبِّدُ الطريق لِفَهْم أحوال الْنَّبِيَّ عَيَّاللَّهُ وأهل بيته المِثَلِا وَالَّتِي هِيَ أعظم شأناً مما حَصَل لبقيَّة الأنبياء والأوصياء، كَمَا نبَّه القُرآن عَلَى تعظيم شأن أهل البيت اللِّكِ عَلَى سائر الأنبياء، أو عَلَى بقيَّة الأنبياء وَمِنْ ثُمَّ أَكَّدَ الباري تَعَالَى عَلَى هَذِهِ القَاعِدَة القُرآنيّة المعرفيّة: _ بأنَّ مَنْ يتّخذ قصص الأنبياء عبرة لواقع الحال الراهن للأُمَّة الإسلاميّة أيّ لوجود ثلة بهذه المواصفات هُمْ أُولُوا الألباب أيّ الَّذِيْنَ يتعقّلون ويُدْرِكون وينالون المعنى وَالْمُرَاد الجِدِّي مِنْ وراء ذَلِكَ، دون مَنْ يقف ويَجْمُد عَلَى ظاهر صورة القصص، ثمَّ أَكَّدَ القُرآن عَلَى هَذِهِ القَاعِدَة بأنَّ هَذِهِ الشؤون والأحوال فِي الأنبياء والأوصياء وأهل الصفوة ليست مِنْ مصنع الخيال وتوليد المُخَيَّلَة أو اصطناع اللسان والقريحة التخيُّليّة أو الشعريّة، بَلْ هُوَ تصديقٌ لما ذكرته الكُتُب السهاويّة السابقة _ الَّتِي تعرَّضت إلى تلك الشؤون والأحوال في الأنبياء.

278...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني بيان القرآن لحقيقة عظيمة في قصص الأنبياء:

ثمَّ يذكر القُرآن حقيقة عظيمة فِي قصص الأنبياء بأنَّ فيها جواب الكُلِّ سؤال وتساؤل لمعرفة كُلِّ شيء مما يَهُمُّ شؤون الدُّنْيَا ومسيرتهم ومسارهم وَذَلِكَ بقوله ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي فِي قصصهم تفصيل كُلِّ شيء، وأنَّ فِي قصصهم هداية عَنْ كُلِّ ضلال ورحمة عَنْ الوقوع فِي الغضب والسخط الإلهي، وَهَذَا تأصيل قُرآني أنَّ كُلِّ ما تحتاجه أُمَّة الإسلام والمسلمين عمّا اختلفت به وتنازعت فيه مِنْ الخلافة والإمامة فِي الدِّين.

فَإِنَّ جوابه وصوابه وسداده قَدْ ذكره القُرآن الكريم في شؤون قصص الأنبياء قصص الأنبياء الخطورة في أهميّة قصص الأنبياء المُسْتَعْرَضَة في القُرآن الكريم، فَإِنَّهُ تعهدٌ مِنْ القُرآن الكريم بوجود جواب أيِّ اختلاف يقع في إمامة الدِّين والخلافة، لا سيّما وأنَّ الشأن الأوَّل والأهم في شؤون الأنبياء والأوصياء هُوَ الإمامة في الدِّين وَالدُّنيَا وحجيتهم وهدايتهم للبشر، وَمِنْ ثمَّ استدلَّ أهل البيت المَيِّلُ بحجج عَلَى إمامتهم وشؤونهم في الدِّين ومناصبهم بها وَرَدَ مِنْ قصص للأنبياء والأوصياء وأهل الصفوة في الدِّين ومناصبهم بها وَرَدَ مِنْ قصص للأنبياء والأوصياء وأهل الصفوة في القُرآن الكريم.

ثانياً: قوله تَعَالَى: ﴿لَقَدُكَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓءَايَنَ ۗ لِلسَّآبِلِينَ ﴾(٢).

⁽١) سورة يوسف: الآية ١١١.

⁽٢) سورة يوسف: الآية ٧.

بتقريب: _ تُؤكِّد هَذِهِ الآية المُبَارَكَة العموم المُتقدِّم فِي الآية السابقة وتُصَرِّح بأنَّ كُلِّ ما ذكره القُرآن مِنْ قصَّة يوسف اللهِ وقصّة أخوته هُوَ آية ودلالة للعبور مِنْهَا إلى ما وراء وَهُوَ ذي الآية، وأنَّ الغرض مِنْ ذكر القُرآن للنبي يوسف اللهِ كُنْسَ هُوَ يوسف بَلْ هُنَاك يوسف أعظم وَهُوَ القُرآن للنبي يوسف اللهدي ، إنَّ التعميم المذكور فِي السائلين داللُّ المهدي عَلَى عموم السؤال، أي عموم الجواب لِكُلِّ سؤال يُطرح أو يُذكر حول عُجج الله تَعَالَى، وأنَّ العِبرَ الموجدة فِي قصص الأنبياء ويوسف اللهِ لا تقتصر عَلَى دلالة واحدة أو دلالتين، بَلْ دلالات كثيرة، عَلَى مختلف شؤون الحجج الإلهية، وقد احتجَّ أهل البيت الملهِ في مجمل شؤونهم ومُواقفهم ومُننهم بها سَرَده القُرآن مِنْ قصص الأنبياء.

ثالثاً: قوله تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَاۤ إِلَيْكُرُ ءَايَنتِ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْمِن قَبْلِكُرُ وَمَوْعِظَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ ﴾ (١).

بتقريب: _ إنَّ هَذِهِ الآية المُبَارَكَة دالَّة بعمومها عَلَى أنَّ كُلِّ ما ذكره القُرآن مِنْ قصص للأُمم السَّابقة سواء سائر الناس أو الأنبياء والمُرسلين هُوَ مَثَلٌ وعِبْرَةٌ يُعْبَر ويُتجاوز مِنْهُ إلى ما هُوَ غاية وأهم مِنْهُ.

وَهَذِهِ توسعة وتعميم للقاعدة لِكُلِّ ما قصَّهُ القُرآن مِنْ قصص للأنبياء وغيرهم.

⁽١) سورة النور: الآية ٣٤.

٤٧٠ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

رابعاً: إنَّ القُرآن الكريم قَدْ ذكر لأهل البيت المَيِّ صفات تفوق الصِّفات الَّتِي ذكرها لبقية الأنبياء مِنْ أُولِي العزم فضلاً عَنْ غيرهم، كَمَا سنستعرض نهاذج مِنْ ذَلِكَ، وَمُقْتَضَى هَذَا التفضيل القُرآني لهم هُو أنَّ ما يذكره مِنْ مناقب وفضائل وشؤون للأنبياء والمُرسلين والأوصياء وأهل الصَّفوة ثابتُ لأهل البيت المَيِّ بمقتضى قَاعدَة الأفضلية الَّتِي أنبا وأخبر عنها القُرآن.

نماذج التفضيل القرآني لأهل البيت عليهم السلام

على بقية أنبياء أولي العزم عليهم السلام:

نذكر بَعْض نهاذج تفضيل القُرآن الكريم لأهل البيت اللهِ عَلَى بقيّة أنبياء أُولِي العزم، كَمَا يلي: _

ا وصف القُرآن _ أنَّهُ مُهيمنٌ عَلَى الكتب السهاوية، وأنَّ علم القُرآن بَعْدَ سيَّد الأنبياء قَدْ ورَّثه الله المطهرون مِنْ أهل بيته ﴿ لَا يَمَسُ مُهُ لِللَّا اللهُ المُطَهّرُونَ ﴿ لَا يَمَسُ مُهُ اللهُ المُطَهّرُونَ ﴿ اللهُ ا

بتقريب: - إنَّ هَذَا يقتضي هيمنة علم أهل البيت اللَّيْ عَلَى علوم بقيَّة الأنبياء ولا ريب أنَّ العلم اللَّدني والعلم الوحياني مِنْ أكمل الفضائل بَلْ أُمَّها.

⁽١) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

٢) وَمِنْهَا وصف القُرآن لأمير المؤمنين اللهِ أَنَّهُ اللهِ نفس الْنَّبِي عَلَيْلُهُ وَهِنَا وصفٌ لَمْ يَنْحَلْهُ القُرآن لبقيَّة الأنبياء مِنْ أُولِي العزم.

٣) وَمِنْهَا: إِنَّ الله تَعَالَى أَشْرِكُ أَهِلِ البَيْتِ اللَّيِّيِ بَيْنِي اللَّهِ فِي الْنَبِي عَلَيْلًا فِي اللهِ مِنْ المقامات وَلَمْ يُشارِكُ معه بَقيَّة الأنبياء، كَمَا هُوَ الحال فِي آية التطهير، فَإِنَّ الله تَعَالَى قَدْ ضَمَّ إلى الْنَبِي عَلَيْلًا عليُّ وفاطمة والحسن والحسين المِثِلُ والتسعة المعصومين المِثِلُ وَلَمْ يضمّ إليه بَقيَّة الأنبياء.

وكذلك فِي آية الولاية ﴿إِنَّهَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ (١).

وآية الطَّاعة ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولُهُ ﴾ (٢) وآية الفيء ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ مُحْسَمُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ (٣) وغيرها مِنْ المقامات والمناصب الَّتِي أُسندت إلى الْنَبِي عَيَالِ اللهُ وقرباه.

٤) وَمِنْهَا آية المودَّة فِي قوله تَعَالَى ﴿ قُلْلَاۤ أَسْتُلُكُمُ عَلَيْهِ أَجَرًا إِلَّا ٱلْمَودَّةَ فِي ٱلْقُرْبَيِّ ﴾ (١).

بتقريب: _ إنَّ الله جعل أيضاً غاية عِدْل الدِّين مودَّة القُربى، وَالدِّين يُغاير الشريعة، فَإِنَّ الدِّين قَدْ بُعِث به جميع الأنبياء، ومودَّة القُربى تتضمّن مَوَدَّة الْنَّبِي عَيَالِللهُ تتضمّن مَوَدة الله عَزَّ وَجَلَّ، تتضمّن مَوَدة الله عَزَّ وَجَلَّ،

⁽١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

⁽٢) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

⁽٣) سورة الأنفال: الآية ٤١.

⁽٤) سورة الشورى: الآية ٢٣.

٤٧٧ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني وَلَمْ يُجْعل مودَّة الأنبياء وأهل وَلَمْ يُجْعل مودَّة الأنبياء كغاية عُظمى، وإنْ كَانَتْ مودَّة الأنبياء وأهل

وَلَمْ يُجْعل مودَّةَ بَقيَّة الأنبياء كغاية عَظمى، وإن كَانَتْ مودَّة الأنبياء وأهل الصفوة فريضة هامَّة فِي القُرآن وَالدِّين، إلَّا أنَّهَا لَمْ تُجْعل لدرجة الغاية القصوى.

خامساً: قوله تَعَالَى ﴿وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُ مَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْذَرُونَ (أ).

بتقريب: _ إنَّ المقصود الأهم للقُرآن والغاية العُظمى هُوَ: _ مَنْ فرعون وهامان الأُمَّة الإسّلاميَّة؟ وَمَنْ جنودهما؟ وَلَيْسَ المقصود فَقَطْ فرعون وهامان اللَّذان مضيا.

وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِ ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمُ أَلْوَرِثِينَ ۖ ﴿ وَنُرِيدُ اللَّهِ اللَّهُ الْمَالِمُ الْمَالِمُ الْمَالِمُ الْمَالِمُ اللَّهُ الْمَالِمُ الْمَالِمُ الْمَالِمُ اللَّهُ الْمَالِمُ اللَّهُ اللَّا اللَّاللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللّه

بتقریب: ـ إنَّ هَذَا الخطاب القُرآني لَيْسَ موجهاً فَقَطْ إلى الْنَبِيِّ موسى اللَّهِ وهارون اللَّهِ وبني إسرائيل وَإِنَّها الْمُرَاد به هُوَ العبور لهذه الأُمَّة.

وهكذا مخاطبة القُرآن لبني إسرائيل ﴿ لَلْفُسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُنَّا كُوْرُ فَي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (٣).

بتقريب: _ إنَّ الفساد والعلو لَيْسَ مُحْتصًّا ببني إسرائيل فَقَطْ، وَإِنَّمَا

⁽١) سورة القصص: الآية ٦.

⁽٢) سورة القصص: الآية ٥.

⁽٣) سورة الإسراء: الآية ٤.

مرتين ولتعلون علوًا كبيراً بقتل الحسين العلام.
وهكذا ما يرتبط بقصَّة مريم في سور عديدة، فَإِنَّهُ حسب بيانات

وهكذا ما يرتبط بقصه مريم في سور عديدة، فإنه حسب بيانات أهل البيت الميني هُو مَثُلُ ضربه القُرآن لمريم الكبرى وَهِيَ فاطمة الزهراء الله ليتعرَّف الناس عَلَى وظائف اعتقاديّة ومعرفيّة أكثر تجاه فاطمة الزهراء الله الموضوعيّة في القصَّة والمَثَل، فمريم الله قد تكون لها موضوعيّة في القصَّة والمَثَل، ولكن لا يعني ذَلِكَ الوقوف عندها، وذا القرنين مَثَل ضربه الله لعليّ الله وهلم جرا.

ولذا عِنْدَمَا سُئِل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب اللهِ ما هُوَ مثلكم في القُرآن؟ قَالَ مَثَل طالوت وذا القرنين وصاحب سليمان وغيره، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مثل مريم وذا القرنين وطالوت وصاحب سليمان وغيره، فَإِنَّ الغرض مِنْ استعراض القُرآن لهؤلاء لَيْسَ الغاية ذواتهم وأشخاصهم، وَإِنَّمَا الغاية العبور والرمزيّة لغيرهم.

ولذا ما وَرَدَ مِنْ طرق الطرفين _ خاصة طرق العامة _ قول النّبِي عَيِّلُهُ لفاطمة عَلَىٰ «أَنْتِ مريم الكبرى» وَلَمْ يقل لغيرها مِنْ النساء كزوجاته عَلَيْهُ وغيرهنَّ: إنَّما هِيَ مريم الصغرى وَأَنْتَ فاطمة مريم الكبرى، فَلَيْسَ الْمَرَاد مِنْ مريم الاسم وَإنَّما النعت والصِّفة.

وهكذا قصَّة آدم النَّلِا مَثَلُ، وقصَّة إبراهيم النَّلِا مَثَلُ، قَدْ تكون لَهُ موضوعية ولكنَّه أيضاً مَثَل.

٤٧٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وهكذا نوح الطلا وطول عمره مَثلٌ، وموسى الطلا مثلٌ وعيسى مَثَل، وَهَذَا ما يُدلِّل عَلَى أَنَّ منظومة مَثَل، وَهَذَا ما يُدلِّل عَلَى أَنَّ منظومة ونظام الأمثال فِي القُرآن الكريم والقصص هِيَ ذَاتَ ترامي وحلقات تتلو وراء بعضها البعض.

وَهَذَا نظير مَا فِي عَالَم الأسهاء والآيات _ كَمَا مَرَّ _ فَكَمَا أَنَّ المَثَل يَتَطَابَق مَعَ الاسم وأَنَّ الأسم مِنْ يَتَطَابَق مَعَ الاسم وأَنَّ الأسم مِنْ السِمَة والعلامة عَلَى المسمّى ويشير إليه، وأنَّ الحرف يشير إلى ما وراءه، والكلمة تشير إلى ما وراءها كَذَلِكَ المثل يُضْرَب ليشير إلى مغزى وراءه، كَذَلِكَ في الأسهاء وَأنَّها عَلَى طبقات.

الأمثال على طبقات كذلك الأسماء:

هُنَاك روايات مُستفيضة _ والظاهر أنَّها حَتِّى مِنْ طرق العامَّة _ عَنْ أَهل البيت اللَّيُكُ «أُوَّل ما خلق الله أربعة أسهاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى واسم خفي مستأثِر ...».

وتُسمَّى هَذِهِ الأسهاء الأربعة بالأركان الأربعة، ثمَّ اشتقَّ الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الأسهاء الأربع طبقة أُخْرَى مِنْ الأسهاء فِي الطبقة الثَّانية _ كَمَا هُو فِي الروايات ثمَّ اشتقَّ مِنْ أسهاء الطبقة الثَّانية أسهاء الطبقة الثالثة، ويشتق مِنْ أسهاء الطبقة الثالثة أسهاء الطبقة الرابعة وهكذا، مِثْلُ اشتقاق السم الرزَّاق، أو الحيّ أو المُحيي أو المميت أو الودود وغيرها فَهَذِهِ أسهاء أشبه ما تكون بالشذرة النوريّة فِي النَّذِياية لها أغصان وأفرع أربعة، ثمَّ أشبه ما تكون بالشذرة النوريّة فِي النَّذِياية لها أغصان وأفرع أربعة، ثمَّ

-

تتشعّب الفروع أكثر فأكثر، وَمَعْنَى اشتقاق الأسهاء وتفرّعها هُوَ أَنَّ هَذِهِ الأسهاء علامة عَلَى طبقة أسهاء الأسهاء علامة عَلَى طبقة أسهاء قبلها، وَالَّتِي قبلها علامة عَلَى طبقة أسهاء قبلها وهلم جرا، ولذا فمثل اسم الرزَّاق لَيْسَ أسهاً مُبَاشَرَة للذات المقدَّسة وبلا واسطة، بَلْ هُوَ اسم لاسم الاسم وَهُوَ اسم الله.

حالات الأسماء:

تنبيه: مما تَقَدَّمَ يظهر إنَّ الاسم لَهُ أكثر مِنْ حالة: _

الحالة الأولى: طبقات الأسهاء العرضية، فتارةً: _ يَكُون الاسم علامة ظهور للمسمّى، ثمَّ أنَّ هَذَا المُسمَّى تارة مُسَمَّى واحدٌ وَلَهُ أسهاء عديدة، وَأُخْرَى المسمّى لَهُ اسم ولاسمه اسمٌ، ولاسم الاسم اسم وَهَذِهِ كُلَّهَا أسهاء فِي عَرَضِ واحد لمسمى واحد.

الحالة الثَّانية: إنَّ طبقات الأسماء طوليَّة لا عرضيّة.

حقيقة الاسم الإلهي:

والاسم الإلهي في حقيقته لَيْسَ هُوَ الصوت الذي يتلفّظ به، بَلْ حقيقة الاسم هُوَ الشيء التكويني الدال عَلَى ما وراءه، فمثلاً نور الشمس اسم لها وكاشف عَنْ وجود الشمس بكشف حقيقي تكويني، وَلَيْسَ كشفاً اعتبارياً، فالنور اسم للشمس بَهَذَا المعنى.

أمَّا مثل الحرارة مِنْ النور فَهِيَ اسم لَهُ أيّ علامة دالَّة، والنور

علامة عَلَى وجود الشمس والاحتراق للحرارة و ... الخ وحينئذٍ فنور الشمس اسم لاسم الاسم، وهكذا الجفاف معناه: _ أنَّ أشعة الشمس شديدةٌ، فالجفاف سببه الحرارة، والحرارة سببها نور أشعة الشمس، وأشعة الشمس سببها كُلّ مُسبب اسم للسبب، فالاسم علامةٌ وكاشف، وهكذا تترامى المُسببات يعنى تترامى الأسباب وَكُلُّهَا أسماء تكوينية وليست اعتباريّة فرضيّة وافتراضيّة جعليّة مُخْتَلِفَة بَلْ أسباب ومُسببات تكوينيّة وحقيقيّة، فالحرارة ليست كاشفة مُبَاشَرَة عَنْ النار، بَلْ الحرارة كاشفة عَنْ النور، والنور كاشف عَنْ الشمس، وهكذا الجفاف لَيْسَ كاشفاً مباشراً عَنْ أشعة الشمس، بَلْ كاشف عَنْ الكاشف والكاشف كاشف عَنْ كاشف، وهكذا، فالجفاف اسم للحرارة والحرارة اسم لنور أشعة الشمس، ونور أشعة الشمس اسم للشمس وهكذا، فالنَّار تُسَمَّى مُحرقة أو مُجففة إلَّا أنَّها بالدقَّة مُجفِّفة بالواسطة وَهِيَ الحرارة والشمس، أو الحُرُّ هُوَ النور والمنير هُوَ الشمس.

وَمِنْ هَذَا صار الشمس لها عِدَّة أسهاء وطبقات: _ المنيرة، والحارّة، والحُرِقة، والمُجْفِقة، وَهَذِهِ كُلَّهَا أسهاء فِي سلسلة مراتب طوليّة لا عَرْضَيّة.

الغرض من مبحث الأسماء:

والخلاصة: لَيْسَ غرضنا بسط الكلام والخوض في عالم نظام الأسهاء، وَإِنَّمَا يَأْتِي التعرُّض لَهُ حسب موضعه، المُنَاسِب، علماً أنَّ بحث الأسهاء

مِنْ المباحث المعرفيّة العقائديّة المشكلة والصعبة، وَإِنَّمَا الغرض مِنْ المباحث المعرفيّة العقائديّة المشكلة والصعبة، وَإِنَّمَا للله التعرُّض لبحث الأسماء هُوَ لأجل بيان أنَّهُ يجب التدقيق فِي أنَّ للاسم طبقات، وَلَيْسَ عَلَى طبقة واحدة، وأنَّ تلك الطَّبقات ليست عرضيّة فَقَطْ وَإِنَّمَا مِنْهَا ما هُوَ مُترتِّب طولياً.

وتبيَّن أنَّ المُترامي والمُتلاحق اسم للاسم، وَلَيْسَ أسماً للمسمّى مباشرةً، وَإِنَّما هُوَ بالواسطة، وَهَذَا الاسم لَهُ أسماء، وَهَذِهِ الأسماء اسم للمسمّى فتكون عَلَى طبقات.

كَذَلِكَ الآيات مثل المرآة فِي عالم البصريّات والحدسيات الَّتِي تعكس صورة شخص واقِف أمام مرآة، فَإِنَّ المرآة الثَّانية سوف تعكس صورة الرجل الواقف أمام المرآة الأولى بالواسطة، وهكذا لو فُرِض وجود مرآة ثالثة غَيْر موجّهة لا للمرآة الأولى ولا لشخص، وَإِنَّما موجّهة إلى المرآة الثَّانية بشكل هندسي مُعيَّن، فَإِنَّ المرآة الثالثة ستعكس صورة أخرى، أيّ صورة الصورة لعين الحقيقة، هكذا ينعكس هَذَا الترامي والتلاحق والتعاقُب، ويمتد إلى ما شاء الله مِنْ الصور إلى الوراء، ولكن كيفية هَذِهِ الصورة سوف تضعف كثيراً، وأشير إلى ذَلِك في رواية عَنْ الإمام الرضاء الله إلى المرآة وأودع فيها أسراراً».

 عَلَيْهُ دَكَّ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِفَا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ شُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَلَ اللهُ وَكَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

بتقريب: _ فإذا لَمْ يتحمّل أحدٌ نور المرآة الألف فكيف يتحمَّل النور الشديد الصادر مِنْ المرآة الثَّانية أو الثَّالثة أو الرَّابعة أو الخامسة أو ... الخ نظير الألواح العاكسة للأشعة، كالأشعة الليزرية الحمراء أو الصفراء أو الخضراء أو السرطانية أو ... الخ الَّتِي لا يستطيع الإنسان أنْ يقف أمام مصدر هَذِهِ الأشعة.

وَهَذِهِ وغيرها مُجَرَّد أمثلة حسيَّة حَتَّى تقرِّب لنا الفكرة مثل المرايا والنور وغيرها، فَإنَّها تنعكس ثمَّ تنعكس ثمَّ تنعكس، ثمَّ ينعكس مثلاً، لانعكاس الخمسين ويتخفَّف ثمَّ يتخفَّف ثمَّ يتخفَّف إلى أنْ يصل مرحلة قدرة وقابلية تحمّل طاقة بدنه.

ولذلك الوارد في الروايات: «إنَّ الذي تَجَلَّى لموسى اللَّهِ لَيْسَ تَجَلَّى اللهُ تَعَالَى مُبَاشَرَة بَلْ تَجَلَّى آية، وَمِنْ آية إلى آية ... النح ﴿ قَالَ يَنْمُوسَى إِنِّ اللهُ تَعَالَى مُبَاشَرَة بَلْ تَجَلَّى آية، وَمِنْ آية إلى آية ... النح ﴿ قَالَ يَنْمُوسَى إِنِّ اللَّهَ كِرِينَ السَّلَاتِي وَبِكَالَمِي فَخُذْ مَا مَا اَتَ يُتُكَ وَكُن مِّ اللَّسَاكِرِينَ اللهَ اللهُ ا

إِذَنْ فَهُوَ بِالدَّقَة تعدَّد آيات وَلَيْسَ المرآة مُبَاشَرَة والتجلِّي مُبَاشَرَة وَإِنَّمَا هُوَ انعكاس صورة الصورة وتجلِّي آية الآية، كَذَلِكَ الحال بالنسبة إلى

⁽١) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

⁽٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٤.

الأوصاف القرآنية للجنة حقائق أم تمثيل ١٧٩ الأمثال هُوَ عَلَى طبقات.

وَهَذَا جَوَابِ لِمَا تَقَدَّمَ الاستسفسار عَنْهُ وَأَنَّهُ لَمَاذَا قِيلَ فِي الأسهاء ﴿ وَلَهُ ٱلْمَشَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ فَإِنَّ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ فَإِنَّ الْمَثَلُ عَلَىٰ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ فَإِنَّ الْمَثَلُ عَلَىٰ الْمُثَالُ عَلَىٰ الْمُثَالُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَيْلُ اللَّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَمْ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَل

وأمَّا الروايات الَّتِي أكَّدَتْ عَلَى أنَّ قصص القُرآن هِيَ ظهرٌ بطنه آل مُحمَّد ﷺ:

فلِما رواه الكليني (۱) بسنده عَنْ يعقوب بن جعفر، قَالَ: كُنْت عِنْدَ أَبِي إبراهيم الله الله الله وأتاه رجلٌ مِنْ أَهلَ نجران اليمن مِنْ الرُّهبان، ثمَّ ذكر الراهب النصراني قصَّته لَهُ الله في البحث عَنْ رجل في الهند إذَا شاء حَجَّ الله بيتِ المُقدَّس في يَوُم وليلة ثمَّ يرجع إلى منزله في أرض الهند فقصده والتقى به، فقلت لَهُ: أُخبرت أنَّ عندك أسماً مِنْ أسماء الله تبلغ به كُلِّ يَوُم وليلة بيت المُقدَّس وترجع إلى بيتك، فقال لي وهل تعرف بيت المُقدَّس؛ وليلة بيت المُقدَّس، وترجع إلى بيتك، فقال لي وهل تعرف بيت المُقدَّس، ولكنه البيت المُقدَّس، وهُو بيت آل مُحمَّد عَلَيْهُ فقلت لَهُ: أمَّا ما سمعته به ولكنه البيت المُقدَّس، وهُو بيت آل مُحمَّد عَلَيْهُ فقلت لَهُ: أمَّا ما سمعته به إلى يومي هَذَا فَهُو بيت المُقدَّس، فقال لي تلك محاريب الأنبياء، وَإِنَّما يُقَال لي يومي هَذَا فَهُو بيت المُقدَّس، فقال لي تلك محاريب الأنبياء، وَإِنَّما يُقَال فا خطيرة المحاريب حَتَّى جاءت الفترة الَّتِي كَانَتْ بين مُحمَّد عَلِيهُ في وعيسى النَّهُ وقرب البلاء مِنْ أهل الشرك، وحلَّت النقات مِنْ دور وعيسى النَّه وقرب البلاء مِنْ أهل الشرك، وحلَّت النقات مِنْ دور

⁽١) الكافي: ج١، ص٥٥٥ كتاب الحجة: ب٧٧١، مولد أبي الحسن موسى بن جعفر ﷺ ح٥٠.

⁽٢) أيّ الإمام موسى بن جعفر اللِّكْ.

٤٨٠ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

الشياطين فحوَّلوا وبدَّلوا ونقلوا تلك الأسهاء وَهُوَ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى _ البطن لآل مُحمَّد والظَهْرُ مَثَلٌ _ ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا آَشَمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا آَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ مَا اَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ مَا اَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ مَا اَنتُهُ بِهَا مِن سُلطَنَيْ ﴾(١).

والشَّاهِد هُوَ البطن لآل مُحمَّد والظهر مَثَلٌ. وتشير هَذِهِ الرُّواية إلى أنَّ القصص الواردة فِي الأنبياء ظَهْرُه فِي الأنبياء وبطنه تأويله الذي هُوَ لُبُّهُ ولُبابُه آل مُحمَّد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ .

كَذَلِكَ تشير الرّواية إلى أنَّ أعظم تقديس لبيتٍ عِنْدَ الله هُمْ آل عُمَّدَ عَلَيْهُ، وَهُمْ أحق الأصفياء بالتقديس، وأنَّ ما وَرَدَ مِنْ تقديس وتعظيم لبقيَّة الأنبياء إنَّها هُو بتبعهم، وَهَذَا بعينه وَرَدَ فِي روايات الفريقين فِي ذيل قوله تَعَالَى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذَكَرَ فيها الفريقين فِي ذيل قوله تَعَالَى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذَكَرَ فيها الفريقين فِي ذيل قوله تَعَالَى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذَكَرَ فيها الشريق النّبي عَلَيْهُ أَنَّ مِنْ أفاضل تلك البيوت الَّتِي تَقَدَّمَ فِي تفضيل تُقدَّس وتُعَظَّم هُو بيت على وفاطمة، وَهَذَا الوجه بعينه تَقَدَّمَ فِي تفضيل القُرآن لأهل البيت المَيْ عَلَى بَقيَّة الأنبياء، وأنَّ مُقتضاه أنَّ ما وَرَدَ فِيه مِنْ شؤون الأنبياء هُو آية لشؤون أهل البيت المَيْكُ، وَمِنْهَا ما وَرَدَ فِي ذيل سورة التحريم ﴿ وَضَرَبُ اللهُ مَثَلًا لِللّذِينَ عَامَنُوا أَمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ "" مورة التحريم ﴿ وَضَرَبُ اللهُ مَثَلًا لِللّذِينَ عَامَنُوا أَمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ " عَنْ أبي عبدالله الله الله قال: هَذَا مَثَل ضرب الله لرقية بنت رسول الله عَنْ أبي عبدالله الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَنْ الله عَنْ أبي عبدالله الله الله قال: هَذَا مَثَل ضرب الله لرقية بنت رسول الله عَنْ أبي عبدالله الله الله الله عَلْ الله عَلَى الله عَنْ أبي عبدالله الله الله عَنْ أبي عبدالله الله المَالِية الله المَالِية الله الله الله الله المَالِي الله الله المَالِية الله المَالُونِ الله الله الله المَالِية الله الله الله المَالِية الله الله المَالِقَالَة المَالُونَ المَالُونُ المَالُونَ الله المَالِية المَالُونَ المَالُونَ المَالُونِ الله الله المَالِقَة المَالِم المَالِية المُالِمَة المَالِه المِن الله المَالِية المَالِية المُنْ المَالِه المَالِية المَالِية المَالِية المَالَّة المَالُونَ المَالَوْنَ المَالُونَ المَالُونَ المَالُونِ المَالُونُ المَالُونَ المَالَهُ المَالَوْنَ المَالَلُونَ المَالِية المَالُونُ المَالُونَ المَالُونَ المَالُونُ المَالُونَ المَالُونَ المَالَوْنَ المَالُونَ المَالُهُ المَالُونَ المَالَوْنَ المَالُونُ المَالَوْنَ المَالَى المَالُونُ المَالَهُ المَالَهُ المَالَهُ المَالُونَ المَالِهُ المَالِهُ المَالَقُونُ المَالَهُ ا

⁽١) سورة النجم: الآية ٢٣.

⁽٢) سورة النور: الآية ٣٦.

⁽٣) سورة التحريم: الآية ١١.

فَإِنَّ رُوايات أهل البيت المِيُلِا أشارت إلى رُوايات فِي باب المعارف وأنَّ كُلِّ ما ذُكر فِي القُرآن الكريم فِي حق الأنبياء والرُّسُل والأوصياء والحُجج وما لهم مِنْ مقامات ومناصب وشؤون إلهيّة، مِنْ غاياته المُهِمَّة كونه مثلاً ضربه الله تَعَالَى لمقامات وشؤون الْنَبِيِّ عَلَيْلُهُ وأهل بيته اللّهِا فَهَا وَهَا بِيته اللّهِا فَهَا وَهَا بِيته اللّهِا فَهَا مَا اللهُ عَديدة (٣).

صلة وطيدة بين حقيقة الإمامة والولاية

وحقيقة القرآن وعلاقتها بقاعدة الأمثال:

سنُبيِّن إنْ شاء الله تَعَالَى فِي مبحث قَواعِد نظام حقائق القُرآن أنَّ هُنَاك صِلَة وطيدة بين حقيقة القُرآن وحقيقة الإمامة، وأحد تفاسير حديث الثقلين، أو أحد القراءات الَّتِي نستطيع أنْ نبيِّنها فِي حديث الثقلين هُوَ أنَّ حقيقة القُرآن لها صلة وطيدة بحقيقة الإمامة، وأنَّها لن

⁽١) تأويل الآيات عَنْهُ تفسير البرهان لِلْسَّيِّد هاشم البحراني، المجلد٨، ص٦٢، ح٤.

⁽٢)البُرهان في تفسير القُرآن: ج٤، ص٣٥٨.

⁽٣) مَنْ أَرَادُ المزيدُ فليراجع كتاب مقامات فاطمة الزهراء ﷺ فِي الكتاب والسنة للشيخ السند حفظه الله.

٤٨٧ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

يفترقا، وَهُوَ الأثنينية فِي الصورة الظاهرة، وَإِلَّا فَفِي أَعَمَاقَ الملكوتُ والحقيقة هُمَا _ القُرآن والإمامة _ حقيقة واحِدة، ولذا فَإِنَّ صفاتهما وشؤونهما واحِدَة.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ هَذَا المبحث مِنْ المباحث المُهِمَّة والمُرتبطة بالولاية، وكيف يَكُون مدار التفسير للولاية عَلَى مُحُكمات القُرآن، ولذا وَرَدَ عنهم المَيْكُ فِي مقام بيان جُلَّ فضائلهم ومقاماتهم إذا أراد الإنسان التعرُّف عَلَيْهَا هِيَ فِي القُرآن: «ولو أنَّ شيعتنا أو المؤمنين عرفوا فضلنا مِنْ القُرآن لما ارتابوا قط.

ورواية يرويها البرقي في محاسنه عَنْ مُحَمَّد بن مسلم عَنْ أبي عبدالله الله في حديث قَالَ: هَذَا الأمر - أيّ نور الإمامة - يجري كَمَا يجري الليل والنَّهار، قَالَ فَأَنْتَ جُعلتُ فداك قَالَ هَذَا الأمر يجري كَمَا يجري حدّ الزاني والسارق ... قلت فَأَنْتَ جعلت فداك، قَالَ القُرآن نزل فِي أقوام وَهِيَ تجري فِي الناس إلى يَوُم القيامة (۱) بتقريب: - أنَّ هَذَا الأمر قضية عامَّة وليست خاصة وَهَذَا هُو مَعْنَى الجري الَّتِي تقدَّمت فِي القاعِدة الخامسة باسم الجري والتطبيق.

وأمَّا بيان الصِّلة بين حقيقة الإمامة وحقيقة القُرآن مَعَ مبحث الأمثال هُوَ أَنَّهُ مثلها الأمثال هِيَ تأويلٌ وعبور مِنْ موضع إلى آخر، كَذَلِكَ فِي الإمامة وَأَنَّها تسري وتجري فِي الأئمة الاثني عشر وأنَّ حقيقتها كمنصب ومقام وحبل ملكوتي مُتَّصل بين فرد بشري قَدْ اصطفي مِنْ

⁽١) المحاسن للبرقي: ص٢٨٩ ب٤٧.

وفي مصحح الفضيل بن يسار قَالَ سألتُ أبا جعفر النَّلِ عَنْ هَذِهِ الرُّواية:
«ما مِنْ القُرآن آية إلَّا ولها ظهر وبطن؛ ظهره تنزيله، وبطنه تأويله مِنْهُ ما
قَدْ مَضَى وَمِنْهُ لَمْ يكن يجري كَمَا تجري الشمس والقمر، كَمَا جاء تأويل
شيء مِنْهُ يَكُون عَلَى الأموات كَمَا يَكُون عَلَى الأحياء». قَالَ الله تَعَالَى:
﴿وَمَا يَعْلَمُهُ مَا أُولِيلَهُ وَ إِلَّا اللّهُ أُوالرَّسِحُونَ فِي الْمِلْمِ ﴾ نَحْنُ نعلمه (()).

بتقريب: _ إنّ (ما) نافية وحصر مطلق واستيعاب، وَهَذِهِ ضابطة منهجية تفسيريّة لا يمكن تجاوزها لأنّها تعتبر مُعادلة وموازنة عظيمة في بناء هندسة الدِّين وَهَذِهِ الضابطة هِيَ: _ أنَّ لِكُلِّ آية ظاهر بَلْ ظهور، بناء هندسة الدِّين وَهَذِهِ الضابطة هِيَ: _ أنَّ لِكُلِّ آية ظاهر بَلْ ظهور وباطن بَلْ بطون، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الآية الواحدة منصّة سطح واحدة تعبر مِنْهَا إلى بطن خفي، بَلْ هُنَاكُ ظهور وبطون بهايُعْبد الله ودينُ يُدين به العبد ربَّه، ولا يمكن تجاوزه وتركه بحال مِنْ الأحوال، وَعَلَيْهِ فيمكن العبور مِنْ الظاهر إلى الباطن مَعَ عدم التخلّي عَنْ الظاهر، ولكن هَذَا الطاهر مرتبته سطحٌ، والباطن والخفاء مرتبته أعمق، وَمَنْ زعم أنَّ الدِّين والأية لها سطح الظاهر فَقَطْ فَقَدْ كفر؛ لِأنَّ الدِّين أيضاً فيه ﴿ وَمَا يَمُ لَمُ وَالاَية لها سطح الظاهر فَقَطْ فَقَدْ كفر؛ لِأنَّ الدِّين أيضاً فيه ﴿ وَمَا يَمُ لَمُ وَالدِين مُنَ الدِّين مُنَ الدِّين مُنْ الدِّين مُنْ الدِّين، كَذَلِكَ مَنْ زعم أنَّ الدِّين هُوَ الباطن فَقَطْ فَقَدْ كفر.

وكذلك نستفيد مِنْ الرُّواية «ما مِنْ آية فِي القُرآن إلَّا ولها ظهرٌ

⁽١) بصائر الدرجات: ص٢١٦/ ٧، عَنْهُ بحار الأنوار: ج٢٧ ب١٣ مِنْ أبواب صفات القاضي: ح٤٩، ص١٩٦.

(... والراسخون) هِيَ عاطفة وليست استئنائية، بَلْ حَتَّى القُرآن يُبيِّن فِي موارد أُخْرَى أَنَّ هَذِهِ الواو عاطفة لا استئنافية.

أحادية البعد والقول في النظر

سبب انحراف بعض الفرق المحسوبة على الإسلام:

ولذا أمثال هؤلاء _ والعياذ بالله _ يتركون معالم وشعائر شريعة

⁽١) مقدمة تفسير البرهان عَنْ البصائر: ص٢٢.

الدِّين مِنْ الصَّلاة وَالصَّوم والحج وغيرها بسبب أحادية البُعْد والقول.

وَمِنْ خلال هَذَا يتبيّن أنَّ قَاعدِة الأمثال قَاعدِة قُرآنية فِي كُلّ الآيات حسب الروايات المستفيضة الَّتِي تَقَدَّمَ ذكر نهاذجاً مِنْهَا، ولا يتعارض هَذَا مَعَ الروايات الَّتِي ذكرت أنَّ القُرآن الكريم عَلَى أقسام مِنْهُ أمثال وَمِنْهُ قَصص وحِكمٌ ومعارف وعقائدُ وغيرها فَإنَّ هَذِهِ وغيرها أمثال وَمِنْهُ قَصص وحِكمٌ ومعارف وعقائدُ وغيرها فَإنَّ هَذِهِ وغيرها أقسام موجودة ولا تُنْفَى، ولكن فِي نفس الوقت أنَّ المُرَاد الأصلي هُوَ أنَّ القُرآن عَلَى أقسام بلحاظ الطَّبقات، وعدم إدراكنا لبعض طبقاته وأقسامه لا يعني إنّنا ننفيها، فمثلاً يدّعي البعض أنَّ مثل مقام ومرتبة أم الكتاب، أو الكتاب المسطور وغيرها ليست مِنْ القُرآن.

فَإِنَّ مسألة ﴿ لَا يَمَسُهُ وَ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿ اللهِ عَنْ اللهُ عَنْ القُرآن، فَإِنَّ البشر عاجزٌ عَنْ كثير من الأُمُور فِي القُرآن، ولا تكون عدم معرفة الشيء مُبرِّراً لإنكاره، وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَتْ نظرة المُفَسِّر لاَيات وسور القُرآن تحتانية وتُسلِّطُ الأضواء فَقَطْ عَلَى التنزيل، وَالَّتِي قَدْ لا ينجو احدٌ مِنْهَا، حَتّى الَّذِيْنَ استفادوا عنوان منهجيتهم مِنْ بيانات أهل البيت المَيِّ أيضاً مبتلون بِهَذَا النقد واقعاً يعني الإحاطة به أو مراعاته مِنْ قبل المعصومين بشكل سديد تام، ولذا يترجّل الكل ويتلكأ في تفسير القُرآن، ولذا أكَّدت بيانات أهل البيت المَيِّ عَلَى أَنَّ مجموع القُرآن هُوَ تنزيل وتأويل وللظهر وللبطن، ولا ينحصر بأحدهما دون الآخر، كَمَا قَدْ

بات أمراً واضحاً في أذهان كثير مِنْ المُفَسِّرِين والباحثين مَنْ حَصَرَ القُرآن بالتنزيل، والحال أنَّهُ فِي منطق أهل البيت المَيِّ أنَّ التنزيل هُو درجة مِنْ القُرآن وبعضه، وَلَيْسَ كُلِّ القُرآن، ولا يفهم أنَّهُ عِنْدَمَا يُقَال بَعْض القُرآن أنَّ هُنَاك مصحف آخر وتنزيل آخر، وَإِنَّمَا المقصود مِنْ الأبعاض أيّ وجود أبعاض أخرى للقُرْآن بمعنى درجات غيبيّة، وأنَّ كلاً مِنْ التنزيل والتأويل هُوَ مِنْ الوحي وكلاهما عَلَى حدٍّ واحِدٍ فِي العظمة والقدسيّة وكلاهما قرآن.

والسبب في ذكر هَذَا البيان هُوَ لأجل أنَّ البعض حصر حقيقة القُرآن الكريم كُلَّهُ بالتنزيل، والحال أنَّ القُرآن يُنادي أنَّ بعضه تنزيل ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا ﴾ وبعضه الآخر تأويل، ﴿ ... وَمَا يَمْلُمُ تَأْوِيلَهُ وَ إِلَّا ٱللَّهُ وَالرَّسِخُونَ فِي ٱلْمِلْوِيلَةُ وَالرَّوايات موجودة فِي المصادر التفسيرية لكلا الطرفين عَنْ الْنَبِي عَيْلِيلُهُ، ولكن أنّى وكيف ومَتَى يفهمونها؟! مِنْ دون الاستعانة بالثِقْل الثَّانِي أي أهل البيت المِيُكِدُ.

وهكذا تعامل الأئمة المنظم الإمام الصادق الله مَعَ الصحيفة السجّاديّة زبور آل مُحَمَّد عَلَيْ أَنَّهَا كتابٌ قدسي، لا كتاب عادي مِنْ تعبير بشر، وَإِنَّهَا كتاب قدسي ظهرهُ تنزيله، وبطنه تأويله مِنْهُ ما قَدْ مضى، وَمِنْهُ ما لَمْ يكن يجري كَمَا يجري الشمس والقمر، كَمَا جاء تأويل شيء مِنْهُ يَكُون عَلَى الأموات كَمَا يَكُون عَلَى الأحياء، وما يعلم تأويله إلَّا الله والراسخون في العلم، نَحْنُ نعلمه.

هَذَا كُلَّهُ بحسب منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات بخلاف باقي المناهج التفسيرية كمنهج تفسيري القُرآن بالقرآن، أو التفسير الموضوعي أو التجزئيي أو غيرها، فإنَّهم لا يرسمون خارطة للقُرْآن الكريم فيها طبقات ودرجات ومهم وأهم، علماً أنَّ نفس هَذِهِ الرُّواية تقول «إلَّا ولها ظهر وبطنٌ» فَالطَّبقات والمراتب القُرآن ليست عَلَى درجة واحدة وليست في عرض واحد.

هَذَا مُضافاً إلى ضرورة التفات المُفَسِّر الكريم والباحث الفطن إلى أنَّ آيات القُرآن وسوره لها مراتب وطبقات، علاوةً عَلَى تعدَّد معانيه ومداليله ومصاديقه وغيرها، فالتعدّد والماوراء لِكُلِّ مِنْ طبقة الظاهر والباطن وَهَذَا ما تميَّز به منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات عَنْ باقي المناهج التفسيرية الأُخْرَى.

الأمثال على طبقات:

تنبيه: إنَّ الأمثال فيها طبقية لا طبقة ودرجة واحدة، وأنَّ القُرآن الكريم ظاهِره كُلَّهُ مثل وأمثال، وَهَذَا منبّه للمُفسِّر الكريم إذَا أراد أنْ يعرف منهجيته فِي فَهُمْ تفسير القُرآن فَلابُدَّ أنْ يلتفت إلى أنَّ القُرآن الكريم لَيْسَ أرضاً مسطّحة فَقَطْ، وَإِنَّها منهجية القُرآن كَمَا بيَّنها الْنَبِيِّ عَيَّالِللهُ هِيَ حبل ممدود طرف مِنْهُ علوي عِنْدَ الله، وطرف نازل عِنْدَ الناس، وَعَلَيْهِ إذَا بنى المُفسِّر منهجيته التفسيرية عَلَى ضوء ووفق الهندسة النبويّة الوحيانيّة فآنذاك تصبح لديه قَواعِد المنهج التفسيري.

صلة قاعدة الأمثال بأقسام الوحى وأنواعه وأسراره

مِنْ المباحث المُهِمَّة فِي قَواعِد التفسير هِيَ معرفة قَاعدِة الوحي وأقسامه وأنواعه وأسراره وَهَذِهِ قَاعدِة يأتي التعرّض إليها فِي قواعِد نظام حقائق القُرآن، وليست مِنْ قواعِد نظام المعنى فِي القُرآن، ولا مِنْ قواعِد النظام الاستعمالي اللفظي، وَعَلَيْهِ فالمُفسِّر الذي لا يعرف ولا يعي أقسام الوحي يَكُون أُميّاً فِي علم تفسير القُرآن حسب ما أكَّدت عَلَيْهِ روايات الوحي يَكُون أُميّاً فِي علم تفسير القُرآن حسب ما أكَّدت عَلَيْهِ روايات وبيانات أهل البيت الميّلِين، ومما يُؤسَف لَهُ أنَّ أكثر المُفسِّرين ليسوا عَلَى يقظة وانتباه مِنْ أقسام الوحي الَّتِي بيّنها أهل البيت ونبّهوا عَلَيْهَا فِي يقطة وانتباه مِنْ أقسام الوحي الَّتِي بيّنها أهل البيت ونبّهوا عَلَيْهَا فِي تعاليم القُرآن الكريم.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ القُرآن الكريم لَهُ تفسير وتعبير وتأويل وكلمات وأمثال، وكذا هَذَا العالم التكويني لله تَعَالَى الذي عَبَّرَ تَعَالَى فيه عَنْ عظمته في كُلّ مخلوق فيه كلمة مِنْ الكلمات وحرفٌ مِنْ الحروف، فإذا أردنا أنْ نصغي إلى كلام الله الذي فيه هَذِهِ المخلوقات والكلمات فَإنَّهُ فيها إيحاءٌ ووحيٌ وتأويل وتعبير وتفسير و ... والوحي إشارة خفية فَإنَّ العبور مِنْ الآية والمثل والوصول إلى غيره عبر قنوات خفية وَهَذِهِ القنوات الخفية

. <u>33</u> تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني هِيَ الوحي وَهِيَ التأويل.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قراءة الْنَبِيَ عَلَيْكُ وأهل بيته لهذا الكتاب التكويني أيّ المصحف الشريف عبارة عَنْ وحي إلهي يهتف بعقولهم وأسهاعهم وَعَلَى المستهم، فَإِنَّ نفس عالم التكوين وعالم الخِلقة هُوَ احد قنوات الاتصال بينهم وبين الله؛ لِأَنَّ آيات القُرآن آيات في كتاب مُدَوَّن تكويني يقرؤونه ويعبرون مِنْهُ ويعلمون مآله وفيه إيحاء لما وراءه.

إذَنْ هَذَا الكتاب التكويني هُوَ وحيٌ، وَهَذِهِ العوالِم التكوينية هِيَ وحيٌ، وَهَذِهِ العوالِم التكوينية هِي وحيٌ، ومَثَلٌ وتأويل وعبورٌ ما وراءه والمآل، وأنَّ هَذَا الكتاب التكويني هُوَ أحد أقسام الوحي المُهِمَّة الذي يُلتفت إليه فِي قَاعدَة الأمثال، وَهَذَا ما يذكره الإمام الرضا اللَّهِ فِي الرُّواية «إنَّما يُعلم ما ها هُنَاك بها ها هُنَا».

وَهَذَا فيه إشارة إلى عظمة غيب مِنْ الغيوب أيّ يُعْلَم بها ها هُنَا بنفس هَذَا المشهد والشهادة يُعْلَم بها ها هُنَاك، وعالمَ الشهادة مَثَل وآية لعالمَ الغيب، وإذا عبرت مِنْ عالم الشهادة إلى عالم الغيب فآنذاك تدرك عالم الغيب ولا يمكن بحال مِنْ الأحوال انفكاك عالم الشهادة عَنْ عالم الغيب، أو انفكاك الظاهر عَنْ الباطن فَإنَّهُ لا يوجد هُنَاك باطنٌ محض، أو ظاهِرٌ محض - كَمَا تَقَدَّمَ - وَإِنَّمَا تمام الظاهر بالباطن وتمام الباطن بالظاهر.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ بحث قَاعدِة المَثَل والأمثال فِي ظل مَعْنَى الوحي شيءٌ مهم جدّاً، فَإِنَّ لغة الوحي بين الله وبين كثير مِنْ الأنبياء مِنْ ذوي

المستوى فِي النبوة ـ تلك الرسل فضلنا بعضهم عَلَى بَعْض بحسب تفاضلهم، فَإِنَّ كثيراً مِنْ الأنبياء يتلقون الوحي عِبْرَ مشاهدة ظواهر تكوينية يقرؤون مِنْ خلالها ما يريده الرحمن منهم.

وَمِنْ هَذَا يُعْلَم مدى أهميّة ارتباط قَاعدِة الأمثال بعلم التعبير وبعلم التأويل والتفسير والترجمان والتجلّي والتجلّيات والظهور، بَلْ وَحَتّى أسلوب القصص القرآني برمّته ينضبط بإطار المَثل والأمثال، وإنْ كَانَ المصداق مُراداً فِي القصّة القرآنية حقيقة وواقعاً، ولكنّه لا يُنافي أنّه ينضبط بإطار وقع كمثل - كَما فِي مثل مريم بن عمران مثلٌ ضربه الله لفاطمة بنت مُحمَّد عَلَيْ ولا مانع مِنْ العبور مِنْ مريم إلى فاطمة النّي وإنْ كَانَ المُراد بالقصّة مريم الله وَمِنْ ثمّ تكون فاطمة الله عَنْ مريم ولا مانع مِنْ أمثال وقصص عَنْ الأنبياء ولا مانع مِنْ أمثال وقصص عَنْ الأنبياء ولا مانع مِنْ الأنبياء السابقين والأوصياء ومَثلُل يُعْبَر مِنْه يَكُون لما غيره، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ فِي (قصصهم عبرة) قَاعدِة مطردة.

صلة أن للقرآن ظهر وبطن بمبحث الأمثال:

تَقَدَّمَ أَنَّ المثل هُوَ نوع مِنْ الدلالة ـ ولله المثل الأعلى ـ وأنَّ الغاية مِنْ المثل هُوَ لشيء وراءه، فالمثل مَعَ الآية والعلامة والاسم والحرف والجري والعبور والترجمان والكلمة وغيرها لَيْسَ المطلوب مِنْ المثل مَعَ المذكورات الوقوف والمكث عنده، بَلْ المطلوب فيه أنَّ تتّخذ المثل وسيلة 293 تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني للعبور مِنْهُ إلى الجهة الممثل لها ... فالمثل ظاهرٌ والممثل لَهُ خفي وأنَّ المَثَل مروي فِي القُرآن والممثل لَهُ غاية المثل وأنَّ المثل هُوَ نفسه غاية لو يُضْرَب لشيء وراءه.

إذَنْ مثلما القُرآن لَهُ ظهور وبطون وعبور وعبرة وجري، كَذَلِكَ الأمثال فيه عبور لما ورائه.

لماذا لم تذكر دلائل إمامة أهل البيت عليهم السلام

في القرآن كما في ذكر موسى وعيسى عليهم السلام:

نتفة عقائدية:

وللجواب عَنْ هَذَا الاستفسار هُوَ أَنَّ الغاية مِنْ ذكر عيسى اللِهِ كَمَا تَقَدَّمَ لَيْ لَيْسَ المُرَاد شخص عيسى اللِهِ وإنْ كَانَ لشخص عيسى اللهِ موضوعية، إلَّا أَنَّ الغاية والماوراء مصداق الآية هُمْ أهل البيت المَهِ وَهَذِهِ هِيَ وظيفة المثل وَهِيَ العبور وعدم التوقُّف والاقتصار عَلَى المثال الذي ذُكِرَ فِي الآية، وَهَذَا البُرهان دليل عظيم عَلَى إمامة أهل البيت المَهِ الذي ذُكِرَ فِي الآية، وَهَذَا البُرهان دليل عظيم عَلَى إمامة أهل البيت المَهِ الذي ذُكرَ فِي الآية، وَهَذَا البُرهان ولي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَبِكَاء الأب النَّبِي يعقوب اللَّهِ عَلَى ولده سنين مِنْ الزمان، وما صرَّحت اللهِ البيانات القُرآنية والروائية بأنَّ يعقوب ولده سنين مِنْ الزمان، وما صرَّحت الله البيانات القُرآنية والروائية بأنَّ يعقوب

⁽١) سورة يوسف: الآية ١١١.

صلة قاعدة الأمثال بأقسام الوحي وأنواعه وأسراره

الْنَبِيِّ اللهِ يعلم بأنَّ ولده يوسف اللهِ لَمْ يُقتل حَتَى يجبيه الله شأناً عظيهاً ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَأْبَتِ إِنِّ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَكُو كَبُا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْنُهُمْ لَوْ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَأْبَتِ إِنِّ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَكُو كَبُا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْنُهُمْ لِي سَنجِدِينَ اللهُ عَلَى الْخَوْتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدُا إِنَّ لَا نَقْصُصْ رُءْ يَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيكِيدُوا لَكَ كَيْدُا إِنَّ لَا نَقْصُصْ رُءْ يَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيكِيدُوا لَكَ كَيْدُا إِنَّ الشَّالِينَ عَلَيْ اللهِ اللهُ عَلَى اللهِ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُواللّهُ عَلَى اللهُ عَلَا اللهُ عَلَيْكُولُولُولَا عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ

بتقريب: - إنَّ يعقوب اللهِ يعلم بأنَّ يوسف سيلقى شأناً عظياً حسب رؤياه هَذِه؛ لِأنَّ رؤيا الأنبياء وحيٌّ، وَعَلَيْهِ فبكاء يعقوب مِنْ ماذا؟ مِنْ فراق يوسف اللهِ جعل يبكي عَلَيْهِ ليل نهار، فلا تقف في موضوع البكاء وتقصر بكاء يعقوب اللهِ عَلَى ولده يوسف اللهِ بَلْ تعدّاه إلى ما هُوَ أعظم مِنْهُ ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً ﴾ (٢) ألا وَهُو بكاء رسول الله عَلَيْهِ عَلَى الحسين اللهِ ، وَهَذَا عبورٌ لما هُوَ أعظم مما فِي مصاب يعقوب اللهِ بولده يوسف اللهِ .

لمِ يُصرح القرآن الكريم بأن قصص الأنبياء عبرة:

صَرَّحَ القُرآن الكريم بأنَّ قصص الأنبياء والمُرسلين هِيَ عِبْرَةُ ﴿ لَقَدْكَاكَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾ فَأَيِّ شيء أعظم مِنْ الأنبياء بحيث تجعل الأنبياء معبر وجسر عبور لشيء أعظم، وَمِنْ هَذَا يُفهم أنَّ هُنَاكَ أشخاصاً وحججاً أعظم مِنْ الأنبياء السابقين ألا وَهُوَ مُحَمَّد خاتم الأنبياء عَلَيْ وعترته الطاهرين المَنِياء السابقين ألا وَهُو مُحَمَّد خاتم الأنبياء عَلَيْ اللهُ وعترته الطاهرين المَنِيْ .

⁽١) سورة يوسف: الآية ٤ ـ ٥.

⁽٢) سورة يوسف: الآية ١١١.

ع٥٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الغاية والعبور هِيَ لأهم مما ذُكِرَ فِي القصَّة وإِنْ كَانَتْ لَهُ موقعيَّة موضوعيَّة ولكن الأسلوب القصصي فِي القُرآن وَقَاعدَة الأمثال تَعْبر بك إلى ما هُوَ الغاية والأهم.

وَهَذِهِ ملحمة منهجيّة عظيمة فِي القُرآن، وأنَّ المُرَاد مِنْ أسلوب القصص فِي القُرآن هُوَ أسلوب الأمثال.

فالإيهان لابُدَّ أنْ يتقوَّم بالأنبياء السابقين وَأَنَّهُ مثل لشيء أعظم وراءه.

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ يتَضح الجواب للسائل عَنْ سبب عدم تصريح القُرآن باسم فاطمة عليه وباسم علي عليه وباسم الأئمة المعصومين الميه وتصريحه وإفصاحه عَنْ مثل مريم عليه وباقي أسهاء الأنبياء الميه وأنَّ عَدَم الإفصاح هُوَ إعظام لهم؛ لِأنَّ العبور مِنْ المصداق الذي ذُكِر فِي الآية لما ورائه هُوَ أعظم وأعلى درجة وشأناً، وبالتالي ففي قصص الأنبياء السابقين عِبْرة ومغزى وغاية لما هُوَ أعظم مِنْها.

تنبيه: وفيه أمران:

⁽١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

الأوَّل: أكَّدت بيانات مدرسة أهل البيت المَيِّ عَلَى: _ ما مِنْ تساؤُل حول سيد الأنبياء عَلَى أو حول عترته، وتساؤُل حول سيد الأنبياء عَلَى أو حول شأن مِنْ شؤونه، أو حول عترته، إلَّا وتجد لَهُ جواباً بالمثل فِي القُرآن، وَهَذِهِ ملحمة قُرآنية عظيمة فِي مبحث قَاعدِة الأمثال القُرآنية.

وهكذا التساؤل الذي يُطرح حول غيبة الإمام الحجة المنتظر أفي أجوبتها موجودة كأمثال في القُرآن الكريم مِنْ غيبة الخضر النالا ورَفْع عيسى النالا ويحيى النالا وغيبة موسى النالا عَنْ قومه وغيرها، وبهذه الأمثال القُرآنية نجيب عَنْ كُلّ الاعتراضات وانشُبهات الَّتِي تُطرح حول غيبة الإمام الثَّانِي عشر الحُجَّة بن الحسن الحسن المعتبة الإمام الثَّانِي عشر الحُجَّة بن الحسن.

وَمِنْ هَذَا يُعْرَف الردِّ عَلَى نظريّة السَّيِّد العلّامة مُحَمَّد حسين الطباطبائي الله صاحب تفسير الميزان في القُرآن وأنَّ المصاديق كُلَّهَا عَلَى مبنى حَدِّ واحدٍ وسواء ومُتساوية في المدلول والإرادة والما وراء عَلَى مبنى السَّيِّد العلّامة، وَلَيْسَ الأمر كَذَلِكَ عَلَى مُختار منهج أمومة الولاية فَإنَّ الما وراء يَكُون أعظم وأهم وَهُوَ اللب اللباب وكأنَّه هُوَ المُرَاد الجدي الأوَّل والأصلي، وأنَّ هَذَا التنزيل إنَّما يُرَاد بإرادة ابتدائيّة أوليّة وأنَّ الغاية هِيَ المُرَاد الجدي وَهِيَ الأهم.

إذَنْ طبيعة القُرآن هِيَ طبيعة مراتب وتسلسل وطوليّة لا أنَّ طبيعته عرضية وأنَّ المناهج التفسيرية الأُخْرَى كتفسير القُرآن بالقرآن، أو التفسير الموضوعي أو التفسير التجزيئي وغيرها لَمْ يُرَاعَ فيها سلسلة المراتب، بينها القُرآن

293 تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني الكريم وروايات وبيانات أهل البيت المُحِلَّة تُنادي بأنَّ قِوام تفسير القُرآن هُوَ بالمراتب يعني الامومة كَمَا فِي الرُّواية عَنْ الإمام الصادق: "إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القُرآن، وبها نوَّهت الكتب ويستبين القُرآن، (۱).

بتقريب: _ إِنَّ هُنَاك أقطاب ومدارات متعدِّدة طوليّة لا أَمَّا عَرْضيّة وفي مرتبة واحدة، وَعَلَيْهِ إِذَا لَمْ تُلْمِس أمومة ولاية أهل البيت اللِّكِ عَلَى المُحْكَمات في قواعِد التفسير ضاع المنهج المهيمن الأم.

الثّاني: إنَّ قراءة قَاعدَة الأمثال فِي القُرآن الكريم تحتاج إلى تعقّل وقراءة عقليّة وقراءة علميّة مِنْ علوم شتّى، كي يصل الإنسان إلى ما وراء هَذِهِ الجهة الَّتِي طالما أَكَّدَ عَلَيْهَا القُرآن الكريم وبِعِدَّة مواضع قُرآنيّة (لَعلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ «لعلهم يعقلون» «لعلهم يتدبّرون» وَهَذَا التعقُّل والتذكّر والتولّد والتدبّر فِي قَاعدِة الأمثال فِي القُرآن يحتاج إلى تطهير روحي ونفسي وذكر قلبي كي يلتفت الإنسان إلى الأمثال فِي القُرآن.

هَذَا مُضَافَاً إلى أَنَّ قراءة الأمثال فِي القُرآن قراءة ذكريّة، أيّ إذَا صار القلب متذكِّراً يفطن ويَدْرُك أَنَّ الأمثال آيات، يُعْبَر مِنْهَا إلى ما وراء الممثل لَهُ صاحب المثل الأصلي، وَلَمْ يقف ويُحَجَّم عِنْدَ مَنْ مُثِّل لَهُ عَنْ الغاية وصاحب المثل الأصلى - وَكَهَا تَقَدَّمَ بحثه -.

إِذَنْ قَاعِدِة الأمثال فيها طبقات عُليا فِي القُرآن لا تدرك بسهولة،

⁽١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٨ ح٨.

صلة قاعدة الامثال باقسام الوحي وانواعه وأسراره ٤٩٧

بَلْ هِيَ عَلَى درجات وطبقات تحتاج إلى إمكانيّة علميّة عقليّة عميقة ودقيقة حَتّى يستطيع الوقوف عَلَى بَعْض نكاتها الخفيّة.

الجهة الثالثة عشر: تقابل مثل أهل البيت عليهم السلام

وأعداؤهم في القرآن:

وتوضيح ذَلِكَ يقع ضمن نقاط: النقطة الأُولى:

البرهان الأول: برهان العبرة في المثل:

مُقْتَضَى ما تَقَدَّمَ فِي الجهة السَّابِقة بَلْ والجهات المُتقدِّمة عَلَيْهَا أَنَّ ما ذُكِر فِي القُرآن الكريم مِنْ قصص وأمثال لأهل الحقّ وطريق الخير وعِبْرَة لأئمة الحقّ وراء أولئك المذكورة قصصهم بأسهائهم وإنْ كانوا مِنْ الأنبياء والمُرسلين والأوصياء والصَّلحاء السابقين ﴿ لِلّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِللّهِ الْمَثَلُ الْآعَلَى وَهُو الْعَنِيزُ الْعَكِمُ (١٠٠٠). وأنَّ المُرَاد الجدي والأصلي والأعظم هُو المعنى التأويلي لا المعنى التنزيلي وَكُلِّ المُراد الجدي والأصلي والأعظم هُو المعنى التأويلي لا المعنى التنزيلي وَكُلِّ ما ذُكِر مِنْ سيد الصالحين والمصطفين والشُّهداء هِي عِبْرة وعبورٌ لأشخاص وراءهم يُقيمون بحياة راهنة تتعاطى الأُمَّة معهم، فَكُلِّ ما ذُكِر مِنْ نجوم وروّاد وأئمة الحقّ عِبْرة وعبور إلى مَنْ هُمْ مقصودون وراء ذَلِكَ، ويَنْصَّبُ محط القصد وَالمُرَادأصالة بلحاظهم، فَمِنْ ثمَّ مَرَّت

⁽١) سورة النحل: الآية ٦٠.

القَاعِدَة فِي الجهة السابقة، وأنَّ كُلِّ ما ذُكِر، مِنْ أصفياء وأنبياء ومرسلين هُمْ مَثَلٌ لَائمة أهل البيت المَيِّا، وكذلك العكس، فَإنَّ كُلِّ ما ذُكِرَ مِنْ أئمة الشرّ والباطل والغيّ والضَّلال فَهُوَ عِبْرَة وعبور إلى مَنْ هُمْ أَشدّهم فِي الباطل والغيّ والضَّلال مِنْ أئمة الباطل الَّذِيْنَ تُبلى الأُمَّةُ بهم، إذْ هُوَ مُقْتَضَى كون القصص فِي الطرفين عِبْرة ومثل ضربه الله لما هُوَ ورائه.

وَهَذَا مَا أَكَّدَتُهُ الآيةُ الْمُبَارَكَةُ ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءَ ۗ وَلِلَهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَـٰذِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞﴾.

النقطة الثَّانية: مِنْ خلال النقطة الأُولى يتبيَّن حقيقة ما وَرَدَ فِي الروايات المُستفيضة عِنْدَ الفريقين كالذي رواه ابن المغازلي عَنْ الشافعي عَنْ ابن عباس عَنْ الْنَّبِي عَلَيْكُ مَالَ: _ قَالَ: «نُزِّل القُرآن أرباعاً ربع فينا وربع فِي عدونا وربع سنن وأمثال وربع فرائض وأحكام ولنا كرائم القُرآن (۱).

النقطة الثَّالثة:

البرهان الثانِي: برهان الجري:

روى العيّاشي عَنْ مُحَمَّد بن مسلم، قَالَ: قَالَ أبو جعفر اللهِ يا مُحَمَّد إذا سمعت الله إذا سمعت الله

⁽۱) ابن المغازلي في مناقبه: ص٣٢٨ ح٣٧٥ وغيره، تأويل الآيات الظاهرة لِلْسَّيِّد علي الحسيني الاسترآبادي: ص٢١.

وروى العيّاشي: أيضاً عَنْ مُحمَّد بن خالد الحجّاج الكرخي عَنْ بَعْض أصحابه رفعه إلى خيثمة، قَالَ: قَالَ أبو جعفر اللهِ يا خيثمة القُرآن نزل أثلاثاً: ثُلثٌ فينا وفي أحبائنا، وثلثٌ في أعدائنا وعدو مَنْ كَانَ قبلنا، وثلثٌ شنة ومَثَل، ولو أنَّ الآية إذَا نزلت في قوم ثمَّ مات أولئك القوم ماتت الآية، لما بقي مِنْ القُرآن شيء، ولكن القُرآن يجري أوله عَلَى آخره ما دامت السماوات والأرض، وَلِكُلِّ قوم آية يتلونها هُمْ مِنْهَا مِنْ خيرٍ أو شرِّ (٢).

وتشير هَذِهِ الرُّواية إلى دليل آخر عَلَى هَذِهِ الجهة وَالقَاعِدَة غَيْر مَا مَنْ الدَّليل الْمُشار إليه مِنْ قَاعدِة العِبْرَة والأمثال وَهِيَ قَاعدِة الجري وَلَّ مِنْ القُرآن حيُّ وحجّة (٢) وَإِلَى مَا هُوَ أَصلُ وبُرهانُ لقاعدة الجري وَهُو كون القُرآن حيُّ وحجّة (٣) حيَّة فعليّة عَلَى العباد فِي كُلِّ زمان فِي كُلِّ آية آية مِنْهُ، بَلْ فِي كُلِّ جملة جملة مِنْهُ ولا يستقيم ذَلِكَ إلَّا بقاعدة الجري أيِّ يجري ما ذكره القُرآن فِي أنَّهُ الحتي وأهله مما مَضَى يجري فِي أَمْمة أهل البيت المَيِّلِ وأتباعهم وما ذكره القُرآن فِي أهل الباطل والشرِّ يجري فِي أعدائهم (٤).

وروى الكليني بسند مُعتبر عَنْ الأصبغ بن نُباتة قَالَ سمعت أمير المؤمنين عليه أنزل القُرآن أثلاثاً ثلثٌ فينا، وفي عدوّنا، وثلث سنن وأمثال

⁽١) العيّاشي: ج١، ص٢٤؛ البرهان لِلْسَّيِّد هاشم البحراني: ج١، ص٥٦.

⁽٢) المصدر السابق: ص٥٨ باب ما أنزل القُرآن: ح٧.

⁽٣) يلاحظ فِي قَاعدَة الجري.

⁽٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٢٧؟ العيّاشي: ج ١، ص ٨٤ باب ما نزل فِي القُرآن ح ٣٠.

٥٠٠ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني وثلث فرائض وأحكام.

ونظيره ما رواه في موثّق أبو بصير عَنْ أبي جعفر اللهِ قَالَ: _ نزل القُرآن أربعة أرباع: ربعٌ فينا، وربع في عدوّنا وربعٌ سنن وأمثال، وربعٌ فرائض وأحكام (١).

(١) الكافي: ج٢، ص٦٢٧؛ العياشي: ج١، ص٨٤ باب ما نزل في القُر آن: ح٣.

توسعت القاعدة عموميت الجهت والقاعدة

النقطة الرابعة: الروايات المتقدمة في النقطة النَّالثة وغيرها مِنْ الروايات الموايات عديدة أُخْرَى أوسعيّة هَذِهِ الواردة فِي هَذَا الباب، بَلْ يظهر مِنْ روايات عديدة أُخْرَى أوسعيّة هَذِهِ القَاعِدَة بكثير أيّ عمومها، لِكُلِّ مَثَلٍ حَسَنٍ، وإنْ لَمْ يَرِد فِي أشخاص وأُناس مِنْ أهل الخير أو أهل الشرِّ، كَمَا روى العيّاشي عَنْ مسعدة بن صدقة عَنْ أبي جعفر المُثِلِا عَنْ أبيه عَنْ جدّه، قَالَ: قَالَ أمير المؤمنين المِثِلِا: هسمّوه بأحسن أمثالِ القُرآن يعني عترة النَّبِي عَيَّالُهُ هَذَا عذبٌ فراتٌ فاشربوا، وَهَذَا ملحٌ أُجاج فاجتنبوا»(١).

وما رواه فرات الكوفي في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدُ صَرَّفْنَا فِي هَلَا الْقُرُءَانِ لِيَذَكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمُ إِلَّا نَفُورًا ﴿ اللهُ ثَعَالَى اللهُ تَعَالَى اللهُ تَعَالَى اللهُ تَعَالَى اللهُ تَعَالَى اللهُ تَعَالَى اللهُ تَعَالَى اللهُ عَلَى اللهُ وَمَا يزيدهم إلَّا نفوراً " . علي اللهِ وما يزيدهم إلَّا نفوراً " .

وكذا ما ذُكِرَ فِي الكافي بسنده عَنْ أبي حمزة عَنْ أبي جعفر للسِّلا قَالَ:

⁽١) العيّاشي: ج١، ص٩٠ ح٧.

⁽٢) سورة الإسراء: الآية ٤١.

⁽٣) تفسير فرات الكوفي: ص٣٢٥ ح٥ مِنْ سورة الإسراء؛ تفسير الصافي: ج٤، ص٧٠٠.

٥٠٠ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

نزل جبرائيل بهذه الآية هكذا ﴿ فَأَبَىٰ أَكُثُرُ ٱلنَّاسِ (بولاية علي) إِلَّا كُفُورًا ﴾ (١).

قَالَ ونزل جبرائيل اللهِ بهذه الآية هكذا ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّيَكُمُ ۚ (فِي وَلَاية عليّ) فَمَن شَآءَ فَلْيُكُمُ وَمَن شَآءَ فَلْيَكُمُ وَأَ إِنَّا أَعْتَدُنَا لِلظَّلِلِينَ (آل مُحَمَّد) فَارًا ﴾ (١).

وما رواه العيّاشي بسنده عَنْ علي بن أبي حمزة، عَنْ أبي جعفر السَّلِا: «وَلَقَدْ صَرَّ فْنَا فِي هَذَا القرآن ليذَّكروا يعني ولقد ذكرنا علياً فِي القُرآن وَهُوَ الذكر فها زادهم إلَّا نفوراً»(٣).

النقطة الخامسة:

البرهان الثالث: المثل والأمثال

اسم وتسمية وتوصيف ووصف:

ما تَقَدَّمَ مِنْ الروايات فيها تبيان وتصريحٌ بأنَّ الأمثال نعوت وأوصاف، وألقاب وأسهاء بلحاظ العِبْرَة الَّتِي فيها، وإنْ كَانَتْ في جمادات أو كائنات مِنْ سائر ما خلق الله وأنَّ الأمثال تسميةٌ ونعتُ ووصف لمسميات هِيَ المعنى التأويلي، وما دام المَثَل عِبْرَة وعبور إلى ما وراءه فلا يقتصر ذَلِكَ عَلَى القصص بَلْ يعمّ كُلِّ أمثال القُرآن الحَسَنة

⁽١) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

⁽٢) الكافي: ج١ كتاب الحجة: ب١٦٥ - ٦٤ ص٤٩٣.

⁽٣) العيّاشي: ج٣، ص٥٣، ح٧٨.

توسعة القَاعِدَة عمومية الجهة والقاعدة......

لِـمَنْ هُوَ حَسَنٌ، والسيئة لِـمَنْ هُوَ سيّع.

النقطة السَّادسة:

البرهان الرابع:

ثمَّ إِنَّ ما تَقَدَّمَ فِي الروايات السابقة إشارة إلى قَاعدِة مُهمّة وَهِيَ أَنَّ المثل والأمثال اسمٌ وتسمية وتوصيف ووصف.

ونظير ما تَقَدَّمَ ما رواه صاحب كنز الفوائد، تأويل الآيات الباهرة عَنْ أبي جعفر الطوسي بإسناده عَنْ الفضل بن شاذان عَنْ داود بن كثير، قَالَ: قلت لأبي عبدالله السُّلا: أنتم الصَّلاة فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟ فَقَالَ: «يا داود نَحْنُ الصَّلاة فِي كتابِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَنَحْنُ الزَّكاة وَنَحْنُ الصِّيام وَنَحْنُ الحجّ وَنَحْنُ الشُّهر الحرام وَنَحْنُ البلد الحرام، وَنَحْنُ كعبة الله، وَنَحْنُ قبلة الله، وَنَحْنُ وجه الله، قَالَ الله تَعَالَى ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجُهُ ٱللَّهِ ﴾ وَنَحْنُ اللَّايات وَنَحْنُ البيّنات، وعدوَّنا فِي كتاب الله الفحشاء والمنكر والبغى والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطاغوت والميتة والدُّم ولحم الخنزير، يا داود إنَّ الله خلقنا وأكرمَ خَلْقَنا وفَضَّلَنا، وجعلنا أَمنائه وحفظته وخزَّانه عَلَى ما في السموات والأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءاً فسمّانا فِي كتابه، وكَنَّى عَنْ أسهائنا بأحسن الأسهاء وأحبَّها إليه تكنية عَنْ العدو، وسمّى أضدادنا وأعدائنا في كتبه وكَنَّى عَنْ أسمائهم، وضرب لهم الأمثال

ع.٥..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني في كتابه في أبغض الأسهاء إليه وَإلى عباده المتقين»(١).

كُمَا بيَّنَا فِي قَاعدِة المثل فِي ما مَرَّ مِنْ الجهات أَنَّهَا لا تقتصر عَلَى القصص وما ضُرِبت مثلاً وتمثيلاً، بَلْ كُلِّ القُرآن بكُلِّ آياته وجُملهِ مَثَلٌ وأمثال لما ورائه مِنْ معاني تأويلية، فَكُلِّ تنزيل مَثَلٌ للتأويل وَكُلِّ مَعْنَى تأويلي مَثَلٌ للمعنى التأويلي الذي هُوَ أبطن مِنْهُ فِي البطون وهلم جرّا.

وبذلك تتسع قَاعدَة المثل فِي القُرآن، وَهَذَا البُرهان عَلَى هَذِهِ القَاعِدَة والجهة فِي الأمثال أيّ مِنْ توسعة المثل لِكُلِّ آيات وسور وجُمَل القُرآن، وَهُوَ بُرْهانُ أَنَّهم صلوات الله عليهم أصل كُلِّ خير وفروعه وعدوَّهم أصل كُلِّ شرِّ وفروعه.

بيان ذَلِكَ:

أَوَّلاً: إِنَّ هَذِهِ الرُّواية تشير إلى قَاعدِهَ أَنَّ الأمثال أسماءٌ وتوصيفٌ روصفٌ.

ثانياً: إنَّ فِي الرُّواية بُرهانٌ عَلَى أنَّ كُلّ خير وكمال هُوَ آية وتجلّي لأصول وجودهم فِي مراتبهم العلويّة لكونها المواد الأولى فِي عالم الخِلْقة؛ إذْ بمُقْتَضَى أنَّ كُلّ معلول كمالٌ مُقَرَّرٌ فِي علته بنحو أكمل وأشرف، وإنْ كَانَتْ تلك العلّة واسطة فِي الفيض، نظير ما يُقرر عقلاً بأنَّ نظام المخلوقات انعكاسٌ كجمال وعظمة النظام الذاتي الربوبي، فَكُلّ كمالٌ فِي

⁽١) تأويل الآيات الباهرات، على الحسني الأستر ابادي: ص ٢١؛ البحار: ج٢٤، ص٣٠٣.

المخلوقات آيةٌ متنزَلة ونازلةٌ عَنْ كهالٍ ربوبي فِي النظام الذاتي الإلهي، بَلْ إِنَّهُ هُنَاكَ بنحو أكمل وأرفع وأشرف وأعلى، فوجود ذَلِكَ الجهال والكهال والعظمة فِي واقع الذاتي الأزلي السَّرمدي أعظم مِنْهُ فِي وجوده فِي كهال المخلوق، بَلْ إِنَّ أصل ذَلِكَ الكهال هُوَ فِي التقرُّر الواقعي الربوبي، وما يشاهَد فِي المخلوق إِنَّها هُوَ فرعه، وهكذا الحال فِي سلسلة ترتُّب للخلوقات فَإِنَّ الصوادر الأُولى مِنْهَا واجِدَة لِكُلِّ الكلهات المُتحقِّقة والمُتقرِّرة فيها دونها.

وَمِنْ ثُمَّ يَتبيَّنَ أَنَّ وجودهم اللَّهِ بلحاظ المراتب العلويّة أصل كُلّ خير وَكُلّ برِّ هُوَ اسمٌ ووصفٌ لهم اللَّهِ خير وَكُلّ برِّ هُوَ اسمٌ ووصفٌ لهم اللَّهِ لِإِنَّهُ آية التجلّي لما هُوَ لديهم مِنْ كهالات بنحو أعلى وأرفع.

وبذلك اتّضح مَعْنَى قوله السِّلا فِي صدر الرُّواية المُتقدِّمة (١١).

وأمَّا أنَّ أعداءهم ـ أيّ أعداء الأئمة الكِّلُ ـ أصل كُلِّ شر وسوء وأنَّ كُلِّ الشرور فَرْع وفروع لأعدائهم.

فتقريبه: ما وَرَدَ مِنْ خلق الجهل وخلق الظلمة وجنود الجهل كخلق شجرة الزقّوم فِي مقابل خلق شجرة طوبى، ونظير خَلْق الطّينة مِنْ عليين وما فوقه، وطينة سجّين، ونظير أسهاء الجمال الأولى المُهيمنة الأم المتجلّية فِي طبقات أسهاء الجمال اللاحقة فِي منظومة أسهاء الجمال فِي

⁽١) تأويل الآيات الباهرات، علي الحسني الاسترابادي: ص٢١؛ البحار: ج٢٤، ص٣٠٣.

٥٠٦ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجز الثاني مقابل منظومة أسماء الجلال وطبقاتها وتجلياتها في أسماء أُخْرَى.

وبعبارة أُخْرَى: فَإِنَّ النفوس الشريرة تُدبر مِنْ قبل نفوس وأرواح كُليَّة شريرة، وَهِيَ ذَاتَ طبقات تتصاعد إلى طبقة روح شجرة الزقوم في قبال طبقات أرواح النُّور الَّتِي تتصاعد إلى روح طبقة شجرة طوبى، كَمَا وَرَدَ فِي زيارة مولانا أمير المؤمنين المُلِلِّ: «... السَّلامُ عَلَى شجرة طوبى وسدرة المُنتهى»(١).

وما رواه الفضل بن شاذان بإسناده عَنْ أبي عبدالله اللهِ أَنَّهُ قَالَ: «نَحْنُ أصل كُلّ برِّ وَمِنْ البرِّ التوحيد وَالصَّلاة وَالصِّيام وكظم الغيظ والعفو عَنْ المُسيء ورحمة الفقير وتعاهد الجار والصِّيام وكظم الغيظ والعفو عَنْ المُسيء ورحمة الفقير وتعاهد الجار والإقرار بالفضل لأهله، وعدوِّنا أصل كُلِّ شرِّ وَمِنْ فروعهم كُلِّ قبيح وفاحشة فَهُمْ الكذب والنميمة، والبخل، والقطيعة وأكل الرِّبا وأكل مال اليتيم بغير حق ...»(٢).

وَمِنْ ذَلِكَ يَتبيَّنَ أَنَّ الأمثال الحَسَنَة والخَيِّرَة فروع لهم، فَكُلِّ مَثَل حَسَنٍ والأمثال الحُسْنَى آياتُ وتجلّيات لهم اللَّلِيَّ، كَمَا أَنَّهم هُمْ اللِّلِيُّ الآيات الكبرى لله تَعَالَى، وَهَذَا مِنْ قبيل الطَّبقات فِي منظومة الآيات ومنظومة الأسماء ومنظومة الصِّفات ومنظومة الأمثال، فَالطَّبقات اللاحقة كَمَا تُسْنَد بوجه إليه تَعَالَى مَعَ محو الواسطة فِي الحكاية كَذَلِكَ تُسْنَد إلى

⁽١) بحار الأنوار: للعلّامة المجلسي: ج١٠٠ ص٣٠٦.

⁽٢) البُرهان فِي تفسير القُرآن: ج١، ص٥٧، ح١١.

توسعة القَاعِدَة عمومية الجهة والقاعدة......

الواسطة والوسائط مَعَ ملاحظة وساطة الواسطة، كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿ نَبَرُكَ اَسْمُ رَبِّكِ ﴿ وَبَنْكَ اَسْمُ رَبِّكِ ﴿ وَوَلَّهُ تَعَالَى: ﴿ نَبَرُكَ اَسْمُ رَبِّكِ وَ وَوَلَّهُ تَعَالَى: ﴿ نَبَرُكَ اَسْمُ رَبِّكِ وَ وَلَّهُ تَعَالَى: ﴿ نَبَرُكَ اَسْمُ رَبِّكِ وَوَلَّهُ تَعَالَى: ﴿ نَبَرُكَ اَسْمُ رَبِّكِ وَاللَّهُ اللَّهُ مَا إِلَّهُ كَالِمُ وَاللَّهُ وَمِلْكُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُواللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّالَالَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَاللَّالِم

بتقريب: إنَّ الوَصْف تارةً جُعِل للوجه وَأُخْرَى للربِّ، والوجه بمثابة الآية والاسم والصِّفة واللقب فِي كون يُتوجّه به وإليه إلى الله تَعَالَى.

ويستحصل مِنْ هَذِهِ الجهة تقرير قَاعدِة عظيمة الشَّأن فِي علم التفسير كَمَا أشار إليها أهل البيت اللِّكِ فِي الروايات المُتقدِّمة فِي صدر الجهة.

الجهة الرابعة عشر:

﴿ فَأَهْلَكُنَا ٓ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ ﴿ "":

بتقريب: _ إنَّ القُرآن الكريم لماذا أسند المعنى إلى المثل وَلَمْ يسنده إلى الأولين _ وَمَعْنَى مثل الأولين _ مما يُنبِّه عَلَى أنَّ الأهميَّة فِي العِبْرَة لا فِي شخص الحادثة والأشخاص.

وهكذا قوله تَعَالَى فِي مورد آخر ﴿ بِثْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَايَنتِ ٱللَّهِ ﴾ (١).

⁽١) سورة الرحمن: الآية ٢٧.

⁽٢) سورة الرحمن: الآية ٧٨.

⁽٣) سورة الزُّخرف: الآية ٨.

⁽٤) سورة الجمعة: الآية ٥.

٥٠٨..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

بتقریب: _ إنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُسْنِد البأس إلى القوم الَّذِيْنَ كذَّبوا، بَلْ أَسندها إلى الْمَثَل.

وقوله تَعَالَى: ﴿ سَآةَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا ﴾(١).

بتقريب: _ إنَّهُ تَعَالَى أسند الإساءة إلى المثل مباشرة دون القوم.

وقوله تَعَالَى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَدِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَشْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا نَذَكَّرُونَ ﴿ اللَّهِ ﴾ (٢).

بتقريب: _ إنَّهُ تَعَالَى أسند نفي الاستواء إلى المثل لا إلى عين الأعمى والبصير والأصمّ والسَّميع.

ويُحتمل أنَّ الأصل في الكافرين لَيْسَ كينونة أبدانهم، بَلْ كينونة أرواحهم وأظلّتهم، وأنَّ أرواح الكافرين أشرّ مِنْ أبدانهم كَمَا وَرَدَ عَنْهُ عَنْهُ الله المؤمن خيرٌ مِنْ عمله، ونيّة الكافر شرٌّ مِنْ عمله، ونيّة الكافر شرٌّ مِنْ عمله وَكُلّ عامل يعمل عَلَى نيّته»(٣).

فأبدان الكافرين آية لأرواحهم فالحكم عَلَى الأُمم بلحاظ هويّة أرواحهم فالمضي والسَوْءِ والاستواء العُمْدَة فيه شأن الأرواح وأفعالها لا أحوال الأبدان.

⁽١) سورة الأعراف: الآية ١٧٧.

⁽٢) سورة هود: الآية ٢٤.

⁽٣) الوسائل: ج١، كتاب الطهارة أبواب مُقدِّمات العبادات: ب٦، ص٠٥ ح٣.

المثل الأعلى ومثل السنوء

الجهة الخامسة عشرة:

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوَةِ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْمَذِيرُ ٱلْمَكِيمُ ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوَةِ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُو

هُنَاك عِدَّة آياتٍ ذُكِرَت فيها المثل:

- ١) كقوله تَعَالَى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَتْ أَوْ تَعْرَبُواْ بِعَايَنِنَا فَا قَصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ ثَالِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَايَنِنَا فَا قَصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ ثَالَكُ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَايَنِنَا فَا قَصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ ثَالِكُ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَايَنِنَا فَا قَصْصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ ثَالِكُ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱللَّذِينَ كَذَا اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْنِي الْعَصَالَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْنِي عَلَيْهِ عِلْمَا عَلَيْهِ عَلَيْهِ
- ٢) وقوله تَعَالَى: ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَاينَانِنَا وَٱنفُسَهُمْ
 كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿ ثَنْ اللَّهِ ﴾ (٣).
- ٣) وقوله تَعَالَى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِ وَٱلْبَصِيرِ
 وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱفَلَا نَذَكَّرُونَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ المَا المُولِي المُلْمَا الهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المَالِمُ ال

⁽١) سورة النحل: الآية ٦٠.

⁽٢) سورة الأعراف: الآية ٣٦.

⁽٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٧.

⁽٤) سورة هود: الآية ٢٤.

١٠٥...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

٤) وقوله تَعَالَى: ﴿ وَهُو اللَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُو أَهْوَنُ
 عَلَيْهُ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (اللَّهُ الْمَا عَلَىٰ فَي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اللَّهُ اللَّالَّةُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْ

٥) وقوله تَعَالَى: ﴿ بِنْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَايَتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ۞ ﴾ (٢).

بتقريب: _ إنَّ مفاد الآية ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ إنَّ فِي عالم السهاوات والأرض أمثال عديدة ذَاتَ درجات متفاوتة وأنَّ خصوص المَثَل الأعلى لله تَعَالَى أيّ المُناسب لشأنه تَعَالَى دون المثل العالي فضلاً عَنْ المتوسِّط والدّاني.

⁽١) سورة الروم: الآية ٢٧.

⁽٢) سورة الجمعة: الآبة ٥.

⁽٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

⁽٤) سورة الإسراء: الآية ١١٠.

المثل الاعلى ومَثل السنَوْء ٥١١

وقوله تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَهُ إِلَّا هُوَّ لَهُ ٱلْأَسْمَآ ۗ ٱلْحُسْنَىٰ ۞ ﴿ (١).

وقوله تَعَالَى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَآةُ الْحُسْنَى ﴾ (٢).

وَهَذَا يُعطي ضابطة أنَّ المثل لا يُطلَق عَلَى الأسهاء العُليا، بَلْ هُوَ آيَّ لتجلّي الأسهاء، فَكُلّ مِنْ المَثل والاسم وإنْ اشتركا في الحكاية إلَّا أنَّ الأسهاء العُليا تجلّي في الساحة الربوبيّة بخلاف المَثل فَإنَّهُ مِنْ الآيات في عوالم الخِلْقة، وَهَذِهِ ضابطة فاصلة مُهمّة جدّاً في الفرق بين قاعدة المثل وَقَاعدة الأسهاء الحُسْنَى.

وَمِنْ ثُمَّ قُرِن الْمَثَل الأعلى لَهُ تَعَالَى بفعل الخلق لَهُ تَعَالَى وبالكينونة فِي السموات والأرض.

ثمَّ إِنَّ فِي جَملة الآيات المُتقدِّمة أُسند البأس والسوء إلى مَثَل المُكذِّبين كَمَا أَنَّ فِي سورة هود ضابطة أنَّ الأمثال لا تتساوى بَعْدَ عدم تساوي أصحاب الأمثال، فأهل السوء مثلهم سيءٌ وبئيس، وأهل الحُسْنى مَثَلَهُم حَسَنٌ.

⁽١) سورة طه: الآية ٨.

⁽٢) سورة الحشر: الآية ٢٤.

السير في المعرفة لا ينتهي

والرجوع والأوبة إلى الله لا تقف عند حدِّ

الجهة السادسة عشر: أن الذي لا يعتبر

ولا يعبر بالمثل إلى ما وراء يضلِ:

يظهر مِنْ قوله تَعَالَى ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ (١) وَمِنْ قوله تَعَالَى ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ مِهَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ مِهِمَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ مِهَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ مِهِمَادًا أَلَالًا لَهُ مَنْ يَشَآهُ ﴾ (١).

إنَّ الوقوف عَلَى المثل ضلال مِنْ دون عبور مِنْهُ إلى ما وراء وَيَكُون افتتان بالمَثَل بدلاً أنْ يَكُون اهتداء به إلى ما وراءه.

إِذَنْ المثل تارة يَكُون فتنة إِذَا وقف عَلَيْهِ وَجُمِد وعُمِيَ، وَأُخْرَى يَكُون بصيرةً ونوراً إِذَا أُبصرَ به، ويستنتج مِنْ ذَلِكَ قَاعدِة أُخْرَى وَهِيَ: "إِنَّ السير فِي المعرفة لا ينتهي والرجوع فِي المعرفة لا ينتهي والرجوع والأوبة إلى الله لا تقف عِنْدَ حَدِّ».

وَهَذِهِ قَاعِدَة مُهمّة فِي مبحث المثل مِنْ أَنَّ المثل حَيْثُ أَريد مِنْ ضَرْبه وذكره وجعله هُوَ إيصال مَعْنَى وراءه، فَلِكُلِّ تأويل ومآل إنْ

⁽١) سورة المُدّثر: الآية ٣١.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ٢٦.

أخطأه الإنسان ضَلَّ عَنْ الغاية المقصودة وَعَنْ المَثَل وبدل أَنْ يَكُون المثل طريق هداية فسيكون طريق غواية، وَقَدْ بُيِّنَ فِي الآيتين أَنَّ التقوى والمُتقين يهتدون به، بخلاف الفاسقين والكافرين وَالَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ نظير قوله تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ ٱلْكِتَبُ لَارَبْ فِيهُ هُدَى يَشْتَقِينَ ۚ أَنْ الَيْنَ بُوْمِنُونَ مِنَ الْفَيْنِ وَالْكَافِرِينِ وَالْفِينَ أَنْ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّ

فبيَّنت الآية الكريمة شرائط الهداية بالكتاب، وأنَّ الهداية والضلالة ليست مرهونة بالقوّة الفكريّة بقدر ارتهانها بالتّقوى والإيهان.

الجهة السابعة عشر: الثمرة الكبرى لقاعدة المثل:

إِنَّ كُلِّ ما ذُكِرَ فِي القُرآن الكريم شيءٌ حَسَنٌ هُو حَقٌ وهُدىً فَهُو مَثَل لأهل البيت المهل وريغ وضلال فَهُو مَثَل لأهل البيت المهل والمثل والمثل والأمثلة يُترامى مِنْ مرتبة أولى إلى أُخرَى، كَمَا هُوَ الحال فِي نظام الآيات ونظام الأسهاء إلى أنْ يتصل بالآيات الكُبرى والعُظمى والأسهاء العُليا والاسم الأعظم الأعظم الأعظم، ثمَّ تلك الآيات الكبرى والاسم الأعظم بدوره يَكُون أيضاً تجلّي للذات الإلهية، وهكذا الحال فِي المَثَل والأَمْثِلة، وهكذا الحال فِي المَثَل والأَمْثِلة، وهكذا الحال

⁽١) سورة البقرة: الآية ٢_٥.

روى صاحب تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العتبرة الطاهرة(١) ما رواه الشَّيْخ الطُّوسي بإسناده إلى الفضل بن شاذان عَنْ داود بن كثير، قَالَ: قلت لأبي عبدالله اللَّهِ أنتم الصَّلاة فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنتم الزَّكاة [وأنتم الصِّيَام] وأنتم الحج فَقَالَ: «يا داود نَحْنُ الصَّلاة فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحْنُ الزَّكاة وَنَحْنُ الصِّيام وَنَحْنُ الحجَّ» وَنَحْنُ الشهر الحرام وَنَحْنُ البلد الحرام وَنَحْنُ كعبة الله وَنَحْنُ قبلة الله وَنَحْنُ وجه الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُواْ فَثَمَّ وَجُهُ ﴾ ، وَنَحْنُ الآيات، وَنَحْنُ البيّنات، وعدوِّنا فِي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ الفحشاء، والمنكر والبغي، والخمر، والمُيْسَرُ والأنصاب، والأزلام والأصنام، والأوثان، والجبت، والطاغوت والميتة والدَّمَ ولحم الخنزير، يا داود إنَّ الله خلقنا فأكرم خَلْقِنا وفَضَّلنا وجَعَلنا أمنائه وحفظته وخزَّانه عَلَى ما فِي السماوات وما فِي الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءاً فَسَيَّانا فِي كتابه، وكَنَّى عَنْ أسهائنا بأحسن الأسماء وأحبُّها إليه تكنيَّة عَنْ العدوِّ، وتُسمَّى أضدادنا وأعداءنا

⁽١) وَهُوَ السَّيِّد شرف الدِّين علي الحُسيني الاسترابادي الغروي مِنْ عُلَهَاء النصف الثَّانِي مِنْ القرن العاشر الهجري: ص ٢١ وكذا رواه البياضي العاملي في الصراط المستقيم: ت٧٨هج ص ٧٥، رواه عَنْ ابن جبر في نخبه بإسناده إلى الصادق للنَّلِهُ، ورواه زين الدِّين علي بن يوسف بن جبر مِنْ أعلام القرن السَّابع، ورواه ابن جبر أيضاً في نهج الإيان، قَالَ زين الدِّين علي بن يوسف بن جبر روى جدِّي في نخبه حديثاً مرفوعاً عَنْ أبي عبدالله للنَّهُ ... الخ نهج الإيان ص ٢٥٩، وابن جبر يروي عَنْ ابن شهراشوب بواسطة واحدة وَهُوَ الشَّيْخ ابن الفرج، واسم الجدِّ أبو عبدالله الحسين بن جبر يروي كتاب المناقب لآل أبي طالب لابن شهراشوب واختار مِنْهُ المهم مِنْ أحاديثه وسيّاه بنخب المناقب لآل أبي طالب.

١٦٥..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

فِي كتابه وكنَّى عَنْ أسمائهم، وضرب لهم الأمثال فِي كتابه فِي أبغض الأسماء إليه إلى عبادة المُتَّقين(١٠).

ويُؤيِّد هَذَا ما رواه أيضاً عَنْ الفضل بن شاذان بإسناده عَنْ أبي عبدالله اللهِ إِنَّهُ قَالَ: «نَحْنُ أصل كُلِّ خير، وَمِنْ فروعنا كُلِّ برِّ، وَمِنْ البرِّ التوحيد، وَالصَّلاة وَالصِّيَام وكظم الغيظ، والعفو عَنْ المُسيء، ورحمة الفقير، وتعاهد الجار والإقرار بالفضل لأهله، وعدوِّنا أصل كُلِّ شَرِّ، وَمِنْ فروعهم كُلِّ قبيح وفاحشة، فمنهم الكذب، والنميمة، والبخل، والقطيعة، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم بغير حقِّه، وتعدِّي الحدود الَّتِي أمر الله عَزَّ وَجَلَّ، وركوب الفواحش ما ظهر مِنْهَا وما بطن مِنْ الزِّنا والسِّرقة، وَكُلِّ ما وافق ذَلِكَ مِنْ القبيح، وكذب مَنْ قَالَ إِنَّهُ معنا وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بفرع غيرنا»(٢).

وروى في بصائر الدرجات (٣) بسنده عَنْ المفضل بن عمر أنَّهُ كتب إلى أبي عبدالله الله في فجاء الجواب مِنْهُ بقوله اللهِ (وبَلَغكَ أنَّهم يزعمون أنَّ اللهِ اللهِ فَو معرفة الرجال ... وذكرتَ أنَّكَ قَدْ عرفت أنَّ أصل الدِّين معرفة الرجال، وذكرت أنَّهُ بلغك أنَّهُ يزعمون الصَّلاة والزَّكاة وصوم شهر رمضان والحجّ والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشهد

⁽١) تأويل الآيات الظاهرة، للسَّيّد شرف الدِّين الغروي.

⁽٢) تأويل الآيات: ص٢٢، لِلْسَّيِّد شرف الدِّين الغروي.

⁽٣) بصائر الدرجات، للصفّار: ج٢، ب٢١، شرحٌ أُمُور النَّبِيِّﷺ والأَثمة ﷺ فِي أَنفسهم: ص٤٩٩، ح١.

الحرام والشهر الحرام هُوَ رَجُل وأنَّ الطُّهْرَ والاغتسال مِنْ الجنابة هُوَ رَجُلٌ، وَكُلّ فريضة افترضها الله عَلَى عباده هُوَ رَجُلٌ ... وَأَنَّهُ بلغك أنَّهم يزعمون أنَّ الفواحش الَّتِي نهى الله عنها الخمر والميسر والزِّني والرِّياء والدَّم والميتة ولحم الخنزير هُوَ رَجَلٌ … وأُخْبِرُكَ أنَّ الله تَعَالَى أحلَّ حلالاً وحَرَّمَ حَراماً فجعل حلاله حلالاً إلى يَوُم القيامة، وجعل حرامه حراماً إلى يَوُم القيامة، فمعرفة الرُّسُل وولايتهم وطاعتهم هُوَ الحلال، فالمحلل مَا حَلَّلُوهُ وَالْمُحرَّمُ مَا حَرَّمُوهُ وَهُمْ أَصَلُهُ وَمِنْهُمُ الفروعِ الحلال وَذَلِكَ سَعْيَهم، وَمِنْ فروعهم أمرُهم شيعتُهم وأهل ولايتهم للحلال مِنْ إقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة وصوم شهر رمضان وحجّ البيت والعُمْرَة وتعظيم حُرُمات الله وشعائره ومشاعِره، وتعظيم البيت الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام، والطهور والاغتسال مِنْ الجنابة ومكارم الأخلاق ومحاسنها وجميع البرّ»، ثمَّ ذكر بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿فِي كَتَابِهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدُٰلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنَكِرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٠٠٠ فَعدوهم الحرام المحرَّم، وأولياءهم الداخلون في أمرهم إلى يَوُم القيامة، فَهُمْ الفواحش ما ظهر مِنْهَا وما بطن، والخمر والميسر والزِّنا، والرِّبا والدم والميتة ولحم الخنزير، فَهُمْ الحرام المحرَّم وأصل كُلُّ حرام، وَهُمْ الشرِّ وأصل كُلُّ شر، ومنهم فروع الشرّ كُلُّهُ، وَمِنْ ذَلِكَ الفروع الحرام واستحلالهم إيَّاها، وَمِنْ فروعهم تكذيب الأنبياء وجحود الأوصياء وركوب الفواحش: الزنا

٥١٨ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات -الجزء الثاني والسرقة وشرب الخمر والمسكر وأكل مال اليتيم وأكل الرِّبا والخدعة والخيانة وركوب الحرام كُلَّهَا وانتهاك المعاصي وَإِنَّها يأمر الله بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي (فالأنبياء وأوصياؤهم العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى يعني مودة ذي القربى وابتغاء طاعتهم، وينهى عَنْ الفحشاء والمنكر والبغي وَهُمْ أعداء الأنبياء وأوصياء الأنبياء، وَهُمْ المنهى عَنْ مَودَّتهم وطاعتهم، يعظكم بهذه لعلكم تذكرون.

وأخبرك أنّي لو قلت لك أنّ الفاحشة والخمر والميسر والزّنا والميتة والحمر ولمبيتر هُوَ رجل وأنا أعلم أنّ الله قَدْ حرَّم هَذَا الأصل وحرَّم فرعه ونهى عَنْهُ، وجعل ولايته كَمَنْ عبد مِنْ دون الله وثناً وشركاء (۱) وَمَنْ دعا إلى عبادة نفسه فَهُوَ كفرعون إذْ قَالَ: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿ (۱) فهذا كُلَّهُ على وجه إن شئت قلت هو رجل وهو إلى جهنم ومن شايعه على ذلك فَإنَّهُم (۳) مثل قول الله ﴿إِنَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحَمَ الْخِنزِيرِ ﴾ (١) فهذا كُله لصدقت ثم لو أني قلت إنه فلان ذلك كله لصدقت إن فلانا هو المعبود المتعدي حدود الله التي نهى عنها أن يتعدى (۱).

⁽١) في «ط» والبحار: وشركاً، والمثبت عَنْ «م».

⁽٢) سورة النازعات: الآية ٢٤.

⁽٣) فِي «ط» فافهم، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

⁽٤) سورة البقرة: الآية ١٧٣.

⁽٥) فِي «ط» هُنَا زيادة: «و».

⁽٦) فِي «ط» والبحار: يتعدّى، والمثبت عَنْ «م».

ثم إني أخبرك أن الدين وأصل الدين هو رجل وذلك الرجل هو اليقين وهو الإيهان وهو إمام أمته وأهل زمانه فمن عرفه عرف الله ودينه ومن أنكره أنكر الله ودينه (ولا يعرف الله ودينه) وحدوده وشرائعه بغير ذلك الإمام كذلك جرى بأن معرفة الرجال دين الله.

والمعرفة على وجهين (٣) معرفة ثابتة على بصيرة يعرف بها دين الله ويوصل بها إلى معرفة الله فهذه المعرفة الباطنة الثابتة بعينها الموجبة حقها المستوجب أهلها عليها الشكر لله التي من عليهم بها من من الله يمن به على من يشاء مع المعرفة الظاهرة ومعرفة في الظاهر فأهل المعرفة في الظاهر الذين علموا أمرنا بالحق على غير علم لا تلحق (١) بأهل المعرفة في الباطن على بصيرتهم ولا يصلوا (٥) بتلك المعرفة المقصرة إلى حق معرفة الله كها قال في كتابه ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَعَةُ ﴾ (١) الله كها قال في كتابه ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَعَة ﴾ (١) فمن شهد شهادة الحق لا يعقد عليه

⁽١) أضفناه مِنْ «م» والبحار.

⁽٢) أضفناه مِنْ «مُ».

⁽٣) في «ط»: وجهه، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

⁽٤) فَي «ط»: الظاهرة، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

⁽٥) في «ط» و «م»: يلحق، والمثبت عَنْ البحار.

⁽٦) فِي «ط»: ولا يضلُّوا، وفي البحار: ولا يصلون، والمثبت عَنْ «م».

⁽٧) ليست في «م» والبحار.

٢٠ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

قلبه ولا يبصر ما يتكلَّم (١) به لا يثاب عليه مثل ثواب من عقد عليه قلبه على بصيرة فيه كذلك من تكلم بجور (٢) لا يعقد عليه قلبه لا يعاقب عليه عقوبة من عقد عليه قلبه وثبت على بصيرة.

والمسيء بإساءته، وَقَدْ يُقَال إِنَّهُ من دخل في هذا الأمر بغير يقين ولا

بصيرة خرج منه كما دخل فيه رزقنا الله وإياك معرفة ثابتة على بصيرة.

من (٦) عند ربه لصدقت لِأنَّ (٧) ذلك كله إنها يعرف بالنبي، ولو لا معرفة ذلك النبي والإيهان به والتسليم له ما عُرِف ذلك فذلك مَنُّ مِنْ الله على

⁽١) ما بين القوسين ليست في «م».

⁽٢) سورة الزخرف: الآية ٨٦.

⁽٣) فِي البحار: يتكلّم.

⁽٤) أضفنا ما ما بين القوسين مِنْ «م» والبحار.

⁽٥) أضفناه مِنْ «م» والبحار.

⁽٦) فِي (م): عرف.

⁽٧) فِي «ط»: صار، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

مَنْ يمنّ الله وهو فرعه، ولو لا ذلك لم يُعرف شيئاً من هَذَا، فهذا كله ذلك النبي وأصله، وهو فرعه، وهو دعاني إليه، ودلّني عَلَيْهِ، وعرّفنيه، وأمرني من أرب ما المالة المال

⁽١) أضفناه مِنْ «م».

⁽٢) أضفناه مِنْ «م» والبحار.

⁽٣) فِي «ط» أنَّ، والمثبت عَنْ «م» والبحار.

⁽٤) فِي (م): مَنَّ سورة الإسراء: الآية ٩٤.

⁽٥) فِي «طَ» بدُّل ما فِي القُوسَين: جهله وَمِنْ هُوَ، والمثبت عَنْ «م» والبحار. سورة التغابن: الآية ٦.

⁽٦) فِي «ط»: تستقيمً، والمثبت عَنْ «م» والبحار. سورة الأنعام: الآية ٨.

⁽٧) أضفنا مِنْ (م) والبحار.

⁽٨) سورة الأنعام: الآية ٨و ٩.

⁽٩) في (م) بدل ما في القوسين: تَبَارَكَ الله وَتَعَالَى.

٢٧٥...... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

﴿لَا يُسْنَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْنَكُونَ ﴿ اللَّهُ ﴿ اللَّهَ فَقَالَ فيمن (١٠) أوجب مِنْ عَبِته لذلك: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَآ أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَبِيّه لذلك: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَآ أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

فَـمَنْ قَالَ لك أنَّ هَذِهِ الفريضة كُلُّهَا إنَّهَا هِيَ رجل وَهُوَ يعرف حدّ ما يتكلّم به فَقَدْ صدق، وَمَنْ قَالَ عَلَى الصّفة الَّتِي ذكرت بغير الطاعة فلا يغنى (٤) التمسُّك في الأصل بترك الفروع، كَمَا لا تغنى شهادة (٥) أنَّ لا إله إلَّا بترك شهادة أنَّ مُحمَّداً رسول الله عَلَيْكُ ، وَلَمْ يبعث الله نبيًّا قطَّ إلَّا بالبرِّ والعدل والمكارم ومحاسن الأعمال والنهي عَنْ الفواحش ما ظهر مِنْهَا وما بطن؛ فالباطن مِنْهُ ولاية أهل الباطن، والظاهر مِنْهُ فروعهم وَلَمْ يبعث الله نبيًّا قطُّ يدعو إلى معرفة لَيْسَ معها طاعة فِي أمرِ ونهي، فَإِنَّمَا يقبل الله مِنْ العباد العمل بالفرائض الَّتِي افترضها الله عَلَى حدودها مَعَ معرفة مِنْ جاءهم به مِنْ عنده ودعاهم إليه، فأوّل مِنْ ذَلِكَ معرفة مِنْ دعا إليه ثمَّ طاعته فيما (يقرّبه بمنء الطاعة لَهُ)، وَأَنَّهُ مَنْ عرف أطاع، وَمَنْ أطاع حرّم الحرام ظاهره وباطنه، ولا يَكُون تحريم الباطن واستحلال الظاهر، إنَّما حرَّم الظاهر بالباطن والباطن بالظاهر معاً جميعاً،

⁽١) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

⁽٢) فِي (م) والبحار: ت فيها

⁽٣) سورة النساء: الآية ٨٠.

⁽٤) فِي (ط) لا يعني، وفي (م) لا يغني والمثبت عَنْ البحار.

⁽٥) فِي (م) لا يُغنى بشهادة بدل (لا تُغني شهادة).

ولا يَكُون الأصل والفروع وباطن الحرام حرام وظاهره حلال، لا يحرّم الباطن ويستحل الظاهر.

كَذَلِكَ لا يستقيم أنْ يعرف صلاة الباطن ولا يعرف صلاة الظاهر، ولا الزَّكاة ولا الصَّوم ولا الحجّ ولا العمرة ولا المسجد الحرام وجميع حرمات الله وشعائره (وأنء تُترك لمعرفة الباطن) لِأنَّ بطنه ظهر، ولا يستقيم أنْ تُتْرك واحدة مها إذا كانَ الباطن حراماً خبثاً، فالظاهر مِنْهُ إنَّما يشبه الباطن بالظاهر.

وروى الصفّار في بصائر الدرجات عَنْ علي بن إبراهيم بن هاشم عَنْ القاسم بن الربيع الورّاق، أنَّهُ كتب المفضّل إلى أبي عبدالله الله يسأله عَنْ قوم يعرفهم الإمام اللهِ وَكَانَ يعجب المفضّل نحوهم وشأنهم، وأنَّ المفضّل أبلغ عنهم أموراً تروى عنهم كرهها المفضّل لهم. مَعَ أم المفضل لمَ يربهم إلَّا هدياً حسناً وورعاً وتخشّعاً.

والظاهر أنَّ مُراد المفضّل مِنْ هؤلاء القوم هُوَ ابن أبي زينب المقلاص وخاصّته لا جميع مِنْ انتسب إلى الخطّابية.

فبدأ الله بجواب المفضّل عَنْ أسئلته ويُفسِّر لَهُ ما التبس علهي مِنْ أمر هَذِهِ الجهاعة ومقالاتهم، مَعَ أنَّ مقالاتهم فِي بدو النظر ينطبع مِنْهَا فِي الأذهان غَيْر حدودها الحقيقية، أيّ ينطبع مِنْهَا الغو والإفراط مِنْ التأليه ونحوه واستحلال المُحرّمات والتهتك للدّين مَعَ أنَّ حقائقها هِيَ عَلَى

٢٥ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات - الجزء الثاني غَيْر هَذَا الوجه.

الطعون الواردة عليهم مما أثار إعجاب المفضل:

فَقَالَ اللَّهِ: «كتبت تذكر أنَّ قوماً أنا أعرفهم كَانَ أعجبك نحوهم وشأنهم وَأنَّكَ أبلغت عنهم أموراً تروى عنهم كرهتها لهم، وَلَمْ تر بهم إلَّا طريقاً هدياً حسناً وورعاً وتخشّعاً، وبلغك أنهم يزعمون أنَّ الدِّين إنَّها هُوَ معرفة الرجال ثمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا عرفتهم فاعمل ماشئت، وذكرت أنَّكَ قَدْ عرفت أنَّ أصل الدِّين معرفة الرجال فوفَّقك الله، وذكرت أنهم يزعمون أنَّ الصَّلاة والزَّكاة وصوم شهر رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والبيتِ الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام هُمْ رجال (هُوَ رجل)^(١)، و ان الطُّهر والاغتسال مِنْ الجنابة هُوَ رجل، وَكُلُّ فريضة افترض الله عَلَى عباده هُوَ رجل، وأنهم ذكروا ذَلِكَ بزعمهم أنَّ مَنْ عرف ذَلِكَ الرجل فَقَدْ اكتفى بعلمه به مِنْ غَيْر عمل وَقَدْ صلَّى وآتى الزَّكاة وصام وحجّ واعتمر واغتسل مِنْ الجنابة وتطهّر وعظّم حرمات الله والشهر الحرام والمسجد الحرام، وأنهم ذكروا أنَّ مَنْ عرفٍ هَذَا بعينه وبحدّه وثبت فِي قلبه جاز لَهُ أَنْ يتهاون، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يجتهد فِي العمل. وزعموا أنهم إذًا عرفوا ذَلِكَ الرجل فَقَدْ قبلت منهم هَذِهِ الحدود لوقتها وإنْ لَمُ يعملوا بها.

وَأَنَّهُ بلغك أنهم يزعمون الفواحش الَّتِي نهى الله عنها الخمر والرِّبا والدم والميتة ولحم الخنزير هُوَ رجل (هُمْ رجال)، وذكروا

⁽١) فِي مختصر البصائر.

أنَّ ما حرَّم الله مِنْ نكاح الأمهات والبنات والعيّات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت وما حرَّم عَلَى المؤمنين مِنْ النساء ممّا حرَّم الله إنَّما عنى بذلك نكاح نساء الْنَبِي عَلَيْ وما سوى ذَلِكَ مباح كُلَّه، وذكرت أنَّه بلغك أنهم يترادفون عَلَى المرأة الواحدة، ويشهدون بعضهم لبعض بالزور، ويزعمون أنَّ لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه فالظاهر ما يتناهون عَنْهُ ياخذون به مدافعة عنهم والباطن هُوَ الذي يطلبون وبه أمروا بزعمهم، وكتبت تذكر الذي عظم ذَلِكَ عليك، وكتبت تسألني عَنْ قولهم فِي ذَلِكَ أهو حلال أو حرام، وكتبت تسالني عَنْ قام وأنا أبيّنه حَتّى لا تكون مِنْ ذَلِكَ فِي عمى ولا فِي شبهة.

تمييز الإمام بين الحق من كلامهم

والباطل وبيان أساس الانحراف:

ثمَّ أضاف ﷺ: «وقدكتبت إليك في كتابي هَذَا تفسير ما سألت عَنْهُ فاحفظه كُلَّهُ كَمَا قَالَ الله فِي كتابه: ﴿وَتَعِيَهَا آذُنُ وَعِيَةً ﴾ (() وأصفه لك بحلاله وأنفي عنك حرامه، كَمَا وصفت ومعرّفك متى تعرفه إنْ شاء الله فلا تنكره إنْ شاء الله والقوة لله جميعاً.

أخبرك أنَّهُ مَنْ كَانَ يدين بهذه الصِّفة الَّتِي كتبت تسألني عنها فَهُوَ عِنْدي مشرك بالله بيِّن الشكر لا شكَّ فيه، وأخبرك أنَّ هَذَا القول كَانَ مِنْ قوم

⁽١) سورة الحاقّة: الآية ١٢.

سمعوه ما لمَ يعقلوه عَنْ أهله وَلَمْ يعطوا فَهُمْ ذَلِكَ وَلَمْ يعرفوا حدّ ما سمعوا فوضعوا حدود تلك الأشياء مقايسة برأيهم ومنتهى عقولهم، وَلَمْ يضعوها عَلَى حدود ما أمروا كذباً وافتراءاً عَلَى الله ورسوله وجرأة عَلَى المعاصي، وكفى بِهذا لهم جهلاً. ولو أنهم وضعوها عَلَى حدودها الَّتِي حُدِّت لهم وقبلوها لمَ يكن به بأس، ولكنَّهم حرَّفوها وتعدوا [تعدّوا الحقّ]() وكذّبوا وتهاونوا بأمر الله وطاعته، ولكني أخبرك أنَّ الله حدّها بحدودها لئلا يتعدّى حدوده أحد. ولو كَانَ الأمر كَمَا ذكروا لعذر الناس بجهلهم ما لمَ يعرفوا حدّ ما حدّ لهم، ولكان المقصِّر والمُتعدّي حدود الله معذوراً ولكن جعلها حدوداً هم، ولكان المقصِّر والمُتعدّي حدود الله معذوراً ولكن جعلها حدوداً عدودة لا يتعدّاها إلَّا مشرك كافر، ثمَّ قَالَ: ﴿ يَلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا أَلَى اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا أَلَى اللهِ فَلا تَعْتَدُوها أَلُولَهِ فَا فَلَا اللهِ فَلا يَعْدَدُ اللهِ فَلا تَعْدَدُ اللهِ فَلَا يَعْدَدُ اللهِ فَلَا يَعْدُوهُ اللهِ فَلَا اللهِ فَلا يَعْدَدُ اللهِ فَلا يَعْدَدُ اللهِ فَلَا يَعْدَدُ اللهِ فَلَا يَعْدَدُ اللهِ فَلَا يَعْدُوهُ اللهِ فَلَا يَعْدَدُ اللهُ فَلَا يَعْدَدُ اللهِ فَلَا يَعْدُوهُ اللّهِ فَلَا يَعْدَدُ اللهِ فَلَا يَعْدَدُ اللهِ فَلَا يَعْدَا اللهُ فَلَا يَكُولُوها فَلْنَا يَعْدُوهُ اللهِ فَلَا يَعْدَدُ اللهُ فَلَا يَعْدُوهُ اللهِ فَلَا يَعْدُوهُ اللّهُ اللهُ فَلَا يَعْدُوهُ اللّهُ فَلَا يَعْدُوهُ اللهُ اللهِ فَلَا يَعْدُوهُ اللهُ المَالهُ المُلّهُ اللهُ ال

أَقُول: فبين الله أنَّ القول فِي أصله حقّ وأنَّهم قَدْ سمعوه مِنْ مصدر الحقّ فقوله الله الصحيح والذي لا ينافي صفات المخلوق وشؤونه ولا حدود التشريع كَمَا أنَّ قوله: «أنفي عنك حرامه» أيّ تبيانه الله للمعنى الخاطئ لهذه الصّفات والشؤون، كَمَا أنَّ قوله الله فلا تنكره» أيّ أنَّ أصول ما يرويه هؤلاء هِيَ حقائق مروية عنهم الله عن أسرار المعارف ولكن أنكرها جمهور النَّاس لعدم وعيهم وعمق بصيرتهم بحقائق تأويل هَذِهِ المعاني؛ إلَّا أنَّ لعدم وعيهم وعمق بصيرتهم بحقائق تأويل هَذِهِ المعاني؛ إلَّا أنَّ لعدم

(١) فِي مختصر البصائر.

⁽٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

السير فِي المعرفه لا ينتهي

الانحراف ناشيئ مِنْ سببين أو عَلَى نمطين:

الأوَّل: الفهم الخاطئ لدى عامَّة المُخالفين مِنْ ممارسات وسلوك جملة ممّن أخذ وعمل بهذه الأقوال.

وهذان النمطان هُمَا اللذان مرَّت الإشارة إلى وقوعها بسبب إذاعة ونشر وإعلان رواة أسرار المعارف لهذه المرويّات، فَإنَّ معانيها الثقيلة أو قواعِد تشريعها ممّا تنفر مِنْهَا العقول والإفهام لغموضها وإبهامها عَلَيْهَا، هَذَا بلحاظ أُمُور المعارف الاعتقاديّة، أو تنفر الطّباع المجبولة عَلَى الأعراف المعتادة لغرابة تلك التشريعات وغموض تخريج وجهها الشّرعى لديها فتستوحش مِنْهَا وتستنكرها.

ثمَّ بيَّن اللَّهِ نهاذج عديدة لهذين النمطين، وأنَّ الإذاعة لمثل هَذِهِ المعارف وَالأُمُور وكشف تلك الأسرار العلمية وإفشائها ينجر إلى نشوء هَذِهِ الانحرافات، وَمِنْ ثمَّ يستحقّ المذيع والكاشف لها اللعن والبراءة وتكذيبه فيها تسبّب مِنْ إيصال مَعْنَى خاطئ منحرف في أذهان العوام وعامّة المخالفين، حَيْثُ ينجم مِنْ ذَلِكَ شيوع وانتشار تيّار ينتهج التحريف و التعدّي عَنْ الحدود الإلهيّة يتخيّل أنَّها حقائق الدِّين الخفيّة.

وَقَدْ عدّد المفضّل جملة مِنْ الأُمُور الملتبسة الَّتِي رآها فِي تيّار بَعْض الجَماعات الَّتِي تنتمي إلى بَعْض رواة أسرار المعارف وَهِيَ جملة أُمُور:

* زعمهم أنَّ الدِّين إنَّما هُوَ معرفة الرجال وَأنَّهُ إذَا عرفتهم فاعمل

* أنهم يزعمون أنَّ الصَّلاة والزَّكاة وصوم شهر رمضان والحجّ والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام هُمْ رجال، وأنَّ الطهر والاغتسال عَنْ الجنابة هُوَ رجل، وكذا كُلّ فريضة افترض الله عَلَى عباده هُوَ رجل، وأنَّ مَنْ عرفهم فَقَدْ اكتفى بعلمه مِنْ غَيْر عمل أيّ إذَا عرفه بعينه وحدّه وثبت لَهُ فِي قلبه جاز لَهُ أنْ يتهاون.

وزعموا أنَّ الفواحش الَّتِي نهى الله عنها هُمْ رجال.

* وزعموا ما حرَّم الله مِنْ نكاح الأُمّهات والبنات والعمّات وغيرها مِنْ أصناف النساء إنَّما عنى بذلك نكاح نساء الْنَبِيّ عَلَيْكُ وما سوى ذَلِكَ مباح كُلَّهُ.

* أنَّهم يتردافون المرأة والواحدة.

* ويشهد بعضهم لبعض بالزور.

* يزعمون أنَّ لهذا ظهراً وبطناً يعرفونه، فالظاهر يتناهون عَنْهُ ليدفعوا عَنْ أنفسهم طعن الآخرين والباطن هُوَ الذي يطالبون ويأمرون به.

ثمَّ أَنَّهُ أَردف المفضّل أنَّ هؤلاء رغم ما بلغه عنهم مِنْ هَذِهِ الامور فَإِنَّهُ لَمْ ير بهم إلَّا طريقاً هدياً حسناً وورعاً وتخشّعاً، وَهَذَا الذي زاد فِي استغرابه وتعجّبه فِي شأنهم. ورغم كُلِّ هَذَا الاستعجاب والاستنكار وتعاظمه عَلَيْهِ طلب مِنْ الإمام المَالِلِ تفسير ذَلِكَ لَهُ، وَهُوَ المَالِمُ لَمُ يرفض

وجود تفسير لذلك، رغم أنَّهم خلطوا معاني محرّفة مَعَ ما سمعوه مِنْ حقائق غامضة.

ثمَّ أخذ للنَّا فِي توضيح واحد واحد مِنْ هَذِهِ الأُمُور.

نسبة القول بكفاية العقيدة

عن العمل إليهم وتفسير الإمام عليه السلام لها: أمَّا المحور الأوَّل والثاني: فَقَالَ اللهِ: «فأخبرك بحقائقها إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى اختار الإسلام لنفسه ديناً ورضي مِنْ خلقه ...

وَقَدْ بسط الإمام الكلام فِي هذين المحورين مما يقرب مِنْ خمس صفحات.

ونلخِّص ما قاله اللهِ فِي تفسير هَذِهِ الأُمُور حَيْثُ إِنَّهُ اللهِ بسط البيان فِي ذَلِكَ لئلًا يقع الالتباس فِي دقائق هَذِهِ المعاني وغوامض هَذِهِ المعارف وملخّصه:

أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى اختار الإسلام لنفسه ديناً ورضيه مِنْ خلقه، فَلَمْ يقبل مِنْ أحد إلَّا به، وبه بعث أنبياءه ورسله ونبيّه مُحمَّد عَلِيلَهُ فأصل الدِّين [فأفضل الدِّين] معرفة الرسل وولايتهم وطاعتهم، وَهِيَ أصل الحلال الذي أحلَّه الله وفروع الحلال ما أحلّوه والمحرَّم ما حرّموه، فأمروا شيعتهم وأهل ولايتهم بإقامة الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة وصوم شهر رمضان وحجّ البيت

.٣٥..... تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

والعمرة وتعظيم حرمات الله والمشاعر والبيت الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام والشهر الحرام والشهر الحرام والطهور ومكارم الأخلاق ومحاسنها وجميع البرّ.

وعدوّهم أصل الحرام المحرّم والشرّ وأصل كُلّ شرّ، وَمِنْ عدوّهم تفرّع فروع الشرّ والحرام كُلّهُ، حَيْثُ استحلّوا كُلّ حرام مِنْ تكذيب الأنبياء وجحود الأوصياء وركوب الفواحش الزّنا والسّرقة وشرب الخمر والمسكر وأكل مال اليتيم والرِّبا والجِدعة وركوب الحرام كُلَّهَا وانتهاك المعاصي، فشيوع كُلّ هَذِهِ المحرّمات كأعراف وسنن سيئة في الأُمم والقرون سببها وأصلها رجال بثّوها وجذروها في عادات النّاس، فَهُمْ أصل كُلّ حرام وولايتهم كعبادة وثن، فإنهم مجمع الرذائل ومنهم انتشرت في النّاس، كالعدوى الّتِي تصيب الأصحّاء ممّا هُو أصل المرض فَهُمْ منبع ومجسّمة كُلّ الرذائل والمحرّمات.

وفي الطرف المقابل الأنبياء والرُّسل والأوصياء هُمْ منبع الفضائل وجسمة الفضل، وَمِنْ روائحهم الطّيّبة انتشر عبق الطيب في باقي النَّاس، فَهُمْ أصل الدِّين واليقين والإيهان، وَهُوَ الإمام المنصوب مِنْ الله للهدى، فَمَنْ عرفه عرف الله ودينه وَمَنْ أنكره أنكر الله ودينه وَمِنْ للهدى، فَمَنْ عرفه عرف الله ودينه وحدوده وشرائعه بغيره. جهله جهل الله ودينه، ولا يعرف الله ودينه وحدوده وشرائعه بغيره. فَمِنْ ثمَّ كَانَتْ معرفة الرجال دين الله. فَكُلِّ عبادة وعمل صالح يعرف بالنبي ولولا معرفته والإيهان به والتسليم لَهُ ما عُرِف ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَمْ يعرف البشر مِنْ هَذَا، وَهُوَ الذي دعا إلى كُلِّ ذَلِكَ ودلَّ عَلَيْهِ، وعرف البشر شيئاً مِنْ هَذَا، وَهُوَ الذي دعا إلى كُلِّ ذَلِكَ ودلَّ عَلَيْهِ، وعرف البشر

وأمرهم به فأوجب الله للنبي عَلَى العباد الطاعة فلا يسعهم جهل مِنْ هُوَ فيها بينهم وبين الله، وَهُوَ الذي أتاهم بالدِّين. فكيف يَكُون الدِّين غيره؟ وكيف لا يَكُون الدِّين معرفة ذَلِكَ الْنَبِي عَيَالُهُ؟ وَإِنَّهَا ينكر الدِّين بإنكار ذَلِكَ الْنَبِي عَيَالُهُ؟ وَإِنَّهَا ينكر الدِّين بإنكار ذَلِكَ الْنَبِي عَيَالُهُ والتكذيب به، فعُرف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأنبيائه ورسوله وأوصيائهم وأطيع بطاعتهم وَهُمْ السبيل إليه والوجه الذي مِنْهُ يُؤتى إليه تَعَالَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدُ أَطَاعَ ٱللَّهُ وَمَن تَولَى فَمَا أَرْسَلُنكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (الله اله الله الله

فالفرائض كُلَّهَا فريضة واحدة وَهِيَ طاعة هَذَا الرجل ومعرفته، فلا تغني شهادة أنْ لا إله إلَّا الله بترك شهادة أنَّ محمداً رسول الله، ولا يقبل الله مِنْ العباد العمل بالفرائض عَلَى حدودها إلَّا مَعَ معرفة مَنْ جاءهم به مِنْ عندهم ودعاهم إليه.

وَلَمْ يبعث الله نبياً قط يدعو إلى معرفة لَيْسَ معها طاعة فِي أمر وخهي، أمر بالبرّ والعدل والمكارم ومحاسن الأخلاق والأعمال، ونهي عَنْ الفحشاء ما ظهر مِنْهَا وما بطن.

وبيان هَذَا المقطع الأخير مِنْ كلامه أنَّهُ إنَّما يقبل الله تَعَالَى بَقيَّة الطاعات مِنْ الصَّلاة وَالصَّوم والزَّكاة والحبِّ والبرِّ إذَا كَانَ طاعة لله تَعَالَى، ولا تكون طاعة لله إلَّا بامتثال أوامره المتعلّقة بذلك الفعل، بأنْ

⁽١) سورة النساء: الآية ٨٠.

يَكُون إتيان الفعل خضوعاً وانقياداً لتلك الأوامر المتعلّقة بذلك الفعل وأوامره إنَّما وصلت إلينا عبر رسوله عَلَيْهُ، فلا يمكن إطاعتها إلَّا بإطاعة رسوله. كَمَا أنَّ بنود طاعته تَعَالَى قَدْ فصَّلها فِي كتابه بأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم أيّ ضمن ثلاث فصول فلا تتمّ طاعته تَعَالَى إلَّا بطاعة رسوله وطاعة أُولي الأمر مِنْ أوصيائه مِنْ أهل بيته، مَعَ ما تَقَدَّمَ مِنْ أَوَامَر الله الَّتِي هِيَ عبارة عَنْ الفرائض فِي قبال سنن الْنَبِي ومنهاج أوصيائه تلك الفرائض لَمْ تصل إلينا إلَّا عبر نبيه عَلَيْهُ.

فلا تتحقّق طاعة الله إلّا بطاعة رسوله، لِإِنَّهُ المؤدّي عَنْ الله فرائضه وأوامره، فَكُلِّ أبواب العبادات والبرّ والإحسان هِيَ فِي المرتبة الأُولى طاعة لله ولرسوله، وفي المرتبة الثّانية هِيَ إتيان للصَّلاة وَالصَّوم والحجّ والزَّكاة وَبَقيَّة الفرائض والبرّ.

فَهَذِهِ الأعمال مِنْ حَيْثُ الصُّورة لها هَذِهِ الأسهاء، وَمِنْ حَيْثُ اللَّبَ فَهَاكُ صلاة ظاهرة فَهِيَ طاعة لله ورسوله ولأولي الأمر مِنْ أوصيائه، فَهُنَاكُ صلاة ظاهرة وَهُنَاكُ لُبِّ للصَّلاة وَهِيَ الطاعة، كَمَا ذكر ذَلِكَ الفُقهاء أنَّ روح العبادة النيَّة والنيَّة ليست إلَّا قصد إتيان الصَّلاة والزَّكاة وَالصَّوم والحجّ امتثالاً وطاعة لأمر الله وأمر رسوله وأمر أُولي الأمر، لأنَّ تلك الأعمال عبارة عَنْ مجموعة مِنْ الفرائض وسنن الْنَبِي عَلَيْهُ وسنن أوصيائه المَّا فلا يمكن تحقق عباديّة تلك العبادات إلَّا بقصد امتثال وطاعة أمر الله وأمر رسوله وأولي رسوله وأولي ومن طاعة الله ورسوله وأولي والله وأولي الأمر، طاعة الله ورسوله وأولي

السير فِي المعرفة لا ينتهي

الأمر مِنْ أوصيائه إلَّا بإتيان الصَّلاة الظاهرة وَالصَّوم والحجّ والعمرة والزَّكاة، والاجتناب عَنْ جميع حُرمات الله، فَمَنْ زعم أَنَّهُ إِذَا عرف الله والزَّكاة، والاجتناب مَنْ قبله اكتفى بغير طاعة فَقَدْ كذب وأشرك وَلَمْ يعرف وَلَمْ يطع.

وَإِنَّمَا قِيلَ: اعرف واعمل ما شئت مِنْ الخير فَإِنَّهُ لا يقبل عمل بغير معرفة، فإذا عرفت فاعمل لنفسك ما شئت مِنْ العمل قَلَّ أو كَثُر فَإِنَّهُ مقبول. فَ مَنْ صلّى وزكّى وحجّ واعتمر وفعل ذَلِكَ كُلَّهُ بغير معرفة مَنْ افترض الله عَلَيْهِ طاعته، لَمْ يُصلِّ وَلَمْ يصم وَلَمْ يزكّ وَلَمْ يحجّ وَلَمْ يعتمر وَلَمْ يزكّ وَلَمْ يحجّ وَلَمْ يعتمر وَلَمْ ينتسل من الجنابة وَلَمْ يتطهّر وَلَمْ يُحرِّم لله حراماً وَلَمْ يحلّل لله حلالاً وإنْ ركع أو سجد وأخرج ماله، وَذَلِكَ لِإنّهُ لَمْ يأتِ بها هُوَ العهاد لذوات تلك العبادات وَهُوَ الطاعة لله ولرسوله ولأُولِي الأمر مِنْ أوليائه.

وروى الصفّار بسنده عَنْ حفص المؤذّن، قَالَ: كتب أبو عبدالله اللهِ إلى أبي الخطّاب: «بلغني أنّك تزعم ان الخمر (الخمس) رجل، وأنّ الرِّنا رَجُل، وأنّ الصَّلاة رجلٌ، وأنّ الصَّوم رَجلٌ وَلَيْسَ كَمَا تقول، نَحْنُ أصل الخير، وفروعه طاعة الله، وعدوِّنا أصل الشرّ وفروعه معصية الله، ثمّ كتب كيف يُطاع مَنْ لا يُعْرَف؟ وكيف يُعْرَف مَنْ يُطاع »(۱).

يُستفاد مِنْ هَذِهِ الرُّواية وما قبلها قَاعدِة مهيمنة عَلَى قَاعدِة المثل

⁽١) بصائر الدرجات، للصفّار: ج٢، ص١٦٥، ح٢، ب٢١ فيه شرح أُمُور الْنَبِيّ ﷺ والأثمة فِي أنفسهم.

٥٣٤ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني

وبقيّة قَواعِد التفسير ألا وَهِيَ قَاعِدَة «إنَّ الأئمة اللهِ حقائق الطاعات وأعداءهم حقائق المعاصي والفواحش» يلاحظ أنَّ أصل بدء انتشار هَذِهِ القَاعِدَة قَدْ كَانَ مِنْ أَبِي الخطّاب، حَيْثُ أَنَّهُ قَدْ قام برواية ذَلِكَ عَنْ الإمام الصادق اللهِ وَكَنْ تكن هَذِهِ الرُّواية قَدْ برزت إلى أحد مِنْ الرواة.

وأنَّ أبا الخطّاب وإنْ أساء فهمها وأخطأ فِي تأويلها إلَّا أنَّهُ هُوَ الذي تصدَّر روايتها عَنْهُ اللهِ وَمِنْ ثمَّ قام بَقيَّة الرواة بالمسائلة والاستفسار عَنْ ذَلِكَ، وَقَدْ جمع المجلسي فِي البحار (۱) في هذا الباب سبعة عشر رواية (۲).

ومفاد هَذِهِ الرُّواية فِي صدد دفع توهم أبي الخطّاب مِنْ أَنَّ معالم الشرِّ والفواحش إذَا كَانَت مثلاً لأئمة الشرِّ فيتوهم أَنَّ الظاهر غَيْر مُراد وَإِنَّما المُرَاد هُوَ التأويل فَقَطْ المُمثل لَهُ، وَهَذَا التوهم باطل فِي ميزان تفسير الكلام وتفسير آيات الكتاب، فَإِنَّ كون الظاهر مثلاً لما وراءه لا يعني عدم تعلق الإرادة الجدّية بالظاهر وبالمَثَل، بَلْ إِنَّما الإرادة الجدّية طبقاتُ يَعْقِب بعضها بعضاً، ويتلو كُلِّ مِنْهَا الآخر، وَهَذِهِ ضابطة بالغة الخطورة في توضيح قَاعدِة المثل، فَإِنَّ ما ذكرناه مِنْ هَذِهِ القَاعِدَة بجهاتها العديدة لا يعني بحال مِنْ الأحوال أَنَّ المَثَلَ لَيْسَ بمراد جدّاً ظاهرُه وتنزيلُه، بَلْ هُوَ مُراد جدّاً وحقيقة، إلَّا أَنَّ مراتب الحقيقة والإرادة الجدّيّة ذَاتَ

⁽١) بحار الأنوار: ج٢،٢٨٦ ٢٠٤.

⁽٢) بحوث في مباني علم الرِّجال للشيخ السَّند: ج٣، ص٢٢٢، الغلو والفرق الباطنيّة.

السير فِي المعرفة لا ينتهيطبقات، وَهَذَا ميزان فِي قَاعدِة المثل بالغ الأهميّة.

كَمَا هُوَ الحال فِي قَاعدِة الجري، فَإِنَّ جَرْي الآية مِنْ موردِ نزولها وتنزيلها إلى موارد أُخْرَى لا يعني أنَّ مورد النزول والتنزيل لَيْسَ مُراداً جدّاً، بَلْ غايته جَرْي الآية والمعنى إلى موارد أُخر، وربها تكون الموارد الأُخر مرادة بنحو أهم وأبلغ خطورة إلَّا أنَّ ذَلِكَ لا يعني عدم إرادة مورد التنزيل الأقل أهميّة.

ومفاد هذه الصحيحة عين ما تقدم فإنه وَقع الوَهْمُ بأنه إذا أريد من الآيات أئمة الهُدَى أو أئمة الشرِّ، أو أئمة الكفر والضلال، فإنه يُتوهّم عدم إرادة الظاهر من أحكام الحلال والحرام، ومن قصص ما مضى من الأمم ونبأ ما يأتي من الأُمم، وحكمُ فَصْلِ اختلاف الراهن الحاضر في الأمة، ومن ثم أكَّدَ في رواية المُفَضَّل المتقدِّمة، على أن الدين ظاهر وباطنٌ فلا باطن بلا ظاهر ولا ظاهر بلا باطن، أي كلّاً منها مُرَادٌ في موطنه ومحلّه، وهذه قاعدة عظيمة كميزان مُهيمن على قواعد التفسير

⁽١) بصائر الدرجات: ج٢، ص١٦٥، ح٣/ ١٨٩٤.

فتحصل من جميع الروايات السّابقة ما يلي:

أوَّلاً: إنَّ هَذِهِ الروايات بَعْدَمَا تقدّمت مِنْ عِدَّة جهات مِنْ ضَرْب الأمثال الحسنة لأهل البيت عليهم السلام في القُرآن والسيئة لأعدائهم، تشير الروايات إلى قَاعدِة في المثل يجعل مِنْ قَاعدِة المَثَل في القُرآن مقاربة لقاعِدة الجري بأنْ يَكُون كُل ما ذُكِر مِنْ معالم الدِّين وما هُوَ حَسَنٌ مَثَلٌ ضربه الله لأهل البيت الميليم وكُل ما هُوَ مِنْ المحرمات والفواحش وعناوين السُّوء فَهُو مَثَلٌ لأعداء أهل البيت الميليم، وَهَذَا يُعْطي أوسعية موضوع قَاعدِة قَاعدِة المَثَل مِنْ التمثيل، كَمَا مَرَّت الإشارة مِنْ أوسعيّة موضوع قَاعدِة المثل والأمثال مِنْ التمثيل والتشبيه، وأنَّ جملة الحقائق المذكورة في القُرآن هِيَ أمثالٌ لحقائق أكبر مِنْهَا وأعظم.

ثانياً: كما تبيَّن من الروايات وأمثالها من الروايات المُستفيضة تفسير نمط هذا اللسان في الروايات حيث أن بعض المُتكلّمين أو

⁽١) المصدر السابق: ج٥/ ١٨٩٦ ص١٨٥.

السير فِي المعرفة لا ينتهي

الرجاليين يُتوهم منه أنه من وضع الغُلاة، أو من وضع الخطابيّة الذي توهموا استباحة تَرْك أركان الشريعة والفروع بمُجرَّد الولاية، بينها المراد ما قَدَّمنا من أن لكل حقيقة تأويل في عالم الآيات الكبرى المخلوقة وكلهات الله التّامات، وأن الحقيقة الكبرى للحقائق هم أهل البيت المنظين وأما معالم الظلمة والظلام فهي كناية وإشارة لأعدائهم، كها أن كلامُه الله في رواية المفضّل بن عمر وافي بتوضيح ذلك.

فهرس الموضوعات

٤	هوية الكتاب
٥	القاعدة الخامسة
محكمات	المنهج التفسيري لأمومة الولاية على ال
٩	المقدمة
Y1	قاعدة الجري بمعنى تطبيق أو تعيين
YY	الأمر الأول: معنى القاعدة:
بر	تفسير لقاعدة الجري والتطبيق أو التغيي
···	توطئة:
لا للمبادئ	القاعدة الأولى: الألفاظ وضعت للغايات
شيء	تعريف الشيء بغايته من أكمل تعاريف ال
٤٥	تأكيد القرآن وأهل البيت عليهم السلام
£Y	العلاقة بين القاعدتين
طبيق أو التعبير	خذ الغايات واترك المبادئ والجرى والتد

. ٥٤ تفسير أمومة الولايه والمَحْكمات ـ الجزء الثاني	٠
قاعدة الثانية: هل اللغة ألفاظ وأصوات فقط	11
عالم المعاني لغة مِن اللغات:	
طلب هام ذي صلة بالمقام	م
أقوال أو النظريات في تفسير قاعدة الجري والتطبيق	וצ
تميز حقيقة المدلول الاستعمالي عن الجدي:	
الفرق بين المعنى التنزيلي والمعنى التأويلي والاستعمالي:	
وأما معنى التعبير بـ [اللفظ تنزيله هكذا]:	
بيان موقف:	
واص ومميزات النظرية الأولى٧٥	خ
نظرية الثانية في قاعدة الجري والتطبيق أو التعبير	الن
قاعدة الجري والتطبيق (أو التعبير)	
لا تختص بنظام الاستعمال اللفظي:	
التعبير والترجمان جري ولغة تفاهم	
بين العالم الربوبي وعالم المخلوقات:	
سعية تعدد المعاني بمقتضى النظرية الثانية	ور
تنبيهان	

س الموصوعات ١٤٥	فهرد
ما يعبر عن علم التشريع والتنظير بعلم الشريعة:	ريه
ل التطبيق عن التنظير يعدم التصنيف الموضوعي	عز
يات حسب النظرية الأولى:	W
م جري أصناف الآيات حسب النظرية الأولى	عد
موضوع أصناف أخرى منِ الآيات:	فِٰي
هي حدود الآيات بمقتضى النظرية الأولى	تما
ضباطها على النظرية الثانية:	واند
وم التخاطب والمشافهة في قاعدة	مم
ىري بمعنى التطبيق أو التعبير	الج
ق إشكال حجية الظهور بالمخاطبين والمشافهين:	تعم
نأويل حاكم على التنزيل (التفسير) أو العكس	هل الت
تأويل المتأخر رتبة	علم ال
د علم التأويل ومفارقته عن التفسير:	تعد
مومة الولاية على المحكمات فضلا عن المتشابهات	منهجا
ر الأساسي في قاعدة الجري	المحو
179	الخمارة

٥٤٢ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني
عالم التطبيق لا صلة له بالألفاظ والمعاني الذهنية
النظرية الثانية تسائلِ النظرية الأولى:
المخاطب الأصلي في القرآن هو النبي وأهل بيته
ولادة الروح أعظم منِ ولادة البدن:
وقاعدةِ الجري والتطبيق أو التعبير:
المصاديق الأتم للطبيعة تتجلى فيها آثار الطبيعة
تعدد مراتب المعنى الجدي:
تعدد كل مراحل المعاني:
تعالي معاني القرآن على النظرية الثانية:
تنوع دلالة الآية الواحد في علوم شتى
على النظرية الثانية:
قاعدة الجري بمعنى التطبيق أو التعبير
قاعدة الجري واستفادة التوحيد في عالم الصفات
منهج أمومة الولاية يرسم منهاج نظرية المعرفة الدينية
جدارة تفسير القرآن بالقرآن للِسيد العلامة الطباطبائيﷺ:
القاعدة: قاعدة في مهقوما الصحيح

024	فهرس الموضوعات
11111	التفاتتان وثمرتان نفيستان في قاعدة الجري
۱۸۰	الحقيقة أحرى بالاتباع:
1	إعادة كتابة قواعد علم البلاغة
۱۸۲	على ضوء علم الألسنيات وتعدد القراءة:
۱۸۷	علم التأويل يزيل تشابه القرآن
191	التفسير بالمأثور وشموليته
147	أمومة التأويل
199	النمط الأول: ثمرة عامة:
۲۰ ۱	النمط الثاني: الثمرة الخاصة
۲۰ ۱	لقاعدة الجري والتطبيق أو التعبير:
٠٠ ١٠٠٠٠٠	الثمرة الأولى: تحديد علم التأويل في القرآن عن تفسيره:
۰۳	علم التأويل قطب تدور عليه قطب رحى علم تفسير القران
٠٣	قطب رحى علم تفسير القرآن:
· • •	التفسير والتأويل جناحان في القرآن الكريم:
·•v	تلاوة المعاني أهم من تلاوة الألفاظ في القرآن الكريم
′\\	6 - N. S. (127. 3. 3. 1. 2. 3. 4. 3. 3. 4. 2. 3. 4. 2. 3. 4. 2. 3. 4. 2. 3. 4. 2. 3. 4. 2. 3. 4. 2. 3. 4. 2. 3.

ع٥٥ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ـ الجزء الثاني
تنوع الاستفادة منِ الآية الواحدة
لعلوم شتى على النظرية الثانية:
الإمامة والعمل الأمني
اهتمام القرآن بجانب الشرور الواقعة جريا كقاعدة
تنبیه هام
خاتمة
قاعدِةَ الذكِرِ فِي القرآن الكريم
لَذِكِر فِي القَرآنِ الكريم
لإعجاز البلاغي في القرآن
حقيقة الإعجاز في القرآن وصلة ذلكِ بأن حقيقته ذكر:
لسر فِي عدم اكتشاف إعجاز القرآن
طبيعة حقيقة القرآن أنه يفعل كل علم:
ما معنى الذكر
مِنِ الضروريات للمضسر تأسيس الجنبة العلمية
والعملية التطبيقية:
الذكر بمثابة الأصل الذي ينحدر منِه القرآن الكريم:

فهرس الموضوعات
ضرورة تأسيس الجانب العملي للمفسير في قاعدةِ الذكر:
الحقيقة لا تقتنص بالتنظير الفكري فقط:
تأثير العدالة والتقوى على الجانب العملي:
الشعائر الحسينية وقاعدةِ الذكرِ:
الطهارة الروحية ودخالتها في جانب التفسير:
هم مميزات قاعدةِ الذكر
الفرق بين الندبة بالذكر والندبة بالنياحة:
ارتباط حقيقة الذكر بالوحي
الذكر ميزان في الكشف عن الوحي:
هم الشرائط المعتبرة في المفسر للقرآن الكريم
لإشارات القرآنية للخواص ولطائفهِ للأولياء
ليس كل تهذيب أخلاقي ذكر:
صفتان مختصتان بالنبي الأكرميَّةُ:
نتفة عقائدية:
طبيعة العلاقة بين قواعد منهج أمومة الولاية
قاعدة الذكر بالمعنى الذي ذكرناه:

حـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
المعاني الأخرى لقاعدة الذكر:
الفرق بين نداء القرآن
وعرض أصحاب علم الهندسة الصوتية:
الفرق بين القرآن الكريم كقاعدةٍ ذكر وبين الشعر:
كيفية اكتشاف قواعدِ الذكر:
لذكر نظام في العلوم يوظفها إلى الكمال
قاعدةِ الذكر: قاعدةِ استراتيجية
أو ناظوم لعلوم التفسير وميزان معادلي:
الذكر: هو أحد معاني أشهر أنك تلوت الكتاب حق تلاوته:
يفترق تفسير المعصوم عليه السلام عن غير المعصوم:
المفسر الناجح من يستطيع التمييز بين الآية الأم وغيرها
بل اكتشاف مجموع الآيات التي تشكل نظام
ومنظومة الأمومة في القرآن
علاقة قاعدةِ الذكر بمنهج أمومة الولاية على المحكمات:
أهمية وخطورة علم التفسير
في تنظيم متطلبات أفراد المجتمع في يومياتهم:

024	فهرس الموضوعات
۳٦٥	فرق القرآن الذي يقودك إلى الذكر
۳٦٥	عن بقية العلوم الروحية الأخرى
۳٦۵	التِي لا تقودك إلى حالة الذكر:
۳۷٥	ُهم ثلاث مميزات لقاعدة الذكر
۳۷۹	الفهرس الإجمالي لقاعدة الأمثال
۳۸۳	القاعدة السابعة: قاعدة الأمثال
۳۸٧	لكلام في قاعدة الأمثال يقع في جهات
٤٠١	الجهة الثانية: نذكر فيها أمرين:
٤٠١	الأمر الثانِي: مدرك القاعدة منِ الآيات والروايات:
٤٠٨	قراءة الأمثال بلغة عقلية فكرية:
٤١١	الجهة الثالثة: القرآن الكريم اعتمد أسلوب المثل
٤١١	منِ ضمن أساليب عديدة اعتمدها،
٤١١	كما نبهت عليه روايات أهل البيت الله الله الله الله الله الله الله الل
٤١٧	الجهة الرابعة: ارتباط أسلوب المثل بالتعريض:
٤١٣	المثل تسمية واسم ولقب وتوصيف وعبر وآية:
٤١٥	الترادف العقلي:

مومة الولاية والمُحْكمات ـ الجزء الثاني	۵۶۸ تفسیر آ
213	الترادف الوجودي:
شلا:	الأحكام الشرعية السابقة يمكن أن تكون م
£Yo	الفرق بين المثل البلاغي والمثل القرآني:
£Yo	المثل في علم البلاغة تشبيه له حقيقة
170 :śś	حسب نظرية السيد العلامة الطباطبائي
£79	لعلاقة بين قاعدة المثل، وقاعدة الجري.
£Y¶	الجهة السادسة: نظام حقائق القرآن:
£YYY	ڻمثل منهج معرفي
£TT	الجهة السابعة: أساليب القرآن الثمانية
£TT	برهانية وليس لمجرد إقناع:
£₹₹*	عموم البرهان لِكِل العلوم وقِوى النفس:
٤٣٥	عموم الكشف البرهاني والشهود
<u> </u>	والبرهان العياني لكِل قوى النفس:
ŧ٣٦	الفوارق بين القسمين:
110	الجهة الثامنة
رف المثل	الضرق بين ضرب المثل، وجعل المثل، وص

نهرس الموصوعات 930
الجهة التاسعة: حقيقة استعمال المثل
في القرآن الكريم والحقائق القرآنية:
الجهة العاشرة: [ليس كمثله شيء]⁰
أوصاف القرآنية للجنة حقائق أم تمثيل
[قاعدةِ المثل ونظرية المعاد]:
الجهة الثانية عشر: إن قصص الأنبياء والمرسلين
والمصطفين مثل لأل محمد ﷺ في القرآن الكريم:
بيان القرآن لحقيقة عظيمة في قصص الأنبياء:
نماذج التفضيل القرآني لأهل البيت عليهم السلام
على بقية أنبياء أولي العزم عليهم السلام:
الأمثال على طبقات كذلك الأسماء:
حالات الأسماء:
حقيقة الاسم الإلهي:
الغرض من مبحث الأسماء:
صلة وطيدة بين حقيقة الإمامة والولاية
وحقيقة القرآن وعلاقتها بقاعدة الأمثال:

.00 تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات ــالجزء الثاني
أحادية البعد والقول في النظر
سبب انحراف بعض الفرق المحسوية على الإسلام:
الأمثال على طبقات:
سلة قاعدة الأمثال بأقسام الوحي وأنواعه وأسراره
صلة أن للقرآن ظهر ويطن بمبحث الأمثال:
لماذا لم تذكر دلائل إمامة أهل البيت عليهم السلام
فِي القرآن كما في ذكر موسى وعيسى عليهم السلام:
نتفة عقائدية:
لِم يصرح القرآن الكريم بأن قصص الأنبياء عبرة:
الجهة الثالثة عشر: تقابل مثل أهل البيت عليهم السلام
وأعداؤهم فِي القرآن:
البرهان الأول: برهان العبِرة في المثل:
البرهان الثاني: برهان الجري:
وسعة القاعدة عمومية الجهة والقاعدة
البرهان الثالث: المثل والأمثال
اسم وتسمية وتوصيف ووصف:

فهرس الموضوعات ٥٥١
اليرهان الرابِع:
الجهة الرابعة عشر:
المثل الأعلى ومثل السوء
السير في المعرفة لا ينتهي
الجهة السادسة عشر: أن الذي لا يعتبر
ولا يعبر بالمثل إلى ما وراء يضلِ:
الجهة السابعة عشر: الثمرة الكبرى لقاعدة المثل:
الطعون الواردة عليهِم مما أثار إعجاب المفضل:
تمييز الإمام بين الحق مِن كلامهم
والباطل وبيان أساس الانحراف:
نسبة القول بكفاية العقيدة
عن العمل إليهم وتفسير الإمام عليه السلام لها:
نهرس الموضوعات